وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري / 16- 19م

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث.

إعداد الطالب:

محند أكلي آيت سوكي.

إشراف الأستاذ الدكتور:

أرزقي شويتام.

السنة الجامعية: 1435- 1436هـ

2014 - 2015م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن العاشر إلى الثالث عشر الهجري (16- 19م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث.

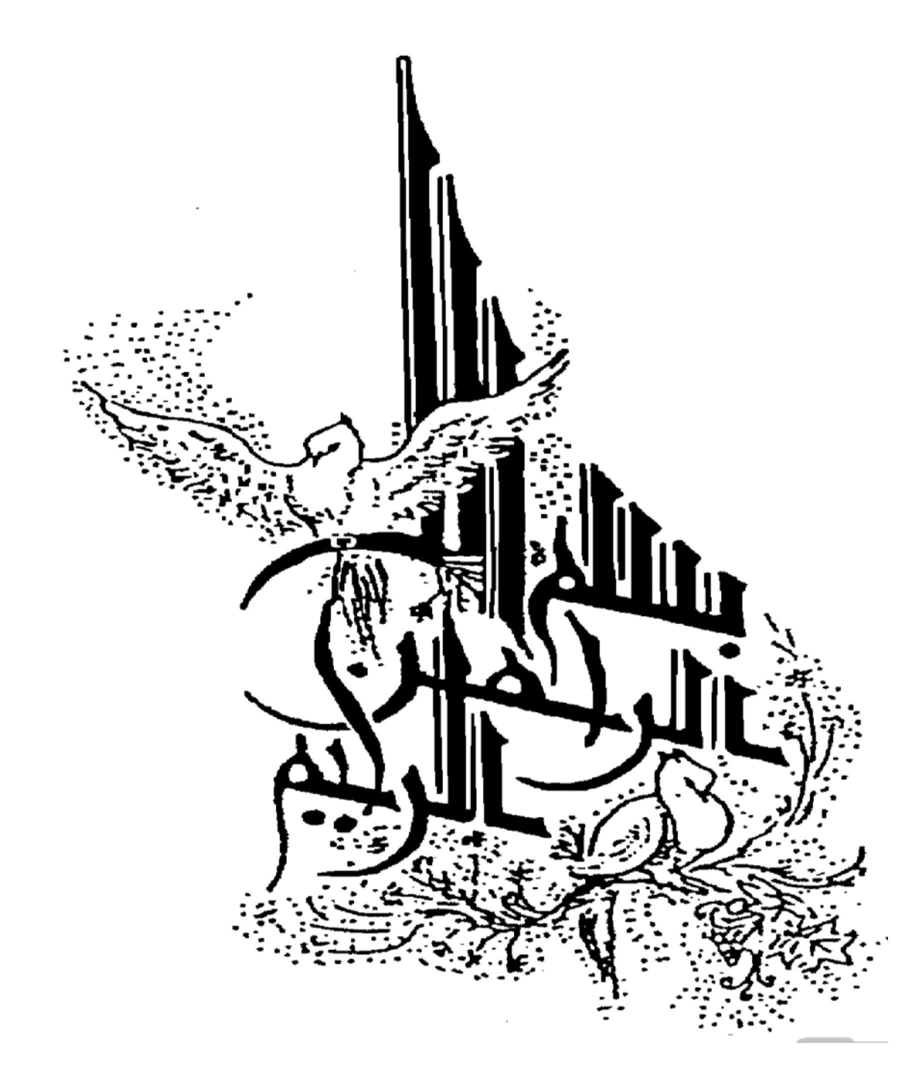
إعداد الطالب: محند أكلي آيت سوكي.

إشراف الأستاذ الدكتور: أرزقي شويتام

لجنـــــة المناقشـــــة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د. عبد القادر مولاي	جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د. أرزقي شويتام	جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله	مقررا
أ.د. مختار حساني	جامعة الجزائر 2،أبو القاسم سعد الله	مناقشا
د. محمد الشيخ برابح	جامعـــة زيان عـــاشور، الجلفـة	مناقشا
د. بشير سعدوني	جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله	مناقشا
د. مزيان سعيدي	المدرســة العليا للأســاتذة، بوزريعة	مناقشا

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/ 2014-2015


بسم الله الرحمن الرحيم


وقل رب زدني علما

كلمة

شكر واعتراف بالجميل

إن الحمد لله تعالى أولا وأخرا على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، فله الحمد والشكر على ما حباني به من موفور الصحة، وأمدني بالعون لإنجاز هذا العمل.

لك اللهم ربي الشكر والثناء والحمد لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

في البداية، أتقدم بالشكر، والاعتراف بالجميل إلى أستاذي الفاضل، وأخي الكريم، الأستاذ الدكتور: أرزقي شويتام على ما بذله من مجهود في تتبع هذا العمل وإخراجه، فلم يبخل بتوجيهاته، ونصائحه المختلفة. جعله الله تعالى ذخرا للأمة، وأمده بالصحة والعافية.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل الذين قدموا لي يد المساعدة من بعيد أو قريب خاصة الأستاذ الدكتور: عبد السلام خالد، والأستاذ: عبد المالك بكاي، وكل زملاء العمل في جامعة: محمد لمين دباغين، سطيف2 من أساتذة وإداريين، وكذا أولئك الذين يجدّون ويجتهدون من أجل الحفاظ على الموروث الثقافي لمنطقة زواوة أمثال: الدكتور محمد أرزقي فراد، وجمال الدين مشهد، ومحمد الحسن عليلي وغيرهم. كما لا أنسي شيخنا الذي ربانا في الصغر، وغرس فينا حب العلم الشيخ: محمد الطيب آيت علجت جعل الله تعالى عمله في ميزان حسناته. آمين والحمد لله رب العالمين.

الباحث: محند أكلي آيت سوكي

الإهداء

إلى:

- روح والدي الكريمين، وأخي محمد أمزيان، غفر الله تعالى لهم، وجعلهم من أهل الجنة.
- التي صبرت علي، وتحمّلت مصاعب الحياة، ووفرت لي جميع ظروف البحث. أمي أولادي، ورفيقتي دربي. زوجتي الفاضلة.
- أبنائي: عادل، محمد البشير، أسامة طاهر.
- حفيداتي: أميرة، أسماء، نهى. جعلهم الله جميعا صالحين، وله مطيعين، ولسيرة نبيه متبعين.
- جميع أفراد العائلة.
- شهداء الوطن، وكل محب للجزائر الحبيبة.

محند أكلي.

المقدمة:

تعتبر منطقة زواوة من المناطق الجزائرية التي أدت أدوارا هامة في مختلف الميادين الحياتية في المجتمع الجزائري عبر تاريخها الطويل، ولازالت تلعب هذه الأدوار إلى الآن، وقد برزت هذه الأدوار في مراحل تاريخية مختلفة. فبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ساهم الزواويون في مختلف مراحل الفتح لبلاد المغرب، بل حتى الأندلس. وبرزت أهمية منطقة البحث في الفترة الوسيطة من خلال ما قدمته المنطقة عامة، ومدينة بجاية الناصرية للحضارة الإسلامية بوجه خاص، والإنسانية بوجه عام.

تحولت المدينة في العهد الحمادي(460-547هـ/1067-1152م) إلى حاضرة فكرية، وثقافية أنارت بلاد المغرب الإسلامي، ونافست المراكز العلمية الإسلامية مغربا ومشرقا، بل أضاءت الحوض المتوسطي، وأوربا كذلك، فقصدها الكثير من الباحثين عن العلم، فارتووا من مناهلها العلمية، وظلت تقدم للفكر البشري ما يشفي غليل كل من قصدها عبر القرون، وفي شتى المجالات الفكرية والثقافية. وقد تخرج من جامعاتها ومدارسها فطاحل من العلماء والفقهاء والمتصوفين والأدباء والشعراء والسياسيين ... الذين تركوا اسهاماتهم الفكرية في مختلف البلدان التي حلوا بها، فمنهم من بقي فيها، ومنهم من تركها منتقلا إلى غيرها من المدن والمراكز الفكرية، لنشر ما أخذ من العلوم على العلماء الزواويين الذين كانوا في المدينة، أو على يد العلماء الذين حلّوا فيها من غير الزواويين.

بعد النكبة التي حلت بالعاصمة الفكرية للمغرب الأوسط على يد الإسبان سنة 916هـ /1510م، خرج منها علماؤها، والأسر البجائية العلمية إلى خارجها، فارين بدينهم وكنوزهم العلمية التي اكتسبوها في مدارس المدينة ومعاهدها، نتيجة للتخريب الذي تعرضت له على أيدي الغزاة الصليبيين الإسبان. خرج هؤلاء إلى الجهات الجبلية الداخلية متخذين من الأماكن التي قصدوها ملاجئ تحميهم من ملاحقة العدو من جهة، ومراكز لاستمرار نشاطهم الفكري من جهة أخرى. ومنهم من هاجر إلى خارج البلاد. فساهم هؤلاء في النشاط الفكري والحضاري في الحواضر الإسلامية عامة، سواء في تونس، أو في مصر، أو الحجاز، أو الشام...

إن ما تركه هؤلاء العلماء من الإسهامات الحضارية والفكرية بوجه خاص في المنطقة، أو خارجها من المناطق التي حلّوا بها، هي التي دفعتني إلى البحث في هذه الإسهامات من

خلال هذه الأطروحة التي عنونتها بـ: " **إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري (16- 19م)**"، ويظهر بأن فترة البحث طويلة، ولكن ذلك يقتضيه البحث لتتبع النتائج والآثار الناتجة عن هذه الإسهامات سواء تعلق الأمر بالجانب الروحي (من إسهاماتهم في التصوف، والحركة المرابطية، وانتشار الطرائق الصوفية التي عرفها العالم الإسلامي عامة، ومغربه بوجه خاص)، فبرز عدد من أهل منطقة البحث في هذا الجانب الذي غذى الفكر الإسلامي.

كما أن العلماء الزواويون قد أسهموا في نقل المعارف المختلفة إلى طلبة العلم سواء في المنطقة، أوخارجها مغربا ومشرقا خلال فترة البحث، فانتشر التعليم العربي الإسلامي في مختلف القرى والنواحي الداخلية الجبلية، وذلك من خلال المعمرات المنتشرة في منطقة زواوة، فانتقلت الحركة الفكرية من المدينة إلى مختلف القرى الداخلية من زواوة، وذلك عن طريق الأسر العلمية التي نزحت من المدينة، والعلماء الذين تتلمذوا في مدارسها، وجامعاتها.

إن الحكم على ازدهار التعليم في آية أمة من الأمم، أو عصر من العصور، يقاس بمدى تقدم العلوم المختلفة، ولكن فترة البحث (من بداية القرن العاشر الهجري/ 16م، إلى نهاية القرن الثالث عشر/ 19م)، والمنطقة التي أتخذت للبحث، نجد بأن الحياة الفكرية خاصة، والثقافية بوجه عام، ليست بالمستوى العالي الذي يمكننا من القول بأن هناك تطورا في الإنتاج الفكري في العالم الإسلامي عامة، وفي الجزائر بوجه خاص، وذلك لأن الجزائر خلال هذه الفترة لم تكن ذات صيت واسع في الحياة الفكرية، لكون العلماء اعتنوا بالعلوم النقلية، دون الإهتمام بالعلوم العقلية، وهذه الظاهرة لم تكن خاصة بعلماء الجزائر فقط، بل عرفتها مختلف الشعوب الإسلامية، وهو الوضع الذي يذكره الكثير من الذين عاصروا الفترة.

أحاول من خلال هذا البحث تتبع آثار علماء المنطقة، وإسهاماتهم الفكرية خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر الهجري، إلى الثالث عشر منه/ 16- 19م، سواء في المنطقة، أو خارجها، وأصبو من وراء هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها:

- المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بدراسة التاريخ الفكري من خلال إسهامات علـــماء ومثقفي منطقة ذات خصوصيات لغوية وإثنية، كثيرا ما جعلت المؤخيين الغربيين يعملون على استغلالها لصالح المدرسة الإستعمارية. وأحاول من خلال هذه الدراسة إبراز مساهمة علماء المنطقة في الفكر الإسلامي خلال فترة. قلت الدراسات التي اهتمت بها.

- إبراز مساهمة علماء المنطقة في الحياة الفكرية الإسلامية عامة والمحلية بوجه خاص. فبعدما كانت أسماء العلماء والمفكريين الزواويين تتداول بين المفكرين والعلماء، أمثال: المشداليين، والوغليسين والمنجلاتيين والبجائين...، أضحينا لانجد أسماء علماء المنطقة في الفترة الحديثة، وكأن المنطقة أصيبت بالعقم في إسهام علمائها في الفكر الإسلامي، مما يجعل العمل، تأسيسي فيما يخص علماء المنطقة خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر، إلى القرن الثالث عشر الهجري/ 16- 19م.

- الدور الذي أدته المؤسسات التعليمية المحلية، خاصة المعمرات في نشر التعليم والعلم بين أبناء المنطقة، والوافدين إليها من خارجها، وكذا تصحيح النظرة إلى دور هذه المؤسسات التي حاول البعض أن يجعلها أوكارا للبدع والخرافات، متجاهلا أهميتها في الحفاظ على الهوية الوطنية، والوسطية الدينية في العالم الإسلامي، ومغربه بوجه خاص. كما حاولت أطراف أخرى استغلال هذه المؤسسات لخدمة أغراضها ومصالحها الذاتية، مستغلين في ذلك طبيعة السكان الذين ينظرون إلى رجال هذه المؤسسات، ومشائخها نظرة خاصة.

- المساهمة في اماطة اللثام – ولو بقدر متواضع – عن دور علماء المنطقة في نشر اللغة العربية بين سكان القرى في النواحي الجبلية، والقرى النائية الداخلية، خاصة وأن سكان هذه النواحي يجدون صعوبة كبيرة في التأقلم مع غيرهم من سكان المناطق الأخرى لصعوبة التواصل اللغوي بينهم قبل القرن العاشر الهجري/ 16م. ولقد كان لسقوط بجاية بيد الإسبان الأثر الكبير في إتمام تعريب المنطقة، خاصة الداخلية البعيدة عن حظيرة بجاية.

- ومن بين الأهداف التي أسعى إلى تحقيقها من خلال هذه الدراسة أيضا:
الوصول إلى فهم واقع المجتمع الجزائري، وتسهيل عملية التواصل بين أفراده، وهو الوضع الذي كان عليه من قبل رغم الصعوبات التي واجهت أجدادنا، ومن ثم الإقتداء بالسلف الذين عملوا على نشر مبائ الفضيلة والتسامح، والتآزر بين أفراد الأمة الواحدة حتى وإن تباعدت المسافات، واختلفت اللهجات، غير أن الدين جمع بين أفراد هذه الأمة.

ولتحقيق هذه الأهداف، والعمل على تحليلها، والوصول إلى تحديد نتائجها، إرتأيت طرح الإشكالية التالية:

ما مدى مساهمة علماء المنطقة في إثراء الفكر الإسلامي من القرن العاشر، إلى القرن الثالث عشر هجري/ 16-19م؟. وماذا ميزهم عن غيرهم من العلماء الأخرين؟. وهل توصلوا إلى تشكيل مدرسة ذات منهج خاص بهم. أم أنهم جزء لا يتجزء من الإنتاج الفكري العام لعلماء العالم الإسلامي عامة مغربه، ومشرقه.

وللإجابة على هذه الإشكالية، وضعت عددا من الفرضيات منها:

- مدى استفادة المجتمع المحلي من الإنتاج الفكري لعلمائهم.
- هل أثروا في المجتمع المحلي بالرفع من مستواه الفكري، والثقافي؟
- مظاهر اسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية محليا وإسلاميا.

لقد حددت الإطار الزماني للدراسة من مطلع القرن العاشر الهجري، إلى نهاية القرن الثالث عشر (16-19م)، وذلك من أجل تتبع التطور الحاصل في الحياة الفكرية بالمنطقة، خاصة إذا علمنا بأن النتائج الفكرية لا تبرز سريعا، بل تتطلب فترات زمنية طويلة حتى تتبلور تلك الإسهامات لهؤلاء العلماء في الجانب الروحي، أو الجانب التعليمي، اللذان يتطلبان تتبع تأثيرهما لمدة طويلة. وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال تتبع اسهامات هؤلاء العلماء حسب كل قرن من فترة الدراسة.

وللإجابة على هذه التساؤلات والفرضيات، قسمت الدراسة إلى ستة أبواب رئيسة، وكل باب إلى فصول، وكل فصل إلى مباحث.

- **الباب الأول:** التعريف بمنطقة زواوة.

قسمت هذا الباب إلى فصلين.

الفصل الأول: عنونته بـ: الموقع وإشكالية التسمية.

أما الفصل الثاني، فخصصته لتحديد خصائص المنطقة من الناحية الجغرافية.

الباب الثاني: العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية بالمنطقة.

قسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول، وكل فصل يحتوى مجموعة من المباحث، وهذه الفصول هي:

-الفصل الأول: تناولت فيه الحياة السياسية بمنطقة البحث، وتأثيرها على الحياة الفكرية، في مختلف أوجهها.

-الفصل الثاني: جعلته للحياة التعليمية في منطقة زواوة، وفيه استعرضت أوضاع التعليم في المنطقة قبيل القرن العاشر، وأهم المراكز التعليمية الموجودة في منطقة البحث، وكذا بعض الشخصيات العلمية والفكرية التي اشتهرت في زواوة، وكذا الأوضاع العامة للتعليم في المنطقة ومؤسساته، ومستوياته...فيما بين القرن العاشر، والثالث عشر الهجري/ 16-19م.

-الفصل الثالث: خصصته للحياة الروحية في منطقة البحث، فبينت مفهوم الحياة الروحية مركزا على ظاهرتي التصوف، والمرابطية. وذلك لما لهاتين الظاهرتين من تأثير في الحياة العامة لسكان المنطقة.

الباب الثالث: تراجم علماء منطقة زواوة.

وهو الباب الذي قسمته إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: تراجم علماء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ 16-17م.

الفصل الثاني: تراجم علماء القرن الثاني عشر الهجري/ 18م.

الفصل الثالث: جعلته لتراجم علماء المنطقة خلال القرن الثالث عشر الهجري /19م.

الباب الرابع: أدوار علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية.

إن هذا الباب من الأبواب الرئيسية في الدراسة، وهذا ما جعلني أركز فيه على الأدوار المختلفة التي يلعبها العلماء في مختلف مجالات الحياة، وهذا ما حاولت إبرازه من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: دور علماء زواوة في التعليم بالمنطقة، وخارجها، سواء تعلق الأمر بالجزائر، أو البلدان المغاربية، وكذا على مستوى العالم الإسلامي.

الفصل الثاني: دورهم في الحياة الاجتماعية: إن دور العلماء لا يتوقف على التعليم فقط، بل يتعدى إلى ميادين أخرى في الحياة اليومية، ومن هذه الجوانب، الجانب الاجتماعي، حيث عمل العلماء والمرابطون على تعويض السلطة في المنطقة. سواء تعلق الأمر بالتقاضي، أوإصلاح ذات البين، أو كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية للسكان.

الفصل الثالث: خصصته للحياة الإقتصادية، وفيه حاولت أن أعالج ظاهرة الوقف في المنطقة، وإشراف فئتي العلماء والمرابطين على إقتصاديات المنطقة.

الفصل االرابع: وفيه وضحت الأدوار السياسية للعلماء في الحياة اليومية بالمنطقة، خاصة إذا علمنا بأن معظم أجزاء منطقة زواوة كانت من المناطق الممتنعة، والتي تخضع لحكم محلي، سواء في زواوة الشرقية، أو الغربية.

كما تطرقت فيه إلى دور هذه الفئة المثقفة في الحياة السياسية بالمنطقة، وعلاقتها بالسلطة المركزية. سواء من حيث التوسط، أو تأمين الطرق البرية، أو المشاركة في إخماد الثورات والتمردات المحلية، وكذلك المشاركة في الجهاد، وإعلان النفير في القرى والنواحي الداخلية للمنطقة.

الباب الخامس: مؤلفات علماء زواوة فيما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري/16–19م.

الفصل الأول: لقد خصصت هذا الفصل لمؤلفات علماء المنطقة في العلوم العقلية،والتي يظهر بأن إنتاجهم فيها قليل جدا مقارنة بما ألّفوه في العلوم النقلية، وهي حسب رأي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله خلال هذه الفترة.

الفصل الثاني: خصصته لانتاجهم في العلوم النقلية، كعلوم الفقه، وأصوله، وعلوم التفسير، والحديث والإثبات، وكذلك القراءات القرآنية التي اشتهرت بها منطقة زواوة دزن غيرها، والتي تعتبر الوحيدة في بلاد المغرب الإسلامي التي مازال سند القراءات العشر النافعية بها متسلسلا إلى يومنا هذا.

الفصل الثالث: حاولت فيه جمع الإجازات العلمية التي أجاز بها علماء المنطقة طلبتهم محليا، ومغاربيا، وحتى في المشرق الإسلامي، مما يبين لنا نماذج من الإسهامات الفكرية لعلماء المنطقة في الفكر الإسلامي، وقد أوردت بعض النماذج لهذه الإجازات التي لاتختلف عن النماذج المشرقية التي كان علماء المشرق يجيزون بها طلبتهم.

الباب السادس: نماذج من مؤلفات علماء المنطقة. وهو بدوره مقسم إلى فصول ثلاثة:

الفصل الأول: النساخ والعقود التوثيقية في منطقة زواوة، وفيه بينت دور إحدى الأسر العلمية في الحفاظ على التراث الفكري للمنطقة خاصة، والتراث العربي الإسلامي عامة، وذلك من خلال الكتب التي تم نسخها من قبل نساخ الأسرة، كما حاولت من خلال هذا المبحث عرض بعض النماذج من إسهامات العلماء في التوثيق، وتسجيل العقود المختلفة.

الفصل الثاني: خصصته لما قدمه بعض علماء المنطقة كنموذج في النوازل والفتاوى، وقد وقع اختياري على مسائل عرضت على الشيخ الورثيلاني وغيره من العلماء الين ساهموا في الإفتاء بالمنطقة.

الفصل الثالث: تقديم النماذج المادية: وخصصته لبعض المؤلفات في مجالات مختلفة، وحاولت من خلاله إبراز الأهمية العلمية والتاريخية لهذه المؤلفات، واخترت منها بعض النماذج كعينات لتقديمها، والتعريف بها، وبأهميتها.

الخاتمة: تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إلى استخلاصها من هذه الدراسة.

وللإجابة على مضمون هذه الدراسة، اعتمدت على عدد من الوثائق، والمخطوطات والمصادر والمراجع المختلفة، المتخصصة منها والعامة، ومن جملة هذه الوثائق والمخطوطات:

- ما تتوفر عليه خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب، ببني ورثيلان، وهي الخزينة العلمية الخاصة والمفهرسة الوحيدة في منطقة زواوة الباقية إلى الآن، وقد استفدت منها الكثير، خاصة ما يتعلق بمؤلفات عدد من علماء المنطقة، كالورثيلاني، والشلاطي وابن محجوبة...، فقد كانت لي هذه الخزانة بمثابة سند أعانني في الإطلاع على المخطوطات النادرة التي ألفها علماء منطقة البحث. خاصة وأنها مفهرسة، والمشرف عليها لا يدخر أي جهد لتسهيل عملية الإستفادة منها.

- مخطوطات زاوية الهامل القاسمية: تتوفر هذه المكتبة على عدد هام من المخطوطات المؤلفة من قبل علماء منطقة زواوة خاصة منها المتعلقة بالطريقة الرحمانية، وشيوخها. ومخطوطات المكتبة مفهرسة، ويمكن الإطلاع عليها من خلال فهرسة المكتبة، غير أن بعضها موزع بين أفراد العائلة، وهي غير متوفرة في المكتبة.

- مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة: وعددها معتبر جدا، غير أن بعضها تصعب قراءتها نتيجة تصويرها في الميكروفيلم، وبعضها الآخر ضمن مجموعات من الوثائق، والمخطوطات الأخرى.

- مخطوطات المكتبة الوطنية الملكية بالرباط، والخزانة الحسنية بالمملكة المغربية، وكذا

خزانة القرويين: تتوفر هذه الخزائن على عدد كبير من المؤلفات التي ألفها علماء منطقة زواوة في فترات مختلفة، وهي لا يمكن لأي باحث الإستغناء عنها لأهميتها، وتنوعها، وقد تمكنت من الإطلاع على عدد منها، وقمت بتصوير أغلبها.

– المكتبات الخاصة، وأخص بالذكر ما تملكه العديد من الأسر العلمية في المنطقةغير أن الوصول إليها يكاد أن يكون مستحيلا، لتحفظ العديد من العائلات المالكة لها تقديمها للباحثين ، ورفض الآخرين تقديمها واطلاع الباحثين عليها، وعلى الرغم من ذلك وجدنا بعضا منهم سهل علينا الإطلاع عليها، مثلما هو الحال بالنسبة لورثة الشيخ البوجليلي، والأستاذ الفاضل محمد الشريف بن الشيخ – من أحفاد الشيخ ابن أم رزق (إمرزق)، وكذا عائلة كديد، وأحفاد الشيخ ابن أبي داوود، وحفدة الشيخ أومحجوبة (أو قري) . فهؤلاء قدموا لنا ما استطاعوا من يد المساعدة، وتمكنا من الإطلاع على العديد من المخطوطات التي بحوزتهم.

الوثائق الأرشيفية: لقد عدت إلى أرشيف ولاية بجاية، وكذا أرشيف ولاية تيزي وزو لعلي أجد فيهما بعضا من الوثائق التي تخدم موضوع بحثي، غير أني لم أستفد من هذين الأرشيفين شيئا، لكون الوثائق الموجودة فيهما تعود إلى الفترة الإستعمارية، خاصة ما تعلق بالقرن العشرين.

الأرشيف الوطني: لقد استفدت منه قليلا فيما يخص العقود الخاصة بالأوقاف، والتي لها علاقة بالمنطقة رغم قلتها، والموجودة خاصة في سلسلة بيت البايلك، خاصة العلب 80، و83، وكذا من العلبة 165 إلى العلبة 183، فإنها تحتوي على بعض العقود والوثائق التي لها علاقة بالموضوع. إضافة إلى عدد من الرسائل الخاصة بتعيين القضاة في مدينة بجاية من قبل السلطة المركزية.

أما المخطوطات، والمصادر التي اعتمدت عليها في انجاز هذا العمل، فهي كثيرة ومتنوعة، منها ما هو محلي، ومنها ما هو خارج المنطقة، كما اعتمدت على العديد من المصادر الأجنبية التي تناولت الفترة المدروسة، ومن هذه المصادر:

1- عنــوان الدراية فيمن عرف من العـــلماء في المــائة السابعة ببجاية، من تأليف أبو

العباس أحمد الغبريني. فعلى الرغم من كون المصدر سابق لفترة البحث، غير أنه أفـادني كثيرا فيما يخص العلماء الذين برزوا في بجاية في الفترة السابقة لفترة البحث، فالكتاب يعتبر بمثابة خلفية تاريخية بيّن لنا صاحبه مكانة بجاية العلمية.

2- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، والمشهورة بـ: الرحلة الورثيلانة لمؤلفها الشيخ سيدي الحسين الورثيلاني، اعتمدت على النسخ المختلفة، كالتي قدمها ابن شنب، أوالنسخ الحديثة الأخرى، والتي آخرها تلك التي قدمت من قبل ثلاثة باحثين، وطبعت في ثلاث نسخ تحتوي على حاشية الشيخ ابن مهنى القسنطيني.

تعتبر الرحلة من المصادر المحلية التي اعتمدت عليها كثيرا وفي مختلف الفصول، وأطوار تحضير الأطروحة، وذلك لما تتضمنه من أسماء الشخصيات العلمية التي عرفها مؤلف الرحلة، أو سمع عنها، فترجم لبعضهم فيها. فالرحلة تعدّ من المصادر الهامة التي اعتمدت عليها رغم ما تحتوي عليه من الجوانب التي لابد من مناقشتها والوقوف عندها، كالكرامات وحالات التصوف الأخرى التي ركز عليها المؤلف في مؤلفه بفعل اتجاهه الصوفي.

3- مقدمة ابن خلدون الموسـومة بـ: كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وقد استفدت من هذه الموسوعة تحديد نسب البربر، ومواطن قبائل زواوة، خاصة في الباب الأول من الدراسة.

4- المصادر الأجنبية: من المصادر الأجنبية التي اعتمدت عليها في البحث:

مؤلف مارمول كربخال (إفريقيا)، المترجم إلى اللغة العربية، وكذا مؤلف آخر لـ: فون مالتسان، الموسوم بـ: ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، إضافة إلى مؤلفات أخرى عديدة تناولت الفترة المدروسة.

5- فيما يخص التراجم، فقد استعنت بمجموعة من المصادر التي تناول فيها أصحابها تراجم علماء المنطقة، وغيرها، ومن بين هذه التراجم:

- أحمد بابا التنبكتي في مؤلفيه: الديباج المذهب، ونيل الإبتهاج بتطريزالديباج.
- نجم الدين الغزي في مؤلفه: الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة.
- عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

- اسماعيل باشا البغدادي: في مؤلفيه هدية العارفين. وإيضاح المكنون في الذيل عن أسامي الكتب والفنون.

- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.

- أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، المعروفة بماء الموائد.

- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف.

لقد ساعدتني هذه المصادر، وغيرها في التعريف بالمنطقة، وعلمائها، وإسهاماتهم في الجانب الفكري، أو غيره من الجوانب الأخرى بمنطقة البحث أو خارجها مغاربيا، أو مشرقيا.

وبالنسبة للمراجع التي استأنست بها في البحث، فقد اعتمدت على العديد من المراجع المتنوعة المحلية منها، والأجنبية، ومن بين أهم هذه المراجع التي لها دور في بناء هذا البحث ما يلي:

- تاريخ زواوة لأبي يعلى الزواوي، الذي أفادني في جل فصول البحث، لكونه من المراجع المحلية التي لها أهمية تاريخية بالنسبة لتاريخ المنطقة. ونفس الشئ بالنسبة لـ: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، لـ: محمد السعيد بن زكري الجنادي، الذي وجدت فيه مادة غزيرة فيما يتعلق بالجانب الفكري المتعلق بمعمرات(زوايا) المنطقة، وأنظمة تسييرها. وكذلك الدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ المنطقة، كمؤلف: سي يوسف محمد حول: مقاومة منطقة القبائل للإحتلال الفرنسي، وكذ مؤلف: نسيب محمد الذي وسمه بـ: زوايا العلم والقرآن في الجزائر ,ودراسة الأستاذ الدكتور أرزقي شويتام الموسومة بـ: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926- 1246هـ/ 1419-1830. ومؤلف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف الموسوم بـ: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكذلك مؤلفات الأستاذ المرحوم: يحيى بوعزيز كـ:أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ودائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد، ثورة 1871(دور عائلتي المقراني والحداد)..., وغيرها من المراجع التي حاولت الإستفادة منها. كما لاأنسى موسوعة الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي وبخاصة الأجزاء من 1...إلى 5، وهي الأجزاء التي لها علاقة بفترة البحث.

- أما المراجع الأجنبية التي رجعت إليها فهي كثيرة ومتعددة، حيث كتب الكثير من المؤرخين والباحثين حول تاريخ المنطقة خاصة، وتاريخ الجزائر عامة، ومن أهم هذه المراجع ما يلي:

- Haëdo (h.de) : Histoire des rois d'alger. Et la vie à alger durant les années 1600.
- Boulifa (s.a) : Le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830. Organisation et independance des zouaoua (grande kabylie)
- Hanoteau et Letournaux : La kabylie et les coutumes kabyle.
- Rozet et Carette : Algérie, état tripolitains.
- Robin : La grande kabylie sous le régime turque
- Octave Depont et Xavier Coppolani : les conferies religieuses musulmanes.
- Rinn (L) : Marabout et Khouane
- Marthe et Edmond Gouvion : Kitab aàyane el Marhariba Département de Constantine… etc.

وهي المراجع التي لاتخلو من التوجهات السياسية التي تخدم المدرسة الغربية عامة، والإستعمارية خاصة، مما يجعلنا نسعى إلى الإحتياط منها والإنتباه إلى خلفياتها.

هذا، وقد رجعت إلى بعض الدراسات الخاصة بالمنطقة، ومنها دراسة الأستاذ مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط بين القرن 6- 9هـ/ 12- 15م، دراسة في دورها السياسي والحضاري، وكذلك دراسة الأستاذ المرحوم: أحمد ساحي: الزواوة من القرن 16 حتى 18، عهد الإمارة(1512- 1767)، ودراسة الباحث محمد أرزقي فراد: المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، وكذلك عدد من الدراسات الأخرى التي أفادتني في مختلف مراحل تحضير هذه الرسالة.

ومهما اجتهد الباحث، فإنه من الصعوبة أن يطلع على كل ما كتب حول تاريخ المنطقة خلال الفترة المحددة للبحث فيها، وهذا ما يجعلني أقول: بأن ما قمت به من مجهود في هذه الدراسة هو بمثابة بداية لدراسات مستقبلية تعرفنا أكثر بالموروث الثقافي والفكري لآبائنا وأجدادنا. فالبحث الأكاديمي عبارة عن كتاب مفتوح متواصل، بحاجة إلى إثراء مستمر عبر الأجيال.

لقد واجهتني أثناء إنجاز هذا البحث مجموعة من الصعوبات، والتي من أهمها: اعتبار كل من يعرف الكتابة والقراءة بمثابة عالم،مما صعب علي التمييز بين هؤلاء الذين يعتبرهم البعض علماء، إذ ليس كل من يعرف القراءة والكتابة يعد عالما، لذا أجد نفسي مضطرا إلى تصنيف هؤلاء حسب مكانتهم، وإنتاجهم الفكري. وضرورة البحث عن تراثهم، غير أن قلة المصادر، واعتماد بعضها على نقل المعلومات المعروفة عن كل عالم، جعلتني أجد صعوبة كبيرة في تصنيفهم.

إلى جانب صعوبة االحصول على المخطوطات غير المطبوعة التي تركها المؤلفون الزواويون، والمحفوظة في المكتبات الخاصة، مما يعرضها للتلف دون الإستفادة منها في إعادة كتابة تاريخ المنطقة بأقلام أبنائها.

أما الصعوبة الأخرى، فهي توزع هذا التراث الفكري في خزائن ومكتبات عديدة داخل وخارج الوطن، ففي المكتبات المحلية نجد الكثير من المخطوطات النادرة في المكتبات العائلية، وزوايا الجزائر. كتلك التي نجدها في مكتبة الهامل القاسمية، والزاوية العثمانية بطولقة، ومكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي...

وفي الخارج، فإن مؤلفات علماء منطقة زواوة منتشرة في مختلف مكتبات العالم الإسلامي، إضافة إلى ما نهبته السلطات الإستعمارية في فترة الإحتلال الفرنسي، والتي منها ما هو محفوظ في الأرشيف الفرنسي، ومنها ما هو موجود عند الأسر الكولونيالية، إضافة إلى بعض المكتبات الأوربية، وحتى الأمريكية، مما يجعل الإطلاع على هذا االرصيد الفكري من الأمور المستحيلة.

وعلى كل، ومهما كانت الصعاب، فإني آمل من وراء هذه الدراسة أن أصل إلى وضع اللّبنات الأولى في التنقيب عن تراثنا الفكري الذي بواسطته نسترجع أمجاد المنطقة التي

يحاول البعض طمسها، وذلك من خلال إسهامات أبنائها في الفكر الإسلامي خاصة، ولما لا الإنساني عامة.

في الأخير، أتوجه بالشكر الجزيل، والثناء الجميل لأخي الأستاذ الدكتور: أرزقي شويتام المشرف على هذه الرسالة والذي وقف إلى جانبي، وساعدني بصبره، ودماثة أخلاقه، وإلمامه بمعرفة تاريخ المنطقة، وخبايا تراثها. فالفضل يعود إلى الله سبحانه وتعالى الذي ألهمني الصبر والإصرار على مواصلة البحث أولا، ثم الدور الذي لعبه الأستاذ المشرف في تتبع هذا العمل، وتصحيحه، وتوجيهاته التي سهلت عليّ مهمة إخراج هذه الرسالة على هذا الوجه. هذا إلى جانب التوجيهات التي أفادنا بها أساتذتنا الفضلاء كالأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله، والأستاذ الدكتور عمار بن خروف، وغيرهما، فجزاهم الله تعالى عن مجهودهم خير جزاء، وجزى الله تعالى كل من قدم ليّ يد المساعدة الشكر الجزيل، وخير الجزاء الجنة ونعيمها. ومن بين الذين لم يبخلوا علي في تقديم خدماتهم، الأخ الفاضل: عبد المالك كرشوش، الذي فتح لي أبواب مكتبته العامرة، فاستقيت منها الكثير من المراجع التي استعنت بها في هذه الدراسة، وكذلك الأستاذ الفاضل جمال الدين مشهد، القيم على خزانة الشيخ أولحبيب. كما لا يمكن أن أنسى الدعم المعنوي الذي وجدته من قبل والدي الروحي، وموجهي الفكري: فضيلة العلامة الشيخ: محمد الطاهر آيت علجت، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد شريف قاهر، أطال الله تعالى في عمريهما، ونفعنا بهما في الدنيا والآخرة وجعلنا الله تعالى جميعا من أهل الجنة.

آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

م .أ.آيت سوكي

ABREVIATIONS قائمة المختصرات :

مخ : مخطوط.

مخ . م . و. ج : مخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية.

مخ . م . و . م . م : المكتبة الوطنية للمملكة المغربية.

مخ . ش : مخطوط شخصي.

مخ . ع : مخطوط عائلي.

ش. و. ن. ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

م. و. ك. : المؤسسة الوطنية للكتاب.

د . م . ج . : ديوان المطبوعات الجامعية.

د . ت : دون تاريخ .

ج : جزء.

ع : عدد.

ط : طبعة.

R. O. M. M : Revue de l'Occident Musulman et Méditerranée

R. M. H : Revue Maghrébine d'histoire.

R.A : Revue Africaine.

S.D : Sans Date

V : Volume.

الباب الأول :

التعريف بمنطقة زواوة

الفصل الأول: الموقع وإشكالية التسمية.

الفصل الثاني: خصائص منطقة زواوة.

خاتمة الباب.

الفصل الأول: الموقع و اشكالية التسمية:

1-الموقع الجغرافي:

يعتبر تحديد موقع بلاد زواوة من الإشكاليات التاريخية المطروحة، إذ أن المؤرخين والجغرافيين لم يعملوا على التحديد الجغرافي لهذه المنطقة، وإذا عدنا إلى الفترة السابقة عن الفترة الحديثة، نجد بأن المنطقة كانت مقسمة بين الإمارة الحفصية، والإمارة الزيانية.

فالإمارة الحفصية التي كانت عاصمتها تونس، تمتد حدودها إلى غرب مدينة بجاية، والإمارة الزيانية تبسط نفوذها على كل الناحية الغربية من الإمارة الحفصية إلى غاية الحدود التي تفصلها عن الإمارة المرينية في المغرب الأقصى. ولهذا لا نجد تحديدا جغرافيا لمنطقة زواوة في الفترة الوسيطة. ما عدا العلامة (ابن خلدون) الذي أعطى تحديدا لموقعها فقال:"... ومواطن زواوة بنواحي بجاية مابين مواطن كتامة وصنهاجة، أوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة تتذعر منها الأبصار، ويضل في خمرها السالك ...وجبلهم ما بين بجاية وتدلس، وهو أعصم معاقلهم وأمنع حصونهم، فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها في إعطاء المغرم"[1].

وعندما ألحقت الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519، وقسّم "حسن بن خير الدين" الجزائر إلى ثلاثة باياليك، وجدت المنطقة نفسها مقسمة بين بايلك الشرق، وبايلك التيطري، وتارة تكون الناحية الغربية تابعة إلى دار السلطان مباشرة، فظل هذا التقسيم دون أن يظهر التحديد الجغرافي للمنطقة.

لقد ظل هذا الغموض في تحديد معالم الموقع الجغرافي للمنطقة إلى غاية الاحتلال الفرنسي، حيث قامت الإدارة الاستعمارية بمحاولة إنشاء منطقة مستقلة خاصة بالقبائل، وذلك في إطار السياسة الكولونيالة المعتمدة على نظرية (فرق تسد)، والمشهورة بالأسطورة القبائلية[2]، غير أن ثورة 1871 التي عمت كل نواحي المنطقة، بل شملت الناحية الشرقية من الجزائر، جعلت الفرنسيين يغيرون حساباتهم السياسية، فاتبعوا سياسة الأتراك العثمانيين في تقسيم المنطقة إلى دائرتين هما دائرة بجاية (القبائل الصغرى) شرقا، ودائرة تيزي وزو (القبائل الكبرى) غربا، ولعل المصطلح الوحيد الذي وحد شطري المنطقة هو"الولاية الثالثة

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية- الأردن (د . ت)، ص1618.

[2] - شارل روبير أجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، تر: أ. بكلي، م. حاج مسعود، 2ج، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ج1، ص493.

التاريخية"، خلال الثورة التحريرية[1] عموما، ومن خلال ما سبق، واعتمادا على الخصائص المميزة للمنطقة الطبيعية، والثقافية، والاجتماعية، يمكن تحديد الموقع الجغرافي للمنطقة. فهي تقع في الوسط الشمالي الشرقي من مدينة الجزائر، فتمتد من وادي يسر غربا، إلى وادي أقريون، وجبال البابور شرقا، ومن البحر المتوسط شمالا، إلى سلسلة جبال البيبان وهضاب سطيف وسهول مجانة جنوبا[2]. فهذه المنطقة تحتل معظم المساحة الواقعة إلى الشرق من مدينة الجزائر العاصمة، والتي تبلغ مساحتها حوالي 15000 كلم2، كما تمتد من الغرب إلى الشرق على مسافة قدرها 150 كلم، وعمقها من الشمال إلى الجنوب يتراوح ما بين 70 إلى100 كلم، وهذا التحديد لا يختلف عن التحديد الذي وضعه سي عمار بوليفة (S.A.BOULIFA)، عندما تعرض إلى تحديد موقع المنطقة الجغرافي[3]. وفي هذا الإطار الجغرافي تقريبا حدد (ابن خلدون) موطن قبائل زواوة في عصره، فقال:" ومن قبائلهم المشهورة لهذا العهد بنو يجر، وبنو منكلات، وبنو بترون، وبنو ماني، وبنو غردان، وبنويتورغ، وبنويوسف، وبنوعيسى، وبنوبوشعيب، وبنو صدقة،وبنوغبرين، وبنو قشطولة"[4].

إن أهم ما يمكن ملاحظته على تحديد ابن خلدون لمواطن قبائل زواوة، هو عدم تعرضه إلى القبائل الزواوية التي استوطنت السفوح الجنوبية لسلسلة جبال جرجرة، خاصة تلك التي كانت في حوض الصومام، ولا ندري لماذا أهمل ذكرها؟ أم أنه اعتبرها بمثابة القبائل غير الزواوية؟ هذا، ونجده كذلك قد أهمل بعضا من القبائل التي سكنت السلسلة الساحلية المواجهة للبحر، كقبيلة فليسة مثلا، وقبيلة بني جناد التي ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية[5].

أما الرحالة الإسباني هايدو(Haëdo)، وفي سياق حديثه عن ذكر الإمارات المحلية، فقد تعرض إلى ذكر إمارتين كانتا من الإمارات التي قامت في المنطقة خلال بداية القرن العاشر

---

[1] - محمد أرزقي فراد: المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2010-2011، القسم1، ص19.

[2] -يحيى بوعزيز:أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، 2ج، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1995، ج1،ص 20.

[3] - S.A.BOULIFA ; LE Djurdjura à travers l'Histoire(depuis l'Antiquité jusqu' 'à 1830) ORGANISATION et INDEPENDANCE DES ZOUAOUA(grande Kabylie) ,JBRINGAU. Imprimeur -E'DITEUR. Alger. 1925. PP ;1-2

[4] - المصدر السابق، ص1618.

[5] - البكري, المغرب في ذكر بلد إفريقيا والمغرب، مكتبة أمريكا والمشرق،فرنسا، 1965، ص65.، وكذلك: برونشفيك روبار:تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، ج1، تر: حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الإسلامي،1988،ص 315.

الهجري/ السادس عشر الميلادي، وهاتين الإمارتين هما إمارة كوكو في جبال جرجرة، وإمارة بني عباس في جبال البيبان[1].

2- إشكالية التسمية

إن الإشكالية المطروحة فيما يتعلق بتسمية سكان المنطقة، هل هي التسمية المعمول بها الآن، أي لقبايل؟ أم التسمية التاريخية التي أطلقت على سكان المنطقة المحددة من قبل جغرافيا وهي زواوة؟

إن الباحث في التسمية التي تطلق على سكان المنطقة، ليجد صعوبة في اختيار الاسم الجامع الذي يمكن الاتفاق عليه، وذلك يعود إلى إغفال المصادر التاريخية القديمة، والوسيطة في ذكر اسم مميز لسكان المنطقة.

وعلى كل، فإن المصادر القديمة تشير إلى أن أول اسم يمكن الاعتماد عليه، هو ما ورد في المصادر التاريخية، التي ذكرت بأن سكان المنطقة أطلق عليهم اسم الكانكوجتيان (Quinqueugeutien)، وهي الرواية التي وردت في بعض الدراسات التي تناولت سكان المنطقة[2]، ويراد بمصطلح الكانكوجتيان، تلك الأسطورة التي تقول بأن: عملاقا سكن المنطقة وترك خمسة أولاد، واستطاع كل واحد من هؤلاء تكوين أسرة تتخذ إقامة لها في إحدى نواحي المنطقة، وبفعل التهديد الخارجي تكتلت هذه الأسر مشكلة نواة للإتحاد القبلي الذي أطلق عليه الرومان هذه التسمية[3].

التسمية التاريخية لسكان المنطقة: رغم قلة المصادر التاريخية التي ذكرت التسمية الخاصة بسكان المنطقة، إلا أن الفترة التاريخية التي تلت الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، أخذت في إبراز تسمية جديدة، بدأت تظهر ملامحها في القرن الثاني للهجرة، حيث ذكر المالكي (ت 453هـ/1061م)، أن العالم المغربي – أبا القاسم الزواوي – قد سمع عن أنس بن مالك رضي الله عنه والمتوفى سنة179هـ/795م بالمدينة المنورة[4].

---

[1] - Diego de : La vie a Alger durant les Année1600 ; Alger ; 2004 ;p 51.

[2] -حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى:

-S. A. Boulifa : op cit,pp :5-6

-Berbrugger : Les Epoques militaires de la grande Kabylie, bastide librairie edi. Paris,1857,pp218-219.

- Mouloud Gaid ; Histoire de Bejaia et sa région de depuis l'antquité j'us que'au1954,2em Edition, Ed ,Mimouni, alger1976, p 54.

[3] - الحسن بن الشيخ آث ملوية: القانون العرفي الأمازيغي، 2 ج، دار هومة، الجزائر،(د.ت) ج 1،ص ص 20-21.

[4] - أبو بكر عبد الله المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا، تح البشير الكبوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983،ج1، ص248.

إن مدلول هذه الرواية، يدل على أن تسمية سكان هذه المنطقة بالزواوة، يعود إلى الفترة الأولى من الفتح الإسلامي، وظلت المصادر التاريخية التي جاءت بعد القرن الثاني للهجرة ساكتة دون تخصيص اسم خاص لسكان هذه الجهة، بل بقيت التسمية العامة هي السائدة ، والمتمثلة في المغاربة، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الدين الإسلامي ينبذ العصبية، ويدعو إلى الأخوة الإسلامية، فبقي الأمر هكذا خلال القرون التي تلت القرن الثاني من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

بداية من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ذكرت بعض المصادر التاريخية، علما من أعلام المنطقة، وهو أبو زكرياء يحيى بن علي الزواوي، المتوفى ببجاية سنة611هـ[1]. وفي هذه الفترة التاريخية انتشرت تسمية زواوة في المصادر التاريخية، فنجد الغبريني في مؤلفه، قد جمع عددا كبيرا من العلماء الذين ينسبون إلى هذه المنطقة[2]، والتي أخذت تسمية بلاد زواوة، ومن هذه الفترة أصبحت هذه التسمية أكثر استعمالا في المصادر المختلفة خاصة العربية منها. وفي العهد العثماني استعملت تسمية أخرى للدلالة على المنطقة الواقعة إلى الشرق من مدينة الجزائر، والتي تضم جبال جرجرة، والمناطق الجبلية المستعصية على السلطة المركزية، وهذه التسمية هي التي ظلت ملتصقة بالمنطقة وسكانها إلى اليوم، خاصة إذا علمنا بأن الاستعمار الفرنسي بعد احتلاله للجزائر، عمل على توظيف هذا المصطلح، في تجسد سياسته المبنية على تقسيم المجتمع الجزائري إلى فئات متباينة، لتحقيق هدفه الاستعماري في الجزائر، وأكثر من ذلك فقد عمل على تقسيم المنطقة في حد ذاتها إلى القبائل الكبرى، والتي يقصد بها المنطقة الغربية من مدينة بجاية، والمحصورة بين سلسلة جبال جرجرة، والبحر المتوسط، وهي الناحية التي يمكن مجازا تسميتها بزواوة الغربية، والقبائل الصغرى الواقعة في حوض الصومام، وإلى الجنوب من القبائل الكبرى، وهي الناحية التي يمكن تسميتها بزواوة الشرقية.

إن المتتبع للكتابات الفرنسية، يجد بأن معظم الذين كتبوا من الفرنسيين عن المنطقة، يتجنبون ذكر تسميتها التاريخية (الزواوة)، وإن ذكروها فإنهم يجعلونها مرادفة لتسمية (لقبايل)[3]. غيرأنه سرعان ما نجد اختفاء لهذه التسمية في الكتابات الفرنسية، والتي تركز

---

[1] - مجهول, مفاخر البربر، نشره ليفي بروفنصال، المطبعة الجديدة، الرباط،1934، ص 71.

[2] - أبو العباس أحمد بن محمد: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، عدة طبعات.

[3] -Eugène daumas : Mœurs et coutumes de l'Algéri, anep, Algerie, 2006.p 155.

على استعمال كلمة (LES KABYLES) للدلالة على العنصر البشري، و(LA KABYLIE)، للدلالة على المنطقة الجغرافية[1]. وهذا ما أدى إلى اختفاء التسمية التاريخية للمنطقة، وظهور تسمية جديدة استعمارية بالدرجة الأولى، مما يجعلني أركز على استخدام المصطلح التاريخي للدلالة البشرية والجغرافية على المنطقة المراد البحث فيها، وذلك لما لها من مرجعية تاريخية، ولغوية. وهي (زواوة). فمن أين جاءت هذه التسمية؟ وماهي دلالتها التاريخية؟

مصادر التسمية: إن المصادر التاريخية لم تتفق على تسمية واحدة لسكان المنطقة، بل اختلفت التسميات التي أطلقت عليهم، ومن أهم هذه التسميات التي ورد ذكرها خاصة في المصادر العربية نجد زواوة، وهي التسمية الأولى التي سمي بها سكان المنطقة – حسب علمي – بعد الفتح الإسلامي، وإذا كان الأمر كذلك، فما هو مصدر هذه التسمية؟

في الواقع، لم يتفق المؤرخون القدامى على مصدر التسمية، حيث يذهب بعضهم إلى أن التسمية مستمدة من تصحيف الاسم البربري " قواوا"، أو "زواوا"، وهذه التسمية تنسب إلى أحد أبناء الجد الأول لسكان المنطقة، وهو"زواو" بن سمجان، بن يحيى، بن تمزيت، بن ضريس أخ جانا بن يحيى أبي زناتة[2].

أما ابن خلدون، فلم يحدد أصل التسمية التي كانت تطلق على سكان المنطقة، بل اكتفى بما ذكره نسابة البربر، وهذا ما يجعل الباحث في أصل التسمية يجد صعوبة في إسنادها، خاصة، وأن عالما مثل بن خلدون يهمل التعرض إلى أصل التسمية[3].

وبالنسبة إلى أبي يعلى الزواوي، فقد أشار إلى أصل التسمية بقوله: " إنما سمو بزواوة لكثرة جموعهم "، إذ أن معنى الزواوة بلغتهم جمع الشئ فهو زاو، وأزوي تعني جاء ومعه غيره، وهي إشارة إلى إتحاد قبائلهم[4]. فالتسمية حسبه مردها كثرة التجمعات السكانية في المنطقة، وذلك ناتج عن الطبيعة القبلية التي تتكون منها الوحدات السكانية من القرى المتقاربة، والملتصقة ببعضها، لعوامل تاريخية وأمنية.

وفي العرف المحلي، فإن تسمية زواوة مصدرها يعود إلى اسم أطلق على المقيمين في السفوح الشمالية لسلسلة جبال جرجرة، والذين يعود أصلهم إلى جد واحد اسمه"قاوا"، وإليه ينسب سكان هذه المنطقة، فمفرد الفرد هو" أقاوا" وجمعه "إقاوون"، وهي التسمية التي أطلقت

---

[1] - فراد: المرجع السابق، ص23.
[2] - مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: محمد بعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد،1996، ص 215.
[3] - العبر... المصدر السابق، ص 1618.
[4] - تاريخ زوا وة ، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص، ص 109،108.

وتطلق على مجموعة الأعراش القاطنة في الناحية التي حددتها من قبل، والمتكونة من (بني عيسي، بني منجلات، بني صدقة، بني بترون، بني إيراتن، بني يللثن، بني يتورغ)[1]. وقد حرفت هذه التسمية إلى زواوة، وأصبحت تطلق على سكان المنطقة عامة، سواء تعلق الأمر بناحية جرجرة، أو بناحية البيبان، أو البابور، وأصبح كل من يتحدث اللهجة المحلية يعرف بالزواوي خاصة في الغرب الجزائري، أين ترادف كلمة (زواوي) سكان المنطقة المحددة جغرافيا إلى الشرق من مدينة الجزائر، والمراد البحث فيها من خلال هذه الدراسة.

أما التسمية الثانية، وهي الأكثر استعمالا_ خاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر فهي (لقبايل)، وأول من أطلقها هم الأتراك العثمانيين، الذين أطلقوها على كل سكان المناطق الجبلية خاصة القبائل الممتنعة، وهو الشيء الذي تذكره المصادر التاريخية، حيث ورد في كتاب هايدو (Haëdo): أن سكان مدينة الجزائر كانوا منقسمين إلى فئتين هما:

_ فئة البلدية: ويعني بهم الحضر، سواء كانوا من الأهالي، أو غيرهم من الوافدين إلى مدينة الجزائر.

_ فئة لقبايل: ويقصد بهم كل العناصر الوافدة إلى المدينة من المناطق الجبلية، وقد أكد تحديد هذا المعنى عندما ذكر القادمين إلى مدينة الجزائر من ناحية بجاية وجرجرة، باعتبار هؤلاء من سكان المناطق الجبلية فقال:" ومن بين القبائل الوافدين نذكر قبائل الزواقوس (azuagos)، ويعني بهم الزواوة– الذين يتبعون إمارة كوكو– الواقعة في جبال جرجرة، وإمارة بني عباس – الواقعة في جبال البيبان– إلى الشرق من مدينة الجزائر"[2].

ونفس الرأي، يذهب إليه القنصل الأمريكي (وليام شالر) أثناء زيارته الجزائر فيما بين (1816–1824)، فيذكر بأن لقبايل بالمغرب الكبير قاطبة هم الذين يعيشون في المناطق الجبلية، وذكر بعضا من أسماء هذه القبائل، كبني سنوس، بني زروال، وزواوة، وبني عباس، وكلمة بني في اللغة العربية معناها أنهم ينحدرون من أصل واحد[3]. ومن خلال هذا نستخلص بأن التسمية التي كانت تستعمل للدلالة على سكان المنطقة قبل الاحتلال كانت زواوة، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر بدأت تتراجع التسمية التاريخية، وتظهر تسمية جديدة أخذت في الانتشار والترسيخ. وهي تسمية (القبائل) أو(لقبايل). فما هي دلالة هذه التسمية؟.

---

[1] - فراد: المرجع السابق،ص21.

[2] -Haedo : op,cit, p 51.

[3] - وليام شالر: مذكرات وليام شالر، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1982، ص 113.

لقد حاول البعض إعطاء دلالة لغوية لهذه الكلمة، فظهرت عدة فرضيات لتفسير التسمية، ومن بينها: تلك الفرضية التي رأى صاحبها بأن التسمية أصلها فنيقي من الإله بعل، ثم تراجع عن هذه الفرضية، وحاول أن يفسر أصل التسمية بكونها تسمية عربية مشتقة من: القبيلة، وجمعها قبائل. أومن القابلية للعنصر العربي، أي أن السكان الأصليين قبلوا ورضوا بالعناصر الوافدة إليهم، خاصة العنصر العربي. والفرضية الثالثة التي حاول بواسطتها تفسير التسمية هي: القول بأن الأمازيغ هم السكان الأصليين الذين استقروا بشمال إفريقيا، وسبقوا العرب إلى استيطان هده المنطقة[1].

أما أحد الباحثين الفرنسيين، فإنه ينفي انتماء التسمية إلى اللغة العربية، لا من حيث كلمة القبيلة، ولا من القابلية، فهو ينفي أية علاقة بين التسمية واللغة العربية[2]، وهنا يظهر الطرح الكولونيالي في محاولة عزل العلاقة التاريخية، والدينية بين شمال إفريقيا عامة، وشبه الجزيرة العربية، محاولة منه في تشويه الانتماء الحضاري لسكان شمال إفريقيا، وغرس الكراهية بين الأمازيغ، والعرب في إطار سياسة فرق تسد، وهو الطرح الذي لا يختلف في حقده الاستعماري عما ذكره فيرو(Féraud) في سياق حديثه عن تفسير معنى كلمة بجاية[3].

وعلى كل، فإنه مهما كان مصدر التسمية، فهي مستمدة – حسب رأي – من الكلمة العربية (القبيلة)، وذلك بسبب كثرة القرى والقبائل المنتشرة في هذه المنطقة من جهة، ومن جهة أخرى، تلك العلاقة التاريخية القائمة بين سكان المنطقة، والعالم الإسلامي، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا. والتسمية الأكثر استعمالا الآن هي التي رسختها الكتابات الفرنسية المختلفة، وسار في نهجهم البعض من أبناء المنطقة الذين كتبوا حولها، ولكني سأعمل على استخدام التسمية التاريخية للمنطقة وسكانها، إقتداء بالمؤرخين القدماء، وعلماء المنطقة الذين ينسبون أنفسهم إلى منطقة زواوة .

---

[1] - Eugène Daumas : Mœurs et coutumes de L'Algérie , , p 112.

[2] - Jules Liorel : Kabylie du Jurjura, Paris, Ernest Leroux, Éditeur ;paris ;(s.d), 1e Livre ,p 1.

[3] - (ch)Féraud : « description de la ville de Bougie »in,Recueil des Notices et mémoires de la Societé Archéologiquede la Provance de Constatine,3e Volume de la deuxièmeSérie,1869- Treizième Volume de la coliction, Constatine L'Arnolet, Libraire E'diteure, Paris 1869, p138.

الفصل الثاني: خصائص منطقة زواوة

تعتبر منطقة زواوة أو منطقة القبائل كما هو متداول، من المناطق المتميزة في الجزائر بالمحافظة على اللسان الأمازيغي (الزواوي)، والتركيبة البشرية الإثنية، والأعراف المتوارثة بين السكان، وكذا بطبيعتها الجغرافية وتضاريسها الجبلية المعقدة. إضافة إلى مساهمتها في تاريخ الجزائر عبر العصور. فما هي الخصائص التي تميزت بها هذه المنطقة عبر العصور؟

1- الخصائص و المؤثرات الطبيعية:

تلعب المؤثرات الطبيعية دورا كبيرا في مختلف جوانب النشاط البشري، وبتنوعها تتنوع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، كما تحدد المميزات الطبيعية المختلفة للمنطقة يسرها أو عسرها، ومن بين هذه المميزات:

المظاهر التضاريسية: إن الخصائص الطبيعية لمنطقة زواوة، يمكن تصنيفها في قسمين رئيسيين اعتمادا على البنية الجيولوجية لها[1]:

القسم الأول: يقع إلى الجنوب من سلسلة جرجرة، ويمتد إلى جبال البيبان جنوبا، ويضم هذا القسم بين ثناياه حوض وادي الصومام (يعرف بوادي الساحل، ويعرف كذلك بوادي عباس، ووادي بومسعود) الذي يتميز بخصوبته وانتشار الزارعات المختلفة في سهله.

القسم الثاني: هو الشريط الساحلي الممتد بين البحر شمالا، وسلسلة جبال جرجرة جنوبا، ويضم هذا القسم أيضا مظهرا تضاريسيا متميزا، يتمثّل في حوض وادي سيباو، بقسميه العلوي والسفلي، والذي تتركز في أجزائه، مختلف أنواع الزارعات[2]. فهذا السهل ينحصر بين السلسلة الساحلية، والكتلة المركزية لجبال جرجرة، ويبلغ عرضه حوالي ثلاثة كيلومتر[3].

فالقسم الأول يشكل ما يعرف مجازا باسم القبائل الصغرى، والتي أطلقت عليها زواوة الشرقية. أما القسم الثاني؛ فيكوِّن القبائل الكبرى – زواوة الغربية – وهي التقسيمات التي انتشر استعمالها في الفترة الاستعمارية بشكل واسع، من أجل تقسيم المجتمع الجزائري.

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني: القبائل، محاضرة غير منشورة 1992،ص، ص1، 2.

[2] –هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، 2ج، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1999. ص142.

[3] –(A) Mahé : Histoire de La Grande Kabylie XIX-XX Siècles Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises, Editions Bouchene, France, 2002, p 21.

وللتعرّف أكثر على منطقة زواوة من الناحية الجغرافية، يمكن تقسيمها إلى أقاليم طبيعية، تبعا لتكوينها التضاريسي، ومظاهرها المورفولوجية، وتتمثل هذه المظاهر التضاريسية التي تتشكل منها تضاريس المنطقة التي تعتبر امتدادا لتضاريس الجزائر الشمالية في الجوانب التالية:

أ – كتلة جبال جرجرة: تمتد هذه الكتلة على طول 150 كلم، وهي بمثابة جدار جبلي يمتد من الغرب إلى الشرق. مشكلا قوسا منحنيا إلى الجنوب قليلا بداية من جبال بني خلفون، في الغرب (1028م)، إلى جبال أكفادو في الشرق (1646م)، مع امتداده إلى رأس كاربون بخليج بجاية[1]. ويبلغ أعلى ارتفاع في هذه الكتلة الجبلية بالقسم الأوسط في قمة حيزر التي يصل ارتفاعها إلى حوالي(2164م)، وإلى الشرق من هذه القمة نجد قمة تامدوين (2305م)، و قمة لالا خديجة (2308م). وهي أعلى قمة في جبال جرجرة، وفي الأطلس التلي كله بالنسبة إلى الجزائر[2].

ويفصل بين هذه الكتلة الجبلية، والجبال الساحلية حوض سيباو. فالجبال الساحلية المحاذية للبحر. أقل ارتفاعا من جبال جرجرة. غير أنها أقدم تكوينا؛ كما أن أعلى قمة جبلية في هذه الجبال هي قمة (تامقوت)، (1228م)، وتمتد من رأس جنات غربا، إلى بجاية شرقا .على طول حوالي 100 كلم[3]. كما أنها تلتقي بجبال جرجرة في أكفادو.

إن التكوينات الجيولوجية للكتلتين مختلفة؛ إذ نجد جبال جرجرة. تطغى على تكويناتها الجيولوجية الصخور الكلسية في عمومها، أما الجبال الساحلية فإن تكويناتها قديمة بركانية تطغى عليها صخور الغنايس والمكاشيست الكريتاسية الصلصالية[4].

ب– حوض سيباو: يقع بين السلسلة الساحلية، والكتلة المركزية – جرجرة –ويصل عرضه إلى حوالي ثلاثة كيلومتر، وهو عبارة عن حوض امتلأ بالرواسب النهرية التي تصب في وادي سيباو[5]. كما توجد بعض الأحواض الداخلية. مثل منخفض ذراع الميزان، وواضية، وإلى الغرب منها تلال و سهول يسر وذراع ابن خدة[6].

---

[1] سعيدوني: المرجع السابق، ص، 3.

[2] عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر: طبيعية بشرية، اقتصادية، مطبعة الشركة الجزائرية، 1968، ص49.

[3] (A) Mahé, op.,cit, p 24.

[4] سعيدوني: المرجع السابق، ص، 3.

[5]– سعيدوني، المرجع السابق.

[6] –(A) Mahé : op.,cit, p,21 .

ج– جبال البابور: عبارة عن مجموعة من الكتل الجبلية الممتدة، من ملتقى وادي بوسلام والصومام غربا، بالقرب من مدينة أقبو الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة بجاية ، وتشكل هذه الجبال حاجزا طبيعيا يعيق التوغل نحو الجنوب، إلا إذا كان ذلك عبر المضائق، والخوانق، التي تشكلت بفعل الانكسارات، والعوامل الطبيعية الأخرى، كخوانق خراطة الواقعة جنوب مدينة بجاية. كما أن هذه الجبال ذات التربة الكلسية الفقيرة، يتراوح ارتفاعها ما بين(1000م) و (1300م). وأقصى ارتفاع لها نجده في الجهة الشرقية المطلة على ناحية سطيف وجيجل، أي في جبال البابور (2004م)[1].

وتخترق هذه الكتل الجبلية، مجموعة من الأودية، والتي هي بمثابة ممرات طبيعية كذلك تسهل عملية التنقل والاتصال بالهضاب العليا، والمناطق الداخلية. ففي الجهة الشرقية تقع أودية: أغريون – الحد الطبيعي لمنطقة القبائل الشرقية[2]. ووادي الزيتون، ووادي الجمعة. وفي الجهات الداخلية (وادي بوسلام 270 كلم)، الذي ينبع من الهضاب العليا بالقرب من مدينة سطيف، ويشكل رافدا هاما لوادي الصومام[3].

د – جبال البيبان: عبارة عن مجموعة من الكتل الجبلية، التي تحد منطقة الزواوة من الجنوب. وهذه الجبال تربط بين جبال جرجرة غربا وجبال الحضنة ، والبابور شرقا. فتحدها من الشمال الغربي – حاليا – ولاية بجاية، ومن الشمال الشرقي والشرق، ولاية سطيف ومن الشرق، والجنوب الشرقي ولاية برج بوعريريج[4].

وتعتبر جبال البيبان وعرة التضاريس، لاحتوائها على مجموعة من الخوانق الطبيعية كأبواب الحديد، وكذا عدة قمم جبلية تغطيها صخور كلسية، وتربة خفيفة. كما تخترقها مجموعة من الأودية كوادي محجر،الذي يحدها من الشرق، والذي يتصل بوادي بوسلام. وكذلك وادي تفرق، ووادي أولاد خليفة وغيرها. هذا إلى جانب احتواء هذه الجبال على مجموعة من الحمامات المعدنية، كحمام البيبان في الجهة الغربية، وحمام البينان (الذي يعرف كذلك بحمام أولاد حالة)، وحمام سيدي يحيى العدلي في الجهة الشرقية[5].

---

[1]– سعيدوني: المرجع السابق، ص، 3.

[2]– حليمي: المرجع السابق ص 49.

[3] –(ch), Féraud : « Exploration nautique de la Soummam Bousellam », In, R.A, N°2, o.p.u, Alger, 1857, p273 .

[4]– يحي بوعزيز: دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد. دار هومة، الجزائر، 2002، ص25.

[5]– بوعزيز، المرجع السابق ، ص 26 .

هـ- حوض الصومام: يمتد من بني منصور غربا، إلى مدينة بجاية شرقا، وهو عبارة عن حوض امتلأ بالترسبات الغرينية الناتجة عن تعرية المناطق المنحدرة، و السفوح الجبلية لكل من جبال جرجرة، وجبال البيبان، وهي ترسبات غنية بالمواد العضوية خاصة في الأجزاء السهلية القريبة من مشدالة [1] وأقبو.

يعتبر حوض الصومام، وكذا حوض سيباو، بمثابة منطقتين نموذجيتين للفلاحة البستانية، لما تتميز به تربة الحوضين من الخصوبة وكثرة المياه[2]

ودون هاتين المنطقتين الزراعيتين، فإن جل المناطق الأخرى يطغى عليها طابع الانحدار بفعل اتساع النطاق الجبلي بالمنطقة، وهو العامل الذي أثر سلبا في الإنتاج الزراعي[3].

المناخ والنبات الطبيعي: إن لموقع منطقة الزواوة الجغرافي وطبيعة تضاريسها، الأثر الكبير في الخصائص المناخية، ونوعية النبات الطبيعي. فمنطقة الزواوة من الأقاليم المناخية المتوسطية المعتدلة المتميزة بالدفء والأمطار شتاء، والحرارة والجفاف صيفا.

فموقع المنطقة المشرف، والمطل على حوض البحر المتوسط شمالا، والطابع التضاريسي المميز لهذه المنطقة، من العوامل الطبيعية التي جعلتها تتلقى كميات معتبرة من مياه الأمطار، والتي يتراوح متوسطها ما بين 600 ملم/س إلى أكثر من 1100ملم/س[4].

هذا إلى جانب تساقط كميات كبيرة من الثلوج، والتي تكسو القمم الجبلية لمدة معتبرة، وهو عامل ساعد، على انتشار الينابيع المائية الطبيعية المتدفقة، في السفوح الجبلية. وهي

---

[1]– مشدالة: كلمة مأخوذة من أمشدال، وهو نوع من النمل الخشن كناية عن دأبه وصبره وصموده في بحثه عن طعامه وفي التضامن فيما بين أقرانه، فيقال أمشدال بمعنى المقاوم الصامد، وسكان هذه المنطقة يسمونهم أمشدالن.

توضيح معالي وزير الشؤون الدينية السابق. انظر / تعقيب المرحوم: عبد الرحمن شيبان حول محاضرة الصلح في المجتمع الجزائري. منطقة القبائل نموذجا. قدمها: محمد أرزقي فراد، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر .2005.

[2]– بوعزيز :المرجع السابق,ص:21.

[3] –Rozet et Carette : Algérie , Etats tripolitains , 2[eme] Edition, Edition: Bouslama, Tunis, s.d, pp :23-26.

وكذلك:

- HANOTEAU , et LETOURNEAUX : LA KABYLIE et les coutumes kabyle, présentation de Alan Mahé, et Tilman HANNEMANN ,3 T, Edition Bouchene, Paris 2003, T 01, p.p : 28

- M.Gaid : Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antiquité jusque à 1954 2[eme] Edition, Edition : MEMOUNI , Alger : 1991, pp 11 – 14

[4]– حليمي: المرجع السابق ص 80 – 81.

الظاهرة الطبيعية الهامة، التي شجعت على استقرار السكان بهذه المناطق الجبلية الوعرة، واهتمامهم بالفلاحة، وغراسة الأشجار المثمرة: كالتين والزيتون، اللتين تشتهر بهما المنطقة[1].

أما درجات الحرارة بالمنطقة؛ فإنها معتدلة عموما، إذ أن متوسطها السنوي يتراوح ما بين(6°م) في المناطق المرتفعة، و قمم الجبال. و(17°م) في المناطق الساحلية. وفصل الجفاف لا يزيد طوله عادة عن خمسة أشهر في السنة[2].

وقد ساعدت الخصائص والمميزات المناخية، والتضاريسية، على تنوع الغطاء النباتي في المنطقة. فمن المراعي التي تتركز في سفوح الجبال، إلى الأشجار العالية الغابية التي تكسو معظم المناطق الجبلية، كأشجار البلوط، والصنوبر، والزان، والفلين، والأرز، وغيرها. هذا وتوجد في المناطق الجنوبية شبه القارية، أشجار تتحمل شدة الحرارة وانخفاض نسبة الرطوبة: كالديس والدفلة والصبار[3].

فتنوع الغطاء النباتي بالمنطقة ظاهرة هامة، تسود المناطق الساحلية، وكذلك المرتفعات والمناطق الداخلية، إذ نجد منطقة الزواوة متميزة بكثرة الأشجار وتنوعها، وهي صالحة لغراسه أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة إذ أن: «... بلدنا (الزواوة الشرقية) كثيرة الشجر من زيتون، وعنب، وتين، كثيرة الفواكه إلا النخيل، والليم فليس فيها»[4].

لقد كانت هذه الغابات الكثيفة مأوى للكثير من الحيوانات المفترسة، التي ذكرتها المصادر التاريخية . حتى خلال القرن التاسع عشر. فقد ورد بأن السباع والنمور والضباع، وغيرها من الحيوانات، كانت تعج بها هذه الغابات، ومن بين هذه المصادر، ما ذكره (حمدان خوجة) خلال زيارته إلى قسنطينة في بداية الاحتلال، بأن السباع كانت تحوم حول الدور، واعتاد الناس طردها مثلما تطرد الكلاب في المدن[5]. هذا وتشير بعض المصادر إلى أن الحيوانات المفترسة كالنمور، والأسود ظلت موجودة في المنطقة إلى الأربعينيات من القرن الماضي [6].

---

[1]- بوعزيز: المرجع السابق، ص 21.

[2]- سعيدوني: المرجع السابق، ص 3.

[3]- حليمي: المرجع السابق ص، 228.

[4]- الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تقديم محمد بن شنب، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1908، ص 81.

[5]- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، ص 66.

[6] - François Dessommes : notes sur L'Histoire des Kabyles, Editions Tira , Tizi ouzou , Algérie, 1992, p 17.

إن العوامل الطبيعية المساعدة على التنوع النباتي بالمنطقة، قد أثرت تأثيرات كبيرة في انتشار أنواع مختلفة، من النباتات والأشجار المتنوعة الغابية، والمثمرة، وهي ظاهرة منتشرة في مختلف جهات منطقة زواوة، والتي مازالت إلى يومنا.

2- الخصائص و المؤثرات الإقتصادية

إن تضاريس منطقة زواوة المتميزة بالطابع الجبلي عموما، والتي تغطي نسبة عالية من مساحتها، والتي تحدها من الجنوب، و الشرق، والبحر المتوسط من الشمال، قد تركت آثارها الواضحة في سلوك سكان المنطقة، ونشاطهم الاقتصادي اليومي فاختصوا بـ:" الميل إلى حب العمل قبل أي شيء آخر، ومهما كانت مكانة الرجل الاجتماعية، فهو يعمل على استغلال الموارد الطبيعية المختلفة المتوفرة حتى يتمكن من تحدي الطبيعة وتعويض نقص الأراضي الزراعية"[1]. خاصة وأن النشاط الزراعي تحديدا، والفلاحي عامة. من أهم الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة منذ فجر التاريخ، لكون الإنسان المتوسطي يميل إلى هذه الأنشطة، بالإضافة إلى حرف ونشاطات أخرى.

كما أن مناخ منطقة زواوة المتميز باعتداله وتساقط كميات معتبرة من الأمطار، والثلوج عليها[2]. قد ساعد إلى حد كبير، الفرد الزواوي في الاشتغال، والعمل في القطاع الفلاحي، ليوفر ما يحتاج إليه من محاصيل زراعية غذائية. ولهذا ارتبط بأرضه، واستغلها أيما استغلال، فأعطت إنتاجا وفيرا، مونت به المناطق المجاورة لها ، بل حتى عرب البوادي[3]. وذلك رغم قلة المساحات الزراعية الواسعة، لكن الاستغلال الجيد للأراضي، وإتقان الفلاح لفنون الحراثة، جعلا المنطقة تنتج أنواعا شتى من مختلف المنتوجات كالحبوب مثل: " البر، والشعير، والجلبانة، والبشنة، وكذلك أنواعا من الفواكه المختلفة"[4]. والتي تفيض على الاستهلاك المحلي، فيبيعونها أو يقايضون بها السلع التي يجلبها التجار من الأسواق الداخلية، كالحبوب من الهضاب العليا.

فحسب المصادر التاريخية[5]. و طبيعة المنطقة، ونشاط سكانها، الذين يسعون إلى إنتاج كل ما يحتاجون إليه، فإن المنتجات الزراعية يمكن تصنيفها في:

---

[1] - Rozet et Carette : op, cit , p28 .
[2] - A. Mahé : op.cit, p.p:21 – 23 .

[3]- مارمول كريخال : إفريقيا، 3ج، تعريب: محمد حجي وآخرون، مكتبة العارف، الرباط، 1984، ج2، ص375.

[4]- مجهول: كيفية سيرة الزواوة، مخ، م، و، رقم3012 ورقة: 16 ظهر.

[5]- يمكن العودة إلى:

- مارمول: المصدر السابق، ج1 ص ص 16 – 17 ، وكذلك: المجهول: سيرة زواوة، مخ، م. و. ج، رقم 3012.

- شالر: المصدر السابق، ص 115.

إنتاج الحبوب: تنتشر زراعة أنواع مختلفة من الحبوب في حوض سيباو، وحوض الصومام، وكذلك السفوح الجبلية، وفي الأحواض الداخلية مثل حوض ذراع الميزان، وواضية، وحوض البويرة.[1]

أما في المنحدرات الجبلية، والمناطق الفقيرة إلى التربة الزراعية، فإن نوع الزراعة بها يتمثل في الزراعات المعاشية، التي تتبع في استغلالها طرق بدائية، ووسائل تقليدية، مما ينعكس سلبا على نوعية الإنتاج، وكمياته الموجهة أساسا إلى الاستهلاك المحلي العائلي.

فنوعية الإنتاج الزراعي، وكمياته تعكسها نوعية اللزمة التي يدفعها قائد سيباو عن قيادة المنطقة إلى دار السلطان[2].

إنتاج الفواكه: أثرت العوامل الطبيعية، تأثيرا كبيرا، في تهيئة ظروف استغلال المنحدرات الجبلية، في زراعة الأشجار المثمرة المختلفة، والتي من أهمها:

التين والزيتون: إن إنتاج المنطقة من التين والزيتون يشكل أساس منتجات الفلاحية عامة بالمنطقة، فتزرع أشجارهما، في جهات واسعة، ومختلفة من المنطقة، سواء زواوة الشرقية، أو الغربية. وهي من الزراعات القديمة التي كانت منتشرة منذ العصور القديمة[3]. أما إنتاج المنطقة من التين والزيتون فإنه يسد حاجات سكانها، ويقايض به الفائض في أسواق الهضاب العليا، مقابل الحصول على ما يحتاجه السكان، لتعويض نقص إنتاجهم من الحبوب خاصة القمح.

وعلى الرغم، من اهتمام السكان بغراسة أشجار الفواكه، إلا أن كمياتها قليلة، خاصة :" ما يتعلق بالتفاح، والأجاص، والمشمش، والخوخ، "غير أن الرمان فيوجد منه الكثير وكذلك العنب"[4].

تربية الحيوانات: يمارس السكان بالمنطقة هذه الحرفة منذ القديم، للاستعانة بالحيوانات في خدمة الأرض، أو استعمالها في الترحال، أو استهلاك لحومها، واستخدام جلودها،

---

[1] – A. MAHE : op.cit, p28.

[2] – ROBIN : " Soumission des BANI YALA", in : R-A, N° 42, Année 1898, o.p.u, Alger, pp 23 – 57.

[3] –MAGALI Zurcher : la pacification et l’organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, Paris l’Edition les belles lettres, France, 1948, p 14.

[4] – المجهول: المخطوط السابق، ورقة: 16 ظهر.

وصوفها، وشعرها، ونتيجة ذلك يولي لها الفرد الزواوي أهمية كبيرة، إذ لا تجد بيتا خال منها.

تربى في المنطقة أنواع مختلفة من الحيوانات فنجد: الماعز، والأغنام، والأبقار والثيران، إضافة إلى وسائل النقل التقليدية، كالحمير والبغال، والخيول، وهذه الأنواع كلها تتركز تربيتها حسب ظروف المنطقة الطبيعية. فيظهر وكأن السكان جميعا رعاة أغنياء، وهذا ما جعل أحد المؤرخين، يصنفهم بأنهم أغنياء بزروعهم ومواشيهم، وبما يملكون من الخيل المعدة للقتال[1].

فتربية الحيوانات في المنطقة حرفة قديمة، موجودة منذ القدم، وقد عملوا على استغلالها، والاستفادة منها للتغلب على صعوبة طبيعة المنطقة، وتعويض النقص الذي يعانونه. فنجدهم يعملون دائما على تحقيق الاكتفاء الذاتي وذلك من خلال استغلال مختلف الإمكانيات التي تتوفر عليها بيئتهم، فإذا كان حبهم لأرضهم وارتباطهم بها، أمر مفروغ منه. فإن سعيهم إلى تسخير الإمكانيات المختلفة من أجل خدمة الأرض واستغلالها، من أهم الجوانب الناتجة عن هذا الارتباط بين الأمازيغ عامة والأرض.

الصناعة:

*** أنواعها:**

تتوفر المنطقة على ثروات، ساعدت إلى حد ما على قيام هذا النشاط، إذ نجد كثيرا من المناطق التي تتوفر على معادن مختلفة مثل: الحديد، والرصاص، والمحاجر التي تقلع منها الأحجار المستخدمة في صناعة الرحى[2]. التي لها شهرة كبيرة. هذا وتتوفر المنطقة على ثروات سطحية أخرى، كالأخشاب في مرتفعات (تامغوط)، والتي حاولت السلطة المركزية استغلالها والاستفادة منها. غير أن موقف السكان من ذلك كان الرفض القاطع مما ساعد على توتر العلاقات بين الطرفين[3].

إذ أن الحاجة البشرية إلى الأشياء من أهم العوامل المساعدة على البحث والاختراع. فهذه الحاجة جعلت سكان المنطقة، يعملون على صناعة ما يحتاجون إليه من وسائل

---

[1]- مارمول : المصدر السابق، ج1 ص93.

[2]- خوجة: المصدر السابق ، ص، ص 66- 67، وكذلك:

- مارمول : المصدر السابق، ج3 ص375.

[3]- أحمد ساحي، الزواوة من القرن 16حتى 18،عهد الإمارة(1512-1767)،رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر،1999،ص 116.

يومية، تعينهم على استغلال إمكانياتهم الطبيعية، خاصة وأنهم يتميزون حسب (شالر W. Shaler) بـ: "الذكاء والشجاعة والنشاط"[1]، وهي عوامل ساعدت على قيام بعض الصناعات منها:

أ – الصناعات المعدنية: اختصت كل قبيلة من قبائل جرجرة بصناعة معدنية معينة[2]. وذلك حسب الثروات الطبيعية المتوفرة، وحاجة السكان إلى نوع ما من أنواع الإنتاج الصناعي. فقبيلتي بني عباس وفليسة وهذا – حسب رأي – يعود إلى طبيعة القبيلتين في المنطقة، إذ أن قبيلة بني عباس، بمثابة قبيلة عسكرية، برزت في إطار الصراع الحفصي الإسباني، وكذلك في فترة الصراع بين المقرانيين فيما بعد، والسلطة المركزية، وقد غذى هذا الصراع الاهتمام بالصناعة الحربية[3].

أما قبيلة فليسة البحرية، فعلى الرغم من عدم اهتمامها باستغلال الثروات البحرية، فإن تعرضها إلى الخطر الخارجي جعل أهلها يولون أهمية كبيرة بالصناعات العسكرية بوجه عام، سواء ما تعلق بصناعة السيوف، أو الخناجر، أو غير ذلك.

ب– صناعة الحلي: تعد منطقة زواوة مشهورة بهذا النوع من الصناعات الفنية، غير أن بعض قبائلها اكتسبت شهرة واسعة لما لهذه القبائل من اهتمام بالغ بها، ومثال ذلك قبيلة بني يني، التي توارث سكانها هذه الصناعة منذ القديم، والتي تتميز بجودة عالية، فصارت مطلوبة في الأسواق بشكل كبير.

ج – استخراج المعادن: إن توفر المعادن في بعض نواحي المنطقة، جعل سكانها يهتمون باستخراجها، مثل: قبائل بني سليمان التي تعمل على استخراج هذه المعادن، وتحولها إلى قبيلة بني بوهالي لمعالجتها[4]، وذلك للاستفادة منها، وتحويلها إلى وسائل يستخدمونها، في حياتهم اليومية، سواء تعلق الأمر بصناعة الأواني المنزلية، أو الأدوات الفلاحية، أو غيرهما.

إن الصناعات المعدنية التي كانت تصنع في منطقة زواوة، خلال العهد العثماني، كانت موجهة أساسا إلى الاستغلال المحلي، سواء من أجل الدفاع عن المنطقة، أو للاستعمالات

---

[1]– المصدر السابق، ص 117.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800 – 1830) ،ش،و،ن،ت، الجزائر 1970، ص: 35.

[3] –(Y). BEN OUDJET, La Kalaa des Béni Abbas du 16 siècle, Edition Dahlab, Alger, 1993, pp 69-75.

[4]– سعيدوني: المرجع نفسه، ص: 35.

اليومية في الأغراض التي يحتاجون إليها. فحتى وإن كانت هذه الصناعة، تعتمد أساسا على وسائل بدائية قديمة، إلا أنها ذات جودة عالية نتيجة توفر صناع ماهرين، يجيدون صناعة السيوف والخناجر والرماح[1].

د – صك النقود: إن الحاجة إلى النقود، دفعت بالسكان إلى إقامة ورشات محلية لصك العملة، وقد اشتهرت الكثير من المناطق بصكها، غير أنهم امتازوا بتزويرها مما جعل التجار، والمتعاملين معهم يخشون عملتهم هذه[2].

هـ– الصناعة الغذائية: وتتمثل أساسا في صناعة الزيتون، وذلك نتيجة توفره في مختلف جهات المنطقة، مما جعلها إحدى الصناعات الهامة المنتشرة في مختلف القرى بفعل وفرة المادة الأولية من جهة، وجودتها العالية من جهة أخرى. كما أنها تدخل في صناعة الصابون الذي يشبه الصابون الفرنسي[3].

إن اهتمام السكان بزراعة الزيتون، وصناعته جعله يمثل أهم دخل لسكان منطقة زواوة الجبلية في فترة العهد العثماني[4].

و – صناعة النسيج: إن الصناعة النسيجية تعد من الصناعات المنزلية ، التي تقوم بها النسوة، اللائي احتكرن هذا النوع من الصناعة المنتشرة في مختلف القرى. وهي في أساسها تعتمد على مادة أولية محلية، تتمثل في الصوف بالدرجة الأولى، وتتنوع المنسوجات المنتجة بالمنطقة، وتتميز ببساطتها. غير أن هناك نواحي اشتهرت بأنواع معينة من المنتجات النسيجية. ومن أهم هذه النواحي: ناحية بني عباس، التي تشتهر بالصناعات الصوفية، وعلى رأسها "برنوس" بني عباس الذي يضرب به المثل[5]. وكذلك: بني ورثيلان. التي أخذ إنتاجها مكانة هامة بين المنتجات النسيجية المحلية على المستويين الداخلي، وحتى الخارجي[6]. وما يلاحظ على هذه المنسوجات، هو أن معظمها موجه أساسا إلى الاستهلاك المحلي.

---

[1]– مارمول : المصدر السابق، ج3 ص375 .

[2]– مجهول: المخطوط السابق، ورقة: 16 ظهر.

[3] –Rozet et Carette : op, cit , p31.

[4] –Hanotaux et letournaux . op , cit, T1, p, 417.

[5] –Rozet et Carette : op, cit , p30.

[6] –Rozet et Carette : op, cit , p31.

ز- الصناعات الأخرى: من بين الصناعات التي تشتهر بها منطقة زواوة عامة، وبعض أعراشها خاصة، نجد - إضافة إلى ما ذكر - صناعة البارود، التي احتكرتها بعض أعراش، وقبائل المنطقة كقبيلة، أغبالو (إغبولين). وذلك بسبب توفر المادة الأولية المتمثلة في ملح البارود الذي يعد أساسيا في هذه الصناعة. أما الكبريت، الذي كان استيراده محتكرا من قبل السلطة، فإن بعض التجار يتحصلون عليه، ويستوردونه من الخارج – خاصة من فرنسا[1].

ولم تكن هذه الصناعة مقتصرة على عرش واحد، بل نجد عروشا أخرى اشتهرت بهذا النوع من الصناعة مثل: آث لربعا، بني يني، بني عباس[2]. فكانت هذه الصناعة منتشرة بشكل واسع، مما جعل (مارمول) يرى بأنه: "لا يوجد بيت يخلو من أدوات صناعة البارود في المنطقة"[3].

هذا إلى جانب صناعات أخرى هامة، كالصناعات الخشبية مثل، النجارة وصناعة الأدوات والآلات الفلاحية، والأواني المنزلية وكذا صناعة الحدادة، والصباغة والدباغة... إلخ[4]، وهي الأدوات التي يحتاج إليها الفرد في حياته اليومية. مما جعل ميناء بجاية يشتهر بتصدير بعض هذه المنتوجات، نحو أوروبا التي كانت تقبل على شرائها، لما لها من جودة عالية[5].

هذا، ويذكر صاحب سيرة الزواوة أن الزواويين يصنعوا السلاح والأسرة والزندة والبارود...ويصنعوا مدافع صغار زرزبان [6].

إن النشاط الصناعي في منطقة زواوة كان مزدهرا رغم بساطته، وكل الوسائل المستعملة في صناعته، غير أن توفر المواد الأولية من جهة، وحاجة السكان إلى إنتاج ما يساعدهم في تحدي الطبيعة من جهة أخرى، جعل الحركة الصناعية بالمنطقة تزدهر، بل وتصل في بعض الجوانب إلى تصدير الفائض نحو المناطق القريبة وحتى البعيدة عنها.

---

[1]- مارمول : المصدر السابق، ج3 ص375.

[2] -Hanotaux et letournaux . op.cit T1 p :417 .

[3]- مارمول : المصدر السابق، ص375 .

[4] -Hanotaux et letournaux . Ibid, pp 412 - 442 .

[5]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و فرنسا (1492 – 1792) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ش،و،ن،ت، الجزائر، ب،ت ص 137.

[6] - نفسه، الورقة 16.

التجارة:

وتعتبر من بين الأنشطة الاقتصادية الهامة، التي لعبت دورا في تطور الشعوب، وهي من بين المظاهر التي تعكس مدى تطور أي شعب، أو أمة خلال الفترة الحديثة.

فمنطقة زواوة خلال العصر الحديث، ساهمت في هذا النشاط، إذ أن موقعها الوسطي بين بايلك الشرق، ودار السلطان، جعلها تتحكم في الطريق السلطاني الذي يمر بأجزاء واسعة منها (كبرج حمزة، وقلعة بني عباس، وكذا مجانة). فهذا الموقع جعل منها منطقة عبور للقوافل التجارية، بين شرق الجزائر ووسطها. كما أن إشرافها على الشريط الساحلي، فتح أمامها إمكانية الانفتاح على العالم الخارجي عبر الموانئ البحرية التابعة للمنطقة كميناء: دلس، وأزفون، وبجاية.

هذه العوامل ساهمت في حركية النشاط التجاري، سواء كان ذلك على الصعيد الخارجي، أم على الصعيد الداخلي.

أ- **التجارة الداخلية:** عرفت المنطقة نشاطا كبيرا، وتبادلا واسعا للسلع، بين مختلف مناطق البلاد، وذلك نتيجة العوامل التالية:

- تحقيق الفائض في بعض المنتجات و المحاصيل الفلاحية، كالزيتون، وهو الأمر الذي جعل سكان المنطقة يعملون على نقله، إلى الأسواق الداخلية، واستبداله بالمنتجات التي تحتاج إليها المنطقة[1].

- وجود بعض المنتجات الصناعية الرائدة بالمنطقة، والتي لها سمعة كبيرة بين الناس، مما جعل التجار يعملون على نقلها، إلى الأسواق الداخلية، خاصة: صناعة المنسوجات الصوفية، والأسلحة، والأدوات الفلاحية، والحلي.

- حاجة السكان إلى السلع غير المنتجة محليا.

- سهولة الاتصال بين السكان، والانتقال بين أسواق البلاد، نتيجة عدم تعرض السلع إلى الرسوم الجمركية، ما عدا الضرائب التي تفرض على بعض المنتوجات.

- تدخل السلطة في تنظيم الأسواق التجارية، وتوزيعها، والإشراف عليها.

---

[1] -Aucapitaine : op.cit p :74

تنتشر الأسواق في مختلف أنحاء منطقة الزواوة، وتأخذ أسماءها، من القرى التي تعقد بها، أو من الأيام التي تحدد للسوق، فمثلا يوم السبت يكون السوق في عرش بني يحيى، ويوم الأحد: بإرجن، ويوم الأربعاء ببني واسيف ويوم الاثنين بأقبو...إلخ.

فهذه الأسواق يتم الاتفاق عليها بين السكان، والأعراش القريبة إليها، وتحدد نوعية السلع التي تباع فيها، والأيام التي تعقد خلالها، وذلك حتى يتسنى للمواطنين قضاء مآربهم المختلفة.

إن تدخل السلطة في تنظيم الأسواق، من بين أهم العوامل التي ساعدتها، في مراقبة السلع، وفرض الضرائب عليها، خاصة الأسواق الأسبوعية[1]، التي تكون أماكن انعقادها قريبة إلى أبراج المراقبة، كسوق حمزة، وسوق مجانة، وجمعة الصهاريج وغيرها.

أما بالنسبة إلى نوع آخر من التجارة الموجودة بالمنطقة، فهي التجارة المتنقلة، التي يقوم بها تجار يتنقلون بواسطة دوابهم، أو حملا على ظهورهم، بين القرى، والتجمعات الريفية، والتي تختص عادة بالعطور، وبعض المستلزمات اليومية، والتي ذكرها صاحب سيرة الزواوة بقوله:" فكثرة تجارتهم يشترون العطرية من المدن، ويبيعونها في بلاد العرب، والبعض يبدلها بالصوف "[2]. هذا ويبين كذلك نوعية هذه المواد التي يشتريها هؤلاء التجار المتجولون، ويعيدون بيعها، إضافة إلى كيفية نقلها.فيقول:" فكثرة تجارتهم يشترون العطرية من المدن ويملون مزاود...وكل أحد يحمل ستة وثمانية مزاود مملين بالصوف قدر ما يحمل البغل "[3].

ب – التجارة الخارجية: تقوم بالتجارة الخارجية عادة الحكومات، أو الهيئات الممثلة لها. كما يقوم بها بعض الأفراد[4]، وذلك من خلال الشركات التجارية، التي ينشئونها. ونظرا لكون منطقة زواوة تابعة إداريا، إما لبايلك الشرق، بالنسبة للجهة الشرقية، وإلى دار السلطان، بالنسبة للجهة الغربية[5]. فإن حكومة الداي، هي التي تشرف على التجارة الخارجية مباشرة، أو عن طريق ممثليها، أو الشركات المحتكرة لبعض أنواع الصادرات، والواردات كشركة

---

[1] – سعيدوني، دراسات... المرجع سابق، ص 108 .

[2] – مصدر سابق، ورقة 15 وجه.

[3] - نفسه، الورقة 16.

[4] – محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة ما بين 1792 – 1830، الطبعة الثانية، م.و.ك، الجزائر 1984، ص 77 .

[5] – انظر الخريطة المرفقة في الملاحق.

اليهوديين بكري، وبوجناح المشهورة[1]. التي اتخذت من قسنطينة مقرا لها منذ أواسط القرن الثامن عشر، فإنها كانت تعتمد أساسا في تصدير بضائعها على موانئ عنابة، وسكيكدة، والقل، فبقي ميناء بجاية بعيدا إلى حد ما عن الاستغلال الذي كان عليه قبل سقوط المدينة في يد الاسبان، وذلك على الرغم من العلاقات التجارية، التي كانت تربطها مع القارة الأوروبية[2]. وكثير من دولها.

إلا أن دور بجاية التجاري عرف تراجعا كبيرا في العهد العثماني، نتيجة اتخاذ مدينة الجزائر، عاصمة للدولة، ومقرا للمؤسسات والشركات، فانتقلت إليها الأسر الثرية التجارية، وبذلك تراجع دور ميناء بجاية. والشيء نفسه بالنسبة إلى الموانئ الأخرى كميناء أزفون، وميناء دلس. فهذه الموانئ لم يكن لها دور كبير ما عدا فترة بروز إمارة آل القاضي، التي استخدمت هذه الموانئ للاتصال بالعالم الخارجي[3].

وعلى العموم، فإن منطقة زواوة عامة، وموانئها خاصة قد تراجع دورها التجاري فيما يخص التجارة الخارجية خلال هذه الفترة، وهذا الذي جعلها لم تواصل في لعب الدور التجاري في حوض المتوسط، الذي كانت عليه في العهود السابقة، كالعهد الحمادي والعهد الحفصي. فلم تساهم في إحداث ثروة داخلية[4]، وانقلاب اقتصادي مثل الدور الذي لعبته التجارة في أوربا، خلال الفترة الحديثة.

إلا أن حاجة المنطقة، وحيوية موقعها جعل الموانئ الساحلية لمنطقة زواوة تحاول استرجاع مكانتها التجارية في الحوض المتوسطي عامة، على الرغم من الاتجاه العام للسياسة المتبعة من قبل الدولة، والتي تعتمد على الغزو البحري في إثراء خزينتها، أي أن هذه الموانئ كانت قد ساهمت في نشاط الحركة التجارية، وأصبحت أكثر استعمالا للأغراض العسكرية، منه للأغراض التجارية.

---

[1] – الزبيري، المرجع السابق، ص 83.

[2] – مارمول، مصدر سابق، ج 01، ص 377.

[3] – ساحي: المرجع السابق، ص 118.

[4] – الزبيري : المرجع السابق، ص 111 .

3- الخصائص و المؤثرات البشرية

تعتبر منطقة زواوة من المناطق المكتظة بالسكان في الجزائر، على الرغم من صعوبة تضاريسها، وفقرها إلى الأراضي الزراعية الخصبة الواسعة، وندرة الثروات الطبيعية بها. إلا أن ظاهرة ارتفاع الكثافة السكانية، في هذه المنطقة واضحة، نتيجة عوامل تاريخية، وسياسية قديمة[1].

تعود أصول سكان منطقة زواوة إلى العنصر الأمازيغي، الذي يصعب تحديد تاريخ بداية وجوده بها، فعلى الرغم من محاولات المؤرخين و الباحثين، وعلماء الأنساب تحديد أصل هؤلاء السكان، إلا أن الاختلاف ما يزال قائما، لكون بعضهم أعاد أصولهم إلى الشرق[2]. والبعض الآخر يرى أن أصلهم محلي[3]. والبعض يعيد أصولهم إلى أوروبا وغير ذلك، فإن البحث في أصل سكان هذه المنطقة من الأمور الصعبة، نتيجة الأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة المغاربية عامة، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي لها، وهو عامل ساعد كثيرا على التمازج السكاني، وأصبح من الصعب التمييز بين العناصر السكانية، فكان لعامل الزواج وعامل الهجرة ، أثرهما الكبير في اختلاط العناصر السكانية بالجزائر عامة. غير أن للاعتبار اللغوي، واحتفاظ سكان منطقة الزواوة على لغتهم وعاداتهم مقارنة بغيرهم من السكان في الجهات الأخرى. من الأمور التي تسهل، وتساعد على تحديد بعض الخصوصيات السكانية، والاجتماعية، التي حاول البعض الاعتماد عليها: كالملامح العامة، والنشاط، والسلوك. فنجد بأن هؤلاء السكان يصفهم البعض بأنهم " شعب أبيض لهم قامة معتدلة... وهم قوم نشطون يتسمون بالحيوية و الآداب في المعاملة، وذوو مزاج لائق[4].

إن هذه الصفات مازالت موجودة إلى الآن بين السكان، غير أنها لا تقتصر على سكان هذه المنطقة دون سواهم، بل نجد أنها صفات منتشرة في مختلف مناطق البلاد خاصة الشمالية.

---

[1]– سعيدوني: المرجع السابق، ص 6.

[2]– ابن خلدون: المصدر السابق، ص، ص 1597–1601. : أنظر كذلك : الزواوي : المصدر السابق، ص 90– 101.

[3] - (S.A) Boulifa : le Djurdjura a travers l'histoire…, pp 379 – 384.

[4]– وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816– 1824)، ص 113.

فعلى الرغم من محاولة بعض الأوروبيين، تخصيص سكان هذه المنطقة بالصفات الحميدة، لأنهم يعتقدون بأن أصولهم تعود إلى بقايا الوندال، الذين احتلوا شمال إفريقيا[1].

فإن هؤلاء نسوا بأن انعدام الصلة اللغوية بين الجنسين، ينفي هذا الافتراض. بل يجعلنا نؤكد بأن السكان الأصليين للمنطقة، كانوا متواجدين بها قبل الوندال، والرومان، وغيرهم من الشعوب، التي كان لها احتكاك بالأمازيغ، وهو الاحتكاك الذي أدى إلى التفاعل الحضاري بين السكان. أما التنوع البشري بالمنطقة – حسب اعتقادي – يعود إلى الهجرات الخارجية التي توجهت نحوها عبر مختلف مراحل التاريخ البشري، سواء كانت هذه العناصر المهاجرة من الشرق، أو من الغرب، أو من الجنوب، والتي وجدت بالمنطقة ملاذا آمنا، وملجأ منيعا، ومجتمعا مرحبا بالقادم إليه[2].

بحكم موقع بلاد زواوة، وحصانة تضاريسها. فإن المنطقة عرفت استقبال عناصر أجنبية وفدت إليها، وامتزجت بالسكان الأصليين فيها، ومن هذه العناصر التي حلت بها، وامتزجت بالسكان نجد:

*** عناصر السكان:**

1- العنصر العربي: إن التواجد العربي بشمال إفريقيا عامة، والمغرب الأوسط خاصة، بدأ منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، فتوافدت عليها كثير من الشخصيات من الأشراف المرابطين الذين تكفلوا بنشر الدين الإسلامي[3]، وفك الخصومات بين الناس، واستمر ذلك إلى غاية الفترة الأخيرة من حكم الموحدين، حيث شهدت المنطقة استيطان الكثير من القبائل العربية فيها، ولعل أبرزها قبائل بنو هلال، وفروعها، وكذا بنو سليم، الذين وصل فرع منهم إلى تكوين إمارة الثعالبة[4] بسهل متيجة.

وفي العهد العثماني عرفت الظاهرة انتشارا واسعا، إذ أدخل العثمانيون عناصر عربية لتدعيم النظام المخزني في المنطقة، وأضحى العنصر العربي، أحد العناصر المنتشرة في

---

[1]- شالر: المصدر السابق: ص 113.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق ص 1604.

[3] - ورقة في الموضوع من قبل الأستاذ الدكتور: أرزقي شويتام.

[4]- إمارة الثعالبة: تنتمي أسرة الثعالبة إلى أعراب المعقل بن ربيعة، من بني الحارث ، نزلوا بالجزائر في أواسط القرن الخامس الهجري، وهم من ولد ثعلب، معقل، وكان محمد بن عبد الله بن تومرت سببا في إسناد إمارة متيجة والمدية، ومقاطعة التيطري لهم – بعد استقرارهم بيسر – وذلك سنة (548هـ / 1153م) أنظر عن ذلك:

– عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، 2ج، ط 2 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965 ، ج2 ص 300 – 301.

كثير من جهات المنطقة. سواء كانوا من العلماء، أو المرابطين والأولياء، أو من التجار، وحتى من البسطاء. فتواجد العنصر العربي بالمنطقة، وتمازجه بسكانها من الأمور الواقعية، خاصة بعد القرن العاشر الهجري /16م، بحيث أصبح من الصعب أن يفرق الواحد بين الزواوي- القبائلي- والعربي ، خاصة في مناطق التماس، سواء تعلق الأمر بالزواوة الشرقية، أو الغربية[1]. ولو أن الجهة الشرقية أكثر انفتاحا على العنصر العربي. وذلك نتيجة العوامل الجغرافية، وكذا استقرار العديد، من الأسر الأندلسية بمدينة بجاية، عكس الناحية الغربية.

وعلى كل، فإن العنصر العربي، قد ترك بالمنطقة تأثيرا كبيرا. وما انتشار المعمرات (الزوايا) في هذه الجبال والقرى[2] إلا دليل على ذلك، حتى أصبحت المنطقة مقصدا لكل متعطش للعلم قبل العهد العثماني، أو أثناءه. فتخرج من زواياها الكثير من العلماء الذين تركوا أثارهم وإسهاماتهم في المشرق أو المغرب الإسلاميين[3].

هذا وعرفت المنطقة توافدا للكثير من الناس، ومن مختلف الجهات، والمناطق القريبة منها، أو البعيدة عنها، وذلك نتيجة طبيعتها الجغرافية الصعبة، التي تجعل المحتمي بها قادرا على صد أي عدو أو هجوم خارجي.

كما أن لطبيعة سكان المنطقة، الأثر الكبير في استقرار الكثير من المهاجرين فيها، لما لمسوه وعاشوه من السكان الذين يتميزون بـ: « إطعام البائس الفقير... بحيث لا يبيت الإنسان الأجنبي عندهم بلا شيء وعنايتهم بالأجنبي أكثر أيا كان »[4].

هذا إلى جانب ميزه أخرى هامة جدا، والتي تتمثل في: ظاهرة الاحتماء بالعائلات الزواوية، والمتمثلة في مبدأ " لعناية" إذ أن التجاء المتابعين الفارين من العقوبات، أو الملاحقات، التي فرضت عليهم، نتيجة أعمال أو مخالفات ارتكبوها في مناطق سكناهم

---

[1]- محمد شريف سيدي موسى: الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر (13-16م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص39.

[2]- الزواوي: المرجع السابق، ص ص،117 - 125. وكذلك:

- باعزيز بن عمر: " الزوايا بالزواوة "، في الشهاب، ج1 ، الجزائر، جانفي 1933، ص ص15 -17.

[3] أنظر عنهم:

- أحمد أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية، حقق وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات الآفاق الحديثة، الطبعة 02، بيروت، 1979. وكذلك:

- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، د.ت.

[4]- الزواوي: المصدر السابق، ص .107.

الرئيسية[1]، من بين العوامل التي جعلت الناس تفد إلى هذه المنطقة، رغم صعوبة العيش بها، وطبيعتها الجبلية.

هذا، إلى جانب امتداد المنطقة الساحلية إلى حوض المتوسط، ووجود إحدى الحواضر المغاربية الهامة بها، و المتمثلة في مدينة بجاية، عاصمة المغرب الأوسط الحمادية، والحاضرة العلمية العالمية، التي استقبلت العديد من العلماء، والأسر التي استقرت بها، ومن بين العناصر المستقرة بالمنطقة عامة، وبجاية خاصة، والتي تركت تأثيراتها الفكرية والثقافية نجد:

2 – الأندلسيون (الموريسكيون): ارتبط التواجد العثماني ببلاد المغرب الإسلامي عامة بضعف الدويلات المحلية، وزيادة التحرش الاسباني،على سواحل المنطقة، في إطار ملاحقة ومتابعة المسلمين الفارين من الاضطهاد النصراني في الأندلس، والذين استقروا بالمدن الساحلية المغاربية عامة، والزواوية خاصة في المدن الساحلية كدلس، وأزفون، التي توجد بها قرية تحمل اسم: أث وَانْدَلُوسْ[2]. وكذلك في حاضرة بجاية، التي عرفت تواجد الكثير من الأسر الأندلسية، والتي استقرت بها قبل وصول الإخوة بربروس. وهو الشيء الذي يشير إليه(برانشفيك ، BRANSCHVIC)، الذي أعاد بداية الهجرة الأندلسية نحو مدينة بجاية، إلى العهد الحمادي حيث" كانت بجاية محط الأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها. ولما ألحقت بالدولة الحفصية، اعتبرت عاصمة إقليمية وبابا لإفريقية الحفصية على الأندلس"[3].

وأكدت المصادر التاريخية الأخرى، ومنها (ابن خلدون) أن: منطقة زواوة عامة، وبجاية خاصة، من بين المناطق التي استقبلت أعدادا كبيرة من القادمين، من العدوة الأندلسية وفي فترات متعددة ومختلفة، ويعود هذا – حسب ظني – إلى الدور الذي لعبته هذه المدينة، في الحياة الفكرية في العالم الإسلامي عامة وفي شقه الغربي بوجه خاص.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن أمراء بجاية وقفوا في وجه الإسبان، وعملوا كل ما في وسعهم من أجل إنقاذ المسلمين الفارين من الأندلس، والوقوف في وجه الصلبيين الذين حاولوا مرارا احتلال السواحل المغاربية، وإحياء الحروب الصليبية ضد المسلمين في بلاد

---

[1]– المجهول :" سيرة الزواوة "... ، ورقة: 12 ظهر.

[2] - محمد أرزقي فراد: أزفون تاريخ وثقافة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2003، ص 50.

[3] –la Bérbérie orientales sous les Hafsides, France (1940 – 1947) , T2, p 376.

المغرب الإسلامي. وهذا ما دفع بالأمير الحفصي ببجاية (أبو العباس عبد العزيز) إلى تجهيز جيش بجائي لمساعدة إخوانه المسلمين، والوقوف في وجه الهجمات الاسبانية التي كانت تتعرض لها بعض المدن الساحلية الجزائرية. وقد قاد بنفسه هذه الجيوش، كما كلف حاجبه (محمد بن عبد الله الكناني) بقيادة قوات بحرية متوجه نحو الغرب الجزائري لإنقاذ مدينة المرسى الكبير[1].

وعندما تزايد الضغط المسيحي على المسلمين، بعد سقوط آخر دويلة إسلامية بالأندلس، وهي دويلة بني الأحمر بغرناطة، وذلك سنة 897-898هـ /1492م ، زادت الهجرة نحو مدينة بجاية، خاصة فئة العلماء، والفقهاء الذين وجدوا المساعدة، من قبل الأمراء الحفصيين في الاستقرار فيها، إذ تذهب أحد المصادر التاريخية، إلى أن: (الأمير فارس بن عبد العزيز) [2] الحفصي حرص على تخصيص المؤونة اللازمة، والمدد الكافي تشجيعا لهم على الوقوف في وجه النصارى"[3].

وكان لهذه الهجرة نحو منطقة زواوة عامة، ومدينة بجاية خاصة، الأثر الكبير في الازدهار الثقافي والفكري، الذي عرفته المدينة قبل الاحتلال الاسباني. وبعد الطرد الجماعي، للمسلمين الأندلسيين في سنتي 1609م و1611م حيث استقرت أعداد كبيرة من الأسر الموريسكية الوافدة في معظم المدن الساحلية الجزائرية، ومن بينها دلس، وأزفون و بجاية[4].

لقد ترك استقرار الأندلسيين بالمنطقة، أثره الكبير في مختلف الميادين الحضارية، خاصة منها العمرانية، والصناعية، والفكرية. حيث تأثرت المنطقة بالوافدين إليها، خاصة وأن هؤلاء يحملون أفكارا، وثقافة مختلفة عن أفكار وثقافة السكان المحليين. وهو عامل ساهم، في بروز أنشطة جديدة. يتضح ذلك من خلال الذوق العالي، الذي عرفته صناعة الخيزران بنواحي دلس، وأزفون، كما ظهرت تأثيرات الأفكار الجديدة، من خلال الموشحات الفنية التي

---

[1]– سيدي موسى: المرجع السابق ص ص، 31 – 32 .

[2]– الأمير فارس بن عبد العزيز: حكم والد السلطان عبد العزيز (عزوز) المتوكل فما بين 796 – 838 هـ / 1393 – 1434م أنظر: علي أمقران السحنوني: هذا الشيخ المجهول أبو زكرياء يحي العيدالي 881هـ/ 1476 م ، في: مجلة الدراسات التاريخية، ع4، جامعة الجزائر، 1408/ 1988، ص 40 .

[3] – ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق: محمد الشمام، الطبعة3 ، المكتبة العتيقة، تونس: 1967، ص 153.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني ، م، و ، ك الجزائر ، 1984 ، ص 132. وللتوسع أكثر حول العلماء الذين استقروا ببجاية، أنظر:

– مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط:2 ، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981 ، ص51،48

اشتهرت بها مدينة بجاية، وهي مازالت دالة على ذلك التأثير إلى الآن، من خلال الفن الأندلسي.

يلاحظ على هذه الفئة، بأنها سرعان ما تفاعلت مع السكان، الذين آووهم وذلك نتيجة، العامل الديني. فامتزجت هذه العناصر السكانية، وأصبحت تستعمل لغات مختلفة خاصة منها الأمازيغية[1].

وبعد الاحتلال الاسباني للمدينة سنة 1510م، وتخريبها خرج الكثير من البجائيين منها، خاصة الأسر العريقة، فاتخذوا من المناطق الداخلية، والجبال المنيعة مقرات إقامتهم.

3 – السودانيون: إن تواجد العنصر السوداني – أو الزنجي – بمنطقة زواوة، يعود إلى فترات سابقة عن العهد العثماني، سواء كان هؤلاء مقيمين أحرارا، أو عبيدا عند الأسر الزواوية، خاصة البجائية الارستقراطية منها.غير أن فترة العهد العثماني، ساهمت بصفة مباشرة، في استقرار جماعات من السودانيين، في عدة أماكن من منطقة زواوة، وكان أول من عمل على تكوين تجمعات يقيم فيها هؤلاء هو (علي خوجة)، وبعده ابنه (محمد)، اللذان استقدما مجموعة من السودانيين إلى المنطقة، وذلك في حوالي 1133هـ/1720م بغية حماية، ومراقبة الأبراج التي أنشئوها فيها، في محاولة منهم لإخضاعها.

يعود أساس استقرار هذا العنصر في الواقع، إلى عامل عسكري، وهو العامل الذي جعلهم يتمركزون حول الأبراج العسكرية، التي أنشئت من أجل مراقبة سكان جرجرة، والسيطرة على المناطق الخصبة المتواجدة بها، كبرج سيباو، وبرج حمزة، وبرج بوغني، وهذا الأخير أنشئ من أجل مراقبة المناطق الغربية لبلاد الزواوة. وقد ضم حامية من الجند قدرت بحوالي 400 فرد، واستقروا بعين الزاوية[2]. وكذلك برج زمورة الذي أنشئ من أجل مراقبة سكان جبال بني يعلى وناحية برج بوعريرج، وذلك سنة 1559م من قبل (حسن بن خير الدين) الذي حاول التوسع على حساب المقرانيين في الناحية[3]

كما أن هناك قرى، وتجمعات خاصة بهذا العنصر الوافد إلى منطقة زواوة، والذين نجدهم يستقرون في التجمعات القروية التالية:

---

[1] –M. Gaid : op.cit, p :34.

[2] –(H) Aucapitaine ;" Les colonies noires en Kabylie" in, R.A , N° 4 ; Années 1859-1860, o.p.u, Alger, p 74.

[3] - مزيان أوشن: إقليم ولاية برج بوعريريج عبر العصور دراسة تاريخية، دار النشر وتوزيع الكتب جيتلي، برج بوعريريج، الجزائر، 2006، ص 113.

– **عين الزاوية:** وهو أول تجمع أنشئ في المنطقة، من أجل مراقبة قرى وسكان الجهة عامة، وكذا ضمان فصلها عن الجهات الغربية القريبة إليها.

– **عبيد شملال:** أنشأ الباي محمد الذباح، زمالة عبيد شملال، بناحية وادي عيسي الغنية، والقريبة من مدينة تيزي وزو – الحالية – وكانت مهامها تتمثل في:

- فرض السيطرة على حوضي سيباو العلوي والسفلي.
- جمع الضرائب من الفلاحين والسكان الخاضعين لقيادة سيباو.
- مراقبة وحماية الطريق البري الواصل بين سيباو الغربية، وجمعة الصهاريج.

غير أنه ما لبث أن عرف هذا التجمع انشطارا وتفرعا، فظهرت ثلاثة أقسام، وفروع له، اتخذ كل فرع منطقة إستراتيجية قريبة إلى حوض سيباو المتميز بخصوبة تربته، وصلاحيتها للزراعة. وحتى يبقى ولاء هذه القواعد للسلطة المركزية قائما، وافق الداي على أن تقطع لهؤلاء الوافدين إلى المنطقة أراض زراعية يزرعونها، ويستغلونها في نشاطاتهم اليومية[1]. وكذلك بالنسبة للسلطات الاستعمارية بعد احتلالها للمنطقة، فقد ساعدت هذا العنصر في الاستقرار فيها لخدمة سياستها التوسعية وبذلك أصبح هذا العنصر مالكا جديدا للأراضي الزراعية – وفي هذا الشأن يذكر الشاعر سي امحند وامحند بيتا شعريا يبين فيه كيف تحول العبيد إلى أحرار في سهل سيباو فقال:

أَكْلِــي يُوغَاْل ذَاحْـرِّي   أَثْ وَاعْمَرْ كَسْبَنْ شَامْلَالْ[2]

(العبد تحول إلى حر   بني واعمر سيطروا على شاملال[3])

واعتبر امتدادا للقبائل المخزنية [4] التي استخدمتها السلطة المركزية كأداة قوية لتأديب كل من يحاول عصيان أوامرها، أو التمرد عليها، فهي " تمثل المحور الأساسي الذي تتركز عليه سياسة الأتراك مع باقي سكان إيالة الجزائر"[5].

وقد أصبحت لهذه القبائل المخزنية امتيازات خاصة في النواحي التي لهم نفوذ عليها . غير أن ذلك ساهم في تغذية تمرد سكان المنطقة، ونفورهم من السلطة المركزية، في معظم

---

[1] –M. Gaid : op.cit, p :39

[2]- ورقة في الموضوع أفادني بها الدكتور أرزقي شويتام يوم 2014/08/31. ببيته.

[3] - شاملال: سهل ذو جودة عالية في تربته، يقع في سهل سيباو العلوي، بولاية تيزي وزو حاليا.

[4]– عبارة عن عشائر كانت تتحصل على امتيازات استغلال الأراضي الزراعية مقابل خدمة السلطة. انظر:

– سعيدوني، المرجع السابق، ص 114.

[5]– نفسه، ص 113.

فترات الحكم العثماني للجزائر. إذ أن السكان في المنطقة يتميزون بشدة تمسكهم وارتباطهم بالأرض التي نشئوا فيها[1]. هذا إلى جانب استخدام العنصر السوداني للسلاح، والقوة العسكرية في قمع السكان مما زاد في ترسيخ كراهيتهم لهؤلاء العناصر المكونة للقبائل المخزنية بالمنطقة، وظل هؤلاء في المنطقة إلى غاية الاحتلال الفرنسي. فتحولوا إلى ملاك حقيقيين للأراضي الزراعية التي كانت تابعة لأملاك البايلك، وتملكوا كذلك العقارات. وهو الأمر الذي تضمنه شعر الشيخ: (امحند وامحند) في أشعاره التي تبين كيف تمكن الوافدون الجدد من السيطرة على بعض أحواز المنطقة.

لقد كانت هذه القبائل المخزنية، تعمل مباشرة تحت نفوذ الباي، أو الأسر النافذة في منطقة زواوة، حيث نجد مثلا أسرة أوقاسي في تامدة لبلاط في حوض سيباو، وأسرة أولاد رابح بفناية وأسرة أوشلال ببني وغليس[2] تستخدم كلها العنصر السوداني، وتستعين بهم في جمع الضرائب، وتنظيم المحلات بالجهات الخاضعة للسلطة المركزية، سواء بحوض سيباو، أو بحوض الصومام.

ففي هذا الأخير استقر كذلك العنصر الزنجي (السوداني) في الأبراج التي أنشأها الحكم كبرج حمزة، وفي بعض الزمالات المنشأة والمستحدثة بها، ولعل من أهمها ممر شعبة لحمر[3] بالقرب من أقبو، وكذا في الحدود الجنوبية، والشرقية: كبرج زمورة، وبرج مجانة.

وعلى كل، فإن لهذا العنصر تأثيرا هاما في أوضاع المنطقة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية. فحتى وإن كان دورهم سلبيا فيما يتعلق بتغذية الصراع بين السكان والسلطة المركزية. فإن لهم دورا فكريا لا يستهان به، والذي يظهر ويتضح من خلال الدور الذي لعبته العشائر السودانية، والقبائل المخزنية في نشر اللغة العربية بالمناطق التي استوطنوا فيها، فتركوا تأثيرهم في السكان الذين كانوا يتكلمون الزواوية (القبائلية)، كما هو حال جهة سيباو، ومرتفعات قرقور[4].

---

[1]– Rozet et Carette, op.cit, p 39.

انظر كذلك:

– ألفرد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط 03، بيروت، 1987، ص 52 وما بعدها.

[2] – Aucapitaine, op.cit, p 76.

[3] – GAID, op.cit, p 39.

[4] – سعيدوني، المرجع السابق، ص 125.

4 – **الذميون:** إن التواجد الذمي – المسيحي واليهودي – في منطقة زواوة كان مركزا على مدينة بجاية قبل تخريبها من قبل الاسبان، أما بعد احتلالها، فقد تراجع تواجدهم بشكل كبير وملفت للانتباه، وذلك نتيجة فقدان المدينة لدورها الثقافي والاقتصادي[1]. وبعد تحريرها من قبل صالح رايس في 13 ذي القعدة 962هـ الموافق لـ 28 سبتمبر 1555م[2]. منع الأتراك العثمانيون دخول الأوروبيين إليها إلا في حالات خاصة[3].

إن قلة النصارى في المنطقة عامة يشير إليه أبو يعلى الزواوي عندما يذكر محامد الزواوة، فيقول : "...ولهذا لا تجد في الزواوة يهوديا ولا نصرانيا"[4]. وهذا ما يؤكد قلتهم بالمنطقة عامة.

ولا نملك إحصائيات عن وجود اليهود في بلاد الزواوة خلال العهد فترة البحث، ويبدو أن عددهم تراجع بعد فقدان مكانة مدينة بجاية في ذلك العهد.

أما في القرى، والمناطق الداخلية الجبلية، فإن اليهود المتميزين بالمهارة في صناعة الحلي والجواهر قد استقروا ببعض القرى الداخلية، متخذين من منازلهم ورشات لهذه الصناعة، كما هو الحال بالنسبة لعرش بني يني بزواوة الغربية، وبني عيدل[5] وبني وغليس بزواوة الشرقية، وهي الظاهرة التي استمرت إلى فترة الاحتلال الفرنسي فتفرقت هذه الأسر اليهودية واندثر نشاطها[6].

وهناك إشارات في المصادر، والمراجع الأخرى، إلى الأعمال التي كانوا يمارسونها كالفلاحة، وتربية الحيوانات أو المتاجرة بها. وهو الأمر الذي ذكره مالتسان (*Maltsan*) في بداية الاحتلال عندما زار مدينة بجاية[7].

---

[1] – عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر لميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2006، ج 01، ص 18–19.

[2]-(F.D) Haëdo, Histoire des rois d'Alger, trad. Française de H.de Grammont, Alger, 1881, pp 92-95.

[3] – مالتسان، المرجع السابق، ص 113.

[4] – المصدر السابق ص109 .

[5]- عن عرش بني عيدل، وغيره من أعراش المنطقة، أنظر:

- Louis Rinn : le Royaume d'Algér sous le dernier Dey, Présantation de Abd errahmane Rebahi, Editions Grand Algér Livres,2005, p159.

[6]– تروي الرواية الشعبية، بأن هناك تواجدا لبعض العائلات اليهودية، في قرى بني عيدل. غير أن هذه العائلات المشتغلة في صناعة الفضة، قد انقطعت الأخبار عنها، وهاجرت المنطقة دون العودة إليها مرة أخرى.

[7]– مالتسان، المرجع السابق، ص 116.

ولعل العامل الذي ساعد، في توغل العنصر اليهودي داخل المجتمع الجزائري في منطقة زواوة هو إتقانهم للغات البحر المتوسط، ومنها الزواوية(القبائلية)، بفعل الاحتكاك بالسكان الذين يتعاملون معهم. وكذلك طبيعة النشاط الاقتصادي الذي كانوا يقومون به، والذي يتشابه إلى حد كبير بالنشاط الذي يتقنه الزواويون خاصة في التجارة، والصناعات اليدوية[1].

غير أن المعلومات التي توصلت إليها، واستخلصتها من خلال الوثائق الأرشيفية، تبين بأن: الذميين عامة، سواء كانوا من المسيحيين، أو اليهود. لم تكن لهم بالمنطقة عقارات مسجلة بأسمائهم، عكس ما هو موجود في المدن الأخرى كالجزائر العاصمة، أو البليدة، أو وهران، أو غيرها. وتعود أسباب ذلك إلى:

- طبيعة المنطقة الجغرافية الصعبة في تضاريسها، وقلة الأراضي الزراعية فيها.
- طبيعة السكان الذين ينفرون من التعامل مع هذه الطائفة، لكونهم كفارا في نظرهم. فالزواوي، يرفض أن يسب باليهودي رفضا مطلقا، وذلك لشدة كراهيتهم لهذا العنصر الدخيل عليهم، وربما يعود السبب في ذلك إلى مكرهم وخبثهم، وهي الصفات التي يمقتها الزواويون عامة . كما أنه يمكن أن يكون السبب في رفض الزواويين للعنصر اليهودي في المنطقة راجع إلى التناقض والتنافس بين الطرفين في الميدان االتجاري.
- طبيعة تواجد الذميين في المنطقة، والمرتبطة بنوعية النشاط الاقتصادي، أكثر منها في الاستقرار بالمنطقة.

وهذه العوامل جعلت استقرار اليهود في المنطقة قليلا جدا، والسكان يعاملونهم معاملة سيئة ويكنون لهم العداء[2]. غير أن الباحث في هذا الطرح، يجد تناقضا بين ما ذهب إليه مارمول والواقع المعاش، لكون الجزائر عامة رحبت بالمهاجرين الأندلسيين بمن فيهم اليهود، ومن بين المناطق التي استقبلت هؤلاء الوافدين منطقة زواوة، خاصة منها المدن الساحلية كتقزرت، ودلس، وأزفون، وبجاية.

إن التنوع البشري الذي عرفته المنطقة، قد خلف أثارا ونتائج على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، والفكرية في أوساط المجتمع المحلي، نذكر منها:

---

[1]- Jean MORIZOT :L'Algérie Kabylisée point de vue d' un colonialiste, Préface de Pierre RONDOT, EDITION AT-TABYIN_ALJAHIDHIYA,2001,p p 60, 61

[2]– كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 375.

– الصراع العنيف الذي نشب بين فئتين من السكان تمثلان رأس التنظيم الاجتماعي في المنطقة وهما:

– **فئة العلماء:** وأقصد بهم أولئك الذين تأثروا بالنهضة الإسلامية، وعملوا على ترسيخ التعاليم القرآنية الصحيحة فوقفوا في وجه الأعراف والتقاليد التي ابتدعها البعض، والتي تتعارض مع النصوص الشرعية كالميراث والاختلاط وغير ذلك من الجوانب التي تخالف النصوص الشرعية. ومن بين الذين عملوا على مواجهة هذه المظاهر: الشيخ الورثيلاني في القرن 12هـ/18م[1].

– **فئة المرابطين والطرقيين:** الذين وقفت السلطة إلى جانبهم، وآزرت أفكارهم – خاصة في العهد العثماني – بغية استمالتهم، واستخدامهم كأداة لتحقيق مآربهم وأغراضهم، وهم بمثابة وسيلة تستعين بهم في إخضاع المنطقة، فانتشرت الطرق الصوفية بالمنطقة، وأصبح للتصوف تأثير في مختلف جوانب الحياة.

وبفعل هذا الصراع الفكري داخل المجتمع، انعدم التوازن بين الإرث الحضاري للسكان، وما جاءت به الشريعة الإسلامية[2].

– انقسام سكان المنطقة إلى فئتين متباينتين، القبايل والمرابطين، وهو التقسيم الذي ساعد على بروز الصراع الطبقي داخل المجتمع الزواوي[3].

---

[1]– الورثيلاني : المصدر السابق: ص 701، 702.

[2] –(A) Mahé : op cit, p:10.

[3]– حول هذا الصراع انظر: ابن تونس مخلوف سجية : المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل – تحليل نفسي واجتماعي، رسالة لنيل شهادة الماجستير – جامعة الجزائر 1998/ 1999.

الباب الثاني:

العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية بالمنطقة

مقدمة الباب

الفصل الأول: العوامل السياسية.

الفصل الثاني: تأثير الحياة التعليمية في المنطقة

الفصل الثالث: تأثير الحياة الروحية في المنطقة

خاتمة الباب

لقد تركت العوامل الطبيعة، تأثيراتها في سكان المنطقة، فجعلتهم يميلون إلى حب الحرية، ويسعون إلى الاستقلال عن أية سلطة سياسية منذ القديم. فالسكان لا يرضون بالأجنبي، خاصة إن كان غازيا محتلا لبلادهم، سالبا لحرياتهم، لأنهم اعتادوا العيش الطليق[1]. وما تسميتهم بالأمازيغ إلا دليل على ذلك. إذ ذهب أحد الباحثين إلى تعريف الكلمة بكونها تعني الرجال الأحرار. والآخر قد فسر الكلمة بالسادة النبلاء[2].

وعلى كل، فإن الزواوي يحمل في نفسه شعورا قويا بالاستقلال[3]. عن السلطة السياسية منذ القديم، وظلت كذلك إلى أن هبت على البلاد المغاربية شوارق الفتح الإسلامي، فانضم السكان إلى فلول المجاهدين بعد استيعابه لمقاصد الإسلام ، وساهموا في نقل الإسلام إلى أوروبا، بل شاركوا في التفاعلات الدينية والحضارية التي عرفتها الدولة الإسلامية.

وفي عهد الفاطميين الذين تمكنوا بفضل الجيش الكتامي، من تأسيس ودخول القاهرة[4]. وهو الحدث البارز الدال على بداية التفاعل الحضاري والسياسي بين المغرب الإسلامي والمشرق[5].

استمر هذا التفاعل إلى غاية بداية قيام الإمارات المحلية، سواء في عهد الحماديين الذين اتخذوا مدينة بجاية عاصمة لهم بعد القلعة في عهد الناصر بن علناس. أوفي عهد الموحدين الذين كانت المنطقة خاضعة لهم.

إلا أن أفول الحكم الموحدي من شمال إفريقيا، جعل بلاد المغرب تعرف انقساما سياسيا، وتجاذبا على السلطة دام مدة قرن كامل[6]، انتهى بانقسامه إلى ثلاث إمارات متصارعة فيما بينها، فكان المغرب الأوسط محل تجاذب وتصادم بين القوى المتصارعة.

---

[1]– مارمول : المصدر السابق، ص377.

[2]– الحسين بن الشيخ أث ملويا: القانون العرفي الأمازيغي، 3ج ، دار هومة، الجزائر 2000 ، ج1 ، ص27

[3]– شالر، المصدر السابق ص 116

[4]– موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ش. و. ن. ت. الجزائر 1979 ، ص 458 – 476.

[5]– نفسه ص 480.

[6]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق ج2 ص7

الفصل الأول:

العوامل السياسية في منطقة زواوة قبل القرن العاشر الهجري/ 16م:

لقد كانت المنطقة مقسمة بين بنو حفص[1]، الذين كانوا يحكمون الجهة الشرقية منها، متخذين في البداية بجاية قاعدة لإمارتهم الغربية[2]، وبنوا زيان[3] الذين يشرفون على الجهة الغربية من منطقة زواوة مباشرة، أو من خلال إمارة الثعالبة التي كانت تحكم متيجة وضواحيها. وهذا ما جعل المنطقة محل صراع بين الدولتين الحفصية والزيانية مدة من الزمن منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ 13م[4].

إن الأحداث السياسية المتعاقبة على المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة زواوة خاصة، جعل سكانها يتشبثون أكثر بتنظيماتها الخاصة، والتي توارثوها عبر الأجيال والعصور التاريخية السابقة، والتي تقوم على كون السلطة السياسية تمثلها القبيلة، أو العرش، أو القرية. مما جعل الولاء السياسي يكون لشيخ القبيلة أو الأكبر سنا في العائلة[5].

ومن نتائج ذلك أن القانون العرفي لا يعترف بالحدود الجغرافية للقبيلة، أو العرش، خاصة إذا تعلق الأمر في البحث عن الموارد الحياتية الشحيحة التي تتوفر عليها المنطقة[6]. والتعدي عليها كثيرا ما أدى إلى اندلاع الحروب بين الأعراش.

لقد تضافرت مجموعة من العوامل الطبيعية، والسياسية على بروز القوانين المستمدة من عادات وتقاليد السكان، وهي القوانين العرفية التي تسير شؤون المنطقة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وهي القوانين التي عرفت تطورا مع مرور الزمن [7]. وتحولت إلى تنظيمات سياسية تسير عليها القرى، أو القبائل أو الأعراش، وهذا ما أثر سلبا في عدم بروز تنظيمات إدارية، وسياسية حديثة في منطقة الزواوة، فبقي السكان يعتبرون الأسرة بمثابة

---

[1]– تنسب الدولة الحفصية إلى: زعيم قبيلة هنتاته المصمودية، التي كان أبناؤها، ولاة الموحدين على تونس، وبضعفها استقلوا بالحكم في عهد أبي زكرياء يحي (625/1228– 649/ 1251) أنظر عنها: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون...ص 1695 وما بعدها.

[2]– الجيلالي: المرجع السابق، ج2 ص308.

[3]– تنسب هذه الدولة إلى زيان بن ثابت. وهم من قبيلة بني عبد الوادي، إحدى بطون زناتة. حولها أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ص 1842 وما بعدها.

[4]– الجيلالي: المرجع ، ج2 ص 18.

[5]– بيل: المرجع السابق، ص 52.

[6]– ساحي : المرجع السابق، ص 18.

[7] –Marcel Planiol, Traité élémentaire de droit civil, L.D.J, Paris, 1950, T1, pp 50-51.

الخلية الأساسية في النظام السياسي المحلي ويسيرها الأب، أو الأكبر سنا فيها. والقرية تكونها مجموعة من الأسر أو العائلات، وتسييرها يكون من طرف الجماعة(ثاجماعث)، التي تضم جميع البالغين، الذين يترأسهم رئيس، أو أمين يفرض نفسه إن كان مؤثرا[1].

ومن هذا، يظهر نوع النظام السياسي السائد في المنطقة، والذي يشبه إلى حد ما الأنظمة الحديثة، رغم كونه نمطا تقليديا. غير أن معالمه تجعله حديثا، لما يتضمنه من حرية الرأي في مناقشة المسائل التي تعرض عليها، وهو الأمر الذي يؤكد عليه " شالر" عندما وصف نظام الحكم في المنطقة قائلا:" حكومة منطقة القبائل عبارة عن مزيج بين الديمقراطية و الأرستقراطية"[2].

فهذا النظام المبني على الديمقراطية، في معالجة المسائل المشتركة بين أفراد العرش، أو القبيلة، يحمل مظاهر الأرستقراطية فيه، لأن رئيس الجماعة يخضع له السكان بفعل القوة، أو النفوذ اللذان يستمدهما من عصبيته. فالنظام السياسي المتبع في المنطقة مبني على قواعد بسيطة تتلاءم مع طبيعة سكانها[3].

هذا، وقد كتب حول هذا التنظيم السياسي بالمنطقة الأمير نيكولاس بيبسكو " *N – BIBESCO* " يصف هذا النظام قائلا: " إنه نظام جمهوري فيدرالي، دون أن يكون هناك حكم مركزي... ويضيف: بأن الوحدة السياسية والإدارية للمجتمع كانت تمثله القرية – ثادرث – وكل قرية تمثل جمهورية حقيقية مستقلة[4].

---

[1] –Zurcher : op. cit.p 42.

[2]– المصدر السابق: ص 113.

[3] –Rozet et Carette : op., cit.,p, 28 .

[4]– " Les kabyles du DjurDjura, la société kabyle avant la conquête",in, R. M, Impremrie , J.chaye année 1865, T56, p 568.

وعن دور ثاجماعث في تسيير أمور سكان المنطقة أنظر:

- Ch. DEVEAUX: Les kbailes du Djurdjura, études nouvelle sur les pays vulgairement appellis la grande Kabylie, librairie éditeur challimac, Paris, 1859, p6

وكذلك:

-P. Bourdieu: sociologie de l'Algérie que sais je? 6 eme édition, P.U.F, Paris, 1858, pp 18 -19

إضافة إلى:

–هانوتو ولوتورنو: منطقة القبائل الكبرى: العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري، ترجمة: مزيان الحاج أحمد القاسم، منشورات كرجا للطباعة والنشر، الأربعاء ناث إيراثن، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص ص 39...61.

ومهما يكن، فإن هذا النظام السياسي المتبع في المنطقة، يظهر في مجلس القرية، أو الجمعية القروية – ثاجماعث – التي تلزم كل الأطراف بحدود، ومبادئ عامة، تخضع لها في كل الخلافات أو المنازعات إلى فتوى علمائها، وشيوخها ومنظومتها العرفية والدينية[1].

هذه هي الوضعية السياسية العامة السائدة في المنطقة، خلال مطلع القرن التاسع الهجري/15م. فلا وحدة سياسية قوية وحّدت المنطقة، ولا قوة عسكرية قادرة على مواجهة الخطر الخارجي، الذي أضحى يهدد السواحل المغاربية عامة، والمحلية خاصة، فكانت المنطقة مسرحا للتحولات التي عصفت بشمال إفريقيا عامة.

الأوضاع السياسية في المنطقة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري/ 16/19م

لقد كان للضعف الذي آلت إليه الدويلات المغاربية، أثره في غزو الأسبان للسواحل المغاربية عامة، والذين تمكنوا من احتلال عدة مراكز من بينها: احتلال مدينة بجاية في سنة 915هـ/ 1510م[2].

وبعد ذلك استسلمت المدن الساحلية الأخرى، ومنها مدينة دلس، مما جعل المنافذ البحرية للمنطقة تحت السيطرة الاسبانية، فساهم هذا الاحتلال في تراجع دور مدينة بجاية، كما ساهم في تقهقر أهميتها الحضارية. وذلك راجع إلى خروج معظم السكان المسلمين منها[3]. و لجوئهم إلى النواحي الداخلية، والجهات الجبلية القريبة إليها.

كما أن خروج الأمير الحفصي" عبد العزيز" وأخويه بعد فشله في صد الحملة الاسبانية على المدينة[4]. وتوجههم إلى المناطق الداخلية[5] لتنظيم المقاومة، قد زاد في فقدان المدينة لمكانتها الحضارية، وذلك في محاولة منهم لاسترجاع حكمهم ونفوذهم على المدينة. غير أن

---

[1]– ساحي: المرجع السابق، ص 13 .1. أنظر كذلك:

– جمال كركار: العرف والعمل الجزائري وأثرهما في الفتاوى والأحكام، منطقة الزواوة خلال فترة الإحتلال أنموذجا،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2013، ص ص 182، 188.

[2]– مارمول: المصدر السابق، ج2 ص 377 –379.

وعن تاريخ احتلال الاسبان لبجاية يذكر " فيرو" (Féraud) بأن الاحتلال وقع سنة 1509 ، وبقاءهم فيها دام 46 سنة (ست وأربعين سنة). انظر:

–(Ch) Féraud: "Note sur Bougie…",op., cit., P: 45

[3]– مالتسان: المصدر السابق ص 114.

[4]– مارمول: نفسه ص 378

[5]– Ben oudjit: op.cit, p 68.

ذلك لم يتم رغم المحاولات المتكررة التي تزعمها مجموعة من الأبطال والعلماء، والمرابطين، ومن بينهم: الشيخ أحمد بن القاضي[1]من قبل السكان الذين أخرجوا منها، فاحتموا بشعاب المنطقة وجبالها، ولما يئسوا من تحريرها، تفرقوا على مختلف القرى، والجهات الداخلية القريبة إليها[2]. ولم يبق أمام السكان، والمجاهدين والمرابطين في الثغور، ورباطات المنطقة، إلا الاستنجاد بقوة إسلامية قادرة على صد هذا الزحف على كامل المغرب الإسلامي. فتوجهت الأنظار إلى الإخوة بربروس، الذين ذاع صيتهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط. فكاتبهم أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي[3]، الذي وجه لهم رسالة استنجاد ذكرها الأفراني، ومما جاء فيها: "... أن بلادنا بقيت لك ولأخيك – خير الدين وعروج أو للذئب، فأقبل الترك نحوه مسرعين، وجعل هو يحض الناس على إتباعهم والانخراط في سلكهم، دخل الترك الجزائر وتلمسان"[4]. والشيء نفسه بالنسبة إلى الأمير عبد الرحمن، والأمير عبد العزيز اللذان طلبا المساعدة من الإخوة بربروس لاسترجاع ملكهم الضائع[5]. فلبى الإخوة بربروس النداء، وتوجهوا لإنقاذ المدينة، ومعهم حوالي خمسمائة جندي تركي[6]. فوجدوا الأمير " الموفق " ابن الأمير عبد الرحمن، وكذالك احمد بن القاضي بقواتهما، فحاصروا المدينة دون تمكنهم من فتحها، وذلك سنة 918 هـ/1512[7]. فتراجعوا عنها وتوجهوا إلى مدينة جيجل التي كانت محتلة من قبل الجنويين، واتخذوها قاعدة للجهاد البحري ضد النصارى. وفي سنة 921هـ/1515 أعاد عروج الكرة لتحرير مدينة بجاية، غير أنه فشل كذلك في تحقيق هدفه، وبعد عودته إلى قاعدته بجيجل، وجه إليه سكان وأهالي مدينة الجزائر، وأميرهم سليم التومي الدعوة لإنقاذهم، فاستجاب لندائهم وذلك سنة 1516م، وتمكن بعدما هاجم حصن البنيون، أن يعلن نفسه حاكما عليها، بعد اغتيال سليم التومي، الذي ساءت

---

[111] - عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ/2005، ج2، ص، ص 336، 338.

[2] –M. Gaid: op.cit 117

[3]– هو أحد أحفاد القاضي أبو العباس الغبريني ، الذي كان قاضي قضاة بجاية في عهد الملك الحفصي أبي البقاء الذي قتله بسبب وشاية ضده.
حوله أنظر:
– ابن عسكر الشفشاوني : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، الطبعة الحجرية، 1309، ص ص 92 ، 93 .

[4]– محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صححه هوداس، مطبعة بوردين وشركاه - Angers 1888 – ص 17 .

[5] –(S.A) Boulifa :op. cit. pp 140 et 150 – 153.

[6] – (M) Gaid: op, cit, p , 124.

[7] –Haëdo: op.cit, .pp 10 -12.

العلاقة معه[1]. بذلك بدأت الجزائر تعرف تغييرات سياسية جديدة متمثلة في ارتباطها بالدولة العثمانية، وقيام إمارات محلية في جهات عديدة من مختلف مناطق الجزائر، كإمارتي " آل القاضي " بجبال جرجرة، وإمارة " بني عباس " بجبال البيبان[2].

وبعد أن ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، أصبحت منطقة زواوة مقسمة بين بايلك الشرق، وبايلك التيطري، فتارة تابعة لدار السلطان، كما هو حال مدينة دلس، ويسر[3]. إلا أن الملاحظ على الإدارة العثمانية أنها حافظت على النظم السائدة في المنطقة، ولم تدخل أية تعديلات على الحياة السياسية ، بل حافظت على الأوضاع السياسية، والتنظيميات الخاصة بها والتي كانت سائدة فيها من قبل، وتعود أسباب ذلك إلى:

- عدم خضوع المنطقة كلية إلى السلطة المركزية، وهذا ما جعل الأمر عسيرا، في تدخلها لتغيير التنظيمات السياسية، والاجتماعية المحلية القائمة على القوانين العرفية.[4]
- اكتفاء السلطة المركزية، بمحاولات استمالة السكان بأساليب سياسية، أولا، وهذا ما يظهر من خلال سياسة القائد العثماني ببجاية بعد تحريرها، والذي لم يكن نفوذه يتعدى حدود المدينة[5].
- اعتماد السلطة المركزية على مراقبة المنطقة، من خلال الأبراج العسكريةالتي أسسوها، خاصة في النواحي الحساسة منها، كبرج بوغني، وبرج منايل، وبرج سيباو، وبرج دلس، وبرج حمزة، ومجانة[6].

ومن خلال هذه الأحداث يتبين لي بأن:

---

[1]– ابن خروف، المرجع السابق، ص 21.

[2]– نفسه، ص 16.

[3]– سعيدوني: القبائل. ص: 15.

[4]– القوانين العرفية: يعرفها أصحاب القانون بكونها:" اعتياد الناس على سلوك معين في ناحية من نواحي حياتهم الاجتماعية. بحيث تنشأ منه قاعدة يسود الاعتقاد بأنها ملزمة..." أنظر حولها:

– عبد المنعم فرج الصدة: مبادئ القانون دار النهضة العربية للطباعة و النشر لبنان، 1982، ص 88 .

[5] –M. Gaid :op ,cit , p :42.

[6] –(H) Aucapitaine : « Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titerie »,in,R.A, n°9, o.p.u, ALGER, 1865, p 280.

- قدوم الإخوة بربروس إلى المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة زواوة بوجه خاص، كان تلبية لاستنجاد سكانها وأعيانها بهم. ولم يكن احتلالا كما تذكره بعض المراجع الغربية والتي يؤكدها فيرو[1].
- أوضاع المغرب الأوسط عامة، والمنطقة خاصة غير قادرة، على مواجهة التحرشات الأيبيرية، ولا حتى تأمين حالها من أي اعتداء خارجي، أو اضطراب محلي.
- السكان الذين لم يجدوا قيادة محلية يلتفون حولها، مما جعلهم يحاولون تجنب مواجهة الأخطار الأجنبية الخارجية، التي بدأت تحوم حول البلاد عامة حسب رأي مارمول[2].

سياسة السلطة المركزية تجاه منطقة زواوة:

يرجع تاريخ الوجود العثماني في منطقة زواوة إلى سنة 1516م، حيث تمكن خير الدين من أن يدخل مدينة دلس الساحلية، ويضمها إلى المنطقة التي فرض عليها سيطرته، والممتدة من هذه المدينة شرقا إلى مدينة الجزائر غربا[3]. ومنذ هذا التاريخ بدأ العثمانيون ينظرون إلى هذه المنطقة نظرة خاصة، لا من أجل ثرواتها لكونها منطقة جبلية فقيرة، وإنما لقربها من العاصمة، ولموقعها الاستراتيجي، الذي يتوسط الطريق بين بايلك الشرق وبايلك الغرب، فاهتموا بها وعملوا على استمالة القوى السياسية والدينية المؤثرة فيها نحوهم. فتحالف خير الدين في بداية الأمر مع إحدى الأسر النافذة في زواوة الغربية، وهي أسرة آل القاضي[4]. كما تحالفوا مع أسرة أخرى في زواوة الشرقية، وهي أسرة آل عباس[5]. وهاتان الأسرتان قدّمتا دعما كبيرا للأخوة بربروس في حصارهم لمدينة بجاية، كما قدموا لهم دعما آخر في توسعهم نحو الجنوب – تقرت وورقلة – بل حتى في محاولات فتح تلمسان[6].

غير أن هذا التحالف لم يدم طويلا، بل سرعان ما ظهرت الخلافات الجوهرية بين الطرفين، وهي الخلافات التي أدت إلى نشوب مجموعة من الحروب، سواء مع آل القاضي بزواوة الغربية، والتي أسفرت على مقتل سلطان إمارة كوكو " أحمد بن القاضي . حسب ما

---

[1] –Aucapitaine : op.cit, p 196 .

[2] – أنظر عن ذلك : المصدر السابق.

[3] – (E). Watbled « Etablissement de la domination turque en Algérie IN : R.A N° 11 Année 1873, o.p.u, p :356.

[4] – محمد الصغير فرج: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954 ، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر 2002، ص 34.

[5] - M. Gaid : l'Algérie sous Les Turcs. Edition Mimouni, 2eme Edition, Alger, 2002, p 51.

[6] – يحي بوعزيز: ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد) ش.و.ن.ت، الجزائر ،د.ت. ص 46.

ورد في مذكرات خير الدين[1] "عام1527[2]. أومع أمير بني عباس، الذي وقف في وجه التوسع العثماني بناحية زواوة الشرقية[3]. وهذا ما جعل التوسع العثماني يتوقف لمدة قصيرة من الوقت.

وفي عهد حسن بن خير الدين (951هـ/1544م – 958هـ/ 1551)[4]. أولى العثمانيون من جديد اهتماما خاصا بالمنطقة، وكان التقسيم الإداري للجزائر، قد تم في عهده[5]. فقسمت المنطقة فيما بين بايلك الشرق وبايلك التيطري. وبدأت السلطة المركزية تعمل على إخضاع منطقة زواوة بشتى الوسائل، وفي مقدمتها إنشاء الأبراج العسكرية في المناطق السهلية، مما يوحي، وكأن السلطة كانت تهدف في سياستها التوسعية، السيطرة على الأراضي الخصبة التي تعد المورد الرئيسي لمعيشة السكان، خاصة إذ علمنا بأن موقع هذه الأبراج يسمح بمراقبة التحركات السكانية في المنطقة، لكونها تقام فيها الأسواق الأسبوعية. وهذا ما يساعد على استخلاص الضرائب من أولئك الذين يترددون عليها. ولو أن هذه الضريبة في حد ذاتها بسيطة، ولكنها تعتبر في نظر السلطة رمزا للتبعية. وقد ترتب على التوسع العثماني في هذه المنطقة، خاصة السهلية منها، انسحاب مجموعة كبيرة من السكان إلى المناطق الجبلية، فارين من الضرائب التي تفرض عليهم. وهذا ما جعل السكان في المنطقة ينقسمون إلى:

1 – السكان الخاضعين إلى السلطة المركزية، وهم الذين بقوا مستقرين في وادي يسر غربا إلى وادي سيباو شرقا، مما ساعد على تحويل هؤلاء إلى قبائل مخزنية كقبيلة عمراوة وآث قاسي[6].

2 – السكان الممتنعين: وهم المستقرون في المناطق الجبلية سواء في جرجرة، أو فليسة، أو البيبان، أو البابور. فكان لحصانة مواقع هذه القبائل من العوامل التي ساعدتهم على عدم الخضوع للسلطة المركزية، التي حاولت شن حملات عسكرية دائمة ضدها، إما لإخضاعها،

---

[1] - ترجمة: محمد دراج،شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،1431/ 2010، ص ص 128، 129.

[2] –M. Gaid: op ,cit , p :51 .

[3] –Boulifa : op, cit pp 152 -153.

[4]– ابن خروف، المرجع السابق، ص 34

[5] –M. Gaid: op ,cit , p

[6]– فرج: المرجع السابق، ص ص 45 – 47.

أو على الأقل لإرغامها على دفع الضرائب رمزا للتبعية. وهؤلاء كانوا تابعين لسلطة أمير كوكو، أو سلطة أمير بني عباس.

لقد بقي تأثير، ونفوذ أسرة آل القاضي، في زواوة الغربية عامة، وجهات جرجرة الجبلية خاصة، إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري(18م)، وبالضبط إلى حدود سنة 1767م، وبعد ذلك دخل أمراء الإمارة في سلسلة من الصراعات الداخلية، مما أدى إلى انقسام الأسرة إلى قسمين[1]. فاضطر قسم إلى الانضمام والتحالف مع العثمانيين. فقد ورد في المراجع ، أن أحمد بن عمر بوختوش طلب المساعدة من العثمانيين بعد مقتل والده، وكان له ذلك إذ نقلوه إلى تونس، وبعد أن مكث بعض الوقت هناك عند أخواله، عاد إلى الجزائر على رأس فرقة عسكرية، محاولا استرجاع عرش أبيه المقتول[2].

وبفضل المساعدة التي قدمها هذا الأخير إلى العثمانيين، تمكنوا من دخول عدة قرى. كما احتلوا مقر الإمارة القاضوية، فقام " أحمد بوختوش" بنقل مقر إمارته إلى أشلام الواقعة في سفح الجبل.

هذا، وقد استعمل بعض حكام الجزائر الأتراك، أسلوب المصاهرة مع هذه الأسرة. فتوترت العلاقات بين السكان وأمراء المنطقة، مما أثر سلبا على العلاقة بين سكان بعض أعراش المنطقة، الذين تخلوا عن ولائهم للإمارة القاضوية. بذلك بدأ يتراجع التأثير الذي كان لهذه الإمارة على سكان هذه الأعراش.

كما كان لتأثير القوى الدينية كذلك، دوره في الخروج عن طاعة الأمراء، وأحسن دليل على ذلك، الدور الذي لعبه سيدي منصور الجنادي، الذي حرض عرش بني جناد على عدم تلبية طلب أمير كوكو[3].

وبعد أن ثبّت العثمانيون مراكزهم في حوض سيباو، كان بايات التيطري يقيمون ببرج سيباو تارة، وبمدينة المدية تارة أخرى. ونتيجة لاتساع مساحة البايلك وقيام بعض الثورات والانتفاضات في ناحية سيباو، وكذلك في جنوب البايلك، كانتفاضة قبائل أولاد نايل. أصبح من الصعب على الباي التحكم في أوضاع هذا البايلك، وهذا ما دفع بالحكام إلى إعادة

---

[1] –Boulifa :op.cit pp, 213-215.

[2] - HANOTEAU ET LETOURNRUX : op., cit. T2. pp : 4 -5.

[3] – رسالة الشيخ سيدي منصور الجنادي أنظر: - Boulifa , op.cit pp 410

النظر في التقسيم الإداري لبايلك التيطري، وتقرر فصل منطقة يسر، وسيباو عن بايلك التيطري، وتحويلها إلى قيادات، ثم ربطها إداريا بالجزائر تحت قيادة آغا العرب مباشرة، وكان ذلك التقسيم في سنة 1775م.[1]

أما عن الأساليب المتبعة في إخضاع المنطقة فتتمثل في:

أ – استمالة بعض القبائل المحلية، وتحويلها إلى قبائل مخزنية: اتبعت السلطة المركزية هذه الوسيلة، خاصة في المناطق السهلية، وأمثلة ذلك:

– استمالة قبيلة قشطولة: والتي كانت من قبائل الرعية، والواقعة في ناحية بوغني[2].

– استمالة قبيلة نزليوة: القاطنة في أعالي وادي يسر، وهي القبيلة التي كانت تشكل مع رجال قشطولة فرق الصبايحية، والتي وضعت تحت تصرف قيادة بوغني المشرفة على الأعراش التالية: قشطولة، و بني صدقة، وبني عبد المؤمن، وقسم من معاتقة[3].

وباستمالة هذه الأعراش، تمكن العثمانيون من فتح الطريق السلطاني الذي يربط مدينة الجزائر بقسنطينة مرورا بجسر بني هني[4].

– استمالة قبيلة عمرواة: والتي كانت تقيم في أعالي وادي سيباو، وقد تمكن العثمانيون من استمالتها، وأصبحت تشرف على سهل سيباو، إلى الغرب من تيزي وزو. هذا وقد استعان العثمانيون في إحلال الأمن بهذه الناحية بجلب فرق العبيد، الذين كانوا في عين الزاوية، بالقرب من برج بوغني إلى برج سيباو. وعرف عدد فرق الزمالة ارتفاعا ملحوظا في عهد الباي محمد (1746 – 1754)[5]. خاصة بعد أن أسسوا مستوطنة لهم بعبيد شاملال، فأسندت

---

[1] –(M) Guin: "Guechtoula, guerre entre cheikh Gacem et son fils Ramadan" , in R.A, N° 5, Année:1861, o.p.u, Alger, p 308

[2] –(M) Guin: " notes historiques sur les Nezlioua, cercle de DRA EL MIZAN", in, R.A , N° 6 , Année, 1862, p 424.

[3] –(J.N) Robin, " le Bey mohemed ", in R.A, N° 17, o.p.u, Alger, 1873 , p 267.

[4] –(A) Berbrugger : Les époques militaires de la grande Kabylie , bastide libraire- éditeur Alger, 1857,p 125.

[5] – الباي محمد (1746 –1754) : هو محمد بن علي، الملقب بالسفاح: يعتبر من القادة المشاهير الذين تعاقبوا على برج سيباو، ولد بالبليدة في بداية القرن الثامن عشر، وتعلم بزاوية آيت عمار بعدني، وهي قرية من قرى بني إيراثن. وقد تم تعيينه قائدا على سيباو في 1737 خلفا لعمه حسين بن عثمان خوجة، وقد صاهر سي أعمر بوختوش المنتمية إلى آل القاضي . انظر حوله:

–Robin (Joseph Nil) : « Notice sur l'histoire et l'administration dans la grande kabylie » in, R.A, 1864, p p 61, 65.

– محمد الصغير فرج : المرجع السابق ص ص 40 –41.

لهم مهمة حماية الطريق الرئيسي الذي يسلكه الجيش العثماني، من برج تيزي وزو، إلى جمعة الصهاريج مرورا بمقلع[1].

ب – الاستعانة بالقوى الدينية: لم تتوقف الأساليب المتبعة في إخضاع المنطقة على أسلوب واحد. بل تعدى ذلك إلى الاستعانة ببعض المرابطين، والشخصيات التي لها تأثير روحي على السكان في المنطقة، مقابل منحهم بعض الامتيازات، مثل بناء المساجد، ومنحهم الهبات، والأراضي الزراعية لزواياهم[2]. بالإضافة إلى تكليف بعض من أفراد هذه القوى بجمع الضرائب والغرامات من قبائلهم. وقد كانت هذه الظاهرة أكثر انتشارا في حوض وادي الساحل (الصومام) التي يظهر فيها تأثير القوى الدينية واسعا[3].

وهذا الأمر هو الذي جعل الحكام يستعينون ببعض القوى المحلية المؤثرة، كأولاد أورابح وابن على الشريف، وأولاد مقران[4]. وبواسطتهم تمكنوا من استمالة المنطقة.

ولقد انتبه العثمانيون منذ البداية إلى الدور الذي يلعبه المرابطون خاصة، والقوى الدينية عامة في المنطقة. مما جعلهم يحاولون التقرب إليهم، ونيل ودّهم وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات و أثمنها[5]. و ذلك من أجل استمالة هذه القوى بمنطقة زواوة، والتي أصبحت سندا قويا ومعينا لهم في المرور بالمنطقة. حيث تذهب بعض المصادر التاريخية إلى القول بأن: " الدولة العثمانية لا تستطيع المرور بجبال البيبان، وجرجرة دون أخذ ضمانات، وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة. أمثال الشيخ مولود من بني يجر، وشيوخ شلاطة في إيلولة أسامار[6].

ج – الحملات العسكرية: من الوسائل التي استعملها الحكام العثمانيون، في إخضاع بلاد الزواوة شن الحملات العسكرية، ففي زواوة الغربية شنت السلطة المركزية مجموعة من الحملات العسكرية على مختلف قبائل الناحية ومن أهمها:

---

[1]–TAUXIER :" une expédition des turcs contre les flissa" in R.A N° 19, o.p.u, Alger, Année 1875, p 335.

[2]– أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926 ـ1246هـ /1519ـ1830م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 245 – 247.

[3] –(J.N) Robin : le Bey Mohamed …, p 205.

[4] –(ch) Féraud : « Notes sur Bougie»,op.cit, p 299.

[5]– خوجة: المصدر السابق، ص، 111.

[6] –Féraud (Ch), Exploitation des forets de la Krasta dans la Kabylie orientale sous la domination turque IN , R.A, N° 13, o.p.u, Alger, Année 1869, p 36 .

1 – حملة الباي محمد بن علي على المنطقة: تعتبر من أشد الحملات العسكرية، التي شنها العثمانيون على بلاد الزواوة، وذلك سنة 1167هـ/53– 1754[1]، والتي قادها الباي محمد الذي عرف بمحمد الذباح، والذي حقق مجموعة من الانتصارات على أعراش ذراع الميزان، وبني دوالة، وبني واقنون، غير أنه انهزم عندما تقدم نحو المنطقة الجبلية محاولا إخضاع بني ايراثن، فوقعت معركة بين الطرفين أسفرت عن مقتله[2]، وبذلك توقف التوسع العثماني في المنطقة، ولم يتمكنوا من مد نفوذهم نحو القبائل المتحصنة في جبال جرجرة [3]، والمناطق الحصينة الداخلية.

2 – الحملات العسكرية التي شنتها السلطة المركزية على قبائل" فليسة " وذلك نتيجة موقعها، الذي يعتبر بمثابة جبهة أمامية لقبائل زواوة الغربية عامة، وأهم الحملات التي وجهتها السلطة المركزية إلى هذه القبائل حملة 1181هـ/ 1767م التي وقعت في عهد الداي محمد بن عثمان (1180– 1206هـ/ 1766 – 1791م). وقد تم تجنيد حوالي إحدى عشر ألف محارب بقيادة الآغا، إلا أن الحملة منيت بالفشل، وفي السنة الموالية (1182هـ/1768م) جهز الداي حملة ثانية، وأسند قيادتها إلى باي قسنطينة بمساعدة باي التيطري، ولكنها فشلت مثل سابقتها، وقد قدر عدد قتلى هذه الحملة حوالي 1200 قتيل في الجيش العثماني، وحوالي ثلاثة آلاف 3000 قتيل في صفوف أهالي المنطقة[4].

وكانت هاتين الهزيمتين، من العوامل التي ساعدت على ظهور حركات تمردية أخرى في المنطقة، خاصة تلك التي تجددت في عهد الداي أحمد (1220–1223هـ/1805–1808م)، حيث استغلت قبائل فليسة، انشغال الداي بتجهيز حملة عسكرية لغزو تونس. فأعلنت القبيلة الحرب على الحكومة المركزية، ولكنها تمكنت من استمالتها إليها ولو لمدة قصيرة، حيث ثارت مرة أخرى سنة 1230هـ/1814م[5]. ولكنه توصل بعد فترة وجيزة إلى إبرام معاهدة سلم مع القبيلة، والتي تنص على إعفاء قبيلة فليسة من الضرائب، بل يكتفون بدفع مبلغ رمزي

---

[1] –Robin, op.cit, p 141.

[2] –(H) Aucapitaine : « une expéditions turque aux beni – rathen » IN :R.A N° 20, o.p.u, Alger, Année 1876 p48.

[3] –Robin : la grande Kabylie sous le régime turc, presentation et notes de Alain Mahé, Edition Bouchene, Paris, 1998, p 69.

[4] –(v) De paradis : op.cit, p, 229.

[5] –(j.n) Robin : Notes sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie, in, R .A N° 17, o.p.u, Alger, Année 1873 p 140.

للسلطة المركزية، وهي المعاهدة التي لم تكن لصالح أهالي قبائل فليسة. إذ بمجرد أن انتهى الصراع الخارجي، عرفت قبائل فليسة صراعات، وفتن داخلية، وكان ذلك بطبيعة الحال لصالح العثمانيين، الذين كانوا يساندون صفا ضد صف آخر [1].

وبعد هذا الانتصار الذي حققه عرش بني ايراثن. توجه زعيمهم الروحي المرابط (الشيخ أعراب) إلى دار السلطان، فوعد الداي، بأن قبائل بني ايراثن لن تقوم من هنا فصاعدا، بالإغارة على القوات العثمانية المرابطة في سهل سيباو، وأسواقه، ومقلع، وتامدة، وجمعة الصهاريج. وطلب في المقابل من الداي أن يرفع على قبيلته الضرائب، وأن لا تقوم القبائل المخزنية المتمركزة في الجهة بمضايقة أهل قبيلة بني إيراتن، الذين يمارسون الفلاحة في سهل سيباو، وكذا الذين يترددون على الأسواق الواقعة في الجهات السهلية، كسوق سبت علي خوجة بضواحي تيزي وزو. فوافق الداي على هذه الشروط، وعين على قيادة سيباو " مصطفى صفطة " قائدا عليها، مما جعل هذه الأعراش تشهد تحسنا في علاقتها بالسلطة المركزية والتي لم تعرفها من قبل. وظلت هذه العلاقات الحسنة بين الطرفين، حتى تعرضت الجزائر إلى الغزو الفرنسي، فشارك السكان إلى جانب الداي حسين في صد الهجوم، ومقاومة الاحتلال [2].

هذه هي الأوضاع السياسية التي عاشتها زواوة الغربية، خلال هذه الفترة، منذ دخول العثمانيين إلى الجزائر سنة 922هـ/ 1516م إلى غاية الاحتلال الفرنسي في1246هـ/ 1830م.

أما زواوة الشرقية، والتي كانت معظم جهاتها تحت حكم إمارة بني عباس في القلعة، ثم من مجانة، فإنها لا تختلف كثيرا في علاقتها مع السلطة المركزية.

وهي العلاقات التي يمكن تقسيمها إلى فترتين متباينتين هما:

1 – الفترة الأولى: وهي الفترة التي تميزت بتحالف أمير بني عباس، والإخوة بربروس، وذلك منذ محاولة عروج الأولى تحرير مدينة بجاية من الاسبان [3] إلى غاية عودة الأمير عبد

---

[1] –Robin : op,cit p 141.

[2]– Rozet et Carette, op.cit, p 11.

[3] - عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت،1989، ص 45.

العزيز، وصالح رايس (959 - 963 هـ / 1552- 1556م) من حملتها على تقرت، وورقلة سنة 959هـ/ 1552م.

وتميزت هذه الفترة بما يلي :

- التحالف بين خير الدين، وأمير بني عباس: يبدو بأن هذا التحالف، بدأ منذ ظهور الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر المتوسط، و ذلك بفعل وجود خطر مشترك يهدد المنطقة الغربية من العالم الإسلامي عامة، والذي يتمثل في الخطر الصليبي بعد سقوط آخر دويلة إسلامية في الأندلس سنة 898هـ/ 1492م وهم الاسبان.

كما أن العلاقات المضطربة بين خير الدين، وابن القاضي، جعلت الأول يتقرب إلى أمير بني عباس، بعد أن ثار ابن القاضي عليه وتمرده على السلطة المركزية سنة 926هـ /1520م[1]. استغل الأتراك العثمانيون الصراع بين الإمارتين، فتقربوا إلى إمارة بني عباس، واستمالوا أميرها إليهم، وبذلك اتجهوا إلى القضاء على ابن القاضي الذي ينافسهم الحكم[2]. واستطاعوا بفضل هذا التحالف القضاء عليه سنة 934هـ/ 1527م، وهوالذي كان حليفا لهم في بداية تواجد العثمانيين بالجزائر. [3] بل أكثر من ذلك فقد أسند خير الدين إليه حكم الزواوة الشرقية[4]. غير أن سلطان تونس قد تمكن من استمالته إليه، وتأليبه ضد خير الدين[5]. مما جعل العلاقة بينهما تتوتر و تتحول إلى عداء بين الطرفين.

- مشاركة أمير بني عباس إلى جانب حسن بن خير الدينً خلال ولايته الأولى (951 . 958 هـ / 1544 -1551م) في حملته على تلمسان سنة 957هـ / 1550م[6]. وهي الحملة التي تمكن فيها الجيش العثماني، المدعم من قبل جيش بني عباس، في تحقيق أمور عظيمة في هذه الحملة،[7] والقضاء على بقايا الحكام الزيانيين فيها، وذلك سنة 959هـ/ 1551م[8].

---

[1] - E. Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, T 03, Paris, 1891, p 28.

[2]- شويتام، مرجع سابق، ص 247.

[3]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق، نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، رودسي قدور، الجزائر، 1934، ص 60.

[4]- المجهول، غزوات... مصدر سابق، ص 44.

[5]- نفسه، ص 50.

[6]- بوعزيز، ثورة 1871... ص 46.

[7] - مارمول، المصدر السابق، ج 02، ص 386.

[8] - ابن خروف، المرجع السابق، ص 36.

– الوقوف إلى جانب صالح رايس (959 –963هـ/ 1552 – 1556م)[1]. الذي عرف ما للأمير عبد العزيز من قوة ونفوذ، فعمل على ربط الصلة به، وأشركه في حملته على تقرت وورقلة سنة 959هـ/1552م. وحسبً مارمولً فإن الأتراك، لولا مساعدة الأمير عبد العزيز لهم، لما استطاعوا أن يقوموا بهذه الحملة [2]. ولما تمكن صالح رايس، أن يفرض على سكان تقرت وورقلة ضريبة، ظلوا يدفعونها للخزينة خوفا من بطش الأتراك بهم[3]. كما أن هذه الحملة قد عادت بغنائم كثيرة على السلطة المركزية، والتي ذكرها عزيز سامح ألتر، وأعتقد أنه مبالغ فيها[4]، غير أنها كانت على ما يبدو، سببا لبداية الخلاف بين الأمير عبد العزيز، والبايلرباي صالح رايس .

2 – الفترة الثانية: وهي الفترة التي تلت مشاركة صالح رايس في توسعه، نحو الجنوب ، وقد استمرت إلى غاية ضعف الإمارة وانقسامها على نفسها إلى عدة فروع . و اتسمت هذه الفترة، بفسخ التحالف الذي كان قائما بين الطرفين، والذي تعود أسبابه إلى:

– أن الأمير عبد العزيز أمير إمارة بني عباس لم يرض بما ناله من الغنيمة التي عاد بها من الجنوب[5].

– الدسيسة، والوشاية التي أوشى بها حسن قورصو إلى صالح رايس بعد مشاركته في غزو تلمسان واستبسال قواته في هذه العملية[6].

غير أنه، لا يمكن أن أعتبر هذين السببين كافيين لسوء العلاقات بين الطرفين، وإنما أعتقد بأن دواعي هذا التوتر في العلاقات يعود إلى:

– نهاية المعارضة القاضوية للعثمانيين، بعد مقتل أحمد بن القاضي، الذي كان يشكل حدتها في الرفض المحلي للتبعية العثمانية.

وكذلك تراجع التهديد الإسباني للسواحل الجزائرية، قد ساعد على تهديد خير الدين لمنطقة زواوة، وبذلك أصبحت دواعي التحالف المحلية قد تراجعت عامة.

---

[1]- نفسه، ص 100.

[2] - المصدر السابق، ص 386.

[3] – Haëdo, op.cit, pp 86-87. Et:
- Féraud," Les Beni Djelab", in R.A, N°23, o.p.u, Alger, 1879, pp 269-270.

[4]- المرجع السابق، ص 185.

[5]- التر: المرجع السابق ، ص 185. وكذلك سعيدوني، القبائل، ص 14.

[6]- مارمول، المصدر السابق، ج 02، ص 425–426.

قد يكون من الأسباب المساعدة على توتر العلاقات بين الطرفين خاصة وأن صالح ريس كان يرى، بأنه لا يمكن أن يستتب له الأمن في الجزائر، مع بقاء الإمارات المحلية. ولذا رأى من الضرورة إخضاع هذه الإمارات كلها إلى سلطته بالجزائر، وهذا ما جعله يغير علاقته بإمارة بني عباس[1]. لكونه قد تمكن من تأمين الحدود الغربية، بعد القضاء على الزيانيين في تلمسان، وعمل على إضعاف آل القاضي بجرجرة. كما تمكن من وضع يده على الطريق التجاري الرابط بين ورقلة، وبلاد السودان الغربي بعد إخضاع ورقلة[2].

وبعد ما حقق أهدافه، بقيت تواجهه إمارة بني عباس، فعمل على إخضاعها ولو باستخدام القوة العسكرية. وجرد عليها حملة عسكرية ، لم يتمكن من إخضاعها، بعد أن انهزمت قواته في جبل بوني[3]. فقتل في هذه الحملة عددا كبيرا من جنود صالح ريس ، كما قتل أخ الأمير عبد العزيز (سيدي فضال)[4]. مع جمع من قواته وأتباعه. وبذلك دخلت الإمارة مرحلة من الصراع مع السلطة المركزية . فتوالت الحملات عليها من أجل إخضاعها بقيادة محمد بن صالح رايس، ثم حملة أخرى بقيادة سنان رايس، وأخرى بقيادة حسن بن خير الدين، في ولايته الثانية (965-969هـ/ 1557-1561م). لكن شدة المقاومة، ومناعة المنطقة، اضطرت حكام الجزائر بالتسليم لسلطة آل مقران أمراء القلعة. وبنفوذ عائلة آل القاضي على المناطق الجبلية من بلاد زواوة بعيدا عن مجال الحكم العثماني المباشر بحوض سيباو ونواحي بجاية [5]. أما هايدو(Haëdo)، فذهب إلى القول: بأن" حسن بن خير الدين اعترف بأمير بني عباس أميرا تابعا دون أن يكون مجبرا على دفع الضرائب، بل أنه أقام تحالفا دفاعيا معه"[6]. وهو الأمر الذي يؤكده كذلك بوليفة(BOULIFA) من خلال قوله بأن:" الأمير عبد العزيز جهز حوالي اثني عشر ألف رجل ليشارك بهم مع حسن ابن خير الدين في محاولة استرجاع وهران من الاسبان سنة 1563"[7].

[1]_ Boulifa: op. cit. pp:152.153

[2]– ابن خروف: المرجع السابق، ص 101.

[3] – جبل بوني: يقع بالقرب من قلعة بني عباس،ضمن سلسلة جبال البيبان، ويتميز بكثافة غاباته، وصعوبة تضاريسه.

[4]- مارمول :المصدر السابق، ج2، ص387.

[5] –. سعيدوني: القبائل، مرجع سابق، ص 15.

[6] - Boulifa, OP.CIT; P;120.

[7] - I.B.I.D.M,P,P160_163. et: PP278_279.

وظلت العلاقات بين الطرفين على هذه الحالة، رغم تحرير بجاية من الاسبان في 13 ذي القعدة 962هـ/28سبتمبر 1555[1]. إلا أن استمرار أمراء بني عباس في الاتصال بالإسبان، ومحاولة التعاون معهم ضد العثمانيين، جعلت "خضر باشا" بعد تعيينه حاكما على الجزائر فيما بين (1589-1592)، يعمل على إنهاء تهديداتهم، وسيطرتهم على الطريق السلطاني الرابط بين بايلك الشرق، ودار السلطان، وكذا سيطرتهم على سهل مجانة الخصب. فجهز حملة على الإمارة سنة 999هـ/1590م، وفرض الحصار على القلعة مدة شهرين، وتمكن في الأخير من فرض هدنة معهم، والتوقيع على صلح بينهم ينص على: قبول آل بني عباس بدفع ضريبة للسلطة المركزية قدرها مائة وخمسون ألف فرنكا[2]. وبعد ذلك تمكن الأتراك من التدخل في شؤون الإمارة الداخلية، وضربوا صفا بصف، فتعرضت الإمارة إلى التفكك[3].

ومن خلال هذا، يظهر بأن منطقة زواوة المتميزة بتكوينها الجغرافي، وطبيعة تضاريسها، التي تظهر بأن سكانها حافظوا على الإرث الحضاري للمنطقة، وذلك نتيجة انغلاقها، وصعوبة الحياة فيها، قد انعكس كل ذلك على مختلف الجوانب الحياتية فيها .

كما أن طبيعة السكان، وتشبثهم بالأرض، ورفضهم للسلطة السياسية الأجنبية، من العوامل التي ساعدت على صعوبة إخضاع المنطقة للسلطة المركزية، رغم الأساليب المتبعة من قبل الأتراك العثمانيين في جعلها تحت سلطتهم السياسية. إلا أن المنطقة لم تتمكن من تشكيل قوة سياسية موحدة، بفعل الصراع الداخلي، بين الزعامات المحلية من جهة، وكذلك سياسة الحكام الأتراك القائمة على تأييد صف على صف آخر. وهو الأمر الذي حال دون الوصول إلى تشكيل حكم محلي موحد بالمنطقة.

---

[1]– Haëdo, op, cit;PP,92.95.

[2] - Haëdo,o p, cit, pp:213-217. et – MERCIER: op.cit t3,p,p 161_167.

[3] –MERCIER: " LE BACHAGA MOKRANI et les causes de l' insurrection de 1871", extrait du bulletin de la réunion Algérienne,Paris, Beaugecey,imp. J.LAFFARY 19, Août, 1900, pp,11-14.

الفصل الثاني:

الحياة التعليمية في المنطقة

تعتبر الثقافة من بين أهم المظاهر المكونة لهوية المجتمع، والثقافة في منطقة زواوة مزجت بين الإرث التاريخي للمنطقة، والثقافات الوافدة إليها من خارجها، ومن بين الثقافات التي تأثرت بها أيما تأثر، الثقافة العربية الإسلامية التي تجذرت مظاهرها في المنطقة بعد الفتح الإسلامي، وتوسعت معالمها خاصة في الفترة الحديثة. فما هي الخلفية التاريخية للتعليم في المنطقة؟ وماهي أهم الشخصيات العلمية التي ذاع صيتها قبيل القرن العشر الهجري/16م؟ ، و كيف انتشر التعليم العربي الإسلامي في المنطقة فيما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري/ 16-19م؟

التعليم والمؤسسات التعليمية في المنطقة قبيل القرن القرن العاشر الهجري/16م:

يعتبر التعليم من المظاهر الرئيسية في الحياة الفكرية والثقافية للأمم، ولا يمكن التعرفة على الظاهرة إلا بعد معرفة المؤسسات التي كانت تؤدي هذه الوظيفة. وهذه المؤسسات في المنطقة قبيل القرن العاشر الهجري وبعده تتمثل في:

- الكتاتيب الملحقة عادة بالمساجد.
- المساجد المنتشرة في قرى ومدن المنطقة.
- المعمرات (الزوايا) العلمية التي أنشئت بالمنطقة من أجل نشر العلم.

الكتاتيب: عبارة عن بيوتات صغيرة في العادة تكون ملحقة بالمسجد، وتخصص لتعليم الصبيان مبادئ الكتابة والقراءة باللغة العربية، مع تحفيظ السور القرآنية القصيرة لهم[1]، ويشرف عليها إمام الجامع، أو أحد المساعدين له، فالكتاتيب بهذه الصفة عبارة عن دور الحضانة في وقتنا. وبعد بلوغ الصبي سن السادسة، ينتقل إلى المسجد الذي يشرف عليه الإمام مباشرة، وفي المسجد يتلقى التلميذ دروسا في مبادئ اللغة العربية، والحساب، إضافة إلى حفظ القرآن الكريم على شيخ المسجد، أو أحد مساعديه حفظا دون فهم المعاني، وفي أغلب الأحيان يكون الحفظ سماعيا.

[1] - فراد, المجتمع... ، القسم الثاني، ص383.

إن المسجد بهذه الصورة يؤدي دور المدرسة في تحضير الطلبة بغية دخولهم إلى التعليم المتوسط، إذ أن الكثير من التلاميذ يغادرون الدراسة، ويلتحقون بالعمل لمساعدة أهلهم، والقليل منهم الذين يواصلون دراستهم فينتقلون إلى الزوايا المنتشرة في المنطقة أو خارجها.

المعمرات (الزوايا): تعتبر المعمرة (الزاوية) بمثابة المؤسسة التعليمية الرئيسية في التعليم بعد الكتّاب والمسجد، ولما لهذه المؤسسة من الأهمية في العملية، إرتأيت تقديم لمحة عنها في المنطقة قبيل فترة البحث، وخلال الفترة المدروسة.

لمحة حول معمرات (زوايا) المنطقة:

لقد اشتهرت مدينة بجاية منذ العهد الحمادي (460-547هـ / 1067- 1152م) بحركة فكرية، وثقافية نشيطة، فسبقت بجاية غيرها من مدن المغرب الأوسط في احتلال الريادة العلمية، وورثت المدن المندثرة، مثل القيروان، وتيهيرت، وقلعة بني حماد، بل وحتى بعضا من المدن الأندلسية التي بدأت تتساقط في يد الاسبان، مثل طليطلة وإشبيليا وغيرهما من المدن الأنلسية التي لجأ علماؤها إلى بجاية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى صقلية التي سقطت في يد النورمان، فأضحت بجاية العاصمة العلمية للمغرب الأوسط دون منازع[1]. وتحولت المدينة إلى مركز ثقافي ممتاز، امتزجت فيه الثقافة الإفريقية بالثقافة الأندلسية، وكان الجامع الأعظم هو ينبوع هذه المعارف، لكونه محط حلقات الدروس، ومجالس الفتوى لفطاحل العلماء الوافدين إلى المدينة[2]، واستمر هذا النشاط إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وهو الشيء الذي تدل عليه الكتاتيب والمساجد، والمعمرات (الزوايا) التي كانت منتشرة فيها، وتخرج منها الكثير من فطاحل العلم والمعرفة الذين نبغوا في علوم شتى، سواء كانوا من أبناء المنطقة كالمشدالي[3]، والوغليسي[4] ، والملياني[5]، وغيرهم. أو من

---

[1] - محمد الصغير بن لعلام: التبادل المعرفي بين منطقة الزواوة ومنطقة تلمسان، الأخذ والعطاء بين علماء زواوة وعلماء تلمسان، محاضرة مقدمة في إطار الملتقى الدولي (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)، غير منشورة

[2] - المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر، جمع وإعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012،ص 233.

[3]- هو عمران بن موسى المشدالي: نسبة إلى عرش مشدالة، ولد سنة 670هـ، وتوفي سنة 745هـ، من أسرة علمية توارثت العلم والفتوى، أنظر عنه:

- الحفناوي: المصدر السابق ج1 ص84..88.

[4]- هو أبو عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، أخذ عنه جماعة من العلماء كأبي الحسن بن عثمان، وأبي القاسم بن محمد المشدالي فقيه بجاية وغيرها. وقد ذكره سيدي عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره " جواهر الحسان "، كما أن ابن الخطيب قال بأنه توفي في سنة 786 ببجاية، أنظر:

- الحفناوي: المرجع السابق ج1 ص 79،78.

[5]- أحمد بن يوسف الملياني: هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث من أعيان مشايخ المغرب... وهو من تلاميذ الشيخ زروق، له مناقب كثيرة، ذكرها:

خارجها كالهواري[1]، والأخضري[2]_ بل حتى من خارج العالم الإسلامي _ مثل العالم الإيطالي ليوناردو فيبوناشي Leonardo FIBONACCI (1170 – 1240م)*' الذي تعلم الرياضيات في مدارس ومؤسساتها التعليمية، وهو الذي نقل الصفر إلى القارة الأوروبية. إضافة إلى رجل الدين الاسباني(ريمان لول Raman Lull)، وكذلك الأديب وعالم الرياضيات والمهندس ورجل الدين الإيطالي (دانتي Dante Alighieri)، صاحب الكوميديا الإلهية (La comédie divin) التي يقال بأنه كتبها بعد أن قرأ (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري أثناء إقامته في بجاية لدراسة الرياضيات[3].

لقد كانت بجاية – قبل القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تعج بالعلماء والفقهاء الذين تركوا آثارا هامة في مختلف العلوم[4]. وهو الشيء الذي رواه أبو حامد الصغير المسيلي الذي قال: " بأن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[5]. بل إن ياقوت الحموي قد ذكر: " بأن العوام والعمى في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري، والمدونة والموطأ والتلقين، ويشرحونها للناس من ذاكرتهم "[6].

فبجاية، قبل القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، كانت مركزا علميا هاما، لا تقل أهميته عن المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي، مثل القاهرة، والقيروان، وفاس. ولكن في أواخر القرن التاسع الهجري/ 15م بدأت تنتشر في المدينة مظاهر الإنحطاط الفكري نتيجة الضعف الذي آلت إليه أوضاع الدولة. وهذا ما يمكن استنتاجه من

– أحمد الصباغ القلعي في: "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ.م.و.ج، رقم:2230، وانظر عنه كذلك:

– الحفناوي، ج1، ص 355–359.

[1]– سيدي محمد الهواري: توفي سنة 843هـ/1439م. تعلم ببجاية، وانتقل إلى وهران التي توفي بها، للمزيد انظر عنه:

– ابن صعد الأنصاري، كتاب روضة النسرين في التعريف بالأشياخ، الأربعة المتأخرين مخ.م.و.ج، رقم 2596.

[2]– عبد الرحمن الأخضري ابن محمد الصغير الأخضري: عالم زاهد ورع، ذو قدم راسخ في المعقول والمنقول، له تآليف عديدة، كان حيا أواسط القرن 10هـ. أنظر عنه:

– الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص72.

* جمعية جيهماب جامعة بجاية.

[3]- ابن لعلام: المرجع السابق.

[4]– أنظر الغبريني: المصدر السابق.

[5]– الجيلالي، المرجع السابق، ج2 ، ص ص، 320–321.

[6] – معجم البلدان، ج3، بيروت، 1957، ص113.

السؤال الذي وجهه العالم البجائي الفقيه أحمد الشريف البجائي إلى أستاذه أحمد بن الحاج اليبدري التلمساني، وهو السوال الذي ضمن حالة بجاية في أواخر القرن التاسع الهجري/ 15م، ومما جاء في السؤال:« ما جوابكم في موضع كثر فيه الظلم والأشرار، وانتشر فيه الباطل والسكر كل انتشار، وذل فيه المسلمون وعز فيه الكفار، وارتفع فيه الجور والظلم، واتضع فيه أهل المعرفة...»[1].

هذا هو حال هذه الحضيرة قبيل فترة البحث، فهاجرها علماؤها الذين انتقلوا إلى القرى الجبلية الداخلية وكذلك إلى تونس ومصر وغيرهما. ومن بين الذين انتقلوا إلى القررى الداخلية الجبلية لمنطقة زواوة العالم الصوفي يحيى العدلي(ت.881هـ/1476م) ، الذي ترك المدينة، وانتقل إلى القرية التي تربى فيها، وأسس معمرة(زاوية) علمية قصدها الكثير من طلبة العلم.

اشتهرت هذه المعمرة (الزاوية) في الناحية، ومنطقة زواوة، بل حتى خارجها، فقصدها العديد من الطبة سواء من منطقة زواوة، أو خارجها، وهي التي جاء ذكرها في قصيدة رثائية لشيخها يحيى العدلي، والتي وضها تلميذه عبد الرحمن الصباغ، وذكر فيها الحالة العلمية، والدينية التي كانت عليها المنطقة في هذه الفترة – أواخر القرن التاسع الهجري، ومما جاء في هذه القصيدة الرثائية واصفا الحالة التي كانت عليها المنطقة:

أتى بعدما غلب الضلال على الورى   وأصبحت الدنيا دُجىً في دُجِنَّةِ
وبعد فساد الدين والناسَ في عَـمَـى   حيارى فلا يُرْجَى لهم بُرْءُ عـلـة
وما منهمُ من يستطيع دفاع مـا قد   حلّ من بؤسٍ وشـدّة صـولة[2]

بعدما بيّن الحالة التي كانت عليها منطقة زواوة عامة وعرش بني عيدل بوجه خاص، عرج إلى ذكر صفات العدلي العلمية، ومكانته الفكرية فقال:

هو العالم السامي به الناس تهتدي   إلى الحق بعد التيه في غير غفلة
هو السيد المشهور بالدين والتـقى   وبالعلم علم الشرع علـم الحقيقـة[3]

---

[1] - المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر، جمع وإعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة، الجزائر،2012، ص 262.
[2] - مخ . ع. بحوزة أحفاد الشيخ البهلولي الورثيلاني. صورت نسخة منها.
[3] - نفسه.

كانت هذه الصفات التي يتصف فيها، سببا في إقبال الطلبة على زاويته، وتحولها إلى قطب علمي في منقطة زواوة خاصة وبلاد المغرب الأوسط عامة، وما يبين لنا ذلك ما جاء في قصيدة مخطوطة يبين فيها صاحبها المكانة العلمية لهذه المعمرة، والتي جاء فيها:

قصدتك أبغ العز والجاه والتقى   وكـــثرة رزق طيب متـراكم

وأطلب علما نافعا أكتفي بـــه   وتقوى تقينا من جميع المحارم[1]

يعتبر مركز تمقرة من بين المراكز الفكرية والثقافية المنتشرة في منطقة زواوة قبيل القرن العاشر الهجري، وهناك مراكز أخرى لا تقل أهمية عن هذا المركز، كمعمرات الملكشيين والوغلسيين والمنجلاتيين، وغيرها، والتي كانت كلها بمثابة المراكز الأساسية التي انتقل إلى عظمها علماء بجاية وفقهائها، ومتصوفيها بعد سقوط المدينة، وتراجع مكانتها الثقافية والفكرية، فإليها وإلى العائلات العلمية التي توارث أبناؤها العلم والفتوى يعود الفضل في انتشار التعليم بمنطقة زواوة بعد سقوط المدينة واحتلالها من قبل الإسبان.

مشاهير بعض علماء المنطقة قبيل القرن العاشر الهجري/16م:

لقد اشتهرت عدة أسماء من العائلات الزواوية التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة في منطقة زواوة خاصة، وخارجها عامة، ومن بين العائلات العلمية الزواوية التي لعبت هذا الدور:

علماء مشدالة: لقد انجب عرش مشدالة العديد من العلماء والمفكرين الذين ساهموا في إثراء الفكر العربي الإسلامي أمثال: ناصر الدين المشدالي المتوفى سنة 731هـ/1330م، وعمران المشدالي (تـ.745هـ/1344م)، ومنصور المشدالي(تـ.770هـ/1368م)، وأبو الفضل المشدالي (ت 864هـ/1459م) وغيرهم من علماء هذا العرش. كان آخر علماء القرن التاسع من علماء مشدالة هو :محمد بن بلقاسم المشدالي الذي توفي سنة 866هـ/1461م[2].

علماء بني منجلات: أنجب عرش بني منجلات العديد من العلما الذين تركوا إسهاماتهم في الحياة الفكرية الإسلامية قبل القرن والعاشر، وبعده. ومن بين العلماء الذين اشتهرت أسماؤهم في بجاية وخارجها قبل القرن العاشر الهجري نجد: العلامة الموسوعي: أبو الروح عيسى بن مسعود المنجلاتي المتوفى سنة 743هـ/1342م، ومنصور بن علي المنجلاتي

---

[1] - قصيدة منسوبة إلى السيد الموهوب أولحبيب، في مدح سيدي يحيى العدلي، مخ بخزانة أولحبيب. صورت نسخة عنها.

[2] - حول هؤلاء العلماء، أنظر:

- محمد الصغير بن لعلام: علماء من زواوة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2013، ص ص: 63، 117، 125

والذي كان حيا سنة 850هـ/1449م، علي بن عثمان المنجلاتي البجائي المتوفى سنة 815هـ/1412م[1]. هذا إلى جانب علماء آخرين برزوا في الحياة الفكرية من هذا العرش بجبال زواوة.

علماء بني وغليس: تذكر المصادر التاريخية العديد من العلماء الوغليسين الذين برعوا في علوم عدة، ومن بينهم العالم عبد الرحمن الوغليسي المتوفى سنة 786هـ/1384م الذي فاقت شهرته الأفاق، والذي ترك مصدرا هاما في الفقه المالكي، والمعروف بالوغليسية[2].

هؤلاء العلماء، وغيرهم من علماء زواوة قد تركوا آثارا، وإسهامات لا يمكن المرور عليها دون الإشارة إلى مساهمتهم في إثراء التراث الفكري الإسلامي عامة، وتكوين أرضية لأبناء منطقة زواوة في فترة تراجع المكانة العلمية لحضيرة بجاية التاريخية.

غير أن الاحتلال الإسباني لمدينة 916هـ/1510م، زاد في تراجع دورها، وساهم مساهمة كبيرة في انتقال علمائها إلى المناطق الداخلية، فأسسوا بها عددا كبيرا من الزوايا التي تعرف في المنطقة باسم "ثيمعمرين"[3].

ظهور المعمرات (الزوايا) في المنطقة وانتشارها:

ليس هناك تاريخ محدد لبداية ظهور هذه المعمرات (الزوايا)، في المنطقة، لكون التعليم كان يتم من قبل في الكتاتيب والمساجد، التي تعد بمثابة نواة التعليم ثم ظهرت المعمرات(الزوايا) التي يصعب تحديد ظهورها، فحتى وإن كان البعض يعيد تاريخ ظهور أولها إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وذلك من خلال زاوية سيدي علي نتغلاط، في حدود سنة 682هـ/1284م[4]، ثم زاوية " سيدي أحمد بن إدريس "، الذي توفي في 760هـ/1358م[5]. بينما أعتقد بأن معمرة سيدي عبد القادر بتفرق، تعد أول معمرة تأسست في منطقة زواوة، لأن ولد سيدي عبد القادر الجيلاني (إبراهيم الجيلاني)، زار بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري/12م.

---

[1] - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر...ص 117.

[2] - نفسه، ص 83.

[3] – جمع كلمة "ثيمعمرث"، وهي كلمة عربية بنطق زواوي. وتعني المكان المملوء والعامر بالذكر وتلاوة القرآن الكريم أناء الليل وأطراف النهار، فهي تكون دائما مملؤة بالطلبة والزوار.

[4] – ساحي: أعلام، المرجع السابق، ص29.

[5] – سي يوسف: مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2000، ص22.

أما في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، فقد عرفت المنطقة انتشارا واسعا للمعمرات، وبشكل ملفت للانتباه. فحتى وإن كانت الظاهرة غير مقصورة على المنطقة فقط، بل شملت معظم العالم الإسلامي عامة، ومغربه بوجه خاص، وذلك نتيجة انتشار عقيدة المرابطين التي رافقها انتشار الزوايا بفعل افتتاح عهد التصوف العلمي[1]. كما تميزت ظاهرة إنتشار المعمرات خلال العهد العثماني، بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى الجبال والقرى[2]. وهو العامل الذي ساعد على انتشار المعمرات (الزوايا) في المنطقة، والتي أصبحت تشتهر بها وفاق عددها ستين زاوية[3]، مهمتها نشر العلم وتوعية السكان.

ومعظم هذه المعمرات (الزوايا) قد تأسست من لدن العلماء والمتصوفين والمرابطين، الذين دفن بعضهم فيها، إضافة إلى بعض شيوخ الزوايا، وطلبتها، مما جعل الاعتقاد عند العامة بعصمة الشيوخ وقداسة الزاوية[4]. نتيجة وجود ضريح مؤسسها داخل الزاوية. وهذا ما جعل المعمرات تكتسب نوعا من السلطة الروحية بين سكان المنطقة، وتعوض نسبيا الغياب الذي تركته السلطة السياسية طيلة العهد العثماني، وهو الأمر الذي يشير إليه أحد الفرنسيين عندما قال:"...تعد (المعمرة) بحكم كونها مؤسسة سياسية مركزا يشع منه النفوذ وينطلق منه القرار"[5].

وظاهرة انتشار المعمرات بالمنطقة وكثرتها، لا تعود في كل الحالات إلى الرغبة في نشر التعليم والعلم، بل هناك تنافس بين العائلات والعروش في الحصول على النفوذ السياسي والولاء الديني، أو المكانة الاجتماعية [6]، فتعددت بذلك الزوايا، وانتشرت بشكل واسع في مختلف النواحي [7]، سواء بزواوة الشرقية، أو الغربية. وكثر المريدون والأتباع الذين رافقوا انتشار المرابطين الوافدين إلى المنطقة من مناطق مختلفة، سواء من الساقية الحمراء[8]،

---

[1] – سعد الله، تاريخ، المرجع السابق، ج1، ص36.

[2] – المهدي البوعبدلي: " الثقافة والتوجيه في الجزائر"، محاضرة في، ملتقى الفكر الإسلامي ، الجزائر، 1970.

[3] – سعد الله: تاريخ الجزائر... ص264.

[4] – سعد الله، المرجع السابق: ص37.

[5] -Eugène DAUMAS ; LA Kabylie Traditions ancestrales, Editions Lumières libres, Bejaia, Algérie, 2010, p p74, 76.

[6] – محمد مايمون: زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي.دورها التعليمي، وتراثها الفقهي وأثرهما في منطقة القبائل،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 2000.2001 ، ص30.

[7] –Ali MERED: Le réformisme Musulman en Algérie de 1925-1940 (ESSAI D'HISTOIRE RELIGIEUSE ET SOCIALE),Edition EL HIKMA, Alger 1999, P60.

[8] – سعيدوني، الزوايا، المرجع السابق، ص05.

أو من أصول تركية، ككراغلة وادي الزيتون، كما هو حال آث واعمر ببني إيراثن، والذين تعود أصولهم إلى كراغلة وادي الزيتون[1].

الأوضاع الثقافية في المنطقة خلال فترة البحث:

إن انتشار المعمرات (الزوايا) في المنطقة خلال فترة الدراسة، ظاهرة هامة ساهمت في نشر التعليم العربي الإسلامي، ولها علاقة وطيدة بظاهرة التصوف والطرقية، التي يصعب الفصل بينهما، وبين هذا الانتشار. كما أن السلطة العثمانية قد ساهمت في هذا التوسع سواء بالمنطقة، أو في غيرها من المناطق الأخرى.

لقد ساهمت مجموعة من العوامل الأخرى في انتشار المعمرات (الزوايا) بمنطقة زواوة بعد القرن التاسع الهجري/15م فألخص هذه العوامل فيما يلي:

1- التأثير الذي تركه سقوط غرناطة بيد الإسبان 897هـ/1492م، وما تركه هذا الحدث على المسلمين عامة في مشارق الأرض ومغاربها، من حزن عميق على ضياع هذا الجزء من العالم الإسلامي. وكذلك احتلال إسبانيا لمجموعة من الثغور المغاربية، إضافة إلى التطور الحضاري الذي بدأت تظهر معالمه عند الأوربيين، فاعتقد الناس بأن ما حلّ بهم، سببه الرئيسي يتمثل في ابتعادهم عن الدين فتغلب الكفرة عليهم. وبذلك أرادوا تدارك الأمر، من خلال العودة إلى تعلم دينهم. خاصة وأن هناك عددا من العلماء، الذين بدؤوا يجوبون البلاد حثا على الجهاد واستنهاض الهمم، وتعميق المعنى الديني في نفوس العامة [2].

2- تأثير انتقال العلماء الذين كانوا ببجاية، إلى المناطق الداخلية، فأسس بعضهم زوايا علمية، في مختلف جهات المنطقة، بداية بزاوية سيدي أحمد بن إدريس، وزاوية الشيخ يحي العدلي، وزاوية الشيخ أحمد زروق، وغيرهم من علماء بجاية، الذين نقلوا كنوزها العلمية إلى الجهات الداخلية المنيعة، ونفذوا وصية الشيخ الثعالبي إلى أحد تلاميذه المقيمين ببجاية[3].

---

[1] – نسبة إلى وادي الزيتون بالقرب من الأخضرية – حاليا– وهي المنطقة التي اتخذها الكراغلة الذين قاموا بمحاولة انقلابية على السلطة العثمانية فيما بين (1629– 1633)، فنفاهم حاكم الجزائر(الأغا) إلى هذه الجهة، ومنها توغلوا نحو منطقة زواوة، ويطلق عليهم إيزيثونيّن. أنظر حولهم:
– شويتام: نهاية...، ص76. وحول هذه الظاهرة أنظر كذلك:
– HANOTEAU et LETOURNEUX : Op.cit, T1, pp 92.94

[2] – العيد مسعود: المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني. في, مجلة سيرتا،ع 10، الجزائر 1998، ص، ص 60–61.

[3] أبو القاسم سعد الله: أبحاث... ص 201–211. وكذلك:
– المهدي البوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، في: مجلة الأصالة، ع 13، السنة 3، 1973، مطبعة البعث، قسنطينة، ص 26.

3- تحول الزوايا المرابطية إلى معاهد للتعليم بالمنطقة، فالزوايا لم تكن بدايتها للتعليم كلية، بل كان منها ما هو مأوى لعابري السبيل ولإطعام الجائعين، أو مراكز أربطة للمجاهدين. غير أن أحداث القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، قد دفع إلى تحول هذه المعمرات – المنتشرة في جهات متعددة من المنطقة – إلى مهمة نشر التعليم، لأن المباني كانت جاهزة. " فلم تتطلب حركة التعليم في الريف وقتا أو عناء لانطلاقها"[1]. ولأن الأرضية كانت مهيأة.

وبذلك انتشر التعليم بواسطة هذه المعمرات، بسرعة في المناطق الجبلية، وفي الأرياف. وهو ما يذكره " ابن مريم " عندما عرف بسيدي عبد الرحمن بن محمد بن موسى الذي أخذ عن علماء زواوة في حدود سنة 929هـ/1523م [2].

هكذا حدث توازن في التعليم بين المدينة والريف[3]، إذ أصبح سكان الجهات الجبلية والريفية يجدون مؤسسات تعليمية تستقبل أبناءهم.

إن انتشار المعمرات في المنطقة، قد ترك تأثيرا كبيرا في سكانها الذين انتشر التعليم بين أبنائهم خلال فترة البحث. ففي هذه المعمرات التي أسسها الخواص من سكان المنطقة وشرفائهم، والمرابطين، والصلحاء. فهو اختيار نابع من رغبتهم ولا دخل للحكومات المتعاقبة فيها[4]، ولا في مراقبة برامجها، أو تموينها، فهي تسير وفق قوانين خاصة بكل زاوية، وتعرف هذه القوانين في المنطقة باسم " السفارة "[5]. وقبل التعرض إلى أنواع المعمرات، وطرق التدريس فيها. وقوانينها، يجدر بي التعرض إلى تعريفها أولا:

تعريف المعمرة (الزاوية): الزاوية في بداية الأمر عبارة عن شكل من أشكال المؤسسات الاجتماعية المعدة لإرفاق الواردين، وإطعام المحتاجين من القاصدين [6]، والبعض الآخر يرى فيها بأنها: "...في الجملة مدرسة دينية، ودار مجانية للضيوف، وهي بهذين الوصفين تشبه الدير في العصور الوسطى " [7]. فهذا التعريف ينطبق على الزوايا الطرقية، كما هو حال

---

[1] العيد مسعود: المرجع السابق، ص61.

[2] – البستان: المصدر السابق، ص129.

[3] – العيد مسعود: المرجع السابق، ص61.

[4] – الزواوي: المصدر السابق، ص117.

[5] - أنظر حول القوانين المسيرة لبعض هذه الزوايا: فراد, المرجع السابق، ق2، ص ص 395...400.

[6] – ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص413.

[7] - (M) DOUMAS et FABAR : La grande Kabylie, libraires à l'université, Royale de France, Alger, 1847, p 238.

زاوية الشيخ محمد السعيد الشلاطي، أو زاوية الشيخ الحداد التي لا تزال دار الإخوان بها قائمة إلى الآن، وهي مخصصة لإيواء الزوار، وإقامة الإخوان بها. أما المعمرات والزوايا العلمية، فإنها مخصصة في الواقع للطلبة، دون غيرهم، فلا توجد محلات لإقامة الضيوف، لكون القرى عادة يكون بها بيت خاص بالغرباء والأجانب، وهي الدار التي تكون قريبة أو ملحقة بمسجد القرية، وتحتوي على مكان للدواب، ومكان خاص باستراحة المسافرين[1]. وإن قصدها عابر السبيل، فإنه ينام في مسجد المعمرة، أو في مكان خاص بعابري السبيل، ولا يختلطون بالطلبة.

وربما هذا التعريف الذي تقدم، جعل هانوتو(HANOTEAU) و لوترنو (LETOURNEUX) يقدمان تعريفا للزاوية، ويحاولان في هذا التعريف التمييز بين المدرسة التعليمية المعروفة باسم " ثيمعمرت " والزاوية. فيرى الباحثان بأنهما مختلفتان، إذ يجزمان بأن هناك عددا من الزوايا لا يوجد فيها تعليم حقا، وأن معظم المعمرات هي بجانب الزوايا، فالزاوية عند القبائل في نظرهما: " قرية يسكنها المرابطون، ويسمونها باللهجة المحلية "ثازاويث"، هؤلاء المرابطون يسكنون حول ضريح، أو قبة "[2].

ومن خلال هذه التعاريف، يمكن استخلاص الفرق بين المعمرة والزاوية، فالمعمرة عبارة عن مؤسسة عامرة بالطلبة، ويدرّس فيها القرآن الكريم وعلومه، والزاوية قد لا يكون فيها التعليم أصلا، وتحتفظ بتسميتها بمجرد وجود المرابطين فيها أو حولها. وهذا ما يظهر من خلال تعريف الدكتور(تركي رابح) الذي يرى بأنها " ...عبارة عن مراكز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر، وفي المغرب الإسلامي عامة[3] ".

وعلى كل، فإن الزاوية في منطقة زواوة، تأخذ معنى يراد به الرباطات، والكتاتيب والجوامع، والمساجد والمدارس والمعاهد ذات النظام الداخلي، وقد تأسست من أجل تحفيظ القرآن الكريم أولا، ثم دراسة العلوم المختلفة ثانيا[4].

فمن خلال هذا، يظهر المعنى العام للزاوية، أو المعمرة، لأن الاسمين بالمنطقة يدلان على معنى واحد[1]. يتمثل أساسا في أماكن تعليم الطلبة بالدرجة الأولى، وتتكون عادة من

---

[1] – الظاهرة سائدة في مختلف الجهات الجبلية، ومازالت إلى الآن، أنظر عنها: – مالتسان: المصدر السابق، ص130، 150.

[2]- Op.cit, T2 , p108

[3] – عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر 1984، ص346.

[4] – محمد الحسن عليلي، لقاء شخصي به يوم 22 نوفمبر 2005، بتيزي وزو.

غرفة للصلاة بها محراب، وضريح لأحد المرابطين، أو الأولياء المتصوفين، تعلوه قبة، وغرفة يتلى فيها القرآن الكريم، وكتّابا أو مدرسة لتحفيظ القرآن واستظهاره، ثم غرفا مخصصة لضيوف الزاوية، وللحجاج والمسافرين، والطلبة، وتلحق بالزاوية عادة " قرافة " تحتوي على قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها [2].

أنواع المعمرات (الزوايا): إن المعمرات (الزوايا) في المنطقة تنقسم حسب وظائفها إلى:

– معمرات (زوايا) تعليمية: وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية المتلاصقة، والتي تتكون عادة من عدة غرف، وحجرات للتدريس، ومسجد، وهذا النوع غالبا ما تكون الأراضي التي أقيمت عليها وما حولها حبسا عليها، ووقفا لطلبتها الذين يتلقون العلم بها[3]، ويقيمون فيها. وهذه التي يمكن تسميتها بالمعمرة، لكونها عامرة دائما بالطلبة.

فهذا النوع من الزوايا يقوم بتعليم الطلبة العلوم المختلفة، وعلى رأسها تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الشرعية المساعدة على فهم القرآن، إلى جانب علوم أخرى كاللغة، والحساب[4]، والتاريخ، وما إلى ذلك من العلوم التي كانت متداولة في ذلك الوقت، وأمثلة هذه المعمرات أو الزوايا كثيرة، لأنها أقيمت وأسست من أجل أداء هذه المهمة [5].

هذا، ونجد بأن هذه الزوايا تأوي إلى جانب الطلبة، أبناء السبيل، والمحتاجين والفقراء الذين يقصدونها من أجل الحصول على مأوى، خاصة الزوايا التي لها طريقة صوفية معينة. كالزوايا القادرية، والزوايا الشاذلية، وعلى رأسها زاوية ابن على الشريف [6]، وزوايا الطريقة الرحمانية. فكانت تقوم، إلى جانب مهمة التعليم، بتلقين مريديها الأذكار والأوراد التي تميزها عن غيرها من زوايا المنطقة [7].

– زوايا الحضرة: فهذا النوع من الزوايا، نجدها لا تختلف كثيرا عن النوع الأول، غير أن بعضها لا يحتوي على الهياكل المختلفة الخاصة بالطلبة، لأنها تكتفي عادة باستقبال

---

[1] – الشيخ محمد الطاهر آيت علجت: لقاءات متكررة معه ببيته، وبزاوية الشيخ العدلي بتمقرة.

[2] – انظر: دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، المجلد العاشر، ص332.

[3] – يوسف نسيب: زوايا التعليم في الجزائر... المرجع السابق، ص 105.

[4] - AISSANI : Op.cit, p10.

[5] – باعزيز بن عمر، الزوايا بالزواوة، في: الشهاب، ج1، جانفي1933، ص ص 14- 15.

[6] - H. Aucapitaine: La Zaouïa de challata excursion chez les Zouaoua de la haute Kabylie, Paris 1860, P25.

[7] – بوعزيز: أوضاع ...، ص19.

المريدين، في فترات معينة لإقامة الحضرات[1] حول ضريح ولي بها، مما جعلها خالية من بيوت الطلبة، اللهم بعض البيوت التي تستخدم لإيواء الزوار القادمين من المناطق البعيدة [2]، وهذا النوع من الزوايا عادة، تقام فيها الحضرات، وترتكب فيها المنكرات من اختلاط النساء بالرجال، فهي قريبة إلى مقامات الزيارة أكثر منها مؤسسات تعليمية.

- كيفية الالتحاق بالزاوية:

إن الالتحاق بالزاوية يخضع لشروط تختلف من معمرة إلى أخرى من معمرات المنطقة، غير أن أهم هذه الشروط يمكن تلخيصها فيما يلي:

- السيرة الحسنة، والرغبة في التعليم.
- حفظ شيء من القرآن الكريم، وعادة يكون في الكتّاب، أو مسجد القرية.
- أن يتصل برئيس المعمرة (الزاوية)، أو شيخها بنفسه، أو مع وليه فقط.
- أن يحترم المقدّم الذي يقدمه فيما بعد لزملائه الطلبة.
- أن يدفع حقوق الانضمام إلى طلبة المعمرة (الزاوية)، والذي يسمى بحق السكن، وتتراوح قيمته ما بين دينار واحد، إلى خمسة دنانير. وبعد ذلك يقدمه المقدم أمام الطلبة الحاضرين، حيث يذكر (ابن زكري) في هذا المقام أن: " هذا الشخص الوارد القاصد للانتظام في سلك أهل هذه الزاوية قد وقع عليه الإجماع على قبوله، وإلحاقه بزمرتكم، فادعوا له بالخير والنجاح"[3].

ويتضرع الطلبة بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى: أن يفتح عليهم. ثم على الطالب الجديد أن يقبل رؤوس كل الطلبة الحاضرين عملا بالعرف، وما أن يبدأ بهذه العملية حتى يتعالى دوي الطلبة بإعفائه (سماح، سماح)، ويعد هذا الطالب الوافد واحدا من طلبة الزاوية، وأخيرا تأتي عملية التسجيل[4]، ويكون منسوبا إلى منطقة سكنه، أو مكان ميلاده، أو قبيلته، أو قريته، ويسبق بكلمة "سي"[5].

---

[1] - الحضرة: مصطلح شعبي يطلق على التجمعات التي تحدث عادة في أماكن محددة، وفي أوقات معينة، وتذبح الذبائح للمريدين الذين يجتمعون في هذه الأماكن محاولين استحضار أرواح الصالحين لمساعدتهم على تحقيق تطلعاتهم، وشفائهم من الأمراض، مستخدمين في ذلك وسائل مختلفة كالألات الموسيقية، والجدبو... وهي عادات قديمة تتنافى مع الشريعة الإسلامية.

[2] – محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص197.

[3] – محمد السعيد ابن زكري:أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1903، ص45.

[4] – علي أمقران: "المعهد السحنوني بالأربعاء بني إيراثن بزواوة"، في: مجلة سيرتا: ع5، رجب 1401هـ/ماي 1981، جامعة قسنطينة ، الجزائر، ص64.

[5] – نفسه: ص65.

وأما مدة الدراسة: فتختلف باختلاف قدرات الطالب وإمكانياته العقلية. كما أن البرامج الدراسية تختلف باختلاف الأعمار والزوايا، والمشايخ الذين يقسمون الطلبة إلى مجموعتين رئيسيتين، وكل مجموعة إلى فئات حسب التصنيف التالي:

المجموعة الأولى: وتضم الفئات التالية:

– فئة المبتدئين (إقداشن): وهم الذين ختموا سورة البقرة، وشرعوا في الإعادة.وعادة يكون هؤلاء من الطلبة الصغار الذين التحقوا بالزاوية، ويقضون في هذا المستوى مابين سنة واحدة إلى سنتين[1]، كما تقوم هذه الفئة من الطلاب بالعمليات المختلفة التي تساعد على السير الحسن للزاوية .

– فئة المنتهين (الطلبة): وهم الذين ختموا القرآن الكريم، ولم يبق لهم إلا الرواية والتجويد.

– فئة المتوسطين: وهم الذين لم يختموا حفظ القرآن العظيم، ولكنهم حفظوا شيئا من أجزائه[2].

المجموعة الثانية: تتكون هذه المجموعة أيضا من ثلاث فئات رئيسية هي:

– فئة الأجرومية وابن عاشر.

– فئة قطر الندى والرسالة.

– فئة الألفية والرسالة، ثم شرح خليل [3] .

ومن خلال هذا التصنيف، والتقسيم يظهر بأن هناك تنظيما لمستويات الدراسة في هذه الزوايا، والذي يتماشى مع عمر الطالب. كما أن هناك تدرجا في البرامج والمواد الدراسية والتي ترتبط عادة بشيخ الزاوية وميوله. لأنه لا يوجد هناك برنامج موحد بين الزوايا حسب علمي، بل هي عبارة عن اجتهادات شخصية مكتسبة. غير أن هناك بعضا من الزوايا المتخصصة في تدريس القرآن الكريم وتجويده فقط، وهي التي يطلق عليها، وتعرف بمراكز التجويد التي من أهمها:

– زاوية الشيخ السعدي بغابة ميزرانة القريبة من مدينة دلس. وهي الزاوية التي مازالت آثارها قائمة إلى اليوم، والتي كانت متخصصة في القراءات القرآنية.

– زاوية آث علي أحرزون بقبيلة بني بترون.

– زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بأيلولة أسامر.

---

[1] - فراد, المرجع السابق، ق2، ص389.

[2] – ابن زكري، المرجع السابق، ص ص، 37–38.

[3] – علي أمقران: المرجع السابق، ص68.

فهذه المراكز الثلاثة، تعتبر بمثابة المراكز الأساسية للقراءات القرآنية في منطقة الزواوة. وهي التي أنشئت من قبل مشايخ أعلام قيضهم الله سبحانه وتعالى لخدمة القرآن الكريم في هذه المنطقة خاصة، وفي المغرب الإسلامي عامة. بعدما بات فن التجويد يشكو نقصا واضحا في الرجال المهتمين به. وتراجعا في عدد القراء بالمنطقة.

وأمام هذه الأوضاع أصبحت الحاجة إلى من يهتم بهذا الجانب العلمي ضرورة – خاصة في تلك الفترة – ومن أجل استدراك هذا النقص، انتقل كل من السيدين: محمد السعدي البهلولي الدلسي، ومحمد العربي الحرزوني البتروني[1] إلى مدينة فاس. حيث سوق العلم نافقة، وبضاعة المعارف رائجة، فقد ظلت هذه المدينة قرونا تعج بالعلم والعلماء، والقرّاء الذين ورثوا فن التجويد خلفا عن سلف. كما أن فاس كانت محط رحال فطاحل العلم المتوافدين عليها من الشرق أو من الأندلس، ففي هذه المدينة تلقيا فن التجويد بمختلف الروايات (السبع والعشر)[2]، على العالم: عبد الرحمن بن القاضي الفاسي[3].

إلى هذين الرجلين العالمين، يعود الفضل في تأسيس المراكز القرآنية المختصة في فن التجويد، والقراءات القرآنية، بالمغرب الإسلامي عامة، وبمنطقة زواوة خاصة. وذلك بعد عودة هذين الطالبين إلى منطقتهما وتأسيسهما للمركزين المذكورين من قبل، وهما: مركز غابة ميزرانة، وسيدي علي أحرزون، اللذين استقطبا عددا كبيرا من الطلبة، وهؤلاء بدورهم أسسوا مراكز في مختلف جهات منطقة الزواوة سواء الشرقية أو الغربية.

مراكز التجويد في المنطقة:

يعد المركزان الأولان بمثابة المراكز الأم للمراكز الأخرى في المنطقة، فمنهما تخرج العديد من الطلبة الذين انتقلوا إلى الجهات المختلفة، ومن بين هؤلاء الطلبة الشيخ عبد

---

[1] - أنظر ترجمتهما في فصل تراجم علماء القرن الحادي عشر هجري/ 17م

[2] – حول القراءات، أنظر: محمد بن أبي القاسم البوجليلي الحسني: التبصيرة في قراءة العشرة، دراسة وتحقيق: حسين وعليلي، دار ابن حزم، بيروت، 2013/1434، وكذلك:

– أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، وقدم له فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، 1999، ص ص 19،17.

[3] - هو الإمام الحافظ الكبير، أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم محمد بن محمد بن أبي العافية، ولد سنة 999هـ/ 1590م بفاس، أخذ العلم عن والده، والعلامة أبو محمد عبد الواحد بن عاشر، وعبد الله السجلماسي، ومحمد الصغير المستغانمي، وأحمد الفشتالي ممن أجاز ابن القاضي عن ابن غازي ، وممن أخذ عنه من الزواويين علم القراءات، الشيخ المقرئ المحقق سيدي محمد العربي البتروني الزواوي، والعلامة المحقق سيدي امحمد السعدي الميزراني. من مؤلفات ابن القاضي: الفجو الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع. توفي رحمة الله عليه في سنة 1082هـ/1671م.

الرحمن اليلولي، الذي أمره شيخه بتأسيس زاويته بمنطقتها الحالية القريبة من زاوية الشيخ أحمد بن إدريس[1]. وغيرها من المراكز التي يوضحها الجدول التالي:

الناحية – القبيلة–	**المراكز المختصة في فن التجويد حسب القرى**
عرش بني يعلى	فرع قرية إغيل حموش. فرع قرية ثيطسث. فرع قرية فوملال. فرع قرية زمورة.
مراكز وادي الساحل (الصومام)	فرع قرية آث أعمر أوزقان ومشدالة. فرع قرية بوجليل ببني عباس. فرع زاوية سيدي أحمد أويحي بأمالو. فرع زوايا بني وغليس.
ناحية فليسة البحرية	فرع قرية ثقابة– بالقرب من رأس سيغلي. فرع قرى وزوايا بني جناد وزكري.
ناحية جرجرة	فرع قرى وزوايا آث إيراثن، وآث يتورغ، وآث يللثين وآث صدقة، وآث يني، وآث عيسى، وآث منجلات، وآث يحي.[2]

إن انتشار هذه المراكز، بمختلف جهات المنطقة، إنما يدل على اهتمام علمائها، ومتصوفيها بنشر هذا النوع من العلم الذي بات يشكو نوعا من النقص في بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي [3]، غير أنه وبعودة العالمين اللذين قصدا المغرب الأقصى، وتأسيسهما لأهم مراكز التجويد في المغرب الأوسط خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، قد ساعد على إحياء هذا العلم، واشتهر الكثير من المقرئين أمثال: الشيخ محمد بن عنتر الحرزوني (ت: بعد 1732/1145)[4]، وكذلك الحسين

---

[1] ابن زكري: المرجع السابق، ص43. وكذلك:

– أحمد ساحي: أعلام من منطقة زواوة (إيقواون1)، مطبعة الثورة الافريقية (د، ت)، ص ص34، 35.

[2]- محمد الحسن عليلي: مراكز التجويد بالزواوة خلال ثلاثة قرون من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القران الرابع عشر الهجري، بحث أعده للنشر، أفادني بنسخة منه.

[3]– عليلي، نفسه.

[4] - أنظر ترجمته في الفصل الخاص بالتراجم.

بن قري اليعلاوي من آل قري، الذين ذكرهم الورثيلاني في رحلته [1]، وعبد الله بن الخراط اليعلاوي (ت 1858/1275) وغيرهم[2].

06- انتشار المعمرات (الزوايا) في المنطقة وأثرها في انتشار التعليم:

إن المتتبع لانتشار المعمرات (الزوايا) في المنطقة، يجد بأنها انتشرت في مختلف النواحي والجهات، فلا تكاد تخلو قرية من كتّاب، أو مسجد، أو زاوية يتعلم فيها أبناء المنطقة مبادئ القراءة والكتابة، مما جعل عدد الزوايا بالمنطقة يتجاوز الأربعين زاوية [3] _ عند البعض _ والبعض الآخر فيذكر بأنها كثيرة [4]، دون إعطاء عدد لها. وبعضهم يعدّ معمرات وزوايا زواوة الغربية فقط، ويحصيها في أربع وثلاثين زاوية [5].

أما الشيخ: محمد الحسن عليلي: فقد صنفها في: الزوايا والمعمرات التي يتجاوز عددها الستين زاوية. وأحصى المراكز الثانوية التي هي بمثابة نواد، وكتّاب والتي يتعدى عددها الثلاثين مركزا، وهي موزعة في مختلف قرى المنطقة. وهناك زوايا ومعمرات يعود تاريخها إلى ما قبل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ولكنها ظلت تؤدي مهامها في هذه الفترة. وهناك زوايا ومعمرات تأسست بالمنطقة في الفترة الحديثة، أي فيما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري، والتي عدّها في حوالي أربع وثلاثين زاوية ومركزا لتعليم القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية.

---

[1]– نزهة الأنظار...، ص34، و ص ص45، 46.

[2]– عليلي، المرجع السابق.

[3]– باعزيز بن عمر: المرجع السابق، ص15، وكذلك:

– سعد الله: المرجع السابق، ج1، صص266،264.

[4] (A) MERAD: op., cit., p60.

[5]– محمد سي يوسف: نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني في، مجلة: أعمال المؤتمر الثالث للدراسات العثمانية "الحياة الفكرية في الولايات الغربية أثناء العهد العثماني"، جمع وتقديم، عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990، ج1-2، ص 193-194.

والجدول الآتي يبين ذلك:[1]

اسم الزاوية	قرن التأسيس	الناحية (الموقع)	المؤسس، الانتماء الصوفي.
معمرة سيدي أحمد بن زروق	10هـ/16م	بني منصور – أذكار	أحمد زروق – الزروقية.
معمرة سيدي أمحمد أومعلم	10هـ/16م	بالقرب من عين الحمام	نفس المؤسس.
معمرة سيدي موسى أويذير	10هـ/16م	أكفادو / سيدي عيش	نفسه – الشاذلية.
معمرة سيدي أمحمد أولحاج	10هـ/16م	آث وغليس	نفسه.
معمرة سيدي محمود الحاج	10هـ/16م	آث عيسى / بني دوالة	نفسه.
معمرة سيدي منصور الجنادي	10هـ/16م	آث جناد	نفسه.
معمرة سيدي أحمد أمسعود	الحادي عشر	إيلولة أوسامر	سيدي أحمد أومسعود.
معمرة سيدي بوبكر الواقنوني	11هـ/17م	قرية الشرفاء بالقرب من تيقزيرت	نفسه.
معمرة سيدي عبد الرحمن	11هـ/17م	إيلولة	أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي
معمرة سيدي عبد القادر		تفرق	يُعتقد بأن مؤسسها هو أحد أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني قادرية.
معمرة سيدي علي أو طالب	11هـ/17م	آث يحي – كوكو.	علي أو طالب أو ابن طالب
معمرة سيدي عمر الشريف	11هـ/17م	جبل بوبراك – دلس	نفسه.
معمرة سيدي محمد السعدي	11هـ/17م	غابة ميزرانة – دلس	محمد السعدي البهلولي الدلسي.
معمرة سيدي أمحمد بن عبد الرحمن	11هـ/17م	آث إسماعيل (بوغني)	أمحمد القشطولي الجرجري –رحمانية–

[1] – عليلي محمد الحسن: معمرات (زوايا) ومراكز وكتاتيب في الزواوة– مشروع كتاب غير مطبوع، أملك نسخة منه.

زاوية لوطا	11هـ/17م	الماين – بني عيدل	سيدي محند اليلمايني
زاوية موسى بن محمد	11هـ/17م	ثينبذار – آث وغليس	سيدي موسى بن محمد بن موسى.
معمرة سيدي يحي	11هـ/17م	الشرفاء – زرخفاوة	نفسه.
معمرة أقلميم	12هـ/18م	أقماظ آث ورثيلان	
معمرة سيدي أحمد	12هـ/18م	بني مروة، آث ايراثن	سيدي أحمد أومنصور.
معمرة الشيخ البشير	12هـ/18م	معاتقة	نفسه
معمرة سيدي بوخالفة	12هـ/18م	بوخالفة – آث بترون	نفسه
معمرة سيدي أبي داوود	12هـ/18م	تاسلنت – أقبو	أحمد بن أبي داوود الزواوي.
زاوية شلاطة	12هـ/18م	شلاطة – أقبو	محمد بن علي الشريف – شاذلية
زاوية مسيسنا	12هـ/18م	صدوق	سيدي الموفق
زاوية سيدي وارث	12هـ/18م	ذراع بن خدة	نفسه
معمرة اسحنونن	13هـ/19م	إغبيرن – آث ايراثن	
معمرة بني حالة	13هـ/19م	ايلماين – آث يعدل	
معمرة بوجليل	13هـ/19م	بوجليل – آث عباس	محمد أبي القاسم البوجليلي رحمانية
معمرة صدوق أوفلة	13هـ/19م	صدوق – آث عيدل	الشيخ الحداد – رحمانية.

هذه هي أهم الزوايا التي تمكنت من حصرها، في الفترة الخاصة بالبحث، والتي زرت بعضا منها، وتضاف إليها المراكز، والكتاتيب، والمساجد، التي لعبت دورا كبيرا في حركة

التعليم بمنطقة الزواوة، والتي أسسها، وأشرف عليها العلماء الذين وهبوا أنفسهم لخدمة العلم، ونشره بين أفراد المجتمع.

والملاحظات التي يمكن استخلاصها من هذا الجدول، تبين لنا العدد الكبير من المعمرات(الزوايا) التي تأسست فيما بين القرن العاشر، والثالث عشر الهجري، وذلك نتيجة:

1- استقرار العديد من المشايخ الذين كانوا يقيمون ببجاية قبل احتلالها، في هذهالمنطقة، وذلك لقربها إلى المدينة، وحصانتها الطبيعية، في انتظار العودة إليها. وهذا ما ساعد على تأسيس هذا العدد من الزوايا بهذه الناحية، خاصة حوض وادي الساحل (الصومام) [1] .

2- انتشار الأشراف – المرابطين – الذين وجدوا في هذه المنطقة بيئة ملائمة لنشرالتعليم وتأسيس الزوايا، خاصة الوافدين إليها من المغرب الأقصى، والساقية الحمراء [2]

3- إقبال سكان المنطقة على تقبل كل من يحمل لواء العلم، خاصة إذا كان من الأشراف، لكونهم ينصاعون للمرابطين والأولياء أكثر من انصياعهم لذوي السلطة والقوة [3].

4- مساهمة مختلف الفئات الاجتماعية_ بما فيها الحكام العثمانيون منهم _ في نشر التعليم بين الأطفال[4].

فهذه العوامل وغيرها قد ساعدت على انتشار الزوايا والمؤسسات التعليمية في المنطقة بصورة كبيرة، خلال هذه الفترة، وهذا ما يوحي بأن هناك علاقة كبيرة بين انتشار ظاهرتي التصوف والطرقية، وانتشار تواجد الزوايا بالمنطقة وتوسعها.

---

[1] – البوعبدلي: الرباط... ص26.

[2] – سعد الله: تاريخ... ج1، ص466.

[3] – ابن زكري: المرجع السابق، ص11.

[4]- أبو القاسم سعد الله: بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830،في مجلة البحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني، تقديم كمال الدين إحسان أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول(إرسيكا) 2000، ص 91.

-التعليم في منطقة زواوة:

أ-**نظرة عامة حول التعليم في المنطقة قبل القرن العاشر:**

تعتبر مدينة بجاية قبل القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي، من الحواضر المغاربية، والإسلامية الهامة في نشر العلم والفكر، وذلك لما تتوفر عليه من الكتاتيب، والمساجد، والمدارس، والمعاهد، التي لعبت دورا كبيرا في نشر التعليم العربي الإسلامي بالمغرب الأوسط خاصة، وحوض البحر المتوسط عامة. وكان لها دور كبير في استقطاب العلماء والفقهاء، من مختلف البلاد الإسلامية مشرقا، ومغربا. فكانت المدينة بيئة خصبة لبروز الفكر الصوفي، الذي ترك آثاره في سلوك المجتمع المحلي، كما أضحى توجها دينيا، وتعبيرا ثقافيا جعل مدارس بجاية ومساجدها أماكن رئيسية يلتقي فيها العلماء والفقهاء، الذين جعلوا من هذه الأماكن الثقافية أماكن للحوار والمناقشة وتبادل الآراء العلمية طيلة القرون التي سبقت القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

فمنذ اتخاذ أبي مدين البجائي (في حدود القرن السادس الهجري)، لهذه المدينة مقرا له، ومركزا لنشر تعاليم الطريقة القادرية، التي جاء بها من المشرق، بعد لقائه الشيخ عبد القادر الجيلاني، وتعلمه عليه بالحرم المكي[1] ، أصبحت المدينة مقصدا للباحثين، ومستقرا للمتصوفين والعلماء من مختلف الجهات والأقاليم. إلا أن الضعف والتدهور الذي آلت إليه الدويلات الإسلامية عامة، والدويلات المغاربية خاصة، وذلك بداية من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، قد جعل دور بجاية يتراجع عما كانت عليه من قبل. فأثر ذلك في انتقال العلماء ورجال الفكر من المدينة إلى الجهات الداخلية الجبلية الحصينة.

فما هو دور سقوط بجاية في انتشار التعليم داخل منطقة زواوة؟ وما هي العلوم الأكثر تداولا في هذه الفترة؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات، تجعلني استعرض:

أولا: حالة المدينة العلمية، قبل تعرضها للاحتلال الإسباني (916هـ/1510م). حيث كانت الحياة الفكرية عامة بها قد بلغت ذروتها قبل الإضطرابات التي عرفتها الدولة

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 ، ص110.

الحفصية، مما جعل البعض يعتبرها بمثابة مكة الصغيرة[1]، وذلك نتيجة الوافدين إليها، وزوارها من أجل لقاء علمائها، وفقهائها، وحفظ المتون فيها. وقد ذكرها الورثيلاني قائلا: " إن بجاية فيها خمسمائة صبية يحفظن المدونة، وأما اللائي يحفظن ابن الحاجب[2] فلا يحصى عددهن إلا الله"[3]. وقد جمعت المدينة بين العلم والولاية، فالعلماء بها متميزون بسعة العلم، مما جعل الشريف التلمساني يصفهم عندما دخلها بقوله: " دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها، كالماء الذي ينبع من حيطانها "[4]. فهذه هي حالة بجاية في القرون الوسطى. غير أن الفوضى التي عاشت فيها حواضر المغرب الإسلامي عامة، في العهد الأخير من حكم الحفصيين في تونس، والزيانيين في تلمسان. بالإضافة إلى تعرض السواحل المغاربية إلى الغزو الإسباني والبرتغالي، مع بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، من العوامل الرئيسية التي فسحت المجال لبعض من العلماء والأولياء والمرابطين، في بلاد زواوة خاصة، وفي معظم جهات المغرب الإسلامي عامة، في أن يملؤوا الفراغ الذي تركه الصراع السياسي بين رجال السلطة، فتحولوا إلى قادة للجيوش في المعارك التي دارت بين المسلمين والنصارى[5].

ومنذ نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بدأت المعمرات والزوايا بالمنطقة تلعب دورا كبيرا في توعية السكان وتثقيفهم، بل عملت على تعميق الانتماء العربي الإسلامي لهم، وذلك من خلال المواظبة على العبادة، وتلاوة القرآن الكريم، وحلقات الذكر التي تقام عادة بشكل جماعي، وفي أوقات معلومة ومعينة. فكان لهؤلاء العلماء والمتصوفين الذين استقروا في مختلف نواحي منطقة زواوة الدور الكبير في غرس المقومات العربية الإسلامية بين السكان، لما لهم من تأثير روحي وولاء شعبي[6]. كما كان للمتصوفين بعد نزوحهم عن بجاية، دور تأثيري هام في السكان، إذ ساهموا في نشر اللغة العربية، وإتمام ما

---

[1] –ROZET et CARETTE : Op.cit, p14.

[2] – ابن الحاجب: هو أبو عمر وعثمان بن عمر المصري، الملقب بجمال الدين (570/646هـ)كان والده حاجبا للأمير عزالدين مسك، وهو من أصل كردي نشأ بالقاهرة، وتعلم بها، ثم انتقل إلى دمشق، وعلم بجامعها، ثم رجع إلى الإسكندرية التي توفى بها.

انظر عنه:

– ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق أحسن عباس، دار صادر، بيروت، 1972، المجلد 3، ص248.

[3] – الرحلة: المصدر السابق، ص28.

[4] – نفسه، ص28.

[5] – سعيدوني: المرجع السابق، ص12.

[6] – عميراوي: المرجع السابق، ص213.

بدأه الفاتحون الأوائل في تعريب الأهالي. فحتى وإن كان هناك من يرى بأن ذلك قد أدخل المنطقة في أزمة كبيرة، بفعل هذا التعريب، إلا أن ذلك كان وجهة نظر استعمارية محضة، حيث يعتبر هؤلاء بأن الفتح الإسلامي للمنطقة احتلالا[1] .

إن الفراغ السياسي الذي آلت إليه المنطقة بعد الاحتلال الإسباني، ساعد العلماء الذين كانوا في بجاية في تعريب المنطقة، ويتضح ذلك من خلال انتشار المعمرات والزوايا التي أنشأها هؤلاء في هذه النواحي، فملأوا الفراغ الذي تركته الفوضى السياسية التي آلت إليها حالة البلاد، وأمثلة ذلك:

– توجه العالم البجائي أحمد بن إدريس[2] إلى المنطقة الجبلية الداخلية، وتأسيسه لزاويته في جبال جرجرة المنعزلة، وبذلك عمل على نقل أحد المراكز التعليمية الهامة والتي كان يشرف عليها هذا العالم من بجاية إلى الداخل، فبدأت النهضة العلمية الصوفية تنتشر في هذه الربوع، وبدأ الطلبة الباحثون عن العلوم المختلفة يتوجهون نحو هذه الزاوية، خاصة وأن شيخها يعتبر من الأعلام البارزين الذين أنجبتهم المنطقة، وساهم في تخرج الكثير من العلماء، والمفكرين أمثال: ابن خلدون، والوغليسي، والمشدالي...[3]

– تأسيس الشيخ العدلي لزاويته بناحية بني عيدل الجبلية، وذلك في الربع الأول من القرن التاسع الهجري، النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي. وهي الزاوية التي تحولت إلى قطب علمي توجه نحوه الكثير من الطلبة، والعلماء، خاصة بعدما اتخذها أحد تلاميذ الشيخ مركزا له يدرس فيه علوم عصره، ويعمل على نشر طريقته الصوفية وهو العالم المغربي " أحمد زروق البرنوسي[4]". وبذلك تحولت هذه الزاوية إلى قطب لكل الباحثين عن العلوم الباطنية، وأقبل عليها ثلة من العلماء، من بينهم: أحمد بن يوسف الراشدي دفين

---

[1] - E.F. GAUTIER : Le passé de l'Afrique du nord (les siècles obscurs du Maghreb) nouvelle édition, petite bibliothèque, Payot, Paris, 1952, p 416.

[2] - أحمد بن إدريس (سيدي وذريس): من علماء القرن الثامن الهجري/ 14م، تضلع في علوم عدة، ومعارف مختلفة، خاصة منها العلوم الدينية، وقد تصدر للتدريس في مدينة بجاية، فتخرج عليه العديد من جهابذة العلم أمثال: العالم عبد الرحمن بن خلدون، وأخيه يحيى، وعبد الرحمن الوغليسي، وتتلمذ عليه أيضا عالم وهران ووليها سيدي محمد بن أعمر الهواري. لقد ترك العديد من الرسائل في مختلف الأغراض، فنقل عنها بعض العلماء كابن زاغو التلمساني، ومحمد المشدالي و ...ابن عرفة التونسي، وغيرهم. انتقل إلى عرش إيلولة بجبال جرجرة فأسس زاوية قصدها الطلبة والزوار من كل فج عميق. توفي ابن إدريس بعد سنة 760هـ/ 1359م. أنظر عنه:
- محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن في ...،ص ص 69، 70.

[3] – ساحي: المرجع السابق، ص 25–27.

[4] - هو: الشيخ الكامل الولي العارف بالله الواصل الصالح الزاهد: أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي، الشهير بابن زروق، ولد بفاس سنة 846هـ/1442م، أخذ عن عدد من علماء عصره في الغرب والمشرق. كما أخذ عنه الكثير من علماء الإسلام، وترك العديد من المؤلفات في التصوف، والفقه، وغيرها. وصفه أحدهم بكونه آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين لعلم الحقيقة والشريعة. توفي بمسراطة سنة 899هـ/1493م. أنظر حوله
- محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت)، رقم 988، ص ص 267،268.

مليانة[1] ، وكذلك محمد الصغير الأخضري، ومحمد علي الخروبي وغيرهم، من الذين كانوا تلاميذ الشيخ زروق[2].

ومن خلال هاذين المثالين، يمكن استخلاص الدور الذي لعبه العلماء الذين كانوا في بجاية قبل سقوطها بيد الاسبان في انتشار المعمرات والزوايا، ونشر التعليم داخل منطقة زواوة. بالإضافة إلى تبسيط الدين للعامة، والسعي إلى غرسه في قلوب السكان، و يظهر ذلك فيما كتبه " دونوفو " (DENEVEU) في بداية الاحتلال عندما قال: " إن المعلمين الأهالي – شيوخ الزوايا – المتشبعين بمبادئ الإسلام، والذين يغذيهم حقد لا هوادة فيه ضد النصارى، ويعميهم التعصب الأعمى، يحاولون دائما أن يلقنوا الجيل الصاعد – الطلبة – هذه المبادئ، وهو الجيل الذي خرج ضدنا وقاومنا"[3]. ونفس الشيئ تذهب إليه الباحثة تيران عندما تعرضت إلى دور الزوايا والمعمرات في مقاومة الإحتلال الفرنسي لكون تعليمات شيوخها السياسية تحظى بثقة كبيرة لدى زوارها[4]

إن هذا الحكم الذي أصدره صاحب هذا الكتاب، يرى بأن مقاومة الاستعمار، كانت ناتجة عن الدور الذي لعبته الزوايا عامة، وشيوخها خاصة، فإنه يبين الدور الجهادي الهام، الذي قام به مؤسسو الزوايا بالمنطقة، وفي مختلف المناطق الأخرى من البلاد. لكونها تعد بمثابة مراكز لتلقين الطلبة، والمريدين، والأتباع، التعاليم الإسلامية المبنية على حب الوطن، وجهاد المحتلين الغاصبين. وبذلك استطاعت هذه المعمرات " أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في حضور الجهل والظلمات " [5]. ونوافق إلى حد ما، ما ذهب إليه هذا الكاتب، لأن النخبة الاجتماعية في المجتمع هي فئة العلماء، والمتصوفين، وهم عادة شيوخ المعمرات، ومؤسسوها.

وبفضل التعليم، الذي كانت تقوم به المعمرات الريفية في المنطقة، سواء تعلق الأمر بالمعمرات (الزوايا) الطرقية، كالزاوية القادرية بتفرق، أو الزاوية الشاذلية بآنو (بني ورثيلان)، أو شلاطة، أو الزوايا الرحمانية ببني إسماعيل، أو صدوق، أو بوجليل أو غيرها، أو تلك

---

[1] – سعيدوني، البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ص179.

[2] - نفسه، ص179، 181.

[3]- DENEVEAU : Les Khouan , ordres relegieux chez les Musulmans de l'Algérie, 3eme éditions, Alger, A.Jourdan, 1913, p109.

[44] - ايفورن تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة والإشراف: مصطفى ماضي،دار القصبة للنشر، الجزائر،2005، ص 132.

[5]– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص375.

الزوايا العلمية التي أسسها العلماء المتصوفون، والمرابطون في جهات مختلفة من المنطقة بغرض نشر التعليم بين الأوساط الشعبية، كزاوية سيدي أحمد بن إدريس، أو زاوية العدلي، أو زاوية ابن أبي داوود، وكذا زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، وزاوية سيدي منصور وغيرها، فإن هذه الزوايا قد عملت على غرس روح الانتماء الإسلامي لأهل زواوة. فجعلت هذه الزوايا المرابطية العلمية، والطرقية سكان هذه الأرياف الجبلية الوعرة، يتأثرون بما يحدث لإخوانهم المسلمين في أية منطقة من مناطق العالم الإسلامي، لأنها غرست فيهم أسس الانتماء الإسلامي، من خلال تعلمهم الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي وثقت الصلة بينهم، وبين إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها. بل أكثر من ذلك، فقد أزالت هذه المؤسسات التعليمية التي كان ظهورها، وانتشارها في المنطقة بمثابة جهاد فكري، قام به العلماء في بداية الأمر، والذين كانوا يبحثون عن الابتعاد على ضوضاء الحواضر، والصراعات السياسية، ففضلوا الانعزال في المناطق الجبلية عن حياة المدن، خاصة في ظل التحرش الإسباني على المغرب الإسلامي، واستيلائه على المدن الساحلية للمنطقة[1]، والذي زاد في اتساع هوة الفراغ الثقافي والتعليمي. فكانت هذه الزوايا بمثابة مراكز رئيسية لنشر التعليم العربي الإسلامي بين السكان[2].

فالطالب المغربي خلال العصر الوسيط، كان يسافر في العالم الإسلامي بحثا عن عالم شهير يقرأ عليه. فأصبح خلال هذه الفترة يجد في بلده، وإلى جواره شيوخا، وعلماء يتوفرون على قسط كبير من العلوم النقلية، والعقلية التي يبحث عنها[3]، فانتشر بذلك التعليم بين الأوساط الشعبية، وبدأت العلوم تخرج من الإطار الحضري الذي كان عليه الحال قبل القرن العاشر الهجري، والذي كان مقصورا على عائلات معينة، غالبا ما كانت شريفة مرابطة. فالزواوي يذكر في سياق ذكره لمحامد زواوة بـ: " اتخاذ كل قرية ذات جماعة صغيرة أو كبيرة إماما ومعلما، ولكن لا يتعلم سوى أبناء الشرفاء والمرابطين[4]".

---

[1] – جون وولف.ب: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص27، وكذلك:

– (F). Braudel:la Méditerranée et le Monde méditerranéen à l' époque de phillipe Π, 1et2, 3eme édition, librairie Armand colin, Paris 1976 T2, p185.

[2]- محند آكلي آيت سوكي: تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها من القرن 10-13 هـ/16-19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 153-.

[3]– الفرد بل، المرجع السابق، ص413.

[4]– المرجع السابق، ص125.

هذا الأمر– أعتقد – بأنه لم يكن حال الزوايا في كل فترة البحث، بل نجد بأن هناك تراجعا لهذه الظاهرة، وذلك نتيجة انتشار المعمرات (الزوايا) وكثرتها. مما ساعد على التآلف والتعايش بين أفراد القبيلة الأشراف المرابطين منهم والعامة[1]. وبذلك بدأت تزول تلك الفوارق الثقافية بين السكان، وأصبح المقبلون على التعلم من كل الفئات الاجتماعية. إلا أن الذين يتمكنون من مواصلة دراستهم، ويتعمقون في العلوم المختلفة – حسب اعتقادي – هم الذين تتوفر لديهم الأسباب، خاصة منها المادية. وعادة ما نجدها أكثر توفرا عند المرابطين الأشراف من غيرهم، وذلك يعود إلى طبيعة المجتمع المحلي الذي كان يعتمد بالدرجة الأولى على الذكور في تحسين الظروف الاقتصادية للعائلة. ففئة الأشراف المرابطين يجدون مَن يخدمهم، ومَن يوفر لهم أساليب الحياة، وضروريات المعيشة اليومية، من طرف الخدام، والطلبة، أو الأتباع والمردين. فيتفرغ أبناؤهم للتحصيل العلمي، مما يساهم في مواصلة دراستهم، ونبوغ بعضهم.

أما الفئة الثانية – القبايل– أو العائلات غير المرابطية، فإنها تحتاج إلى أبنائها في توفير اليد العاملة، من أجل التغلب على صعوبة الحياة في المنطقة. مما جعلهم يوقفون أبناءهم عند البلوغ، أو وصولهم إلى سن تؤهلهم للعمل، فينقطع هؤلاء عن الدراسة.

ومن خلال هذا، يمكن القول بأن: اقتصار التعليم على أبناء الأشراف في المنطقة، مرده جانب مادي أكثر منه اجتماعي، وهو الجانب الذي بدأ يتراجع أثره بعد تراجع اقتصاد الدولة. فأصبح الزواوي يرى بأن: الأسلوب الوحيد الذي يمكن أن يضمن للولد دخلا محترما هو العلم، وهذا ما جعل الزواويين يقبلون على تعليم أبنائهم، فانتشر التعليم بين مختلف فئات السكان، خاصة بعد عودة بعض العلماء إلى قراهم، نتيجة التضخم الذي عرفته الحواضر المغاربية، بفعل كثرة المتخرجين من الجامعات والزوايا المنتشرة في المغرب الإسلامي عامة، فاضطرار بعضهم للعودة إلى قراهم الداخلية الجبلية، جعلتهم يعملون على تأسيس زوايا لتعليم الناس بهذه الجهات[2]، كما هو حال مؤسس الطريقة الرحمانية، الذي لعب دورا كبيرا في نشر التعليم بالمنطقة، بل وحتى المناطق الأخرى، التي انتشرت فيها طريقته التي كان لها عدد من المشايخ والأساتذة الذين نشروا تعاليم الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن، سواء في

---

[1]– سعيدوني: المرجع السابق، ص13.

[2]– الفرد بل: المرجع السابق، ص405.

فترة حياته، أو بعد وفاته أمثال الشيخ أحمد بن الطيب بن صالح الرحموني، الذي " وضع رجزا في الفقه، ظل قضاة جرجرة – ومنطقة زواوة كلها – يستعملونه"[1]، بل أكثر من ذلك، يذكر البعض بأن معظم علماء المنطقة قد تأثروا بالطريقة الرحمانية، سواء في زواوة الغربية، أو زواوة الشرقية، بفعل انتشارها الواسع بين الأوساط الاجتماعية[2]، وتغلغلها بين طلبة مختلف الزوايا المنتشرة عبر المنطقة، حتى وإن كانت هذه الزوايا أقدم من ظهور الطريقة الرحمانية. حيث يظهر هذا التغلغل في زاوية سيدي منصور بتيميزار بين طلبتها، وذلك من خلال بيت شعري لأحد الطلبة وهو الحاج سعيد، الذي يعتبر من ألمع الإخوان الرحمانيين بالناحية، إذ يقول:

إخواني شيخنا سلطان ورْدُنا من محمد بن عبد الرحمن.

وهذا ما يجعلني أعتقد بأن الزاوية تابعة للطريقة الرحمانية. حتى وإن كان مؤسسها لم يكن رحمانيا، بل كان عالما متصوفا، وعاش قبل الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن [3]. و الشيء نفسه بالنسبة إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي. وهو الأمر الذي يتضح أكثر في فترة المقاومة المسلحة للاستعمار الفرنسي، حيث شكلت معظم زوايا المنطقة تحالفا مع الرحمانيين ضد التوسع الفرنسي بالمنطقة[4] .

ب- التعليم في معمرات المنطقة ومستوياته:

لا شك أن التعليم في أي مجتمع من المجتمعات هو مقياس ثقافة هذا المجتمع، والتعليم خلال الفترة العثمانية بالجزائر، كان منتشرا في المدن والبوادي والأرياف، غير أن نوعية التعليم، والطرق المتبعة فيه، والمناهج الدراسية تبقى من أهم المؤشرات التي تعكس مستواه ونوعيته. فمنطقة زواوة لا تختلف عمّا كان سائدا في كامل الجزائر خلال هذه الفترة، سواء من حيث طرائق التدريس، ومناهجه، أو المستوى التعليمي بوجه عام.

طرائق التدريس: كان التعليم في المؤسسات التعليمية بمنطقة زواوة خاصة، وغيرها من المناطق الأخرى عامة يقوم على حفظ واستظهار المتون نظما ونثرا [5]، كما أن معظم العلوم

---

[1]– سعد الله: المرجع السابق، ص516.

[2] – عبد الكريم بوعمامة: بني يعلى. لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(د.ت)، ص52.

[3] – ساحي: أعلام...(1)، ص52.

[4] – يحي بوعزيز: ثورة ، ص239-243.

[5] – العيد مسعود: المرجع السابق، ص62.

المدرسة في هذه الفترة، قد كتبت في شكل أراجيز، حتى تكون عملية حفظها سهلة، فنادرا ما نجد كتابا لا يحتوي على أبيات شعرية، أو لم يكتب أصلا بالقافية. ففي التاريخ نجد: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني[1]، وكذلك التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية[2]. وفي الرحلات نجد: رحلة المجاجي[3] وغيره. فعملية الحفظ للمتون هي الأكثر انتشارا في طرق التدريس، غير أن " الغبريني " يذكر بأن هناك طريقة أخرى حديثة يتبعها بعض الأساتذة (المشايخ) وهي المبنية على الحوار والمناقشة. ومن هذا نجد بأن أهم طرائق التدريس المتبعة:

– الطريقة التقليدية: والتي تعتمد على الإلقاء، دون المناقشة[4]، فالمتعلم يتلقي المعلومات من شيخه، أو مشايخه فيخزنها، ثم يعيد عرضها وطرحها. وهي الطريقة التي أعتقد بأنها الأكثر انتشارا بالمنطقة خلال العهد العثماني، خاصة في المستويات الدنيا، حيث يقوم المعلم (الشيخ) بتحفيظ بعض السور القرآنية للصبيان وكذا تلقينهم مبادئ الكتابة واللغة[5]، ومعظم ما يحفظ لا يفهم من طرف الطلبة[6]. وهذا ما جعل أحدهم يصف مستوى التعليم بقوله: " فكل ما يوفره – التعليم – لا يتجاوز القراءة والكتابة وقواعد الحساب العامة، وحفظ سور من القرآن الكريم وبعض التفسير..."[7].

هذه الطريقة لم تكن محلية، بل كانت الطريقة الأكثر استعمالا في مختلف المؤسسات التعليمية سواء بالمنطقة، أوفي المناطق الأخرى، بل وحتى في المراكز التي كانت تتمتع بشهرة كبيرة ، كما هو حال جامع الزيتونة، الذي يتبع فيه المدرسون الطريقة التلقينية، فيأخذ الشيخ بيتا أو فقرة من المتن، فيقرأ هذا البيت أو المتن، ثم يبدأ في تحليله ومناقشته، وشرحه. وبعد إتمام المقرر لذلك اليوم يكلف أحد الطلبة بإعادة قراءة ما قدمه الشيخ، فيستمع الطلبة الآخرون لقراءة زميلهم، وبعد ذلك يناقش الطلبة ما ورد في الشرح، وهكذا تتم عملية التعليم

---

[1] – كتاب حول فتح وهران الثاني(1792)، ألفه: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، حققه وقدم له المهدي البوعبدلي.

[2]– ألف الكتاب في نهاية القرن الحادي عشر الهجري(17م) من قبل محمد بن ميمون الجزائري، قدمه، وحققه محمد بن عبد الكريم.

[3] – هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، أنظر عنه:

– سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص402.

[4] – المصدر السابق، ص29.

[5] – مالتسان: المصدر السابق، ص134، وكذلك ص114.

[6] - (V). DE Paradis : op., cit. p:14.

[7] – كاثكارت: مذكرات أسير الداي كاثكارت– قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدمها: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص98.

وفق هذه الطريقة في مختلف المواد الدراسية، مع اختلاف بسيط بين الشيوخ حسب مستواهم وتمكنهم في بعض المواد المتداولة في تلك الفترة[1].

– الطريقة الثانية: وهي المبنية على الحوار والمناقشة، والتعمق في الفهم، والتعليل[2]، وهي طريقة كانت تقدم بها الدروس في مدارس بجاية وزواياها قبل الاحتلال الإسباني. وقد أخذ بها بعض العلماء الذين نزحوا منها، وانتقلوا إلى المناطق الداخلية، فعملوا على نشرها – دون شك – خاصة في المستويات العليا. وهذا ما جعل بعض الزوايا تجد إقبالا كبيرا عليها، لنوعية التعليم الذي يقدم بها، فبعض المشايخ لا يقتصرون على ما في الكتب المدرسة من مادة علمية، بل كانوا يثرونها بروافد أخرى من أمهات الكتب.[3]

المناهج الدراسية:

تعتبر المناهج الدينية من أهم المناهج المطبقة في مختلف زوايا ومدارس منطقة الزواوة، وهي الظاهرة المنتشرة في المناطق الأخرى من البلاد، إذ تطغى العلوم الدينية النقلية[4]على العلوم العقلية. فأهم المواد المدرسة في الكتاتيب والمساجد والزوايا تتمثل في تحفيظ كتاب الله تعالى، وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والإنشاء وحفظ المتون الفقهية والنحوية والعروضية والفرضية. وهذا المستوى من التعليم هو الذي كان منتشرا بشكل ملحوظ بين الجزائريين، فهو تعليم ديني بالدرجة الأولى[5] تطغى عليه كتب الفقه على المذهب المالكي، حيث يعتبر مختصر خليل[6] من أهم الكتب الفقهية المتداولة بالمنطقة، هذا إلى جانب العلوم المساعدة على فهم النصوص الدينية كالقواعد، والحساب، والفلك. وماعدا هذه العلوم، لا نجد هناك اهتماما بالعلوم الأخرى، ماعدا علم الأنساب، الذي اهتم به علماء القرن العاشر الهجري(16م) في جميع مناطق المغرب الأوسط، وذلك نتيجة انتشار الأولياء والمتصوفين المرابطين في المغرب الإسلامي، مما جعل الاهتمام بهذا النوع من العلوم يجد إقبالا كبيرا،

---

[1]- علي أمقران: المعهد السحنوني بأربعاء بني إيراثن بزواوة، في مجلة سيرتا، ع 5،رجب 1401/ماي 1981، جامعة قسنطينة،ص، ص 71، 72.

[2] – الغبريني: المصدر السابق، ص29.

[3] – العيد مسعود: المرجع السابق، ص66.

[4] – كاثكارت: المصدر السابق، ص66.

[5] - سعد الله: بعض التحولات... ص 92.

[6]– هو الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى، أبو المودة ضياء الدين الجندي، أحد شيوخ الإسلام، والأئمة الأعلام، الفقيه، الحافظ، المجمع على جلالته وفضله. توفي سنة 776هـ/1366م. من آثاره: التوضيح، شرح مختصر بن الحاجب الفرعي، والمختصر الفقهي. أنظر:

– أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 116، 121. وكذلك:

– ابن مخلوف: شجرة النور الزكية...، رقم 794، ص 223.

بهدف تحديد أنساب العائلات المرابطية الشريفة، وقد وضعت تراجم عديدة للكثير من المتصوفين، والعلماء، كما ألفت سيرا لكبار المتصوفين[1].

وعلى كل، فإن المواد المدرسة في معمرات المنطقة، تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

– **علوم الدراية:** والمقصود بها علوم الفقه، وعلم الأصلين (أصول الدين، وأصول الفقه)، وكذلك علم التصوف، والمنطق و الفلسفة [2].

– **علوم الرواية:** وهي العلوم التي تعتمد في تعلمها على السماع، كالتفسير والحديث، وغيرهما.

إن هذه العلوم ظلت في المناهج الدراسية بالمنطقة في العهد العثماني، حتى وإن تراجع بعضها تماشيا مع مقتضيات العصر. والشيء الهام الذي يمكن الوقوف عليه في هذه الفترة، يتمثل في كون هذه المعمرات (الزوايا) توفر تعليما متكاملا للطلبة المنتسبين إليها[3].

وفي بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر ذكر أحد الفرنسيين المواد التي وجدها تدرس في زوايا المنطقة، فحصرها في تسع مواد دراسية هي:

_ تعلم الحروف الهجائية، و الإملاء.

_ حفظ القرآن الكريم حفظا سليما من الأخطاء المختلفة.

_ قواعد اللغة العربية(الأجرومية).

_ علوم التوحيد والتصوف.

_ الفرائض.

_ علوم الحديث.

_علم التفسير للقرآن الكريم.

_ علوم الحساب والفلك.

_ علم العروض.[4]

---

[1] – الفرد بل: المرجع السابق، ص417. ومن بين الذين اهتموا بهذا العلم، وأرخوا له ليفي بروفنسال في كتابه (مؤرخو الشرفاء).

[2] – الغبريني: المصدر السابق، تحقيق عادل نويهض، ص307.

[3] – سعيدوني: الزوايا...، ص17.

[4] -Eugène DAUMAS: LA Kabylie ..,O p. cit , PP, 77,78.

ج- المستويات التعليمية:

يختلف مستوى التلاميذ، والطلبة، باختلاف أعمارهم والزوايا التي ينتسبون إليها، وكذلك طبيعة المقررات الدراسية المعتمدة في كل زاوية. وللوقوف على ذلك أستعرض أهم المواد الدراسية المطبقة في أمهات زوايا المنطقة، وهي:

- التفسير: ومن أهم الكتب المتداولة في زوايا المنطقة: ابن عطية، والبيضاوي، والجلالين، والجواهر الحسان، والواحدي. وغيرهم.

- علوم الحديث: من أهم الكتب الخاصة بالحديث، والتي يعتمد عليها في التدريس بالمنطقة صحيح البخاري الذي كاد يقرأ أكثر من القرآن[1]، وصحيح مسلم، والشفاء للقاضي عياض.

- الفقه والفرائض: تعتبر كتب ابن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشروحها، ومختصر الشيخ خليل المعروف في المنطقة بسيدي خليل، ومختصر ابن الحاجب، والوغليسية، وموجز أحمد بن الطيب الرحموني، وأحكام القضاء لابن عاصم، والرحبية في الفرائض، وكتاب المواريث لعبد الرحمن الأخضري. من أهم الكتب المتداولة في معمرات المنطقة ومؤسساتها التعليمية.

- أصول الفقه: تدرس منظومة ابن جزري، والخراز، والصغرى والكبرى للشاطبي.

- علم الكلام والتوحيد: المقاصد وشروحها السعد التفتزاني، والمنظومة الجزائرية وعقائد السنوسي الثلاث، وأم البراهين وشروحها، وحاشية الشيخ عيسى الكتنائي، والشيخ يحيى الشاوي[2]...

- المنطق: يعتمد في تدريسه على: السلم المرونق للأخضري، وتهذيب السعد للخونجي، ومختصر السنوسي.

- السير والأخبار: من الكتب التي تدرس في هذا الفن نجد: الوظيفة الزروقية، والبردة، والمنفرجة، وأحزاب الشاذلي، والنووي، وابن سيد الناس...

- التصوف: يعتمد على حكم ابن عطاء الله، وكتاب إسقاط التدبير وتآليف القشيري، والشيخ زروق، وكذلك الإحياء للغزالي.

---

[1]- سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص356.

[2] - هو: يحيى بن محمد بن محمد أبو زكريا الشاوي الملياني الجزائري، ولد بمليانة سنة1030هـ/1621م. تعلم في الجزائر على علمائها، ومن بين الذين لازمهم عيسى الثعالبي، ثم انتقل إلى المشرق، وبعد عودته من الحج سنة 1074هـ، تصدر للإقراء في الأزهر، ثم في سوريا، وتركي...، توفي سنة1096هـ/1685م, ترك عدة مؤلفات في الفقه، واللغة. أنظر:

- الزركلي: المصدر السابق، ج3،ص 154.

– النحو والصرف: نجد أهم الكتب التي يعتمد عليها الطلبة في زوايا المنطقة هي: الأجرومية، وألفية ابن مالك وشروحها، كالماكودي، وابن عقيل، وشذور الذهب، وقطر الندى، ومؤلفات ابن هشام الأنصاري، ومؤلفات خالد الأزهري، وهي التصريح، والأزهرية...
– البلاغة والعروض: وعلى رأسها الجوهر المكنون للأخضري، وحواشي السعد والتفتراني، والخزرجية في العروض وشرحها، والتخليص وشروحه.
– الفلك وحساب الأعداد: يعتمد في تدريسها على كتاب علم الفلك لأبي مقرع، والشراح للأخضري، والدرة البيضاء في علم الحساب للقلصادي، والاستبصار[1]. وقد ترتب عن هذا الاهتمام بجمع المقررات الدراسية العديدة[2] أن أصبحت زوايا منطقة زواوة مقصد لطلبة العلم من كل الجهات.

ومن خلال هذا، نستطيع أن نستخلص بأن مستوى التعليم في هذه المعمرات والزوايا، خاصة المشهورة منها كان راقيا، وذلك لما احتوت عليه مكتباتها من المخطوطات، والكنوز العلمية، وكذلك الشيوخ الذين علموا فيها، والمعروفون بغزارة العلم، وسعة الإطلاع، والذين تخرج أغلبهم من بجاية وزوايا المنطقة ولم يتعلموا خارجها، أمثال: أبو زكرياء يحي بن أحمد العدلي، وتلميذه الشيخ عبد الرحمن الصباغ[3]، وكذلك الفقيه العالم عبد الرحمن الوغليسي، والشيخ أبو القاسم البوجليلي(ت1307هـ/1898م)، والشيخ محمد السعيد بن علي الشريف الشلاطي...، وغيرهم من الشيوخ الذين ساهموا في نشر التعليم في المنطقة خلال فترة البحث، بل كانت لهم إسهامات علمية في كثير من التخصصات المعرفية والفكرية في مختلف مناطق العالم الإسلامي مغربا ومشرقا، وهذا ما سأحاول إبرازه في الفصول القادمة.

[1] – الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، من بين أهم المؤلفات الخاصة بعلم الفلك في المنطقة، ألفه محمد سعيد بن علي الشريف الشلاطي، أنظر حوله:
– الفصل الأخير من هذه الدراسة.

[2] – سعيدوني: المرجع السابق، ص ص17،18.

[3] – الورثيلاني: المصدر السابق، ص8.

الفصل الثالث:

الحياة الروحية في منطقة زواوة ما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري (16-19 م)

تعتبر الحياة الروحية في أي مجتمع من المجتمعات مظهرا من المظاهر الفكرية في حياة أفراد هذا المجتمع، والمجتمع المحلي في منطقة زواوة يتميز بمجموعة من الخصائص التي تبين تأثير الجانب الروحي في الحياة اليومية للفرد، ومن هذه الخصائص والمميزات التي لها تأثير مباشر على الأفراد بمختلف شرائحهم، وفئاتهم، الفكر الصوفي والطرقي الذي انتشر في مختلف نواحي المنطقة، وكذلك تأثير فئة المرابطين(إمرابظن)[1] في توجيه السكان واستمالتهم. وقد أسهمت هاتين الفئتين في الحياة الفكرية سواء على المستوى المحلي، أو على المستوى المغاربي، وكذا على المستوى الإسلامي عامة.

فالحياة الروحية في المنطقة، المقصود منها كل ما له علاقة بالدين الإسلامي، سواء تعلق الأمر بالحياة الصوفية ومساهمتها في توجيه الفكر المحلي، وكذلك الدور الذي لعبته فئة المرابطين، والأشراف، وما يطلق عليهم الأولياء عامة في الحياة الفكرية في المجتمع الزواوي، إضافة إلى الطرائق الدينية المحلية والوافدة، والتي لها علاقة كبيرة في إسهامات علماء المنطقة في الحياة الفكرية داخل المجتمعات الإسلامية عامة.

لمحة حول الحياة الصوفية في منطقة زواوة:

تعتبر مدينة بجاية مدرسة من مدارس التصوف الإسلامي في بلاد المغرب، وبفضل موقعها وشهرتها، قصدها العديد من العلماء الذين نبغوا في هذا الميدان الفكري، ومن بين أشهر هؤلاء العلماء الذين نبغوا في الفكر الصوفي، وتركوا بصماتهم في الحياة الفكرية

[1] - ينقسم المجتمع المحلي إلى فئتين فئة لقبايل، وفئة لمرابطين، والفئة الثانية، تعود أصولها إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، في اعتقاد السكان، بل أن كل قادم من الشرق العربي يعتبر مرابطا في العرف المحلي. خلافا لما هو موجود في الجنوب الجزائري، إذ نجد الأشراف الذين هم من آل البيت، وغيرهم من أبناء الصاحبة هم المرابطون، كما أن هذه الفئة من السكان ليست لهم آية صلة بدولة المرابطين التي قامت في المغرب الأقصى. والكلمة مأخوذة من الرباط، والذي يعني المرابطة والجهاد في سبيل الله سواء كانوا أشراف أو غير أشراف.

عامة، والصوفية بوجه خاص في بجاية، الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأشبيلي الأندلسي[1]، الذي استقر بها في العقدين الأخيرين من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على إثر رجوعه من المشرق[2]، ومن أشهر تلامذته في بجاية العلامة عبد الرزاق الجزولي دفين الإسكندرية بمصر_ وهو ليس أبو موسى الجزولي _ وكذلك جعفر الخزاعي الذي انتقل إلى غرناطة، والعالم الصوفي عبد الله بن مشيش شيخ الصوفي أبو الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية... وعلى يد هؤلاء تخرج العديد من العلماء الذين ساهموا في تأسيس المدرسة الصوفية البجائية التي ظلت تؤدي دورها في نشر الفكر الصوفي بالمدينة خاصة، وببلاد المغرب الإسلامي عامة طيلة القرون التالية لفترة أبي مدين، فتخرج العديد من المتصوفين الذين اشتهروا في المنطقة، أو خارجها أمثال: الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الزواوي، المعروف في المنطقة بالشيخ سيدي علي نتغلاط[3]، وكذلك الشيخ أحمد بن إدريس البجائي[4]، وغيرهما من علماء التصوف.

أقسام التصوف في المدرسة البجائية: لقد عرف التصوف الإسلامي أقساما عدة، تركت تأثيرها في المدرسة الصوفية البجائية التي برزت فيها أنواع من الأفكار الصوفية والتي من أهمها:

---

[1] - هو شعيب بن الحسن الأندلسي, سيد العارفين وقدوتهم, عرّف به الكثير من العلماء الذين أجمعوا على قطبانيته, وغزارة علمه وصدق ولايته، وهو من الأندلس، حل بالمغرب ثم سكن بجاية التي فضلها على الكثير من المدن، و توفي سنة(594هـ) بالقرب من تلمسان. حول شخصيته أنظر :

_ أحمد بابا التنبكتي, نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص ص181، 187. وكذلك:

. يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج 01، ص 125–126. وعن دوره في نشر التصوف بالمنطقة انظر/

- G. Marcais, La Bérbérie Musulmane et orient, in, Moyen age, édition, montagne, Paris, 1946, p 293.

[2] - محمد أرزقي فراد: الحاج محمد السعيد تازروت إطلالة على الشعر الصوفي الأمازيغي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر،2011، ص31.

[3] - أنظر ترجمته في: أبي العباس أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر،2007 ،ص:60.

[4] - أنظر ترجمته في: التنبكتي: نيل الإبتهاج... ،ص ص 81، 82.

أ- **التصوف السني:** الذي سار مقتديا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والاهتمام بالعبادة، والزهد في الدنيا[1]. وهذا النوع من التصوف قد عرف انتشارا واسعا بين الفئات المثقفة من السلف الصالح الذي استمد إلهاماته من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[2]، وقوام هذا النوع من التصوف، يعتمد على مجموعة من الإرشادات والسلوك الفردي في الحياة اليومية، لتكون عونا للمسلم في معرفة ما يتفق مع الدين والسنة من التصرفات، وهي التعاليم التي ركز عليها الشيخ زروق في علمه الإصلاحي، والذي بناه على مجموعة من الأفكار ومن بينها: الدعوة إلى طاعة الأمراء إلا في محرم مجمع عليه، والتصديق للعلماء إلا فيما لا يهدي العلم إليه، والتسليم للفقراء فيما لا إنكار يجب عليه،فالتصوف السني في الفكر الإصلاحي عند الشيخ زروق، يعتمد على النصح لا التشنيع أو التحذير أو الإنكار، وقد ضم أفكاره هذه في كتابه (النصيحة الكافية).

من بين الكتب التي ألفها الشيخ زروق في التصوف السني، ذلك الكتاب الذي بدأ تأليفه في منطقة زواوة أواخر القرن التاسع الهجري/ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، بأمر من شيخه يحيى العدلي الذي لازمه بزاويته في قرية تمقرة مدة من الزمن، آخذا عليه علوم الباطن[3]، وقد امتثل لأمر شيخه في تأليفه لهذا الكتاب الذي يحمل عدة عناوين منها(قواعد التصوف في الجمع بين الشريعة والحقيقة)، و(قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الفقه بالطريقة)، وكذلك عناوين أخرى تدل على أهمية الكتاب الذي يحمل عصارة فكر الشيخ زروق الإصلاحي في التصوف السني، الذي يدعو فيه إلى نهضة علمية وتعليمية مبنية على الاجتهاد والتجديد، مقدما حلولا للمشاكل

---

[1] الغبريني:عنوان الدراية... ، حقق وعلق عليه عادل نويهض، منشورات الآفاق الحديثة، ط 02، بيروت، 1979، ص: 19.

[2] محمد السيد عبد الكريم الكسنزاني: التصوف الأنوار الرحمانية في الطريقة القادرية الكسنزانية، مطبعة مدبولي، مصر 1990، ص20

[3] الحسين بن محمد الورثيلاني: الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، 2 ج،مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 2006، المجلد الأول، ص20.

المطروحة في عصره الذي افترق أهله بين فقهائه وفقرائه، وطمع فيه القائم على الرئاسة الروحية في الرئاسة الدنيوية، وانعدم فيه المتوجه بصدق إلى الله[1].

لقد ترك الشيخ زروق أثره في المدرسة الصوفية البجائية السنية خلال الفترة التي تلت بقاءه في المنطقة، كما تأثر هو كذلك بعلماء المنطقة وعلى رأسهم شيخه الذي لازمه بزاويته مدة من الوقت قبل انتقاله إلى المشرق.

ب- التصوف الفلسفي: وهو التصوف الذي أصبح أتباعه يعتمدون في وصف أحوالهم على الاستبطان، وعلى لغة الإشارة دون لغة العبارة، وعلى التلميح دون التصريح[2]. ويعتبر هذا القسم بمثابة المرحلة الثانية من مراحل تطور الفكر الصوفي الإسلامي. فإذا كانت المرحلة الأولى هي مرحلة النشأة، أو مرحلة التصوف العملي الخالص. فإن المرحلة الثانية هي مرحلة امتزاج التصوف العملي بالنظر وبالفلسفة، وذلك من خلال الأخذ بالحقائق إلى جانب اليأس فيما بيد الخلائق، والملاحظ في هذه المرحلة أنها بدأت معالمها في الظهور بداية من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فبعدما كانت الخشية من الله تعالى سببا في تعبد الزاهد، أصبحت محبة الله جل جلاله من أهم ركائز الزهد والتصوف[3] وهذه الظاهرة هي التي أدخلت التصوف في مناظرات فلسفية، حولته إلى علم قائم بذاته.

من المتصوفين الأوائل الذين صُنفوا في هذا الاتجاه نجد (معروف الكرخي) الذي ارتقى بالتصوف من منظور عملي قائم على الزهد في الدنيا والتفرغ للعبادة، إلى تصوف علمي مرتبط بالفلسفة والنظر في ذات الله تعالى. فالكرخي، يعد من الأوائل الذين وضعوا قواعد علم التصوف الذي انتشر بين مختلف الشعوب الإسلامية سواء في المشرق الإسلامي أو مغربه، ولا شك في أن هذا الانتشار قد دخل منطقة زواوة حتى وإن كان ذلك متأخرا.

---

[1] الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص 94، 95.

[2] عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارسايكولوجيا، مقدمة أولى في الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 1994، ص 19.

[3]- ساعد خميسي: حول حقيقة التصوف، في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع 12، رجب 1423هـ/ سبتمبر 2002، دار البعث، الجزائر، ص 80.

ومها يكن، فإن التصوف الإسلامي مر بثلاث مراحل رئيسة، يمكن تلخيصها في:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة، وهي المرحلة التي كان فيها التصوف قائما على العبادة والتفرغ لها، من خلال الزهد في الحياة وترك ملاذها.

والمرحلة الثانية هي: مرحلة امتزاج التصوف بالتأمل في ملكوت الكون، مما جعل التصوف يتخذ منهجا فلسفيا بين العلماء.

أما **المرحلة الثالثة** فهي: مرحلة التقليد التي أثرت في منطقة زواوة بشكل كبير، وأثرت كذلك في مناطق أخرى من العالم الإسلامي.

وعن التصوف في منطقة البحث فقد مر بالمظاهر الآتية:

1. **الزهد** في الحياة والتفرغ للعبادة: وذلك من خلال العلماء الذين فضلوا النواحي الجبلية البعيدة عن صخب المدينة، فاتخذوها مقرات لإنشاء مؤسسات تعليمية، استقروا فيها وعملوا على نشر التعليم وتوجيه العامة إلى الدين الصحيح.
2. **الولاية:** لقد عرفت منطقة زواوة عامة انتشارا واسعا لظاهرة أولياء الله الصالحين بداية من نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فانتشر دعاة الولاية في مختلف أرجاء المنطقة، مستغلين حب السكان لآل البيت، بل لكل قادم من الشرق، فاستقروا في المنطقة، سواء كانوا حقيقة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ادعاء بذلك.
3. **الطرائق الصوفية:** وهي المرتبة الثالثة فيما يخص الظاهرة في المنطقة، حيث بدأت تظهر طرائق صوفية بعضها وافد إلى المنطقة من المشرق الإسلامي، وبعضها محلي، كالطريقة الرحمانية التي تمكنت في فترة وجيزة من الانتشار في مناطق عديدة من الجز **الدروشة:** وهي المرحلة الأخيرة التي دخل فيها التصوف مرحلة الانحطاط، والخرافة والابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي، وقد ساعدت عدة جوانب على انتشار هذا الفكر من بينها المستوى الفكري للسكان، وأيضا السلطة العثمانية التي ساعدت على انتشار الظاهرة خدمة لأغراضها، وبعد الاحتلال غذ الاستعمار هؤلاء بشكل ملفت للانتباه.

وبعد سقوط بجاية في يد الأسبان سنة1510م، بدأت مدرسة هذه المدينة الصوفية تفقد مكانتها، وذلك بسبب مغادرة علمائها، وأعيانها لها خوفا من الاضطهاد المسيحي لهم. وبذلك ترك هؤلاء العلماء تأثيراتهم واسهاماتهم في النواحي الداخلية للمنطقة، وبدأت تظهر الطرائق الصوفية المتعددة بشكل جلي في منطقة زواوة.

الطرائق الصوفية في منطقة زواوة :

إن منطقة زواوة قد عرفت خلال فترة البحث، وقبلها عدة طرائق صوفية أثرت في الحياة الفكرية بالمنطقة من جهة، وساهمت في الحياة الروحية سواء على المستوى المحلي أو الإسلامي من جهة أخرى، وهذه الطرائق يمكن تصنيفها من حيث طبيعتها في صنفين رئيسيين هما:

– **الطرائق الصوفية الخلواتية:** وهي الطرائق التي يدعي شيوخها معرفة أسرار الغيب الدينية في الخلوات التي يتخذونها لأنفسهم، وقدرتهم على تلقينها لأتباعهم الذين تطلق عليهم أسماء مختلفة كالمريدين، أو الفقراء أو الإخوان[1]، كما يفرض الشيخ على المريدين أذكارا يكررونها في أوقات معلومة تعرف بـ (الورد)، الذي يتلى يوميا من طرف المريدين فرادى، أو جماعات في حلقات خاصة وفي أوقات معينة معلومة.

هذا ما جعل شيوخ هذه الطرائق، يعرفون باسم الطرقيين. لكون كل واحد منهم له طريقة خاصة يتبعها ويفرضها على أتباعه من المريدين والإخوان والفقراء في الذكر. ومثال ذلك ذكر الاسم الأعظم (الله) في الخلوات الخاصة والحضرات الجماعية عند الرحمانيين في الطريقة الرحمانية[2].

---

[1] Depont Octave et Coppolani Xavier: Les Confréries Religieuses Musulmanes, Typographie et lithographie, Adolphe Jourdan , Alger, pp 193 etc.

[2] – يحي بوعزيز، " أوضاع الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر خلال القرنين 19 و 20م " في، جريدة الشعب اليومية، ع 7661، الصادرة في 13 06 1988م.الجزائر.

- **الطرائق غير الخلواتية:** وهي التي لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة، ولا يتخذون لأنفسهم خلوات خاصة بهم، ولكن يتخذون لأتباعهم وردا معينا من الأذكار، والصلوات يتلونها عقب كل صلاة، أو بعضها كصلاة المغرب أو الصبح، ويطلق على هذه الأذكار اسم الوظيفة.

إن شيوخ هده الطرائق عادة يتصدون لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية ، ويفرضون على أتباعهم بعض الأذكار الخاصة والتي تعرف بـ(الهيللة).

ومن هنا يمكن اعتبار هذا النوع من الطرائق غير الخلواتية بمثابة كتاتيب قرآنية يتعلم فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة يعبر عنها ب"المعمرات" في المنطقة[1].

فالمنطقة من خلال هذا تشتمل على نوعين رئيسيين من الطرائق الصوفية، ومن هاتين المجموعتين تتفرع طرائق أخرى يأتي الحديث عليها في المبحث الأخير.

دخول التصوف إلى المغرب الأوسط عامة ومنطقة زواوة خاصة:

يعتبر تحديد تاريخ دقيق لدخول التصوف إلى المغرب الإسلامي، من الأمور التي يجد الباحث فيها صعوبة كبيرة، وذلك لأن الفكر الصوفي في المغرب الإسلامي يعتبر امتدادا للتصوف في المشرق. ولذلك لا يمكن دراسة الظاهرة في المنطقة بمعزل عن التصوف الإسلامي عامة، سواء تعلق الأمر بتأثر المجتمعات المغاربية وعلماء المغرب بالفكر الصوفي المشرقي، أو تأثير وإسهامات علماء المغرب الإسلامي في الحياة الفكرية الإسلامية عامة، والصوفية بوجه خاص في المشرق، فالتصوف في المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة زواوة خاصة، لا يمكن البحث فيه بمعزل دون التعرض إلى خلفيات الظاهرة في العالم الإسلامي بشكل عام، وهذا نتيجة التأثير المباشر للمتصوفين المغاربة الذين تكونوا في

[1] بوعزيز المرجع نفسه.

المشرق الإسلامي، بداية بالفترة التي سبقت القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي[1]. وكذلك بفعل مساهمة المغاربة في الحياة الروحية عامة والصوفية بوجه خاص في المشرق الإسلامي.

إن التصوف في المغرب الإسلامي، تأثر بشكل كبير وواضح بالتغيرات التي عرفها العالم الإسلامي خاصة مشرقه. ومن خلال هذا يمكن أن أستخلص بأن نشأة التصوف المغاربي ناتج عن التصوف الإسلامي بالمشرق، فهو إذا امتداد طبيعي للتصوف الإسلامي عامة. وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يجمعون على أن الحركة الصوفية انتشرت في المغرب الإسلامي بداية من القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي، إذ انتشرت آراء الغزالي من خلال كتابه الأحياء[2].

فانتشار كتاب الغزالي في بلاد المغرب عامل ساعد على ظهور الكثير من الزهاد، وأقطاب التصوف، قبل القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي مثل: أبو مدين البجائي. وابن مشيش[3]. وأبو الحسن الشاذلي.[4] وغيرهم.

فالفكر الصوفي لم يكن جديدا في المنطقة، بل كانت له جذور قديمة قبل مجيء العثمانيين، وذلك من خلال المتصوفين الذين مروا ببجاية، أو استقروا بها أمثال:ابن عربي[5].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي, من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16-20), 2ج, ط2, م.و.ك, الجزائر 1985, ج1, ص: 464.

[2] - (A) LAROUI: L'Histoire du Maghreb, essai de synthèse, collection MASPERO, Paris 1976, p: 160.

[3]– هو عبد السلام بن سليمان الملقب بمشيش ابن مالك بن علي، كانت ولادته حوالي سنة 559هـ وهو من أكابر الأولياء العارفين بالله، وقد أخذ الطريقة على الشيخ عبد الرحمن المدني . وراح ضحية مؤامرة دبرها أعداؤه سنة 622هـ/ 1225م. انظر /

– عبد الصمد العشاب، القطب الرباني مولاي عبد السلام بن مشيش، الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، د,.ت

[4]– الشيخ الإمام وشيخ مشايخ الإسلام حجة الصوفية، وقدوة أهل الخصوصية ، وأستاذ الطريقة ، وسلطان أهل الطريقة. يعود نسبه إلى الإمام علي (رضي) ويعتبر مؤسس الطريقة الشاذلية، نسبة إلى شاذلة، وهي قرية من قرى المغرب, انظر عنه:

_ محمد بن محمد الأندلسي، الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، 02 ج ، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1984، ص ص، 832–833,

[5]– هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي المرسي ، والذي يعرف بابن عربي محي الدين، وهو الشيخ الأكبر حكيم المتصوفة في عصره، توفي سنة 638هـ/1240م . انظر عنه/

الذي حل ببجاية في حدود القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي، وكذلك ابن السبعين[1]. والششتري[2].... وغيرهم من العلماء الذين تركوا تأثيرهم وإسهاماتهم في التصوف بمنطقة زواوة، لكون هؤلاء العلماء« لم يكتفوا بالعبادة والسلوك الأخلاقي، وإنما كانوا يدرسون نظريات المعرفة للوصول إلى الحقيقة الإلهية بالمقاييس العقلية»[3]. فتأثر بهم الكثير من أبناء المدرسة البجائية الصوفية، التي سبقت غيرها من المدارس الأخرى بالمغرب الأوسط. كمدرسة الشيخ عبد الرحمن الوغليسي التي تعتبر من أقدم المدارس الصوفية بالمغرب الأوسط. بعد مدرسة شيخه أبي مدين التي سبق ذكرها، وقد تخرج من هذه المدرسة كذلك عدد من العلماء الزواوين الذين يعدون بمثابة جهابذة الفكر الصوفي[4]. وقد ساهم هؤلاء العلماء في وضع قواعد التصوف الإسلامي بالمنطقة أمثال: أحمد بن إدريس البجائي أستاذ عبد الرحـــــــمن الوغليسي[5]، وأحمـــــد بن إبراهيم البجائي[6]،ويحيى العدلي[7]، وعبد الرحمن الثعالبي[8] وأحمد زروق البرنسي [1]. وغيرهم.

– إدريس عزوزي، الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، تحقيق ودراسة لكتابه عدة المريد الصادق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، 1998، ص 278.

[1]– هو عبد الحق بن إبراهيم المرسي ولد بالأندلس عام 614هـ. وقد اشتهر في علوم الباطن وانتحل التصوف فمالت إليه العامة. انظر:
أبو العباس أحمد الغبريني: المصدر السابق، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص110. وكذلك:
– أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج في تطريز الديباج، ط.ح، م.وج، رقم :340 ، ص 279.

[2]– (توفي في 668هـ/1269م)، ينسب إلى مدينة ششتر بالأندلس، ويكنى بابي الحسن، وقد ذكره الغبريني في عنوان الدراية ، ص 210.

[3]– الغبريني: المصدر السابق, ص: 46.

[4]– سعد الله: المرجع السابق, ج2, ص.79.

[5]– الإمام العلامة الصالح المحقق كبير علماء بجاية في وقته, كان ورعا زاهدا جليلا إماما علامة بارعا, أخذ عنه الكثير في بجاية كعبد الرحمن الوغليسي, و يحيى الرهوني, وابن خلدون, وأسس زاويته بالقرب من عزازقة, توفي سنة(760هـ). أنظر:
– الحفناوي:تعريف الخلف برجال السلف،... ،ج1، ص.277-279

[6]– (توفي 840هـ/1436م) فقيه مالكي من أهل بجاية . قال عنه الثعالبي " لو أن رجلا لم يعص الله لكان سيدي أحمد بن إبراهيم" انظر:
– السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، 1972، ج 1، ص 209.

[7]– هو العالم أبو زكرياء يحي بن احمد... ابن عجيس يعود نسبه إلى الأشراف (ت 881هـ/1476م) وقدم والده إلى المنطقة من المغرب متوجها إلى البقاع المقدسة، فولد بعرش بني عباس في تاريخ غير معلوم، ثم درس ببجاية على علمائها . انظر/
– الورثيلاني، مصدر سابق، ص 08.
مخطوط لشجرة نسبه مصورة من وثائق حفدته، توجد عندي نسخة منها.

[8]– عبد الرحمن الثعالبي: هو عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري, عالم زاهد ورع, ولد سنة 786هـ أو 787هـ, بيسر, وتوفي سنة 875هـ بمدينة الجزائر, ولا يزال ضريحه مزارا. حول شخصيته أنظر: الحفناوي: المرجع السابق, ص ص:73...78. وكذلك: – محمد الشريف قاهر: الأنوار في آيات النبي المختار, ...، ج1, ص: 82 وما بعدها.

فهؤلاء جميعا ساهموا مساهمة كبيرة في دخول التصوف إلى عمق منطقة الزواوة، خاصة بعدما أسس (ابن إدريس) زاويته العلمية في المنطقة الجبلية الداخلية بالقرب من "عزازقة "[2]. وذلك في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي . وبعده الشيخ يحي العدلي الذي أسس زاويته بقرية تمقرة[3]. وبذلك بدأت ملامح الأفكار الصوفية تتوغل بين الأوساط الشعبية في المناطق الجبلية الداخلية، سواء في زواوة الشرقية، أو الغربية، وبعد دخول العثمانيين إلى الجزائر، عرفت المنطقة انتشارا واسعا للحركة الصوفية، مثلها مثل بقية مناطق البلاد الأخرى. وذلك نتيجة انحسار دور رجال الدين والزهد، وبروز دور رجال السلطة من الفقهاء والعلماء الراغبين في الدنيا والنفوذ، ولعل ما يذكره كل من الفكون، والورثيلاني فيما بعد خير دليل على هذا الأمر[4].

أما من حيث الجذور التاريخية لتصوف علماء المنطقة خاصة، والمغرب الإسلامي عامة، فإن جل المهتمين بهذا الجانب يجمعون على أن أفكار أبا حامد الغزالي قد تركت أثرها في التصوف المحلي من خلال كتابه الأحياء، وهو الشيء الذي يشير إليه ابن قنفذ(ت. 810هـ /1407م) عندما قال بأنه " توارث الخرقة الصوفية من مشايخ يتسلسلون إلى أبي مدين الذي ورثها بدوره عن ابن حرزهم عن أبي بكر بن العربي عن أبي حامد الغزالي عن أبي المعالي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داوود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم"[5].

---

[1]– أحمد زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي, الشهير بزروق, وهو إمام عالم فقيه صوفي ولد سنة 846هـ بفاس, وتوفي سنة 899هـ بمسراطة (طرابلس). أنظر: التنبكتي: مصدر سابق، ص: 71.

[2] –-Djamil AISSANI: OP , CIT, p: 06.

[3]– ورقة من الشيخ محمد الشريف قاهر نائب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

[4]- سعد الله: بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني...، ص 101.

[5]- أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير...، ص 93.

وبالنسبة لمنطقة البحث خلال الفترة الحديثة قد مر التصوف في المنطقة بمرحلتين:
المرحلة الأولى: تمتد من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وهي المرحلة التي تبدأ بدخول العثمانيين إلى الجزائر، وتحرير مدينة بجاية من الاسبان سنة 962هـ/1555م – وتتميز هذه المرحلة بـ:

– استمرار الطرائق المشرقية الوافدة إلى المنطقة في الانتشار، وعلى رأسها الطريقة القادرية التي أدخلها الشيخ (أبو مدين بن شعيب) إلى منطقة زواوة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وهي الطريقة الأم التي تفرعت عنها الكثير من الطرائق الصوفية منها الطريقة الزروقية التي تنسب إلى الشيخ سيدي (أحمد زروق البرنوسي)، الذي كون مدرسة صوفية بمنطقة زواوة الشرقية، وهي المدرسة التي تخرج منها الكثير من العلماء الذين ساهموا في نشر التصوف بالمغرب الأوسط عامة أمثال: أحمد بن يوسف الملياني[1]، ومحمد الصغير الأخضري، وابنه عبد الرحمن، والعالم محمد بن علي الخروبي وغيرهم من العلماء الين ساهموا في نشر الطريقة الزروقية في مختلف مناطق الجزائر، وعلى رأسهم الخروبي، والأخضري اللذان عملا على نشر هذه الطريقة في مختلف مناطق الجزائر[2].

كما أن هناك متصوفين آخرين تركوا تأثيرهم على هذه الفترة بالمنطقة ، ومن بينهم الشيخ سيدي أحمد تواتي (ت 922هـ/1529م)، الذي كانت له مؤلفات كثيرة وشهرة كبيرة عند أهل بجاية في عصره[3] وفتاويه لا ترد من بجاية إلى توزر[4] خلال نهاية القرن التاسع، وبداية

---

[1]– الملياني: هو الشيخ الولي الصالح الغوث الزاهد... , وهو من تلاميذ الشيخ زروق, سكن منطقة زواوة وترك فيها ذريته قبل انتقاله إلى مليانة, توفي سنة 927. أنظر:

الصباغ: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار. مخ. م.و.ج, رقم:1707, ص: 21.

[2]– المهدي البوعبدلي:"الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها"، في: الأصالة، ع: 14، الجزائر، 1974، ص: 143.

[3]– عمار طالبي: "الحياة الفكرية في بجاية. الفلسفة والكلام والتصوف", في: الأصالة، السنة 4، صفر، ربيع الأول، 1394، مارس ،أبريل،1974، ص: 172.

[4]– بيري رايس:الكتاب البحري، نقلا عن: سعد الله: تاريخ...، ج2, ص469،466.أنظر كذلك: الورثيلاني: المصدر السابق، ص: 27.

العاشر الهجري[1]، وقد استعان به العثمانيون في الدفاع عن البلاد ضد الغزو الاسباني، وظلت زاويته ببجاية إلى غاية سنة 1228هـ/1813م[2].

-استعانة العثمانيين بالفقهاء، والعلماء، ورجال التصوف، في الدفاع عن البلاد ضد الغزو الإسباني عن السواحل المغربية،وقد كان هؤلاء بمثابة سند لهم في الدفاع عن المنطقة ، وتأدية دورهم الجهادي ضد النصارى[3] في الحوض الغربي للمتوسط عامة.

-اقتصار التصوف على العلماء والفقهاء، ففي القرن العاشر الهجري/16م كان التصوف مقصورا على الطبقة المثقفة من العلماء والفقهاء . أما طبقة العامة فإن انتشار التصوف بينهم لم يكن واسعا، وذلك يعود – حسب اعتقادي- إلى أن معظم أفراد الطبقة المتعلمة كانوا يقيمون بالحواضر . أي أن التصوف لم يتخذ بعده الريفي في هذه المرحلة، بل ظل تصوفا نخبويا، خاصة في بداية المرحلة، لكونه امتداد للتصوف الذي وضع معالمه الشيخ زروق. بينما عرف القرن الحادي عشر الهجري/17م بداية حقيقية لانتقال الطرائق الصوفية إلى الجهات الداخلية، وذلك بفعل هجرة العلماء من المدينة بعد احتلالها.

-عدم بروز طرائق محلية : إذ نجد بأن الطرائق الصوفية المنتشرة في المنطقة طرائق وافدة إليها ولم تكن محلية. فحتى وإن كانت الطريقة الزروقية التي ظهرت بمنطقة زواوة[4]. ولكن مؤسسها قدم إليها من المغرب الأقصى ، ولم يكن من أبنائها، فمثله مثل ابن خلدون، الذي استقر مدة ببجاية وتأثر بها. فالمنطقة خلال هذه المرحلة لم تعرف ظهور طرائق صوفية محلية، رغم تعلم الكثير من العلماء في زوايا المنطقة وعلى علمائها. أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، والملياني، والأخضري... وغيرهم من كبار علماء التصوف في المغرب الأوسط. فهؤلاء لم يؤسسوا طرائق صوفية بالمنطقة، رغم كونهم من العلماء المتصوفين، وذلك يعود . حسب اعتقادي . إلى انتشار المرابطين الأشراف، الذين كانوا يعملون على نشر العلم بالمنطقة. فمعظم المرابطين الذين حلوا بالمنطقة كانوا في نهاية القرن الثامن الهجري/14م والتاسع هجري/15م، وهي نفس الفترة التي عرفت توافد هؤلاء المتصوفين

1- سعد الله: تاريخ الجزائر... ج2، ص 466.

2 - بوعزيز، " أوضاع.

3- سعد الله: تاريخ الجزائر..., ج2، ص:466.

4 عن هذه الطريقة انظر:

- Depont et Coppolani, op , cit , pp 456-458.

إلى المنطقة وعملوا على تأسيس الزوايا العلمية بها. فبقى هؤلاء المرابطون بالزوايا التي أسسوها، والتي تحولت إلى أماكن مقدسة يقصدها الناس والمريدون، الذين يقدمون لهم الصدقات والهبات[1].

إن هذه المرحلة، تعتبر بمثابة امتداد للقرن التاسع الهجري، الذي عرف حركة نشيطة لطائفة المرابطين خاصة الأشراف (المرابطون)، إلا أن الاضطرابات التي عرفتها المنطقة، والناتجة عن الحروب التي استهدفت تحرير المدن المحتلة من الأسبان ، وبعد ذلك، الصراع بين القوى المحلية الدينية والسياسية (آل القاضي ، وإمارة بني عباس) فهذا الصراع فسح المجال أمام المتطفلين على العلم ، والدين في الانتشار بالمنطقة، وبالمغرب الأوسط عامة[2]. وبذلك بدأ ينتشر التصوف المنحرف عن تعاليم الدين الإسلامي ، فانتشرت البدع والخرافات، بين الناس. دون أن تظهر بالمنطقة شخصية قادرة على جمع الناس حولها، وهذا ما ساعد على انتشار الفوضى وانعدام الأمن في منطقة القبايل[3](زواوة).

وعلى كل ، فإن هذه المرحلة قد عرفت انتشار الطرائق الصوفية الوافدة إلى المنطقة سواء من الشرق، كالقادرية أو الغرب كالشاذلية التي عرفت انتشارا واسعا بين علماء المنطقة، امتد هذا الانتشار إلى غاية نهاية القرن الحادي عشر هجري /17م ، ودليلنا في ذلك، إتباع العديد من علماء وفقهاء المنطقة، أو الذين تعلموا فيها لهذه الطريقة الصوفية. بداية بالشيخ أحمد بن يوسف الملياني والشيخ محمد السعيد الشلاطي[4]. وكذلك الشيخ الحسين الورثيلاني [5].

---

[1] –(A) MAHE: Histoire de la grande Kabylie XIX – XX siècles Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises, Editions Bouchene, France, 2002, p: 47.

[2] – عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، ...ص: 32.

[3] – الورثيلاني، مصدر سابق، ص 08.

[4] - Aucapitaine , La Zaouïa, p24.

[5] الرحلة، ص 65، 289.

هذا وقد عرفت المنطقة في نهاية القرن الحادي عشر هجري /17م بداية بروز الصراع بين القوى المتصوفة والفقهاء. خاصة وأن العلماء الذين قدموا إليها ، وجدوا صعوبة في التعامل مع الأعراف المنتشرة في قرى الجهات الداخلية[1] لبلاد زواوة .

المرحلة الثانية: وهي التي يمكن تحديد إطارها الزماني فيما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر هجري /18، 19م. وقد عرفت هذه المرحلة انتشار التصوف في الجهات الداخلية الجبلية من المنطقة، وذلك بفعل انتشار الطرائق الصوفية بين الأوساط الشعبية، نتيجة لنشاط الزوايا العلمية والزوايا التي كانت تابعة لبعض شيوخ الطرائق الصوفية الذين انتقلوا إلى النواحي الداخلية الجبلية ليؤسسوا فيها زواياهم، وذلك بعد تراجع دور مدينة بجاية المحتلة، وحتى بعد تحريرها سنة 1555م ظل دورها العلمي والفكري بعيدا عما كانت عليها من قبل.ففقدان المدينة لأهميتها الفكرية، ودورها الحضاري جعل المثقفين من العلماء والفقهاء والمتصوفين، يتخذون من النواحي الجبلية أماكن لاستقرارهم وتأسيس زواياهم فيها، فانتقل التصوف النخبوي- أي الذي كان مقتصرا على العلماء- إلى التصوف الشعبي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قامت السلطة المركزية المتمثلة في الحكم العثماني، أو أعيانهم في المنطقة، بالعمل على مساعدة هذا الانتشار الواسع للطرائق الصوفية للاستفادة من تأثيرهم على عامة الناس[2].

إن هذا التحول قد ترك آثارا إيجابية في المنطقة، والمتمثلة في انتشار التصوف في الجهات الجبلية الداخلية، كما ترك آثارا سلبية خاصة ما يتعلق بتراجع المستوى العلمي، وكذلك الإنتاج الفكري خلال هذه المرحلة الذي اتخذ منحى طغى عليه الجانب الخرافي كالمؤلفات الخاصة بذكر مناقب الأولياء، وكتب التصوف تمجيدا لعلماء ومشايخ فضلوا الزهد والابتعاد عن السلطة، واهتموا بالعامة وانعزلوا عن المجتمع الذي ساد فيه الظلم، وقلّ

---

[1]- (H) TOUATI: Entre dieu et les hommes, lettres saintes et sorciers au Maghreb (17eme siècle), édition de l'école des hautes étude en sciences sociales, Paris, 1974, p: 92.

[2]- سعد الله: بعض التحولات... ص ،102.

فيه العلم، فهو رد فعل سلبي ضد السلطة القائمة خلال هذه الفترة[1]، غير أن التصوف عرف تزايدا من حيث الأتباع والمريدين، لكون معظم علماء المنطقة وفقهائها كانوا يتبعون مشايخ الطرائق الصوفية، وعلى رأس هذه الطرائق الطريقة الشاذلية وفروعها كالزروقية[2]. فالقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي قد أعاد المنطقة إلى الصراع الذي كان فيها من قبل بين الفقهاء والعلماء فعرفت المنطقة تحولا أدخل علماءها في صراع شديد، والذي ظهر بين علماء الفقه، وعلماء التصوف الذين يبحثون عن الحقيقة الإلهية[3]. أو ما يمكن التعبير عليه بعودة الصراع بين التصوف السني، والتصوف الفلسفي.

وهو الصراع الذي بدأت معالمه خلال المرحلة السابقة ، غير أن عودة الشيخ امحمد بن عبد الرحمن القشطولي الجرجري الأزهري من الشرق بعد أن تتلمذ على مؤسس الطريقة الخلواتية[4]. والذي كلفه بنشرها في السودان والهند[5] وبعد ذلك في الجزائر. فعندما استقر الشيخ ابن عبد الرحمن ببني إسماعيل . بدأ يعمل على نشر طريقته (الرحمانية)، بالمنطقة ، وبذلك أخذت هذه الطريقة – التي يمكن اعتبارها محلية حتى وإن كانت مبادئها مشرقية– تنتشر بين السكان، ولم تمض مدة طويلة حتى غدت الطريقة الصوفية الأكثر انتشارا. سواء في زواوة الشرقية أو الغربية، خاصة بعدما انتقلت رئاسة الطريقة إلى الشيخ الحداد "بصدوق أوفلة"[6]. خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/19م.

إن الطريقة الرحمانية، لم يتوقف انتشارها بين سكان المنطقة فحسب، بل عرفت انتشارا في الشرق (قسنطينة عائلة باش طرزي، وبوسعادة عائلة القاسيمي) وكذا في الجنوب من

---

[1]- سعد الله، المرجع السابق، ص101.

[2]- (H) TOUATI: op, cit, p 91.

[3] - Aissani, op.cit.

[4]- تعتبر من الطرق الهامة المشرقية، وقد أخذت تسميتها من مؤسسها محمد الخلواتي . انظر عنها/

- Depont et Coppolani, op.cit, p 379.

[5] - سعد الله، تاريخ ... ج 02، ص 514.

[6]- بوعزيز: ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد) ... ، ص 72.

خلال زاوية بلمختار في (الجلفة)[1]. وتمكنت بفضل تعاليمها من الانتشار في معظم جهات الشرق الجزائري[2]، وذلك راجع إلى :

– أن الطريقة الرحمانية : كانت الوحيدة التي أسسها بالمنطقة أحد سكانها، وهو ما جعل الناس يلتفون حوله وحولها، سواء من قبيلته أو من القبائل الأخرى، وهو عامل ساعد على انتشارها في منطقة زواوة .

– إتباع الطريقة الرحمانية لنهج حاول أن يوفق بين العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المنطقة، وبين ما لا يخالف النصوص الشرعية، أي أنها حاولت الجمع بين الشرع والعرف (ثاشرعيث ثاعرفيث) . وهي الظاهرة التي لم يعمل بها أحد قبله . حسب علمي .. وهذا ما جعل مختلف فئات المجتمع تلتف حولها.

– أن الطريقة الرحمانية جمعت بين التصوف والعلم والجهاد، مما جعلها طريقة استقطبت العلماء والمتعلمين والمجاهدين فكثر عدد أتباعها، وانتشرت بسرعة في النواحي الشرقية من الجزائر عامة.

بعض الطرائق الصوفية المنتشرة في المنطقة:

من بين أهم الطرائق الصوفية المنتشرة في المنطقة، والتي كانت موجودة فيها قبل القرن العاشر، وكان لهذه الطرائق أتباع في المنطقة نجد:

1– الطريقة القادرية: وهي من أولى الطرائق الصوفية التي حلت ببجاية، بواسطة الشيخ أبو مدين بن شعيب البجائي، في حدود القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وهي طريقة ترجع أصولها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد، ومن هذه الطريقة تفرعت مجموعة من الطرق الأخرى: كالشاذلية التي اتبعها الكثير من علماء المنطقة خاصة، وعلماء المغرب الإسلامي عامة. أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحي العدلي،

---

[1]- بوعزيز: المرجع السابق، ص72.

[2]- صلاح المؤيد العقبى: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشأتها، دار البرق، لبنان، 2002 ، ص 145.

والشيخ محمد السعيد الشلاطي، وأحمد بن يوسف الملياني، والشيخ الحسين الورثيلاني وغيرهم من العلماء الزواويين[1].

وأرى بأن انتشار هذه الطريقة بالمغرب الإسلامي عامة، ومنطقة زواوة خاصة، يعود إلى: تعاليمها التي تعتمد على البساطة، والصبر، كما جاء على لسان مؤسسها:« ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا ببقبقة الصناعة، وإنما بالصبر على الأوامر واليقين في البداية. مصداقا لقوله تعالى:﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[2].

2- الطريقة الزروقية: وظهرت في مدرسة بجاية، على يد: أحمد زروق البرنوسي، ومنها اتسع نطاقها في حوض الصومام، بعدما أسس زاويته ببني وغليس. بتمويل من شيخه وأستاذه الشيخ يحيى العدلي[3]. فعرفت هذه الطريقة التي وضع لها مؤسسها قواعد مبنية على القرآن والسنة، وحاول بوساطتها إحياء التصوف السني ببجاية. بعدما عرف انحرافا عن ذلك التصوف، الذي وضع معالمه بالمنطقة الشيخ: أبو مدين بن شعيب[4]. فالطريقة الزروقية عرفت توسعا كبيرا، حتى وصلت إلى الشرق الجزائري وذكر ابن الفكون، الذي كان معاديا للطرقيين والطرائق الصوفية، أنه كان شخصيا من المتصوفين، بل وحدد طريقته على أنها شاذلية زروقية[5]. لما لها من تعاليم و مبادئ مبنية على الكتاب والسنة، وهي المبادئ التي وضحها مؤسس الطريقة في قوله: « أصول طريقتنا التي تبنى عليها عشرة أشياء، خمسة ظاهرة، وخمسة باطنة...»[6].

---

[1] - الورثيلاني: المصدر السابق، ص 289. وكذلك: العقبي: المرجع السابق، ص 143.

[2] - سورة السجدة، الأية 24.

[3] – محمد الطاهر آيت علجت: مقابلة معه ببيته يوم:2006/06/29.

[4] – أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي, بيروت، لبنان، ص: 109.

[5] – ابن الفكون: المصدر السابق: ص: 04.

[6] – أحمد زروق البرنسي: كتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح المبين، مخ.م.و.ج, رقم:2330, ص:26.

فالطريقة الزروقية الأحمدية، أصبحت وبجدارة مجمع النخبة المثقفة في المنطقة، والتي لا تزال آثارها إلى يومنا هذا، خاصة في الأساطير الشعبية بمنطقة سيدي عيش (عرش بني وغليس) وبقرية إزروقن بالتحديد[1].

3- الطريقة الشاذلية: تعتبر الطريقتان الدرقاوية والناصرية، فرعان من الطريقة الشاذلية، وحسب رواية الصادق البجاوي، فإنه حتى الطريقة الطيبية كان لها أتباع بمدينة بجاية في بداية القرن العشرين. وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن هؤلاء الأتباع، قد اتخذوا هذه الطريقة منهجا لهم قبل هذا التاريخ، ولعل ذلك يعود إلى الفترة العثمانية التي عرفت توافدا للكثير من الشخصيات المغربية إلى المنطقة.

وبينما نجد للطريقتين الأخرتين (الدرقاوية والناصرية) أتباع لهما كذلك، فالطريقة الناصرية كان من بين أتباعها الشيخ الحسين الورثيلاني[2].

4- الطريقة الدرقاوية: إن بعض المصادر التاريخية تذكر بأن ثورة درقاوة، بعدما فشلت في قسنطينة و جيجل انتقلت إلى بجاية التي كان لها أتباع بها[3]. هذامن جهة، ومن جهة أخرى كان للطريقة أتباع في زمورة القريبة من برج بوعريريج. هذا ونجد الطريقة الحنصالية التي يوجد أتباعها بجرجرة (ببني إيراثن)، وكذا بالنسبة للطريقة العيساوية، التي يوجد أتباعها في أسفل جبل بالوة (أبو اللواء)، بضواحي تيزي وزو، وبعض أتباعها يوجدون في حوض بوغني[4].

إن هذا الانتشار الواسع للطرائق الصوفية في المنطقة، لم يكن مبنيا في جله على تأسيس الزوايا، بل نجد أن معظم المنتمين إلى هذه الطرائق. يشكلون أتباعا منفردين كفقراء وإخوان

[1] – (DJ) AISSANI: o p, cit, p:09.

[2] -MOHAMED HADJ SADOK: A travers la Bérbérie orientale du 18eme siècle avec le voyageur AL-WARTHILLANI, in, R A, N: 95, o.p.u, Alger, année 1951, P P: 218,219.

[3] – أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980, ص: 87.

[4] –(DJ) AISSANI: o p, cit., p:10.

ومحبين، كما أن لهذا الانتشار أسباب وعوامل ساعدت على دخول التصوف وانتشاره في منطقة الزواوة. فما هي هذه الأسباب؟

عوامل دخول التصوف والطرائق الصوفية إلى منطقة زواوة:

إن دخول التصوف إلى المنطقة، لا يمكن دراسة أسباب توغله بها، دون التعرض إلى الأسباب البعيدة العامة، التي ساعدت على انتشار هذه الظاهرة الروحية بين الشعوب، خاصة وأن العوامل المساعدة على انتشارها قديمة ترجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي، حيث نجد بأن سكان شمال إفريقيا عامة، والذين اعتنقوا المسيحية الدوناتية بوجه خاص، كانوا يميلون كثيرا إلى حب مبدأ المساواة بين الناس، وهي الظاهرة التي يتجمع سكان المنطقة حولها[1]. فالحياة الاجتماعية، وطبيعة المجتمع الأمازيغي الذي يلتف حول زعامة محلية ذات نفوذ ومكانة اجتماعية، جعلتهم يتوحدون حول زعامة معينة، هذا في وقت السلم. أما في وقت الحرب، فإن انتشار ظاهرة الرباط والمحارس على الثغور ظهرت كفكرة عسكرية دفاعية، تركت آثارها على الحياة الاجتماعية بالمنطقة، وأخذت تتوسع، وتترسخ معالمها بين الأوساط الشعبية، فالتف الناس حولها للدفاع عن البلاد، و العباد، وصد هجمات النصارى[2]. وبعد ضعف القوى السياسية المحلية، وتزايد الضغط المسيحي بعد سقوط الموحدين. عادت ظاهرة الثغور، إلى المغرب الإسلامي عامة، بعد ظهور قوة جديدة التف الناس حولها، وهذه القوة جاءت لإنقاذ المسلمين من الاضطهاد المسيحي والمتمثلة في القوة العثمانية، كما أن الصراع الذي شب بين الإمارات المحلية حبا في التوسع، أو السيطرة على السلطة، قد ساهم في ضعف المغرب الإسلامي عامة[3]. وفي خضم هذه المتغيرات أحاول تحديد أسباب دخول التصوف إلى المنطقة في الجوانب الآتية:

---

[1]– (L) RINN: MARABOUTS et KHOUAN Etude sur L'islam en Algérie, Adolph, Jourdan libraire, éditeur, Alger, p: 23.

[2]– محمد الفاضل بن عاشور: كتاب أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي, مخ.م.ج, رقم: 15267.

[3] - آيت سوكي، المرجع السابق، ص 71.

العوامل السياسية:

يعتبر سقوط مدينة بجاية في يد الاسبان (916هـ /1510م) من بين العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتقال العلماء والفقهاء، والمتصوفين الزهاد الذين كانوا في المدينة إلى المناطق الداخلية[1] الجبلية. إلا أن انعدام سلطة مركزية قوية قادرة على توحيد السكان لمواجهة الخطر الإسباني، جعل الناس يميلون إلى الزعامات المحلية والإمارات الجديدة التي بدأت تبرز في المنطقة كإمارة آل القاضي بزواوة الغربية، وإمارة آل مقران ببني عباس في زواوة الشرقية[2].

إلا أن الإمارتين لم تتمكنا من تأسيس نظام محلي، ولم تعملا على توحيد جهودهما سواء فيما يتعلق بمقاومة العدو الخارجي، أو في رسم طبيعة العلاقة بين هاتين الإمارتين والسلطة المركزية، بل برز صراع شديد بين الإمارتين حول من يستطيع التحكم في المنطقة، أو التقرب إلى السلطة المركزية بالجزائر[3].

حاول أمراء الإمارتين التحكم في سكان المنطقة وإخضاعهم عن طريق استخدام القوة والتسلط، بل وتسخير إمكانياتهم القليلة في خدمة السلطة القائمة سواء في زواوة الشرقية، أو في زواوة الغربية، وقد أدت السياسة المتبعة من طرف حكام الإمارتين إلى اتساع الهوة بين السكان المحليين وأمراء الإمارتين، وعوضا من أن يتوجه أمراء هاتين الإمارتين إلى توحيد الجهود لمواجهة الأخطار الخارجية وتحسين الأوضاع الداخلية، أو التحالف مع السلطة المركزية التي قدمت إلى المنطقة استجابة لاستغاثة السكان[4]،فإنها توجهت إلى زيادة فرض الضرائب على السكان واستغلال إمكانات الأهالي في خدمة أغراضهم الخاصة، مما جعل السكان يبحثون عمن يكون سندا لهم في وجه هؤلاء المتسلطين عليهم، فوجدوا غايتهم في

[1] –(Ch) Féraud: Conquête de Bougie par les Espagnoles (occupation de Bougie), in, R A, N°12, o.p.u, Alger, année 1868, p p: 253-254.

[2] -(S.A) BOULIFA: LE Djurdjura à travers L'Histoire (depuis l'Antiquité jusqu' à1830) ORGANISATION ET INDEPENDANCE DES ZOUAOUA (grande Kabylie), JBRINGAU Imprimeur EDITEUR ,Alger, 1925,pp 188.

[3]-I. B. I. D. M , p188.

[4]- BOULIFA op, cit .p 157.

فئة من الوافدين إلى منطقة زواوة من أجل نشر التعليم العربي الإسلامي في المنطقة، وهم فئة المرابطين الذين وقفوا إلى جانب المستضعفين والفقراء في المنطقة[1]، فاقتدى بهم الزواويون لكونهم يتصفون بأخلاق حميدة وسيرة حسنة، إضافة إلى تفرغهم لتعليم أبنائهم وتربيتهم تربية دينية إسلامية حسنة.

إن سلوك هؤلاء المرابطين والعلماء والمتصوفين، جعلت السكان ينظرون إليهم نظرة وقار وتقديس متميز، وهذا ما ذكره الباحث الفرنسي . أوكابيتان . (AUCAPITAINE) الذي زار زاوية ابن علي الشريف الشلاطي، وذكر بأن السكان في المنطقة يقدسون الأولياء والمتصوفين المرابطين ويبجلونهم[2].

إن ولاء سكان المنطقة لرجال الدين، يبين بأنهم تخلوا عن رجال السلطة الذين فشلوا في توحيد سكان المنطقة، كما فشلوا في حل المشاكل التي يعاني منها السكان، فزاد ذلك في تمسك العامة برجال الدين الذين لا تربطهم بالسلطة صلة، سواء مع السلطة المركزية أو الحكم المحلي في المنطقة، والمتمثل في إمارة بني عباس أو إمارة آل القاضي[3]، فتحول رجال الدين والعلم إلى سلطة محلية، عوضت السلطة السياسية، وأصبح نفوذهم يتعدى نفوذ الأغوات والقياد[4] في تنظيم السكان وتوجيههم، ومثال ذلك ما وقع لسلطان آل القاضي مع الولي الشيخ سيدي منصور الجنادي الذي أراد تسخير إمكانيات أعراش كل من بني إيراثن وبني عيسي وبني جناد في خدمته الشخصية، وكيف كانت عاقبة ذلك[5].

لقد أدى هذا التحول الذي عرفته المنطقة بفعل الصراع الداخلي بين الإمارتين، والفراغ السياسي الذي ساد المناطق الجبلية عامة في الجزائر خلال العهد العثماني، إلى جعل

---

[1] – ابن زكري: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا...,ص: 11. وكذلك:– أبو يعلى الزواوي: تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص: 105.

[2]-Boulifa op, cit,p 22
[3]-RINN , op ,cit ,p 14.
[4]-RINN, op cit p 15.

[5] أنظر ساحي: أعلام من زواوة إيقواون... ص:41

السكان المحليين الذين كانوا لا يرضون الانصياغ لأي دخيل عليهم، يلتفون خلال هذه الفترة حول الشخصيات الدينية، والعلمية الوافدة إلى المنطقة من جهات أخرى، سواء كانت من المغرب أو المشرق، وكان هذا بمثابة عامل ساعد على ظهور أفكار جديدة في المنطقة، يمكن تلخيص مميزاتها في الجوانب التالية:

– **بداية الصراع بين علماء الشريعة (الفقهاء) وفئة المرابطين:** إن هذه الفئة الوافدة الحاملة لصفة التصوف والولاية، والمتمثلة في فئة المرابطين قد أدت إلى تكوين فكر ثقافي جديد قائم على المزج بين الإرث الحضاري للسكان، والمتمثل في القوانين العرفية السائدة بالمنطقة منذ الفترة القديمة، والقوانين الشرعية المستمدة من الشريعة الإسلامية، التي جاء بها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، مما أضفى على المنطقة تقاليد شفوية أمازيغية، وثقافية عربية عالية، ومعرفة واضحة وصحيحة للقوانين الشرعية[1].

بروز أفكار جديدة جاء بها الأولياء والعلماء الصالحون والمرابطون، والمتمثلة في فكرة الحرية، والتخلص من الاستبداد والقهر المفروضين على السكان من قبل الأمراء المحليين، أو ممثلي السلطة المركزية في المناطق الخاضعة لها، فكان هذا عاملا مساعدا على استبدال القوانين والأعراف الوضعية بالقوانين السماوية، خاصة تلك التي تخدم الحرية، وتناهض الاستعباد[2].

غير أن المحلل لرأي بوليفة، يرى بأن السبب المباشر الذي جعل سكان المنطقة يقبلون الغريب ويحتضنون دعوته، إنما الغرض منه حماية المصالح الذاتية، والدفاع عنها، أي أن ذلك يكون مبنيا على الجانب المادي بالدرجة الأولى. وهنا يمكن أن تطرح عدة تساؤلات منها:

[1] - H. TOUATI: o p, cit, pp 88-93.
[2]- S.A. BOULIFA: o p, cit., p:157.

– لماذا آزر سكان هذه المناطق الجبلية الحركات الدينية السابقة كالحركة الشيعية، وغيرها وهذا قبل ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية بمدة طويلة؟

وللإجابة على هذا التساؤل: يمكن أن أعود إلى طبيعة السكان الذين يقبلون الخضوع للزعامة الدينية بسهولة، بينما يرفضون الخضوع للسلطة السياسية. ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل السكان يستقبلون هذه الفئة المعتمدة على العصبية الدينية (التصوف أو النسب الشريف «إمرابظن»)[1]. فيتخذونهم سندا لهم للدفاع عن مصالحهم.

كما أن هنالك ظاهرة أخرى تتعلق بطبيعة تسيير شؤون المنطقة، القائمة أساسا على ما يعرف ب: (ثاجماعث)، وهي بمثابة نظام داخلي لكل قرية تتصف بالشورى، واتخاذ القرار الجماعي، الذي أصبح في هذه المرحلة مهددا بالزوال نتيجة اكتساح القوى الجديدة المحلية الإقطاعية [2]. التي فشلت في توحيد هؤلاء السكان الذين توجهوا إلى الزعماء الصوفيين، والطرقيين الذين تمكنوا من توحيدهم، فحققت الطرائق الصوفية ما لم تحققه السلطة السياسية في توحيد السكان من جهة، والمساهمة في فشل القوى المحلية من جهة أخرى، وهي القوى التي لم تتمكن من المحافظة على نفوذها في كامل المنطقة، ولا من توقيف السلطة المركزية في بسط نفوذها على بعض الأقاليم ومناطق البلاد، خاصة الساحلية: كدلس وأزفون وتقزيرت وبجاية، وكذا السهلية: كسهل سيباو وحوض بوغني وسهول حمزة ومجانة... [3]، ونظرا للمكانة التي يتمتع بها المرابطون ورجال الدين في الأوساط الاجتماعية المحلية، أصبحوا يشكلون قيادة معترف بها لمواجهة الاعتداءات الخارجية أو النظام المحلي السياسي[4]. ومن خلال هذا يظهر بأن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المنطقة من بين العوامل المساعدة على انتشار الطرائق الصوفية في منطقة

---

[1] – الزواوي: المرجع السابق، ص 105.

[2] – الإقطاعية المحلية الجديدة: المقصود بها آل القاضي بالزواوة الغربية، وبني عباس بالزواوة الشرقية. أنظر:

BOULIFA: o p, cit., p: 158.

[3](A) MAHE: o p, cit, p: 23.

[4] – مسعود العيد: المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر ...، ص:19 .

زواوة، وذلك نتيجة وجود أرضية خصبة قابلة لهذه البذرة التي تحمل في طياتها معالم روحية، فاستقرت وانتشرت في ربوع منطقة زواوة عدة طرائق وساهمت في بعث الحياة الثقافية والعلمية بين السكان في المنطقة وخارجها.

العوامل الاجتماعية:

عرفت منطقة زواوة في تاريخها القديم والحديث، صراعات محلية وحروبا كثيرة، جعلت السكان منقسمين إلى صفوف متعادية ومتحاربة[1]. وقد بقي هذا التقسيم قائما بعد سقوط الحفصيين الذين سيطروا على الجزء الشرقي من المغرب الأوسط، وضمن هذا القسم منطقة زواوة الشرقية. هذا وكان لضعف الزيانيين في تلمسان دوره في ضعف وتراجع الإمارات التي فرضت سيطرتها على بعض مناطق الجهة الغربية من منطقة زواوة، خاصة منها إمارة الثعالبة التي كانت تشرف على حوض وادي يسر[2].

أمام هذه الأوضاع غير المستقرة في المنطقة، والتي تركت آثارا سلبية في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية للسكان. أصبحوا يبحثون عن أي منقذ لأحوالهم المتدهورة، الناتجة عن الصراع الداخلي بين الصفوف (الصف الفوقاني والصف التحتاني)[3]، في إطار القبيلة الواحدة، وكذلك الصراع القائم بين الإمارتين المحليتين اللتين تفرضان سيطرتهما على المنطقة، وذلك نتيجة الحروب التي نشبت بين الإمارتين، وكذا الحروب التي نشبت بين السلطة المركزية، وبعض زعماء المنطقة: كحرب عرش بني إيراثن ضد الحكم العثماني وسلطة الباي محمد[4].

---

[1] –HANOTEAU et LETOURNEUX : op ,cit ,T2 , p 17..

[2] – سعيدوني:القبائل، محاضرة غير منشورة 1992، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية(نموذج بلاد القبائل)، عمل ونشر: International Congress On learning and éducation IN The Ottoman World ISTANBUL 12-15 April 1999. ص، 12.

[3] HANOTEAU et LETOURNEAU: o p, cit.,T2, p p18-19.

[4] أرزقي شويتام: نهاية العهد العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. رسالة ماجستير, جامعة الإسكندرية, 1988, ص: 21.

فكانت هذه الأحداث وغيرها، من بين العوامل التي جعلت السكان ييأسون من حالتهم، بل يفقدون الثقة في الزعامات المحلية السياسية، ويستبدلونها بزعامة جديدة قائمة على العصبية الدينية، فكانوا يرون في هؤلاء المتصوفين والمرابطين بديلا عن السلطة السياسية، فهم لا يخسرون شيئا في الالتفاف حولهم، فإن انتصروا على خصومهم غنموا من ذلك ماديا، وإن قتلوا فإنهم شهداء . حسب اعتقادهم . كونهم أيدوا رجالا لا يبحثون عن المال، أو الجاه، أو السلطة. بل همهم هو نشر العدل وتطبيق الأحكام الشرعية[1].كما أن أسلوبهم مبني على تطبيق التعاليم الدينية الداعية إلى المصالحة والأخوة ونبذ الخلافات[2] بين الناس، وهذه الصفات هي التي جعلت السكان في المنطقة يساهمون في انتشار الحركات الصوفية والطرقية في المنطقة.

وعلى كل، فإن الحياة الاجتماعية في المنطقة، ونتيجة للإحباط واليأس الذي عانى منه سكانها من بين العوامل التي ساعدت رجال الطرائق الصوفية، والمرابطين في بسط نفوذهم على الحياة الاجتماعية بالمنطقة.

كما أن السكان قد توجهت أنظارهم إلى المرابطين، لكونهم الزهاد الذين يمثلون مظهرا من مظاهر التصوف الشعبي، بل أكثر من ذلك فإن السكان في المنطقة يلتمسون النجاة على أيديهم[3]، ويعتبرونهم وسيلة لصد الخطر الذي يهدد بلادهم والذي مثله النصارى الإسبان الذين فرضوا سيطرتهم على بعض الأجزاء من بلادهم، وتزعم هذه الفئة لعملية الجهاد في سبيل الله في شمال إفريقيا عامة وبين سكان المنطقة بوجه خاص، أعطى للمرابطين مكانة

---

[1] S. A) BOULIFA: o p, cit, p:158.

[2] الورثيلاني: المصدر السابق, ص: 8. وكذلك:

- (S. A) BOULIFA: O P, CIT,P: 189.

[3] ألفرد بل: الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم، ... ص:42.

هامة بين السكان[1]. لكونهم كانوا زعماء الجهاد، ومعلمين ومربين للأولاد في المنطقة، فوجدوا فيهم من يملأ الفراغ الفكري الذي كانوا يعانون منه[2]

إن إشراف المرابطين والمتصوفين على المؤسسات التعليمية، ومساهمتهم في حل مشاكل السكان، وتزعمهم للجهاد في سبيل الله، من الأمور التي جعلت قلوب العامة تهوي إليهم، فتحولوا إلى قوة رئيسية في المجتمع المحلي[3]، وساهموا في انتشار الطرائق الصوفية في المغرب الإسلامي عامة، ومنطقة زواوة خاصة[4].

وعلى كل، فإن الحياة الروحية في منطقة زواوة، تظهر تأثيراتها في الحياة الاجتماعية، والثقافية بين السكان من خلال الزوايا والطرائق الصوفية التي عرفت انتشار واسعا في المنطقة، ومعظم المناطق الجبلية في الجزائر، وزاد هذا التأثير بظهور الطريقة الرحمانية التي جاء بها الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمن القشطولي الجرجري، وقد تجلت تأثيراتها وإسهاماتها في انتشارها بين السكان لما لها من قواسم مشتركة بالأعراف المحلية وتناسقها مع طبيعة أهالي المنطقة، وتبني الأفكار الشعبية السائدة بين السكان، الذين اتبعوا تعاليمها، فأضحت من أكثر الطرائق الصوفية انتشارا وتأثيرا في السكان.

---

[1] جون ب وولف: الجزائر وأوربا. ... ص:27.

[2] محمد نسيب: زوايا التعليم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، (د، ت)، ص 210.

[3] BOULIFA: OP, cit , p 189.

[4] عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981، ص 238.

الباب الثالث:

تراجم علماء منطقة زواوة.

الفصل الأول: تراجم علماء القرنين العاشر والحادي عشر الهجري/16-17م.

الفصل الثاني: تراجم علماء القرن الثاني عشر الهجري/ 18م.

الفصل الثالث: تراجم علماء القرن الثالث عشر الهجري/19م.

خاتمة الباب.

الفصل الأول :

تراجم علماء زواوة في القرنين العاشر والحادي عشر هجري / 16 – 17م:

يعتبر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، بالنسبة للحياة الفكرية بالمغرب الإسلامي عامة، وبالمغرب الأوسط (الجزائر) خاصة، بمثابة نهاية لمرحلة فكرية وثقافية هامة سابقة، كانت فيها الحواضر العلمية مزدهرة، سواء تعلق الأمر بتلمسان، أو بجاية، أو قسنطينة، أو غيرها من المراكز العلمية والفكرية التي اشتهر بها المغرب الأوسط بوجه خاص. إلى مرحلة أخرى تميزت بظهور قطب فكري جديد يتمثل في تحول مدينة جزائر بني مزغنة إلى حظيرة المغرب الأوسط بعد اتخاذها عاصمة للدولة، وارتباط الجزائر بالباب العالي سنة 1519م، كما أن مدينة بجاية الحمادية التي كانت حظيرة علمية وفكرية وحضارية هامة في المغرب الإسلامي خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة ولعدة قرون. فمنذ تأسيسها من طرف الناصر بن علناس لاتخاذها عاصمة للمملكة 460هـ/ 1067–1068م، وهي تلعب هذا الدور الحضاري، إلا أن تم احتلالها من طرف الإسبان في 1510م، فبدأت تفقد هذه المكانة التي تبوأتها طيلة المدة السابقة، وذلك نتيجة الاضطرابات التي عاشتها المدينة، وكذلك خروج العلماء منها إلى الحظائر الأخرى، سواء في الجزائر، أو خارجها، وخلال هذه الفترة، أي فترة الاحتلال الإسباني للمدينة، شهدت النواحي الداخلية خاصة الجبلية منها، استقرار العديد من العلماء الذين كانوا بالمدينة في القرى الجبلية الداخلية من منطقة زواوة، وبذلك انتقلت المؤسسات العلمية البجائية إلى الداخل، وبدأت الحركة العلمية في الانتشار بمنطقة البحث، سواء تعلق الأمر بزواوة الشرقية كعرش بني يعلا، أو عرش بني عيدل، وعرس بني يعدل، وعرش بني عباس، وعرش إيلولة بقسميه، أو غيرها من العروش التي عرفت ميلاد الكثير من المؤسسات العلمية. كما ظهرت مؤسسات علمية كذلك في زواوة الغربية وفي أعراشها كبني غبرين، وعرش زرخفاوة، وبني إيراثن وبني منجلات وبني جناد... وغيرها من المؤسسات، وكان هذا الانتقال سببا مباشرا في انتشار المعمرات (الزوايا) في المنطقة، ومؤسسات التعليم الأخرى كالكتاتيب والمساجد، التي لعبت دورا مهما في تعريب المنطقة الجبلية الداخلية، وانتشار العلوم الدينية المختلفة بين طلاب العلم، وعلماء المنطقة خلال فترة البحث.

هذا من حيث إسهام مدينة بجاية في انتشار المؤسسات والمراكز العلمية والتعليمية في المنطقة، وهي المراكز التي سيكون للمتعلمين فيها، والمتخرجين منها أثره الكبير في إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي خاصة، والعالم الإسلامي عامة. وهي الإسهامات التي تظهر من خلال مؤلفات هؤلاء العلماء، أو في نشاطهم الفكري التعليمي، أو الروحي من خلال الطرائق الصوفية التي عملوا على نشر أفكارها في العلام الإسلامي خاصة منها الطريقة الرحمانية.

أما بالنسبة للعلماء الذين أنجبتهم المنطقة، أو انتسبوا إليها خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري / 16 و17م، فإن الباحث في هذه الفترة يستنتج بأن القرن العاشر يعد نهاية لمرحلة تاريخية هامة في الحياة الفكرية في منطقة زواوة، إذ نجد بأن معظم الرجال والعلماء الذين تركوا بصماتهم في الحياة الفكرية الإسلامية مغربا، أو مشرقا، هم من أولئك الذين تلقوا تعليمهم عن علماء بجاية في فترة ازدهارها.

ففي القرن التاسع الهجري /15م اشتهرت المدينة بالكثير من العلماء والفقهاء والأولياء والمتصوفين المرابطين الذين هم من أتباع وتلاميذ مشايخ أجلاء، أمثال الشيخ الوغليسي، والمشدالي[1]، وغيرهم من أولئك الذين أعطوا الكثير للفكر الإسلامي، بل الإنساني عامة، والذين ساهموا في النشاط الفكري ببجاية أيام عزّها.

علماء القرن العاشر الهجري / 16م

إذ يمكن اعتبارهم بمثابة نهاية لفترة، وبداية لفترة أخرى، فإن نظرنا إلى أسماء الذين عاشوا في القرن العاشر هجري / 16م، فإننا نجد بأن أعدادهم تقل كلما ابتعدنا عن النصف الأول من القرن، ففي النصف الثاني منه لا نجد إلا عالما واحدا وهو يحيى بن سليمان الزواوي الذي ذكره عمار هلال، دون أن يعطي عليه أية معلومات، بل اكتفى بذكر اسمه فقط[2]، وهذا يدل على أن القرن العاشر الذي يعتبر بداية لدراسة إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية خلال الفترة الحديثة، يمكن اعتباره بمثابة مؤشر لعهد يمكن تسميته بدور بجاية المدينة العلمي، وما بعد هذه الفترة، يمكن اعتبار التأثير الفكري في المنطقة

---

[1] – عائلة المشداليين الذين اشتهرت بهم المدينة.

[2] – عمار هلال: العلماء الجزائريون في فاس، في: مجلة الدراسات التاريخية،ع: 9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995، ص 28، و ص33.

منطلقا من المؤسسات التعليمية القروية التي تعد من المراكز الجديدة للتعليم في منطقة البحث، وقد لعبت القرى والنواحي الداخلية في المنطقة دورا لا يُستهان به في نشر العلم والمعرفة، وما يتضح خلال هذه الفترة كذلك هو انتشار العلوم النقلية، عادة تخلو ثقافات الشعوب من العلوم العقلية وتمقت الاجتهاد لاجئة إلى التقليد، وتعتمد على تخزين المعارف[1].

فطبيعة المنطقة، ونوعية العلوم المنتشرة في معمراتها، وكتاتيبها، دالة على تراجع دور المدينة العلمي، تاركا المجال لدور المؤسسات الريفية التي لا يمكن نفي أهميتها في نشر التعليم. أما القرن الحادي عشر الهجري / 17م، فإننا نلاحظ بأن عدد العلماء الذين ينتسبون إلى هذه المنطقة، كانت إسهاماتهم قليلة جدا مقارنة بالفترة اللاحقة، وهذا ما يمكن إرجاع أسبابه إلى الفراغ الكبير الذي تركه سقوط المدينة بيد الإسبان، وهجرة علمائها لها، وكذلك الأوضاع السياسية التي عاش فيها المجتمع المحلي، من صراعات داخلية، بين إمارة بني عباس، وإمارة آل القاضي، إضافة إلى الصراع ضد السلطة المركزية، مما جعل المؤسسات التعليمية القروية تتأخر في تكوين النخب العلمية، والفكرية التي ستواصل الدور الحضاري لمنطقة زواوة.

قبل التعرض إلى إسهامات هؤلاء العلماء في الحياة الفكرية الإسلامية، يجدر بي التعرض أولا إلى تقديم بيبيوغرافيا عن أهم العلماء الذين تمكنت من جمع المعلومات حولهم في هذين القرنين، والجدول التالي يبين أهم أسمائهم، ثم تلي ترجمتهم معتمدا في ترتيبهم على تاريخ الوفاة بالتقويم الهجري.

---

[1] – عبد المجيد مزيان :الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار " في مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد 90، 1406هـ/1985م، وزارة الثقافة والسياحة والإعلام، الجزائر، ص 36.

أولا : علماء القرن العاشر الهجري/16م

	اسم أو كنية العالم	تاريخ وفاته	تخصصه	ملاحظات
1	حمزة بن محمد بن الحسن البجائي	عاش في الفترة من 839 إلى 902هـ/	فقيه لغوي منطقي	من الذين تصدروا للتدريس والإقراء، والإفتاء في الأزهر الشريف
2	أحمد بن علي الغبريني.	حي في 917هـ/1511م.	فقيه، قاضي سياسي.	الغبريني نسبة إلى عرش بني غبرين في السفوح الشرقية من جبال جرجرة.
3	عمر البجائي المغربي.	ت.919 أو920هـ/ 1513 – 1514م.	فقيه ولي صالح.	من أهل مدينة بجاية التي عاش فيها.
4	بلقاسم بن محمد الزواوي.	ت. 922هـ / 1516م	فقيه لغوي.	من زواوة الغربية لأن الزواوي عادة يطلق على سكان جبال جرجرة.
5	أحمد بن محمد البجائي.	ت. 922 هـ / 1516م	فقيه صوفي نحوي أصولي	من أهل مدينة بجاية، انتقل إلى تلمسان وعلم فيها.
6	قاسم بن عمر الزواوي.	ت. 927هـ / 1521م.	فقيه صوفي.	من أهل جرجرة الذين هجروا البلاد واستقر بمصر.

7	موسى بن سعيد الزواوي.	ت. 931هـ / 1525م.	مقرئ.	من أهل زواوة، وقد هاجر مبكرا إلى المغرب، وبقي فيها حتى توفي.
8	طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني.	ت. 940 هـ / 1533م	فقيه صوفي.	هاجر أهله المنطقة فاستقروا في مدينة قسنطينة التي ينسب إليها.
9	السعيد البجائي.	ت. 950هـ / 1435م.	صوفي ولي صالح.	من أهل بجاية، والتي غادرها مستقرا في تلمسان التي توفي فيها.
10	يحيى بن سليمان الزواوي.	ت. 999 هـ/1059م.	فقيه.	من العلماء الزواويين الذين كانت لهم مكانة علمية في فاس[1]

تراجم علماء القرن العاشر الهجري/ 16م :

1 – حمزة بن محمد بن الحسن البجائي: ولد تقريبا عام تسعة وثمانمائة ببجاية، وأخذ العلم عن أبي القاسم المشدالي، وولده أبي عبد الله، وانتقل إلى تونس، وتمهر في الأصلين، والعربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق.

يعد من أكبر الفقهاء الذين عاشوا في بجاية، قبل أن يهاجر إلى المشرق، مؤديا فريضة الحج، ثم تيمم نحو بلاد الشام، فزار القدس الشريف، ومنه توجه إلى القاهرة التي استقر فيها، وتفرغ للتدريس، والإقراء، والإفتاء، وظل فيها إلى أن انتقل إلى جوار ربه عام 902هـ /1496.[2]

---

[1]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، 2ج، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر 2011، ص 339.

[2]- التنبكتي: نيل الإبتهاج...ص 153. وكذلك ذكره :

- عمار هلال: العلماء الجزائريون فيما بين القرنين 4، و8هـ/ 10، و14م، في مجلة الدراسات التاريخية، ع 8، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993/ 1994، ص

2- أحمد بن علي القاضي الغبريني :

هو أبو العباس أحمد بن القاضي أحمد بن القاضي الزواوي الغبريني، من عرش بني غبرين الواقع في السفوح الشرقية لجبال جرجرة، وإليه ينسب. ذكره الشفشاوني قائلا : " ومنهم الشيخ الصالح العالم بوظائف الترشيح والمصالح، أحد أنصار هذا الدين، وأئمته المهتدين.... كان من الفضلاء الأخيار والصلحاء الأبرار، مجتهدا باذلا نفسه وماله في إقامة شعائر الدين، وغزو أعداء الله الكافرين "[1].

فالشيخ الغبريني، من أحفاد قاضي قضاة بجاية في العهد الحفصي العالم أحمد بن أحمد الغبريني، صاحب كتاب " عنوان الدراية... "، وقد عاش عالمنا هذا على ما يبدو في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وبداية العاشر، فأخذ عن علماء مدينة بجاية العلوم المختلفة، وقد ولاه أمراء بني حفص قضاء المدينة، ولما ظهر الأتراك العثمانيون في سواحل المغرب الأوسط، تخلى عن القضاء وأسس إمارة عام 917هـ/1511م بإيعاز من السلطان الحفصي، وهذه الإمارة هي التي تعرف في المصادر التاريخية بإمارة كوكو، الواقعة عند منابع وادي سيباو، في السفوح الشرقية لجبال جرجرة... وأقره خير الدين على حكمها[2]، وكان عالما تقيا سالكا طريق السنة المحمدية حتى قال فيه: محمد الهبطي، فيما روى ابن عسكر قوله: " ما رأيت فيمن أدركت من المشايخ من كان الجادة وجاء بالتربية النبوية على أصلها المعروف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى رجلين الشيخ سعيد بن عبد المنعم في حاحة[3]، الشيخ أحمد بن القاضي بجبل زواوة "[4].

أما خير الدين بربروس، فقد قال فيه :" لقد كان ابن القاضي أحد عظماء الجزائر "[5]، وهو ليس الذي ذكره الشفشاوي، بأن الأتراك تنكروا له بعدما ساعدهم ووقف إلى جانبهم في دخولهم إلى الجزائر، بل الذي تمرد عليهم هو ابنه أحمد بن أحمد أولقاضي، الذي قال فيه خير الدين بأنه محلّ والده وهو ولد طائش يدعى ابن القاضي أيضا. وحارب خير الدين، بل

---

[1] – محمد بن عسكر : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق : محمد حجي، مراجعة وترقيم الفهارس : عبد المجيد خيالي، ط3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 1424هـ / 2003م، ص 114.

[2] – عبد الوهاب بن منصور : أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط 1406هـ / 1986م، ج5، ص ص 147، 149.

[3] - مدينة في المغرب الأقصى، تقع في الجنوب المغربي

[4] – ابن منصور: المرجع السابق، ص 149.

[5] – مذكرات خير الدين، ...، ص 109.

تحالف مع خصوم خير الدين للإطاحة به[1]. وعلى كل، فإن هذا الرجل تدل كل المصادر التاريخية على أنه ينحدر من عائلة شريفة عريقة في بجاية، وقف إلى جانب الإخوة بربروس عندما حلوا بالمغرب الأوسط، ولعبت أسرته، وأحفاده دورا هاما في تاريخ المغرب الأوسط خلال الفترة الحديثة عامة ومنطقة زواوة بوجه خاص[2]، وتوفي سنة 917هـ /1511م، فهو من المخضرمين الذين عاشوا في المرحلة الانتقالية لمكانة المدينة العلمية، أي فترة الازدهار العلمي لمدينة بجاية، وفترة التراجع بعد الاحتلال الإسباني لها.

3– عمر البجائي المغربي :

وهو من أهل بجاية الذين عاشوا في أواخر القرن التاسع الهجري، بداية القرن العاشر (15 – 16م)، وقد ذكره بعضهم بقوله:" الإمام العلامة، القدوة الحجة الفهامة، ولي الله تعالى العارف به، قدم إلى مصر في زمان السلطان الغوري، وصار له عند الأكابر وغيرهم القول التام"[3]، فقد رحل عن بلده – الجزائر – نحو المشرق، وربما كانت رحلته من أجل أداء مناسك الحج كما كانت عادة أهل المغرب، وفي نفس الوقت من أجل الاستزادة في الاطلاع على العلوم الإسلامية عن علماء المشرق الإسلامي، والاحتكاك بهم.

وكما هو في ترجمته، فإن له كرامات دالة على قطبانته، ومظاهر حياته التي تتسم بالزهد في مأكله ومشربه، وهذه الصفات جعلته محبوبا عند الناس عامة، وذوي الجاه خاصة، ومما روي عنه : أنه أخبر بزوال مملكة الجراكشة وقتالهم لابن عثمان، وقال إن الدولة تكون للسلطان سليم قبل أن يصل إلى حكم الدولة العثمانية.

وعن أوصافه فهو : شاب طويل القامة جميل الصورة، طيب الرائحة على الدوام، حفظ المدونة الكبرى للإمام مالك... وكان يصوم الدهر كله وقوته في الغالب الزبيب... وقد أنشد فيه الشيخ شمس الدين الدمياطي أبياتا منها :

سألتني أيها المولى مديح أبي ... حفص وما جمعت أوصافه الغرر
مكمل في معـانيه وصورته ... كمـال من لا به نقص ولا قصـر
مطهر القـلب لا غلّ يدلسـه ... ولا له قـط في غير التقى نظـر

---

[1] – بربروس : المصدر السابق، ص 109، وما بعدها.

[2] - Joseph Nil Robin : La Grande Kabylie sous le régime Turc, présentations et notes de Alain Mathé, Editions Bouchene, France, (s d), p 39.

[3] – نجم الدين محمد بن محمد الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل المنصور، 3ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ / 1997م، ج1، ص 287.

فهنّ جامع محمود بساكنــه   فإنه الآن محمــود ومفتخـر

وقل له : فيك بحر العلم ليس له   حـد فيا لك بحرا كلــه درر[1]

إن المتمعن في هذه الأبيات، يستنبط المكانة العلمية والروحية التي كان يتميز بها هذا العالم بين علماء عصره في مصر، كما يمكن أن يستنتج الدور الذي لعبه في التعريف بعلماء المغرب في المشرق الإسلامي عامة، خاصة علماء زواوة.

4- بلقاسم بن محمد الزواوي :

من أكابر الإمام السنوسي وقدمائهم، أخذ عنه الكثير من المشائخ والعلماء في المغرب أمثال محمد بن عمار الملالي، وأبو البركات النالي التلمساني... وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق ودرس هناك خليلا، ولقي جماعة من العلماء أمثال: أبي الجود الفرضي، وأبي القاسم النويري وغيرهم[2].

ذكره ابن مريم قائلا : " الشريف الفقيه الولي الصالح العالم المدرس من أكابر أصحاب الإمام السنوسي وقدمائهم، وتوفي في صفر 922هـ"[3]، ومن العلماء الذين أخذ عنهم في المغرب الإسلامي قبل رحيله، العالم ابن مرزوق الحفيد، وسليمان البوزيدي الشريف، وقاسم العقباني وغيرهم[4]، وهؤلاء من العلماء المتضلعين في علوم شتى، مما يدل على غزارة علمه وعلو كعبه.

5- أحمد بن محمد البجائي :

هو الشيخ العالم الولي الصالح، أبو العباس أحمد بن الحاج البجائي ثم التلمساني، كان من العلماء الأعلام والأئمة الذين يقتدى بهم في الإسلام، واسع الدراية كبير العناية، غزير الرواية، ومن العلماء الذين أخذوا عنه العالم الشيخ أبي عبد الله محمد شقرون بن هبة الله[5].

أخذ الطريق عن الشيخ شعبان البلقطري، وكان ورده في اليوم والليلة عشرين ألف تسبيحة، وأربعين ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم... توفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة[6].

---

[1] – نفسه ، ص 288.

[2] – أحمد بابا التنبكتي : الديباج المذهب وذيوله، ..، ص ص 139، 140.

[3] – أبو عبد الله محمد بن محمد : البستان في ذكر الأولياء... ص 71.

[4] – عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر، ... ص 56.

[5] – الشفشاوني : المصدر السابق، ص 114.

[6] – الغزي : المصدر السابق، ص ص 154، 155.

من آثاره مسألة سأله عنها الشيخ الولي أبو العباس البجائي، هذا نصها : " الحمد لله الواجب الموصى المحقق الناظر لنفسه نظر المشفق ان يفر بنفسه من الفتن، ولا يقيم إلا بموضع تقام فيه السنن، ولا يأخذ من علم دينه ما يحتاج إليه، إلا ممن تظهر الخشية والخشوع عليه، ويطلب ذلك في أقطار الأرض ونواحيها بدليل ﴿... ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها... ﴾[1]، هذا مع الإمكان ووجود بغيته في غير ذلك المكان، فإن تعذر عليه ذلك، وانسدت عليه المسالك، ولم يجد موضعا صالحا مرضيا، ولا معلما ناصحا مهديا. فليقم هناك صبرا جميلا، ويكون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، وليقل كما قالوا إذا لم يجد معينا على الدين ولا ظهيرا ﴿... ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظّالم أهلُها واجعل لنا من لدنك نصيرا... ﴾[2]، ويأخذ من العلم ما يظهر إليه من كل متصدر لأخذ عنه، فرب حامل علم إلى من هو أعلم منه، وقد يتعالج المريض بدواء الطبيب الكافر، وقد يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر، ويشتري من المبيعات لبسا وطعما، ولكن لا يغشم المعيشة غشما، وليعط الورع حقه، ويعمل في ذلك اجتهاده ورفقه، ويتجنب اشتراء الجزاء المأخوذ من المكس من غاضب... فان اقتصر على ضرورياته لم يخف على دينه اختلالا، إذا كانت الدنيا جيفة لكان قوت المؤمن منها حلالا، وقد أحسن الفقيه الكلاعي إذ يقول في مثل هذا :

وطاعة من إليه الأمر فالزم — وإن جاروا وكانوا مسلمين

وإن كفروا ككفر بني عبيد — فلا تسكن ديار الكافرين

فربما يقوم الحق يوما — فتهلك في غمار الهالكين

تجد في الأرض متسعا فهاجر — إلى دار الهداة الواصلين[3].

من آثاره: شرح سينية ابن باديس، والبردة، ونظم عقيدة السنوسي الصغرى[4].

6- قاسم بن عمر الزواوي :

قاسم بن عمر المغربي الزواوي، الشيخ الفاضل المتعبد الصالح المبارك المعتقد... كان مقيما في صحبة رفيقه الشيخ العابد الزاهد محمد الزواوي بمقام الشيخ تاج الدين بن عطاء

[1] – سورة النساء، الآية 97.

[2] – نفسها، الآية 75.

[3] – الشفشاوني، المصدر السابق، ص 114.

[4]- محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ...،ص 277.

الله الإسكندري، ثم أقام بمقام الإمام الشافعي خادما لضريحه، وصحب الشيخ جلال الدين السيوطي وارتبط به، وقلده في ملازمة لبس الطيلسانة صيفا وشتاء، وكان يتردد إلى الشيخ تقي الدين الأوجاقي وغيره من أهل العلم، ومن الذين أخذوا عنه والد المترجم البدر الغزي[1].

استقر بالقاهرة، بعد هجرته لبلده[2]، وبقي فيها إلى أن توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة[3]، وقد لعب هذا العالم دورا كبيرا في نشر الطريقة الشاذلية في الديار المصرية[4]، كما ترك مجموعة من التآلف والتصانيف التي لم أتمكن من الوقوف عليها، والتي ذكرها الغزي في ترجمته لهذا العالم.

7- موسى بن سعيد الزواوي :

هو موسى بن سعيد الزواوي المقرئ بفاس[5] ينتمي إلى جبال زواوة[6]، ومن بين علماء المغرب الذين أخذوا عنه الشيخ : عيسى بن أحمد الماوسي[7]، ويعد هذا العالم المتقن لفن القراءات من العلماء الذين سكتت عن ذكرهم المصادر التاريخية.

8- طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني :

هو الطاهر بن زيان الزواوي أصلا القسنطيني مسكنا وإقامة، ولي صالح أخذ عن الإمام القطب الشيخ سيدي أحمد زروق البرنوسي الفاسي، صاحب الطريقة الزروقية، والمتوفى سنة 899هـ، كما أخذ عن ابنه الشيخ أحمد بن أحمد زروق الصغير، وانتفع بهما[8]. ومن بين العلماء الذين أخذوا عنه الشيخ محمد الوزان وغيره[9].

---

[1] – الغزي : المصدر السابق، ج1، ص 294.

[2] – عبد الحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ج8، ص ص 115، وكذلك:

– نويهض : المرجع السابق، ص 132.

[3] – الغزي : المصدر السابق، ج1، ص 294.

[4] – مفتاح خلفات : قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط بين القرنين (6هـ – 9هـ / 12م– 15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص 478.

[5] – أحمد بن القاضي المكناسي : جذوة الاقتباس ذكر من حل مدينة فاس، 2ج، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج1، ص 347.

[6]- ابن منصور: المرجع السابق، ج1، ص 347.

[7]- المكناسي، المصدر السابق، ج1، ص 347.

[8] – أحمد بابا التنبكتي : كفاية المحتاج لمن ليس في الديباج، ...، ص ص 123، 124. وكذلك :

– لنفس المؤلف : الديباج المذهب...، ص 191.

[9] – ابن مخلوف : شجرة النور الزكية... ، ص ص 277، 278.

زار البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة ونزل بطيبة المشرفة[1] حاجا ومتعلما ومعلما، مما يدل على مكانته العلمية، ومستواه العلمي، وقد ترك بعضا من الإسهامات في الحياة الفكرية الإسلامية خاصة في التوحيد والتصوف[2].

9- السعيد البجائي :

هو سيدي السعيد البجائي أصلا التلمساني دارا ومسكنا، من أكابر الأولياء[3] الذين عاشوا في المغرب الأوسط خلال القرن التاسع والعاشر الهجري (15-16م)، ويعد من الذين ساهموا في الحياة الفكرية عامة والروحية بوجه خاص في المغرب الإسلامي، وذلك من خلال الكرامات التي منحها الله تعالى لهذا الشخص، فيذكر ابن مريم، بأنه ذهب إليه مع أبيه في زيارة خاصة آخذين منه الدعاء، فقال لوالده : أهل تلمسان كلهم يرجعون لبلدهم حتى محمد يرجع إلا سعيدا ما يرجع. يعني بمحمد السلطان، ثم ذهب لملاتة وتوفي بها ودفن في موضع يقال له عين السراق... وكان يقول لأصحابه سعيد يرجع طمارا، وحفرت الناس مطمرا عند قبره[4].

10- **يحي بن سليمان الزواوي:** عالم بالفقه المالكي، له معرفة بالعقائد، وله قيام بمختصر ابن الحاجب[5]، وهو من العلماء الذين رحلوا إلى فاس التي دخلها رفقة أبي مروان عبد الملك الشريف [6] سنة 983هـ/ 1575، وكانت له مكانة عند أهلها، وبعد ذلك رجع إلى بلده، وقال عنه ابن القاضي: (كان حيا عند تأليف درة الحجال) ، وقد توفي عالمنا هذا سنة 999هـ/ 1590م[7].

---

[1] - ابن مريم : المصدر السابق، ص 116. وكذلك :

- الحفناوي : المرجع السابق، ج$_1$، ص 469.

[2] - انظر حول إسهاماته الفصل الخاص بإسهامات علماء زواوة.

[3] - ابن مريم : المرجع السابق، ص 103.

[4] - نفسه، ص 104.

[5]- مختصر ابن الحاجب الأصلي: هو الكتاب المختص بأصول الفقه، والمسمى بمختصر منتهى السول والأمل في الوصول والجدل. أما القسم الثاني منه، فهو المعروف بمختصر ابن الحاجب الفرعي، وخصه للفروع الفرعية الفقهية المالكية. أنظر:

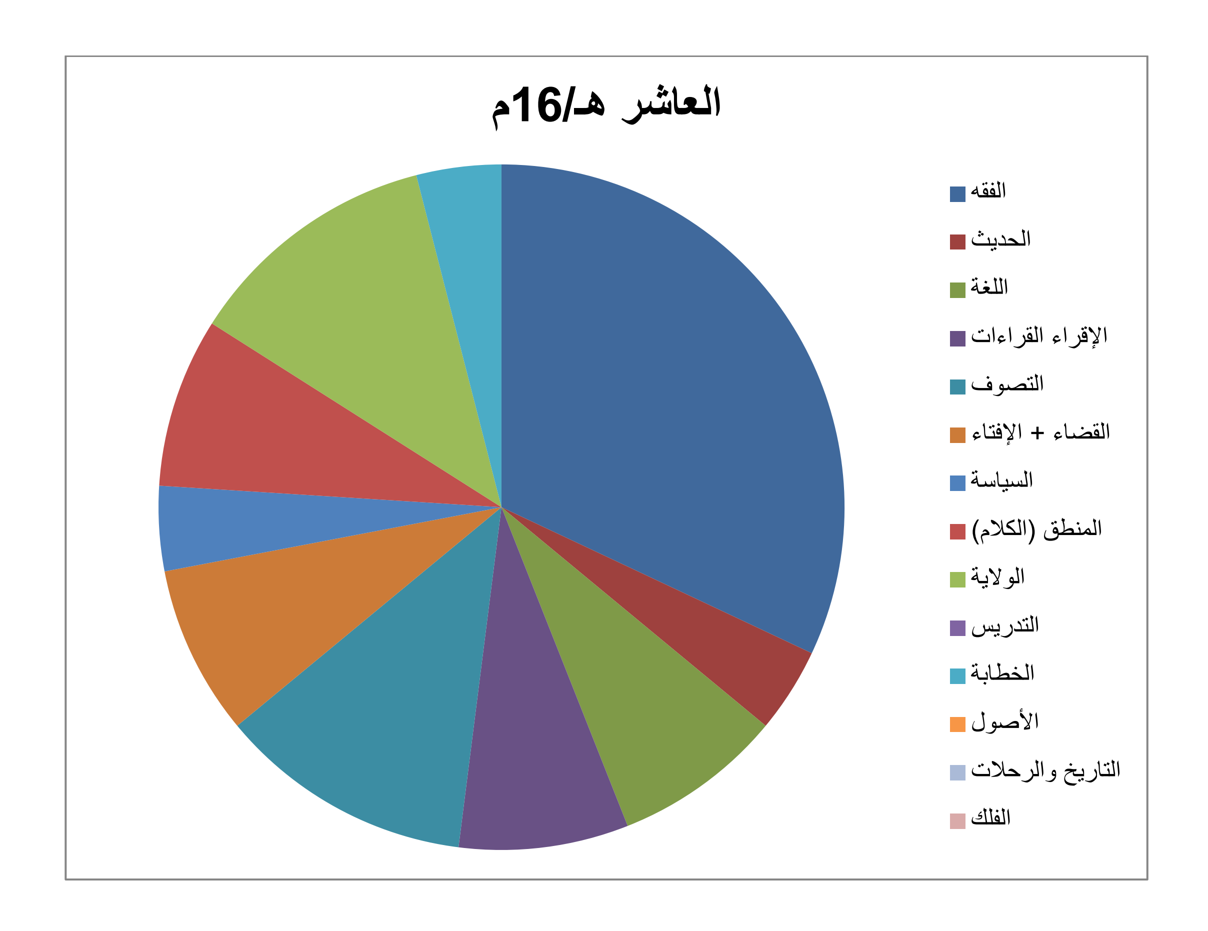
- عيسى الثعالبي: ثبت شمس الدين البابلي المسمى: منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، قابله بأصوله واعتنى به: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،1425/ 2004، ص100.

[6]- أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المجلد الثالث، مكتبة دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، 1392/ 1972، ص ص 340، 341.

[7]- نويهض: المرجع السابق، ج1، ص 339.

هذه ثلة من علماء زواوة الذين تمكنت من الترجمة لهم، ويظهر بأن معظمهم تعلم وتكون في المنطقة، ثم غادرها نحو المشرق، أو المغرب.

دائرة نسبية تبين تخصصات علماء زواوة في القرن العاشر الهجري/16م



ثانيا: علماء القرن الحادي عشر الهجري / 17م:

تعتبر فترة القرن الحادي عشر الهجري / 17م، من الفترات التي شح فيها ظهور العلماء وإسهامهم في الحياة الفكرية الإسلامية، نتيجة للأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر في هذه الفترة، خاصة ما صادف منها فترة الباشاوات(1583. 1659) التي كانت غير مستقرة سياسيا وعسكريا، وكذلك فترة الأغوات(1659. 1671) التي كانت كذلك فترة الفتن والحروب، مما أدى إلى تراجع التعليم بصورة كبيرة ليس في المنطقة فحسب، بل في كل الجزائر، ومن بين الذين تمكنت من جمع المعلومات حولهم من يذكرون لاحقا :

	اسم أو كنية العالم	**تاريخ وفاته**	**تخصصه**	**ملاحظات**
1	بلقاسم بن محمد البجائي	حي في 1025هـ/1616م	فقيه نحوي خطيب	من أهل بجاية، وهاجر إلى تونس فسكنها، وكان من علمائها
2	محمد بن يحي البجائي	كان حيا في 1029هـ/1619م	قاضي فقيه لغوي	من أهل بجاية الذين استقروا بتونس، وتولى فيها الخطابة
3	أعمر الدلسي	ت 1047هـ/1637م[1]	فقيه صوفي	من بلدة تدلس، أو دلس الساحلية التابعة حاليا لولاية بومرداس
4	منصور الجنادي	ت 1054هـ/1644م	مرابط سياسي صوفي	مؤسس زاوية تيميزار بعرش بني جناد، وإليه ينسب

[1] – أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني : الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، حققها وشرح حواشيها وعلق عليها : محمد لخضر بوبكر، وسعيد دحماني، دار الوسام العربي، عنابة، 1432هـ/2011م، ص 163.

5	علي أوطالب	من أهل القرن الحادي عشر هجري/17م	ولي مرابط	يعود أصله إلى أزفون، ومنها انتقل إلى كوكو، ليكون من المؤيدين لآل القاضي
6	أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي	توفي قبل 1073هـ/1662م	فقيه نحوي	من أهل زواوة الشرقية ومن قرية جبلية يقال لها إيلماين، التابعة إلى عرش بني يعدل
7	الموهوب بن محمد الزواوي	توفي قبل 1073هـ/1662م	نحوي صوفي	من زواوة الشرقية ويعد نسبه إلى الشيخ سيدي يحيى العدلي المقراوي، من عرش بني عيدل الذي يتبع حاليا ولاية بجاية
8	الموفق المليكشي	ت 1093هـ/1682م	فقيه أديب قاضي	من قبيلة بني مليكش التابعة لدائرة تازمالت حاليا والواقعة في الضفة الشمالية من وادي الصومام
9	أحمد العدلي	من أهل القرن الحادي عشر الهجري / 17م	نحوي صوفي	نجل الشيخ الموهوب بن محمد العدلي
10	السعدي الميزراني	من أهل القرن الحادي عشر الهجري/17م	مقرئ	نزل بدلس مؤسسا زاويته بغابة ميزرانة القريبة إلى شاطئ البحر.
11	محمد العربي البتروني	من أهل القرن الحادي عشر الهجري/ 17م	مقرئ	من قرية سيدي على أوحرزون التابعة إلى عرش بني بترون بجبال جرجرة

12	محمد الصالح الورثيلاني	من أهل القرن الحادي عشر الهجري / 17م	فقيه متكلم ولي صالح	من عرش بني ورثيلان الذي ولد فيه الشيخ الحسين الورثيلاني، والعرش حاليا تابع لولاية سطيف.
13	عيسى الثعالبي	1080هـ/1669م	محدث لغوي متكلم	من قبيلة الثعالبة الذين استقروا بيسر ولاية بومرداس حاليا، وهو من أحفاد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي

1- بلقاسم بن محمد البجائي :

هو أبو القاسم (بلقاسم بيده) بن محمد البجائي أصلا ومولدا، التونسي، من فقهاء الحنفية ومحدثيهم بتونس مما يدل على تأثره بالمذهب الحنفي السائد بين الأمراء والحكام خلال العهد العثماني بشمال إفريقيا عامة، وكان خطيبا بجامع الخطبة خارج باب الجزيرة، ولما بعثت السلطة العثمانية عليا الجزائري قاضيا بتونس، طلب فقيهين لمصاحبته ومذاكرته، فأرسل إليه صاحب الترجمة – بلقاسم بن محمد البجائي – الشيخ محمد برو، فكان يفضل بلقاسم بن محمد البجائي على رفيقه. من جملة الذين أخذوا عنه في تونس نجد أحمد أفندي التركي، عندما حل بتونس[1]، وحسب (سعد الله)، فإن محمد بن بلقاسم البجائي من النحاة التقليديين، الذين تعلم في تونس على علمائها، وعلى العلماء الوافدين إليها من المشرق العربي[2].

وعلى كل، فإن البجائي يعد من العلماء الزواويين الذين كانت لهم إسهامات في الحياة الفكرية الإسلامية خلال القرن الحادي عشر الهجري/ 17م بمؤلفاته المتمثلة في : شرح

---

1 – حسين خوجة : ذيل بشائر أهل الإيمان، طبعة الطاهر المعموري، ص 197. وكذلك : فهرس المخطوطات بالمكتبة الأحمدية، سوريا، ص ص 287، 288.

2 – تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 163.

الخزرجية في العروض، شرح مختصر على شواهد الذهب، شرح شواهد القطر، شرح لامية الأفعال.

2-**محمد بن يحي البجائي:**

من العلماء الذين عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري/ 17م، واشتهر بكونه متضلعا في الفقه، وكان له اهتمام باللغة والنحو، ومما يدل على ذلك مؤلفاته في هذا الميدان.

استقر بتونس، فأتم فيها دراسته على علمائها، ثم تصدر للتدريس، وتولى خطابة جامع الخطبة خارج باب الجزيرة. لقد ترك العديد من المؤلفات في مختلف الفنون، ومن أهمها:

- شرح على لامية الأفعال[1].
- شرح القواعد الصغرى لابن هشام في النحو، انتهى منه سنة 1029 هـ[2].
- شرح على شواهد القطر، لم أتمكن من معرفة مكانه.
- شرح شواهد شذور الذهب في النحو، قال فيه:" ...وبعد فإن كتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب من أنفس ما ألف في علم النحو، غير أن شواهده لم أر من تعرض لشرحها، فأردت أن أجعل عليها شرحا يذلل صعابها...ناقلا ذلك من شرح العيني على شواهد الكتب الأربعة، ومن وشي الحلل في شرح شواهد الجمل للشيخ الفهري، ومن شرح شرح شواهد المغني للشيخ السيوطي، من شواهد الشيخ ابن هشام اللخمي، ومن الدماميني على المعني وغيرها. توجد منه عدة نسخ مخطوطة، منها نسخة الخزانة القاسمية بالهامل، رقم 64 ضمن مجموع، ونسخة في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2265، ضمن مجموع كذلك، ونسخة ثالثة في المكتبة الأحمدية بتونس رقمها 4057، و4177. كما قام الشيخ الفيومي باختصارها، وطبع المختصر بمصر سنة 1291هـ[3].

3- أعمر الدلسي :

من العلماء الذين ذكرهم البوني في حديثه عن العلماء الذين دخلوا بونة – عنابة – ودرّسوا فيها، فأسهموا في تعليم أبنائها خلال القرن الحادي عشر هجري / 17م العالم أعمر الدلسي، ويبدو بأنه من عائلة علمية ذات مكانة هامة في منطقة زواوة، إذ جاء في رحلة

---

[1] - مخ، المكتبة، و.ج. رقم: 2231، ضمن مجموع.

[2] - مخ. م. و. ج. رقم: 1598.

[3]- محمد بسكر: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، 2ج ،دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013، ج2، ص ص 273، 274.

الورثيلاني ذكر لأحد العلماء الذين قصدهم في قرية دلس عندما زارها الشيخ الورثيلاني رفقة أحد العلماء الزواويين، وهو الشيخ أحمد الطيب، وهنا يذكر بأنه قصد ناحية زواوة وقرية تدلس لزيارة الشيخ الولي الصالح سيدي أحمد بن أعمر، والذي يمكن أن يكون ولد الشيخ أعمر المترجم له[1].

يظهر بأن هذه العائلة من العائلات العلمية التي توارثت العلوم المختلفة أبا عن جد حسب العادة السائدة في المنطقة، ويذكره الشيخ الفكون بكونه من الأشراف، فقال : " بأنه الشيخ المتبرك به عمر الشريف، كان بالقرب من الجزائر "[2].

4- سيدي منصور الجنادي:

ولي صالح، ومرابط قدم إلى منطقة زواوة بمعية مجموعة من أتباعه الذين يطلق عليهم اسم (المنيعيين) الذين لا نعرف مكان قدومهم إلى المنطقة، فنزل أولا بمكان يعرف بـ:(ثيزيبرث) القريب إلى فج شلاطة، ثم انتقل إلى إيعكورن، وأقام بمكان يعرف بـ: ججيقة، وبسبب حيوانات أتباعه وضيوفه، وزواره، حدث تذمر سكان القرية فطلبوا منه الرحيل عن المكان، فا نتقل إلى تيميزار، ونزل في مكان يعرف بالحمام التي كانت يومها غابة، وأسس زاويته التي تحولت إلى مركز من مراكز العلم في زواوة خاصة، والمغرب الأوسط عامة.

لقد كانت لهذا العالم المرابط علاقة وطيدة بالسلطة المركزية في الجزائر العاصمة، ودليلنا في ذلك استقباله للجنود الإنكشاريين في عرش بني جناد للوقوف في وجه الإعتداء الإسباني على المنطقة، الذي تعكسه الرسالة المؤرخة في 52 جوان 1603 والموجهة إلى الملك الإسباني فيليب الثالث من قبل السلطان عمر بن القاضي.

بعد التحالف الذي حدث بين أمراء إمارة كوكو، والملك الإسباني للوقوف في وجه القوة العثمانية التي حاولت التوسع على حساب المنطقة، وكان هذا التحالف سببا مباشرا في معارضة سيدي منصور لأمراء إمارة كوكو، فأعلن عن عدائه لأمير كوكو من خلال رفضه الخروج لاستقبال وفد الأمير بسوق الأحد كما جرت العادة على ذلك، وهو الأمر الذي يبين الموقف الصريح المعارض لأوامر سلطان زواوة، بل المحرض على العصيان ضد أوامر السلطان.

---

[1] – نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مع تعليقات الشيخ ابن مهني القسنطيني، ج$_1$، ص 44.

[2] – عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ... ص 202.

وهناك من يرى بأن سبب الصراع بين سيدي منصور وأمير إمارة كوكو، يعود أساسا إلى أسباب مادية، لأن كلا الطرفين كان قائما على ما يدفعه السكان من الضرائب والعوائد[1].

ومهما يكن السبب، فإن سيدي منصور الجنادي، لم يكن مرابطا، وعالما متصوفا فقط، بل كان رجلا سياسيا، وقائدا روحيا لسكان بني جناد، له كرامات مازال الناس يؤمنون بها إلى يومنا هذا[2]. وتوفي سنة 1054هـ/ 1644م.

5- علي أوطالب:

ويعرف بسيدي علي بن الطالب، عاش في القرن الحادي عشر الهجري/ 17م، ولم أتمكن من العثور على تاريخ وفاته بالضبط، وقد عاصر الشيخ سيدي منصور الجنادي وكان من المؤيدين لآل القاضي، فانتقل من بني جناد إلى القبائل العليا بطلب من أمراء آل القاضي الذين يبحثون عن سند ديني لمواجهة المعارضة التي قادها سيدي منصور ضدهم، وحتى يتمكنوا من الجمع بين النفوذ السياسي، والديني والروحي بوجوده بينهم، فساعدوه على تأسيس زاويته في عرش بني يحي بقرية كوكو عاصمة الإمارة، ومن هنا ، يظهر بأن آل القاضي أرادوا الجمع بين العصبية القبلية، والعصبية الدينية للسيطرة على السكان الذين لا ينقادون إلا لسلطة روحية يتزعمها مرابط ورجل دين مبجل.

يختلف سيدي علي أوطالب عن سيدي منصور الجنادي. فسيدي منصور يجمع إلى جانب العلم والولاية، الدراية بالأمور السياسية. أما سيدي علي أوطالب، فإنه عديم الدور السياسي غريبا على كل الأحداث التي عاشت فيها إمارة كوكو، بل يميل إلى الإصلاح، وبذل كل الجهود لتجنب الفتن والحروب التي تعرفها منطقة زواوة عامة[3]، ومما نقلته الوثائق التاريخية عنه هو: "أن لابن الطالب موقف واضح إبان عودة الأمير الشاب أحمد (التونسي) بن عمر بن القاضي... بهدف الانتقام واسترداد ملك أبيه...وما كان من الولي الطامة... إلاّ أن يحول دونه ودون نوايا الانتقام، وإراقة الدماء، ويؤثر عليه حتى يعدل عن مشروعه تجاه أعمامه من الحزب المعارض لأبيه[4]" .

---

[1] – شويتام: المجتمع الجزائري...، ص 248.

[2]– حول هذه الشخصية أنظر: ساحي، أعلام من زواوة...ص ص من 41...66.

[3]– الورثيلاني: نزهة الأنظار ...ج1، ص ص 45، 46.

[4]- ساحي: أعلام ... ص 55.

لقد ذكره الورثيلاني عند زيارته للمنطقة، فقال:" ...وزرنا جملتهم أيضا، وتلاقينا مع بعض فضلائهم: أولاد الفقيه من قرية ثوقة، وزرنا سيدي علي بن الطالب، وهو ولي مشهور، كان صبغة في عصره... وزرت قبره مرارا، وإني أدركت أصحابه المنورين جملة"[1].

6 – أبو عبد الله الزواوي :

هو أبو عبد الله بن محمد بن راشد الزواوي اليلمايني اليعدلي، من عرش بني يعدل بالزواوة الشرقية، ثم انتقل إلى قسنطينة بغية التبحر في العلوم المختلفة خاصة علوم اللغة، وفيها درس على العالم اللغوي المغربي محمد التواتي الذي درّس في المدينة في أوائل القرن الحادي عشر هجري / 17م، والذي يلقب بسيبويه زمانه[2]. ومن بين أبرز طلابه في المدينة، كان أبو عبدالله بن محمد بن راشد الزواوي الذي درس عليه كتاب المرادي[3].

لقد ساهم ابن رشد الزواوي مساهمة كبيرة في تخرج العديد من العلماء على يده، خاصة عبد الكريم الفكون، الذي يذكر بأنه كان سببا في تعلق قلبه بعلم النحو[4]. كما أورد الفكون كذلك المناظرات التي كان يقيمها مع شيخهم أحمد التواتي وطلبته، مما يتعلق به ويتأثر بعلمه تأثرا كبيرا ملازما له حتى غادر المدينة راجعا إلى جبال زواوة، ولم تنقطع بينهما بل بقيت الاتصالات بينهما قائمة.

7– الموهوب الزواوي :

هو الموهوب بن علي الزواوي العدلي المقراوي، من أحفاد الشيخ يحيى العدلي، صاحب زاوية تمقرة في القرن التاسع الهجري / 15م، عاش في القرن الحادي عشر هجري / 17م، واشتهر بالصلاح والتقوى، وكان والده (عليا) من أهل الصلاح عارفا بدينه حافظا على آدابه[5]، وقد ذكره الورثيلاني قائلا : " ومنهم ذو العلم والمهابة والحلم والإنابة، والسطوة والاستجابة والتحقيق والإصابة، ذو العلوم الفاخرة، والأحوال الصادقة الظاهرة، والأنوار الباهرة، والأسرار الحاضرة... الولي الكامل سيدي الموهوب نجل الشيخ سيدي محمد بن علي العدلي "[6].

---

[1]- المصدر السابق، ج، ص 62.

[2] – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج$_2$ (1500 – 1830)، ص 106.

[3] – عبد الكريم الفكون : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية...، ص 106.

[4] – نفسه، ص 106.

[5] – نفسه، ص 200.

[6] – المصدر السابق، ج$_1$، ص 133.

الشيخ الموهوب بعد حجه، تفرغ للتدريس والتعليم، فكان يدرس النحو على المكودي[1]، سواء أثناء إقامته في قسنطينة، أو بعد عودته إلى قريته، وكان لا يتوانى في إصلاح ذات البين في أهله وأهل زواوة كلها[2].

لقد ساهم الشيخ الموهوب، وأولاده في مرافقة القوافل المارة ببلاد زواوة لتأمينها من مكر اللصوص الذين انتشروا في المنطقة، وكثيرا ما يستعين بهم المسافرون في اجتياز هذه المنطقة لما لهؤلاء من مكانة بين السكان، بل أن لهم علامات إن استعان بها أحدهم نجا من لصوص المنطقة[3]. ومما يروى كذلك عنه، أنه قام بتجديد زاوية جده بعد رجوعه من الحج، وتفرغ للتدريس فيها مما أعاد لها مكانتها في القرن السابع عشر، بعدما عرفت تراجعا كبيرا بعد وفاة جده[4].

8- الموفق المليكشي :

ينسب إلى محمد المحفوظ بن العابد بن الربيع بن محمد الهادي بن أحمد بن محمد الموفق بن الخير... بن بهلول بن عاصم، وأمه تدعى حليمة بنت الشيخ يحيى العدلي الذي عاش في القرن التاسع الهجري / 15م. فهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية، ومن علماء بجاية الأفذاذ الذين لهم ثقافة دينية واسعة.

تلقى العلوم المختلفة في بجاية عن علمائها، وبعد تراجع دورها العلمي، والفكري، عاد إلى العرش الذي ولد ونشأ فيه، فأسس معمرة – زاوية – أصبحت وفي فترة وجيزة من المعمرات المشهورة في الناحية، وذلك بفضل شيخها، وطريقة تعامله مع طلبتها، وهي الزاوية التي لم تتوقف عن العطاء إلى الآن على الرغم من نوائب الدهر، والتي تخرج منها العديد من الطلبة الذين توزعوا في مختلف نواحي المنطقة وفي الجزائر قاطبة.

كانت للشيخ المليكشي، إسهامات هامة في المنطقة خاصة ما تعلق بالجانب الاجتماعي، والجانب الديني. ففي الحياة الاجتماعية، وبفعل تأثره بطبيعة المنطقة سنّ قانونا لتنظيم

[1] – المكودي: هو عبد الرحمن بن علي بن صالح، أبوزيد المكودي الفاسي، المالكي، عالم بالنحو والصرف، واللغة. توفي سنة 807هـ/ 1405. من آثاره: البسط والتعريف في التصريف، نظم المعرب والألفاظ، وغيرها. أنظر حوله:

– السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، بيروتن ط2، 1399/ 1979، رقم: 2910، ج2، ص 100.

[2] – سعد الله : المرجع السابق، ج$_1$، ص 488.

[3] – الفكون : المصدر السابق، ص ص 201، 202.

[4] – ورقة في الموضوع أفادني بها الشيخ المرحوم محمد أمزيان لخساف الذي نقل هذا عن والده.

الأسرة المليكشية، ومن خلالها تنظيم أمور الزواج في منطقة زواوة عامة، ولازال العمل بهذه القوانين سائرا إلى الآن خاصة بين أحفاد الشيخ.

أما الجانب الديني، فكان من العلماء الذين انتهجوا أسلوب الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، نابذا كل ما يتنافى والشريعة الإسلامية، وذلك بتوعية الناس، وإظهار الجوانب الإيجابية التي لابد من اتباعها، متجنبا مظاهر الشرك والشعوذة التي ظهرت بين الناس نتيجة التخلف الفكري، وانتشار البدع الضالة والمضلة[1].

من أهم آثاره الفكرية ما تركه من آثار منها : ثعلقث نسيذي لموفق (معلقة سيدي لموفق)، وهي عبارة عن القوانين التنظيمية للزواج بين أهل عرشه، وكذلك : مخطوط في الفرائض، ومخطوط في الفقه المالكي، وأيضا ترجمة كتاب سيدي خليل إلى الأمازيغية الزواوية. وهي كلها عند أحفاده إلى الآن.

9- أحمد العدلي :

هو أحمد – أو محمد – بن علي العدلي – من أحفاد الشيخ الولي الصالح العارف بالله الذي عمت بركاته البعيد والداني، شمس بلدنا وقطب وطننا سيدي يحيى العدلي[2].

كان عالما فقيها خرج من قريته متوجها إلى المشرق قاصدا حج بيت الله الحرام، ولما رجع إلى وطنه مر على مدينة بونة – عنابة – التي بقي فيها مدة يدرس في مساجدها، ومن الذين أخذوا عنه الشيخ أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني، الذي ذكر بأنه أخذ عن مجموعة من علماء بونة، ومنهم شيخنا أحمد العدلي[3]، وفي هذه المدينة ترك ذرية له ما زالوا إلى يومنا[4]، وبعد مدة رجع إلى قريته التي ولد فيها مواصلا التعليم في زاوية جده. غير أن المصادر التاريخية التي بحوزتنا لا تذكر تاريخ ميلاده أو وفاته، ولا أولاده.

9- **أمحمد السعدي الميزراني:**

هو العلامة المرئ سيدي امحمد السعدي(وفي نسخة: امحمد السعيد الدلسي)، نزيل دلس التي أسس فيها زاوية داخل غابة ميزرانة القريبة من شاطئ البحر.

---

[1] – عبد الحميد مزاري المليكشي : سيدي لموفق المليكشي، محاضرة في : الملتقى الولائي الأول حول أعلام منطقة بجاية، نظارة الشؤون الدينية والأوقاف لولاية بجاية، 3 و4 سبتمبر 1996.

[2] – الحسين الورثيلاني : شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار، م. ش، ورقة 2. وكذلك لنفس المؤلف : الرحلة...، ص 133... وما بعدها.

[3] – البوني : المصدر السابق، ص 30.

[4] – رواية شفوية متداولة بين حفدة الشيخ إلى الآن.

رحل – رحمة الله عليه – في طلب العلم قاصدا إمام القراء، وشيخ القراءات في وقته سيدي عبد الرحمن بن القاضي الفاسي، وكان معه في طلب العلم سيدي محمد العربي البتروني الحرزوني، وعن طريقه أسند القراءة العشر النافعية، والسبع. وممن درس على الشيخ السعدي بعد عودته إلى زواوة الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي، صاحب أكبر زاوية في تدريس القراءات العشر والسبع.

يعتبر الشيخ السعدي، منبع أسانيد القرّاء في منطقة زواوة في القراءات السبع والعشر. فالعشر النافعية، مما اختصه بها منطقة زواوة خاصة والجزائر والمغرب الأقصى عامة دون سائر بلاد المسلمين مغربا ومشرقا، فإلى هذين العالمين يعود الفضل في الحفاظ على القراءات العشر، ومن زواوة انتقل السند إلى تونس، وهذا فضل من الله ﴿ ذلك فضل من الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[1]. ولقد كتب الله تعالى لهذه الطريقة في القراءة الإنتشار ما شاء إلى يوم الناس هذا، وسنده موصول بإذن الله تعالى.

دفن رحمة الله تعالى عليه في زاويته بغابة ميزرانة، وقبره ما زال معلوما إلى يومنا[2].

ومما قيل عن كرامات هذا العالم المقرئ المتصوف، ما تحفظه الذاكرة الشعبية من أشعار لا زالت إلى يومنا هذا، ومطلعها:

أَسِيذِي اَمْحَنْدْ السَّعْدِي   أَيَقْشِيتْش إِثُوبَنْ مَــزّايْ

إِرُوحْ أَرْثَلَى أَذِيثْوَظِي   يُوفَاتْ ثَتُّشورْذَادْهَبْ سِيرِّي

يَنَّاسَ أَثَلَا أَفْكِّيذْ أَمَانْ   وَامَا الدُّونِيـثْ ذَا لْفَــانِي

ترجمة القصيدة:

سيدي امحند السعدي   الطفل التـائب منذ صـغره

ذهب إلى عين ليتوظأ   فوجده مملوءا بالذهب الخالص

فقال للعين إني أريد الماء   أما الـدنيا فــهي فــانية

---

[1]– سورة الجمعة، الأية 4.

[2]– ورقة في الموضوع أفادني بها الشيخ محمد الحسن عليلي، إضافة إلى ورقة أخرى أفادني بها الباحث عدنان غفار، الذي شرع في تحقيق بعض تقاييد القراء الجزائريين.

10- محمد العربي البتروني:

هو سيدي محمد العربي الحرزوني البتروني، نسبة إلى قبيلة بني بترون بزواوة الغربية، أخذ علم القراءات القرآنية عرضا وتقييدا عن علاّمة الزمان إمام القرّاء، سيدي عبد الرحمن بن القاضي الفاسي حين الإقراء عليه بفاس، بمعية الشيخ السعدي الميزراني، وقيد عنه العشر النافعي، وهو التقييد المتداول بين العلماء والطلبة، أمثال المتقن المجاز سيدي الحسن بن قري اليعلاوي الزواوي، وقيد عنه بعض الطلبة تقييدا على العشر النافعية، وصف بكونه عجيبا في بابه، يحرر كلمات الخلاف من أول القرآن الكريم إلى آخره تحريرا وتحقيقا واسنادا[1].

11- محمد الصالح الورثيلاني :

ولد محمد الصالح الورثيلاني، نسبة إلى عرش بني ورثيلان في قرية أقلميم القريبة إلى بني جماتي أحد بطون العرش المذكور، وقد عاش في القرن الحادي عشر هجري / 17م، دون أن أتمكن من تحديد تاريخ ميلاده أو وفاته، وذلك نتيجة عدم حصولي على المصادر التاريخية التي أرخت لهذه الشخصية العلمية التي تركت بصماتها في المنطقة الخاصة والفكر الإسلامي عامة.

كان من العلماء الذين وهبوا حياتهم لخدمة العلم والدين، وقد ذكره الورثيلاني قائلا : " ومنهم محيي الفنون ومجدد العلم والدين، بعد اندراسه على التعيين، المتصف بالعلم اليقين، أتقى المتقين... علامة زمانه وقدوة أوانه... الولي الواضح سيدي محمد صالح كاد أن يجدد الدين في وقته، وعامه مشهور"[2]، ومن خلال هذا التعريف به، تظهر مكانته العلمية في المنطقة، فقد حفظ القرآن الكريم في صغره، وانكب على دراسة مختلف العلوم، ثم بعد ذلك سخر نفسه لنشر العلم متنقلا بين القرى الزواوية في المنطقة، باحثا عن قرية تقام فيها الحدود الشرعية للاستقرار بها، وهذا أيضا يدل على الوضعية التي آلت إليها الناحية من انتشار للباطل، وابتعاد عن الدين، وقد خلف أولادا منهم الشيخين محمد الصالح، وسيدي عبد الله[3].

1- محمد الحسن عليلي،

2 - الرحلة : المصدر السابق، ص ص 150، 160.

3 - يحيى بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ... ص 44.

12- عيسى الثعالبي :

هو عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر المغربي، ويكنى بأبي مكتوم جار الله الجعفري الثعالبي الهاشمي المالكي[1].

ولد شيخنا بمقر قبيلة الثعالبة بيسر سنة 1020هـ / 1611م[2]، وهو من أحفاد العالم الرباني الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، المدفون في مدينة الجزائر، والمتوفى في 23 رمضان 875هـ[3].

تلقى تعليمه الأولي على يد والده، وعن الشيخ عبد الصادق[4]، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر طالبا العلم، فقرأ على العالم الجليل سعيد قدورة الذي ألبسه الخرقة[5]، وهذا دليل على ولوجه عالم التصوف في حداثة سنه وفي بداية مشواره التعليمي، كما لازم العالم الزاهد علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[6]، الذي دخل مدينة الجزائر متفرغا للتدريس والتعليم، فتأثر به ولازمه مدة تزيد عن العشر سنين، ولم يزل به حتى زوجه ابنته، وظل معها إلا أن وقع ما أوجب تطليقها بإشارة من والدها أبو الحسن، ورغم ذلك لم ينقطع عن ملازمته[7]، فأخذ عنه صحيح البخاري رواية ودراية، كما أخذ عنه علوم الفقه المالكي وأصوله من مختصر خليل، ورسالة القيرواني، وتحفة الأحكام لابن عاصم، وجمع الجوامع[8]، وغير ذلك. وكان شيخه هذا سببا في توطيد العلاقة بينه وبين حاكم الجزائر يوسف باشا (1634-1637) الذي قربه

---

[1] - البغدادي : هدية العارفين...، ج1، ص 811.

[2] - خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، لبنان، 2002 ، ج5، ص 108.

[3] - رابح بونار : "عبد الرحمن الثعالبي" ، في: مجلة الثقافة، السنة الثانية، ع 7، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، محرم 1392/ مارس 1972، ص ص 48، 50.

[4] - ابن مخلوف : المرجع السابق، ص 311.

[5] - مجموعة من الأساتذة : معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ص 128.

[6]- أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن سراج السجلماسي الجزائري الأنصاري، نسبه يرتفع إلى سيدنا سعد بن عبادة (ض)، الإمام الحافظ المتفنن المحدّث الإخباري، المؤلف المتقن، أخذ عن أئمة من أهل فاس، وغيره كأبي محمد بن عفيف الدين بن عبد الله بن بن طاهر الحسني... وعنه أخذ العديد من الجزائريين، منهم أبو عيسى الثعالبي. توفي بالجزائر سنة1057هـ/ 1647م، أنظر:

- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية...، ص 308.

[7] - محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الصغير الأفراني : صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق : عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المربي، الدار البيضاء، 1425هـ / 2004م، ص 284.

[8] - مجموعة من الأساتذة : معجم مشاهير المغاربة،...، ص 128. وكتاب جمع الجوامع، عبارة عن مؤلف في أصول الفقه، ألفه أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، المصري الدمشقي، المتوفى سنة771هـ/ 1370. أنظر:

- عبد الرحمن حوسني: العلماء في المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس، أكدال، الرباط، 1993. 1994، ص 44.

إليه، وجعله بمثابة كتابه الشخصي، بل شاركه في حملته العسكرية ضد الحركة التمردية التي قادها ابن الصخري في الشرق الجزائري[1].

وبعد وفاة الشيخ الأنصاري، والاضطرابات السياسية التي عرفتها الجزائر خلال فترة الباشاوات (1587 – 1659) بدأت المصاعب تواجه الشيخ الثعالبي بمدينة الجزائر[2]، فخرج منها متوجها إلى مدينة قسنطينة، والتقى بالشيخ عبد الكريم الفكون، الذي أخذ عنه علوم الحديث، ومنها توجه إلى مدينة بسكرة قاصدا العالم أحمد بن المبارك التواتي بسيدي ناجي، فبقي عنده مدة، ولما توفي غادر الجزائر متوجها إلى البقاع المقدسة ناويا أداء مناسك الحج والعمرة، وفي طريقه إلى المشرق أخذ عن علماء تونس، وعلماء مصر كالأجهوري والخفاجي والميموني[3] وغيرهم من العلماء الذين جالسهم، وتبادل معهم الأفكار وأخذ عنهم، أو أخذوا عنه كذلك، ولما وصل البقاع المقدسة وجاور بيت الله الحرام، جالس علماءه مثل القشاشي، والزين الطبري، والزمزمي، والبابلي... وأخذ عنهم. فكان الشيخ البابلي يقرب الثعالبي إلى مجلسه وإليه، ويقول له : " ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقري ولا أذكى منك ". كما أن الشيخ الأجهوري[4] كان يقول له : شنف الأسماع علما منه إنه لا يأتي إلا لسماع حديث أو رواية غريب وهكذا عادته "[5].

بعد أدائه مناسك الحج والعمرة، عاد إلى مصر واستقر فيها سنة إحدى وستين وألف (1650)[6]، وبعد مدة قفل راجعا إلى مكة المكرمة، وألقى بالحرمين عصى التسيار، وبث هناك ما يحمل عن أشياخه والعلماء الذين جالسهم وأخذ عنهم مختلف العلوم، فوصفه بعضهم بعالم المغربين والمشرقين وإمام الحرمين[7]، وكانت له إسهامات كبيرة في الحياة

---

[1] – مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق، ص 129.

[2] – أبو سالم العياشي : الرحلة العياشية ماء الموائد، وضع فهارسها محمد حجي، 2 ج، ط$_2$، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977/1397، ج$_2$، ص 184.

[3] – الأفراني : المصدر السابق، ص 284.

[4]– الأجهوري: هو النور علي بن عبد الرحمن الأجهوري المالكي، شارح مختصر خليل، وهو من العلماء المصريين الذين درس عليهم الثعالبي، توفي بمصر ليلة الأحد مستهل جمادي الأولى سنة 1066هـ/1655، وصليّ عليه بالجامع الأزهر. أنظر:

– أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي: المربى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي، قابله بأصله وخرّج أحاديثه محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،1425هـ/ 2004، ص 186.

[5] – الأفراني، المصدر السابق، ص 284.

[6] – العياشي : المصدر السابق، ج$_2$، ص 128.

[7] – ابن مخلوف : المرجع السابق، ص 311.

الفكرية الإسلامية، أخذ عنه الكثير من العلماء الذين استفادوا من علمه، ومن بين الذين درسوا عليه الشيخ ابراهيم بن حسن الكوراني، والحسن بن علي العجيمي، وأحمد بن محمد النخلي، ومحمد الشلي باعولي...[1] وظل هناك إلا أن توفي ضحى يوم الأربعاء 24 رجب سنة 1080هـ / 1669م ودفن بالبقيع[2].

ترك العديد من المؤلفات، والتي من أهمها، وأشهرها منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، الذي يطلق عليه بمسند الحجاز والمغرب، كما ترك مؤلفا آخر، وهو كنز الرواة، الذي قال عنه الكتاني: كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع ... من أعظم الكنوز وأثمنها، وأوعاها...تمّ نسخه بخط عبد الله بن علي الشروري في شعبان 1075...وهو نادر الوجود[3].

يعتبر القرنان العاشر والحادي عشر الهجريين/ 16، و17م بمثابة المرحلة الإنتقالية بالنسبة للحياة الفكرية في منطقة زواوة، فبعدما كان مدينة بجاية حاضرة علمية للمغرب الأسلامي كله، وملتقى علماء المسلمين لعدة قرون. بدأت تتخلى عن هذه المكانة العلمية بعد سقوطها بيد الإسبان، فانتقل العلماء والمفكرون الذين كانت تزهر بهم هذه المدينة إلى مناطق أخرى سواء داخل المغرب الأوسط أو خارجه، وكان لهذا الأمر تأثير على الحياة الفكرية بمنطقة زواوة والمناطق الأخر.

فعلى المستوى المحلي، إنتقلت المراكز الثقافية إلى النواحي الداخلية. فانتشر التعليم بين الناس، وانتشرت بذلك ظاهرة التصوف الشعبي الذي مثلته المرابطية في المنطقة، وقد ساعد هذا الأمر على استكمال تعريب النواحي الجبلية الداخلية.

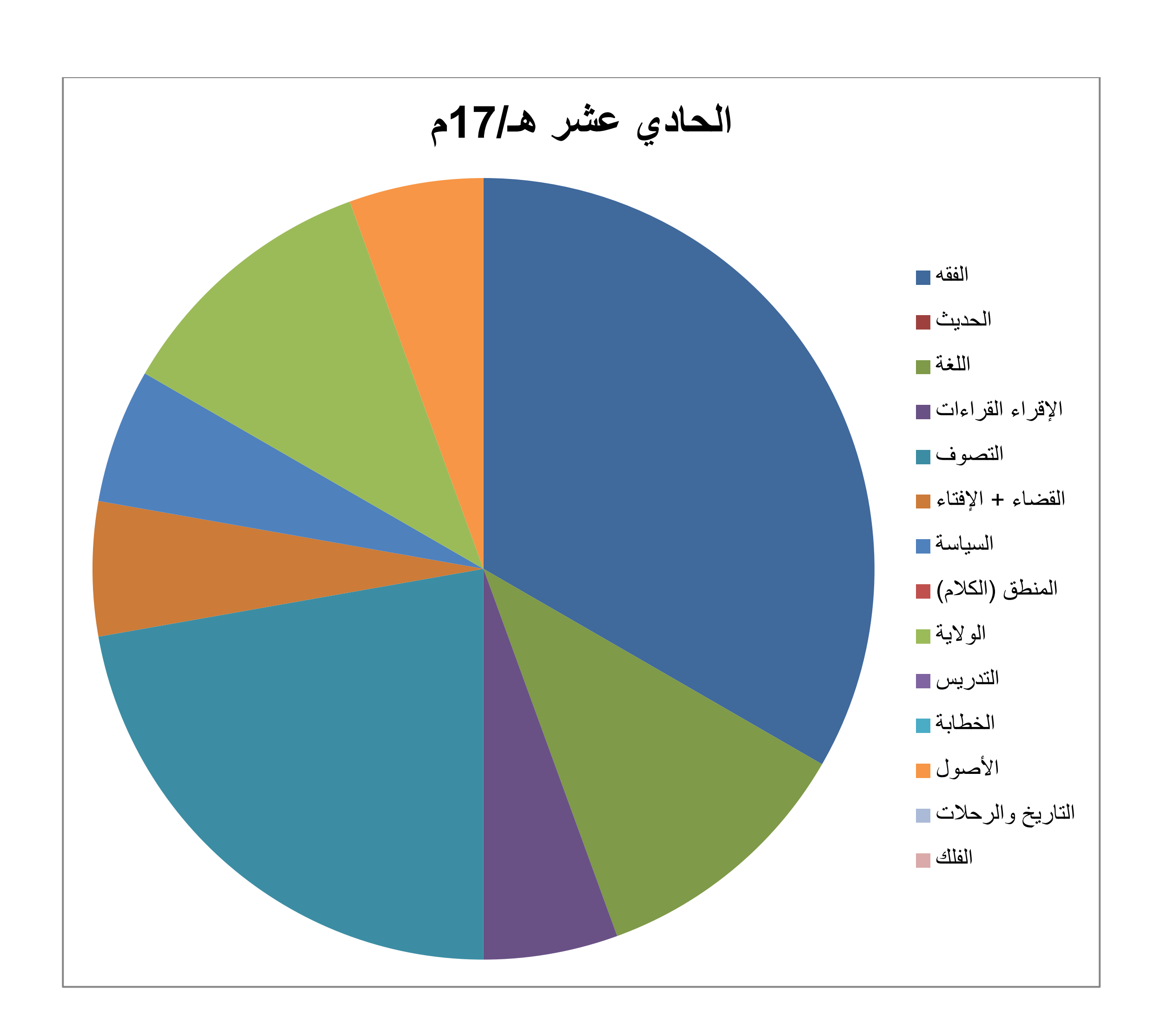
أما على الصعيد المغاربي، والإسلامي عامة، فكان لهذا الحدث أثره في انتشار علماء بجاية بالحواضر العلمية سواء في تونس، أو المشرق الإسلامي، خاصة الحمين الشريفين، ومكة المكرمة.

---

[1]- الثعالبي، المصدر السابق، ص 20.

[2] – العياشي : المصدر نفسه، ص 127.

[3]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتنى به، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1402/ 1982، ج1، ص500.



الحادي عشر هـ/17م
الفقه
الحديث
اللغة
الإقراء القراءات
التصوف
القضاء + الإفتاء
السياسة
المنطق (الكلام)
الولاية
التدريس
الخطابة
الأصول
التاريخ والرحلات
الفلك

الفصل الثاني :

تراجم علماء منطقة زواوة خلال القرن الثاني عشر الهجري/18م:

من بين أهم العلماء المترجم لهم خلال هذه الفترة، مرتبين حسب تاريخ وفاتهم بالتقويم الهجري، ما يلي:

- عمر المنجلاتي
- أحمد بن بلقاسم الزواوي
- عبد الرحمن اليلولي
- محمد بن عنتر
- محمد بن علي الشريف الشلاطي
- أحمد بن ثابت البجائي
- محمد بن ميمون الجزائري
- الحسين الورثيلاني
- أحمد الورجي
- أحمد البرانسي
- محمد العربي بن مصباح اليعلاوي
- محند أوقري
- أبو عبد الله محمد القلعي

تراجم علماء زواوة خلال القرن الثاني عشر الهجري/ 18م:

يعد القرن الثاني عشر الهجري/ 18م، بمثابة بداية لانتشار الحركة العلمية الواسعة بين الأوساط الشعبية في المنطقة، وذلك نتيجة انتقال المراكز التعليمية من مدينة بجاية التي احتلها الأسبان سنة 916هـ/ 1510م إلى النواحي الداخلية الجبلية المنيعة والتي كانت تتوفر على الهياكل التعليمية التي أسسها المرابطون الذين قدموا إلى المنطقة واستقروا فيها قبل القرن الثالث عشر الهجري/ 18م، فهذا القرن يعد بمثابة بداية حقيقية لبروز العديد من الشخصيات الفكرية والعلمية التي لعبت دورا هاما في نشر العلوم المختلفة خاصة العلوم النقلية كحفظ لآي الذكر الحكيم، وحفظا لمرويات الحديث الشريف ومعرفة لأصول العقائد والفقهيات، وتعمقا في فن الأصول[1]، لكونها أكثر تداولا في العالم الإسلامي خلال هذه الفترة، ومن بين العلماء الذين تمكنت من حصرهم خلال هذا القرن، ما يبينه الجدول التالي:

	اسم العالم وكنيته	تاريخ وفاته	تخصصه	ملاحظات
01	عمر المنقلاتي	ت. 1104هـ/1663م	فقيه منطقي مدرس أصولي	من عرش بني منجلات الواقع في منطقة زواوة ومركزه حاليا عين الحمام، وهو من أسرة علمية توارثت العلم أبا عن جد، ولد بمدينة الجزائر بعدما نزحت عائلته من مدينة بجاية بعد سقوطها.[2]
02	أحمد بن بلقاسم الزواوي	كان حيا في 1105هـ/ 1693م	فلكي	اشتهر بما تركه في علم الفلك من الكتب التي اعتمد عليها الشيخ

[1] محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، مقدمة المحقق ص46.

[2]– علي أمقران السحنوني: مساهمة بني منقلات في الفكر العربي الإسلامي خلال التاريخ، مشروع كتاب مخطوط، أملك صورة عنه.

				الشلاطي في تأليف كتابه الذي سيأتي ذكره.[1]
03	عبد الرحمن اليلولي	1105هـ/ 1694م	فقيه مقرئ صوفي	ولد بقرية إخردوشن عرش إيلولة أومالو، وهو من أسرة علمية قدم والده إلى هذه القرية من بني يعلى بزواوة الشرقية، وهو من آل مصباح، المشهورين بالعلم والصلاح.[2]
04	محمد بن علي الشريف الشلاطي	ت.1112هـ/ 1700م	فقيه فلكي	من عرش إيلولة أوسامار، ولد بقرية شلاطة التي ينتسب إليها من عائلة مرابطة يعود نسبها إلى منصور بن إبراهيم الحسني.[3]
05	محمد بن عنتر	توفي بعد1145هـ/7132م	عالم مقرئ	من أولاد علي أوحرزون بعرش بني بترون.
06	أحمد بن ثابت البجائي	ت. 1152هـ/ 1739م	صوفي فقيه	من الأشراف الحسنيين في المنطقة، وألف في التصوف كتابا بعنوان التفكير والاعتبار في الصلاة على النبي المختار.[4]

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج2، ص410.

[2]– محمد الحسن عليلي اليجري: السيد عبد الرحمن اليلولي، مؤسس الزاوية الشهيرة بأيلولة أومالو، في محاضرة مرقونة استلمتها من المحاضر بمدينة تيزي وزو يوم 2005/11/21.

[3]– الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص402.

[4]– إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، من منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، 1378هـ/ 1957م، ج2، ص312.

07	محمد بن ميمون الجزائري	ت. 1159هـ/ 1746م[1]	متصوف فقيه سياسي أديب[2]	ولد ونشأ بمدينة الجزائر التي استقرت عائلته فيها بعدما نزحت من منطقة زواوة، وهو حفيد أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي ثم الجزائري.[3]
08	الحسين الورثيلاني	ت. 1193هـ/ 1779م	فقيه مؤرخ رحالة صوفي	من أشراف تافيلالت الذين حل أجداده بزواوة الشرقية، وقد عرّف بنفسه في كتاب الرحلة.[4]
09	أحمد الورجي	ت. 1193هـ/ 1779م	فقيه لغوي صوفي	ولد ونشأ في قرية ورجة بزواوة الغربية، وكان من فقهاء المنطقة، له دراية بعلوم عدة، وترك عدة تآليف.[5]
10	محمد العربي بن مصباح	من علماء القرن الثاني عشر الهجري/ 18م	فقيه قاضي	من أسرة علمية اشتهرت بالعلم والصلاح من عرش بني يعلا العجيسي، ترك عدة مؤلفات أهمها توشيح طراز الخياطة[6]. وكذلك كتاب في الفقه بعنوان السفينة.

1– ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص81.

2 – أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول،ط 2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1401/1981، ص 214.

3– محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ...، ص11.

4– نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المعروفة بالرحلة الورثيلانية، ...، ص15.

5– نفسه، ج1، ص63. وكذلك:

– أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ...ج1 ص133. وأيضا:

– نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص45. كما ذكره كذلك:

– ابن منصور: أعلام المغرب العربي، ج6، ص416.

6– البوعبدلي: تراجم بعض مشاهير علماء زواوة ...، ع14، 15، ص214، وكذلك:

– الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص112.

11	محند أوقري	1653، 1720	فقيه مدرس	من عرش بني يعلا العجيسي، سكن في جبل وعر مؤسسا معمرة (زاوية) له به، متفرغا للعبادة والتدريس.[1]
12	أحمد البرانسي الثعالبي	ت. 1197هـ/ 1782م	مفتي مالكي فقيه سياسي	يعود نسبه إلى الثعالبة من يسر، فهو من أحفاد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ولد بزواوة ثم رحل إلى تونس، وظل فيها.[2]
13	أبو الحسن بن عمر القلعي	ت. 1199هـ/1785م	مدرس قاضي	يعود أصله إلى قلعة بني عباس بزواوة الشرقية.
	أبو عبد الله محمد القلعي	من أهل القرن الثاني عشر الهجري/ 18م	مدرس فقيه	من علماء عرش بني عباس، الذين اشتهرت فيهم عائلة المقرانيين
14	الحسين بن أعراب	من علماء القرن 12هـ/18م	فقيه مدرس	من عرش بني إيراثن، ويعرف بإبن أعراب، لكونه يتحدث باللغة العربية[3]

[1]- الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص122.

[2]- ابن منصور: المرجع السابق، ج6، ص422.

[3] - ورقة في الموضوع من الباحث: محمد أرزقي فراد.

1-عمر المنجلاتي أو المنقلاتي:

هو عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف المنجلاتي، ولد بمدينة الجزائر بعدما نزحت عائلته من بجاية بعد احتلال الإسبان لها، ويكنى بأبي حفص[1]. وفي مدينة الجزائر تلقى تعليمه على علمائها الذين من بينهم العالم (أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[2])، وغيره من العلماء الذين عاشوا بالمدينة. فهو من عائلة مشهورة توارثت العلم أبا عن جد قرونا عدة، مثلهم في ذلك مثل عائلة المشداليين، والغبارنة، والوغليسيين، وغيرهم من العائلات الزواوية التي ساهمت في إثراء التراث الإسلامي عامة. فالمنجلاتي، من أشهر علماء القطر الجزائري بلا خلاف. وكان إليه المرجع في كل العلوم، وعنه أخذ جماعة من فضلاء وأعيان الجزائر[3]، ولما رجع من المغرب الأقصى تفرغ للتدريس بمدينة الجزائر، وفيها تلقى عليه الرحالة المغربي (ابن زاكور) علوما عدة، ومن بينها كتاب جمع الجوامع الذي ختم دراسته سنة 1094هـ/ 1682م، أي عشر سنوات قبل وفاته، وقد ذكر ابن زاكور شيخه في رحلته قائلا: "فممن أقبسني بكلتا يديه،وأجاز لي رواية ما لديه، العلم الأشهر، والحبر الأكبر، حائز الشرفين العرضي والذاتي أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاتي، أبقاه الله، ونضر مرآه، هو بقية السلف وبركة الخلف، الذي حمى به الله ذلك القطر من التلف... على أنه دنى من أرذل العمر واقترب وبات من ورد الثمانين على قرب"[4]، كما مدحه بقصيدة طويلة عندما أتم ختم كتاب جمع الجوامع، هذه بعض أبياتها:

حيّ على الأنس أن أطيف الهموم سرى — وسلّ نفسك وانهج نهج من صبرا

ولا تضخ لدواعي البث إن صدحت — إن دواعيه تستجلب الضـــررا

واذكر معاهد قد راقت نضارتها — فإن في ذكرها أنسا ومعـــتبرا

---

[1]- علي أمقران السحنوني: مساهمة بني منقلات في الفكر العربي الإسلامي ....،

[2]- تنقل فيما بين سجلماسة، وفاس والحجاز ومصر في طلب العلم، ثم عاد إلى الغرب واستقر بمدينة الجزائر، وتصدى للتعليم بها إلى أن توفي سنة 1057هـ/ 1647م، أنظر:

- مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص122.

[3]- أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص67.

[4]- الفاسي: رحلة الشيخ بن زاكور الفاسي المسماة: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، من فضلاء أكابر الأعيان، ضمن ثلاث رحلات مغاربية ويليه مجموع رحلات جزائرية، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص41 وما بعدها. أنظر عنه كذلك:

- الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص ص124، 128.

حـبر الجزائر والدنيا برمتـها من عالج العلـم حتى ذاع وانتشرا

بدر الجلال ومصباح الكمـال ومقباس الجمـال الذي كلّ الورى بهـرا

شـيخ أحاط بأنواع المديح فـما أبقى لمن بعـتده شيئا وما ذرا

حتى يقول:

مـا أحسن البين إذ كانت إسـاءته تفضي إلى مصباح الدجى عـمرا

بقية السـلف الماضي ونخبتـه لكـن محاسنه أزرت بمن غبـرا

قاضي القضاة الذي لا شيء يعدله في عدله ألدّ فشا في الناس واشتهرا[1]

لقد ذكر البوني بعض العلماء الذين دخلوا بونة (عنابة)، والذين من بينهم عالمنا الشيخ المنجلاتي فقال:

بالمنجلاتي عمر المجحد ونجـل قوجيلـنا محمد

وكـان قال بون مغبونة لأنها مطـوية مخبونة[2]

من خلال هذا، نستخلص بأن المنجلاتي لم يبق في مدينة الجزائر فقط، بل ساح في مدن وحواضر مغاربية مختلفة، مما زاد في معارفه ومكانته العلمية، فأخذ عنه العدد من طلاب العلم والمعرفة، سواء بمدينة الجزائر، أو غيرها من المدن التي حل بها. فكانت إسهاماته في التعليم هامة، ولعل من أبرز هذه العطاءات العلمية تلك الإجازة التي أجاز بها عالم المغرب الأقصى ورحالتها تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي سنة 1094هـ/ 1682م.[3]

لم يترك المنجلاتي – حسب علمي – كتبا، بل ترك عدد من الذين أخذوا عليه العلم المختلفة، فساهموا في خدمة العلم والدين الإسلامي، وغرسوا في نفوس الذين تعلموا عليهم خدمة الدين والعلم[4]، وهو الشيء الذي يمكن أن أتعرض إليه في الفصل القادم من خلال إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية.

---

[1]– ابن زاكور: المصدر السابق، ص ص42، 44.

[2]– أحمد بن أبي عبد الله القاسم: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، ... ص ص166، 167.

[3]– أنظر نص الإجازة كاملة في الملاحق.

[4]– البوعبدلي: "تراجم بعض علماء زواوة القبائل... ، ص ص274، 275.

2-أحمد بن بلقاسم الزواوي:

من علماء منطقة زواوة الذين أهملت المصادر التاريخية الحديث عنهم، على الرغم من مساهمتهم العلمية، فهو فلكي عاش بمنطقة البحث في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقد اشتغل بالفلك فألف جدولا في الكبس والازدلاف، كما نقل أيضا تصحيحه الذي أغفله أحمد بن مزيان عن الازدلاف في السنة[1]، وقد اعتمد عليه الشلاطي في تأليف كتابه:"معالم الاستبصار..." الذي سيأتي الحديث عنه في الفصل التالي، وهكذا يكون أحمد بن بلقاسم الزواوي قد ساهم في وضع جدولين في علم الفلك، أحدهما في الكبس، والثاني في مدخل السنة العجمية.[2]

3-عبد الرحمن اليلولي:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي أصلا الخردوشي اليلولي الزواوي ميلادا ونشأة، ولد في قرية إخردوشن بعرش إيلولة أومالو[3]، وهو من أسرة علمية قدمت إلى الناحية من بني يعلا بزواوة الشرقية، فهو من عائلة آل مصباح المشهورة بالعلم والتقوى، التي حلت بالقرب من معمرة الشيخ أحمد بن إدريس بتابودة، قبل أن تنتقل إلى قرية إخردوشن التي ولد فيها عبد الرحمن، الابن البكر للسيد يسعد المصباحي.[4]

نشأ عبد الرحمن في القرية التي ولد فيها، وتلقى تعليمه على والده ثم انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد بن إدريس، وبعد ذلك، انتقل إلى غابة ميزرانة حيث تقع زاوية الشيخ السعدي البهلولي المختصة في علم القراءات[5]، فبقي في هذه الزاوية متعلما ومعلما فيها بعد إتقانه لفن القراءة، وبعدها أمره شيخه السعدي بالعودة إلى عرشه ليؤسس معمرة (زاوية) فيه، وحول هذه الظاهرة نسج التراث الشعبي أسطورة مفادها "أن سيدي عبد الرحمن عندما استشار شيخه – امحمد السعدي – في أمره، أشار عليه بأن يؤسس معمرة بالموقع القريب من معمرة

---

[1]- سعد الله: تاريخ الجزائر ...، ج2، ص410.

[2]- نفسه، ص415.

[3]- محمد الحسن عليلي: السيد عبد الرحمن اليلولي، مؤسس الزاوية الشهيرة بإيلولة أومالو، في: محاضرة مرقونة سلم لي المحاضر نسخة مصورة عنها بمدينة تيزي وزو، يوم 2005/11/21. وكذلك:

– محمد الصالح الصديق: أعلام منطقة القبائل، دار هومة، الجزائر، 2013، ج2، ص ص 13، 15.

[4]- أحمد ساحي: أعلام من زواوة إيقواون1.. ، ص ص80، 82.

[5]- القراءات القرآنية، أو الإقراء: علم يعرف من إتقان الناقلين واختلافهم في الإعراب واللغة والإثبات والحذف، والوصل والفصل، من حيث النقل، أما الأداء: فهو علم بكيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها، أنظر حول هذا:

سعيد بن أعراب: القرّاء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990، ص59.

الشيخ ابن إدريس، وعندما أظهر التلميذ التعجب من هذه الإشارة الوصية، لعامل القرب، ولما قد ينشأ بينهما في المستقبل من تنافس، وربما تطاحن وعداوة إذ كيف يؤسس معهده قرب معهد أحمد بن إدريس وهو المتلألئ كالمصباح على كامل الربوع...؟ تقول الرواية الشعبية: أن شيخه امحمد السعدي البهلولي أجابه قائلا:"إذا كان معهد ابن إدريس مصباحا... فإن معهدك سيغدو صباحا"[1].

كان الشيخ عبد الرحمن اليلولي، وحيد زمانه، وفريد عصره في الرواية القرآنية بمقارئ السبعة والعشرة[2]، وكان مهابا محترما عند جميع الناس والعروش وترتعد فرائسهم عند سماع ذكره، ولقبوه بـ"أزقاغ ابوالن" أي ذو العينين الحمراوتين، ومات دون أن يخلف ولدا، ولا أنثى ودعى على إخوته وأعمامه وكل أقاربه، أن من سمى باسمه...، أو دخل زاويته وسكن فيها...يموت كلالة[3].

4-محمد بن عنتر:

هو محمد بن عنتر الحرزوني البتروني الزواوي، العلامة الجليل البارع في علوم شتى، والمتبحر في منقولها ومعقولها، وله اليد الطولى في القراءات القرآنية.

قرأ على الشيخ العلامة الصالح المحقق لقراءته، وشيخ القراء في عصره، الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي، صاحب المعهد الجامع، وملتقى العلماء، ومحط ركاب المتعطشين إلى علوم القراءات القرآنية، ومن هذه المعمرة ارتوى الشيخ سيدي محمد بن عنتر وأخذ وتعلم، فذاع صيته بين أقرانه.

كان مقرئا، محررا، ناسخا للمصحف الشريف، عرف عنه أنه نسخ تسعا وتسعين مصحفا، وترك المائة ناقصا، ومن الذين أخذوا عنه المقرئ الحسن بن قري اليعلاوي، وقد ترك مجموعة من الآثار المخطوطة في القراءات القرآنية، والتي من أهمها:

- المصاحف التي نسخها بيده، والتي بقي بعضها في زاوية الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي، وبعض القائمين على شؤونها إلى الآن.

---

[1] – ساحي: أعلام من زواوة...، ص 86.

[2] ساحي، المرجع السابق، ص84، وكذلك عليلي: المرجع السابق.

[3] – ساحي, المرجع السابق، ص44.

- تقييد على إفراد ورش وقالون، كتب في أوله: " هذا تقييد شيخنا الأستاذ سيدي محمد بن عنتر البتروني على إفراد ورش وقالون ولله دره رضي الله عنه [1]".
- تقييد العشر للنافعي على عاد الأولى.
- توفي الشيخ –رحمة الله عليه – بعد 1145هـ/1732م، ودفن إلى جوار شيخه بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي[2].

5- محمد بن علي الشريف الشلاطي:

هو محمد بن علي الشريف اليلولي الشلاطي، ينسب إلى قرية شلاطة التي ولد فيها، وتعلم على مشايخها، وتنحدر عائلته من الجد موسى واعلي بن يونس الزلاجي، وينتهي نسب هذه العائلة إلى سيدي أبي محمد بن عبد السلام بن مشيش بن منصور بن إبراهيم الحسني.[3]

بعد إنهاء دراسته على يد والده، انتسب إلى زاوية الشيخ ابن أبي داوود بتاسلنت (أقبو)، وبعدها انتقل إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، ويتحدث عن نفسه قائلا:"كنت معروفا بجمود القريحة والجبلة، وموصوفا بالبله والغفلة، إذ ليس لي من العلوم تعلم ولا رحلة (...) إلا مختصر خليل في مدة قليلة ومن أجل عوارض نامية"[4].

وعن نشأته يقول: " توفي والدي وبالعلم كارع وعامل فيه وناهل، وزاهد في دنياه بعلمه عامل ما لنا سوى الله كامل، أنا وبنيات له صغار (...) أمنا تحنو علينا ...ونحن في غموم كبار، وحالنا من الأقارب إلا كذئاب وعقارب، ولا من الأباعد مواد ولا مساعد". هكذا وجد نفسه مواجها لمتاعب الدنيا دون أنيس له أو مساعد، وعمره لم يكن يتجاوز الثانية عشرة، ورغم ذلك تخطى الصعاب وواجه الدنيا بقوة، فتفرغ لطلب العلم ، وفي ذلك يقول: " فلما شددت أزري وحالت حضرة عذاري، طفلت على باب المولى الكريم سائلا منه فتح الباب إلى صوب الصواب ...حتى منّ سبحانه عليّ، فحضرت مدارسة المختصر، فيسر علي فهمه، وانقشعت سحائب الأوهامن وانجاب زبر الغباوة ... فرجعت بعد أمد، وأنا من أبناء

---

[1] – تقييد ابن عنتر، مخ ضمن مجموع، م، و، ج، رقم 2445. أنظر صورة عنه في الملاحق.

[2] – ورقة في الموضوع من قبل الشيخ محمد الحسن عليلي، وكذلك الباحث في علم الإقراء السيد: عدنان غفار.

[3] الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص402.

[4] نقلا عن: ساحي، المرجع السابق، ص168.

جنسي منقبض غريب، ما زلت أقتطف من العلم جمانا أختلسها ...والأيام قد نشبت بأنيابها فينا والليالي والأزمان بأظافرها..."[1]

أسس والده، معمرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية في المكان الذي حل به في فج شلاطة، وفي المكان المعروف بـ"ثيزي البرد"، ومنها نزحوا إلى القرية التي استقروا فيها، ألا وهي قرية شلاطة الواقعة في السفوح الجنوبية من سلسلة جبال جرجرة، وفي هذه القرية أسس الوالد معمرة لتعليم القرآن العظيم وعلومه، وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[2]، وفي فترة وجيزة تحولت هذه المعمرة إلى قطب علمي استقطب الطلاب من كل الجهات المحلية والإقليمية، فقد ساهمت هذه المعمرة (الزاوية) في نشر العلم ليس فقط بين أبناء الجزائر، بل تعدى ذلك إلى الدول المجاورة. فقد ذكر العالم التونسي "أحمد بن مصطفى برناز، أنه درس على الشيخ أحمد بن مزيان الزواوي، وهو الشيخ الذي ذكره الشلاطي في مؤلفه الاستبصار...، الذي يحتمل بأنه درس في هذه المعمرة[3]، كما ذكر أحد طلابها الشيخ محمد بن علي الشريف وزاويته في معرض حديثه عن الأماكن التي درس فيها فقال:"إنه تكفل بمؤونة جميع الطلبة وهم يزيدون على ثلاثمائة وبمؤونة جميع الضيوف الزائرين"[4]، وبفعل الإمكانيات التي تتوفر عليها هذه الزاوية، ودرجة مشايخها العلمية، أصبحت لها مكانة مرموقة بين زوايا الجزائر عامة، وهذا ما جعل أحدهم يقول:"أن من لم يقرأ القرآن في شلاطة... ولو قرأ وتعلم في غيرها يعتبر من المحبين ناقص السر، والدليل على هذا، أن الناس إذا أرادوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إليها".[5]

ظلت هذه المعمرة تؤدي دورها الفكري، حتى بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وبرز من شخصيات هذه العائلة (محمد السعيد بن محمد بن علي الشريف الشلاطي) الذي تعامل مع الاستعمار الفرنسي، وتقلد منصب الباش آغا على عرش إيلولة، وعرش بني عيدل، وغيرهما.

---

[1] – أبو سعيد محمد بن علي الشريف الشلاطي: معالم الإستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، مخ. م. و. ج. رقم 2678 وكذلك رقم 2694. الورقة 1، و2.

[2] -Djamil Aissani : Timemmert N'ichellaten un institut supérieur au fin fond de la Kabylie, Association GEHIMAB Laboratoire LAMOS, Université de Bejaia.

[3] – سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص325.

[4] – نقلا عن: البوعبدلي: المرجع السابق، ص274.

[5] – الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص402.

6-أحمد بن ثابت البجائي:

هو أحمد بن ثابت الحسني البجائي[1]، كانت له دراية كبيرة بعلم التصوف، وقد عاش فيما بين القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وتوفي سنة 1152هـ/ 1739م[2]، وترك كتابا مخطوطا في التصوف تحت عنوان: التفكير والاعتبار في الصلاة على النبي المختار[3]. وهو من العلماء الذين تقل حول حياتهم المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في التعريف بهم.

7-محمد بن ميمون الجزائري:

هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي النجار، ولد ونشأ وتوفي في مدينة الجزائر، وهو من عائلة أصلها زواوي حلت بالمدينة واستقرت فيها، فابن ميمون من أحفاد أبي العباس أحمد الزواوي ثم الجزائري[4]. أما تاريخ ميلاده فهو غير معلوم ولم أتمكن من تحديده، إلا أنه عاصر الداي محمد بكداش (بقطاش)[5]، كان عالمنا هذا ذو ثقافة واسعة في مختلف فنون المعرفة، ومن خلال كتابه (التحفة...) يظهر بميوله إلى التصوف، كما أنه كان من الفقهاء الذين ساهموا في تنشيط الحياة الفكرية في مدينة الجزائر خاصة، كما أن له توجه سياسي على خلاف متصوفو عصره، وذلك من خلال مدحه للداي بقطاش، وذمه للداي مصطفى (1700 – 1705)، الذي خاض مجموعة من الحروب ضد حكام تونس، كما حرب مولاي إسماعيل سلطان المغرب الذي انهزمت قواته، ولم يتمكن من التوسع على حساب الغرب الجزائري[6]. توفي ابن ميمون سنة 1591هـ/ 1746م[7].

---

[1]- إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون...، ص312.

[2]- نويهض: المرجع السابق، ص ص18، 19.

[3]- أنظر حول هذا المؤلف: الفصل الخاص بإسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية.

[4]- ابن ميمون: المصدر السابق، ص11.

[5]- محمد بقطاش: من بين الدايات الذين حكموا الجزائر فيما بين 1707 و1710، وفي هذه الفترة تمكن الباي بوشلاغم من تحرير مدينة وهران، وتم طرد القوات الإسبانية منها لأول مرة بعد احتلالها، وذلك نتيجة الدعم العسكري الذي قدمه الداي للباي، وتوجيه حملة عسكرية لتحرير المدينة، وكان على رأس هذه الحملة صهر الداي وزان حسن...، أنظر:

- المدني: محمد عثمان باشا... ص47.

[6]- المدني: نفسه، ص47.

[7]- سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، ص81.

8-الحسين الورثيلاني:

لقد حدثنا الشيخ عن نفسه في كتابه "الرحلة" بما يبين اسمه ونسبه، فهو الحسين بن محمد بن عبد القادر بن يحيى بن أحمد الشريف بن علي البكاي البجائي الحسني، من شرفاء تافيلالت. وجاء في خاتمة الرحلة، وفي ترجمة مؤلفها ما يلي:"يقول زابر هذه الأسطر الفقير إلى الله القدير، عبد القادر بن محمد الصغير مولانا وقدوتنا إلى الله تعالى المحقق الكامل، العالم العامل، العارف بالله تعالى إمام المحققين والمريدين، فاتح أقفال بعض غوامض إشارات العارفين، ومفسر رموز مشكلات المحققين السالكين، ذو الرتبة الإلهية، والعلوم الربانية، والمنح الرحمانية، المقتفي لكتاب الله تعالى والسنة المحمدية، وهو الولي الصالح، والقطب الواضح، إمام الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفقيه النوراني والعالم الرباني[1].

ولد الشيخ الورثيلاني في قرية آنو التابعة إلى عرش بني ورثيلان – الذي ينسب إليه – وفي هذه القرية نشأ وترعرع، وفيها حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ يوسف بن بشران، وذلك في معمرة جده وواله، كما درس العلوم الأخرى على والده كالفقه، والحديث، وعلوم اللغة على مشايخ المنطقة أمثال الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله والشيخ يحيى اليعلاوي وغيرهما من مشايخ وقته[2].

ذكر الورثيلاني العلماء الذين أخذ عنهم العلوم المختلفة سواء في الجزائر أو خارجها، وكذلك العلوم المدرسة في عصره خاصة في مصر بالتحديد، وذلك أثناء رحلاته الحجازية التي قام بها في السنوات التالية (الحجة الأولى سنة 1153هـ/ 1740 – 1741م، والحجة الثانية سنة 1168هـ/ 1754، 1755م، أما الحجة الأخيرة التي أداها في 1179هـ/ 1765، 1766م[3])، وهي الحجة التي جالس خلالها الكثير من العلماء خاصة في مصر والحجاز، وقد ذكر العديد منهم خاصة الذين أجازوه أمثال: الشيخ الحفناوي، والشيخ عمر الطلحاوي[4]،

---

[1]- الرحلة الورثيلانية، ج1، ص15.

[2]- بو عزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ...، ص ص44، 45.

[3] – سعدالله: أبحاث وأراء ...، ص188.

[4]- هو أبو حفص عمر بن علي بن يحيى الطلحاوي الأزهري، الإمام الثبت العلامة الفقيه المحدث الأستاذ الفهامة... تمهر في فنون ودرس بالأزهر واشتهر أمره وطار صيته. توفي في 1181هـ/1767م. أنظر عنه:

– ابن مخلوف: المصدر السابق، ص339.

والزيات الشافعي، وسالم النفراوي[1]، وأحمد الإشبيلي... وغيرهم[2]، فكان لتنوع العلماء الذين أخذ عنهم أثره البالغ في نبوغه، واكتسابه لثقافة واسعة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، واعتلائه لمرتبة علمية مرموقة جعلت علماء مصر يطلبون منه البقاء في مصر للتدريس، وقد ذكر ذلك في قوله:"نعم طلب مني جميعهم قراءة الكبرى للسنوسي، وقالوا لا بد أن تحضر الشيخ علي الصعيدي وقت إقرائه أياها، وإنك لا بد أن تشتي عندنا فوافقهم على إقرائها ومساعدة لهم عليها فكل من سمع من الطلبة فرح وسر لذلك، غير أن الله منعني من الإقامة في مصر"[3]، فالورثيلاني من العلماء العاملين، بل هو "قدوة العلماء العاملين، وبقية السلف الصالحين، محيي السنة، والطاعن في نحور مخالفيها بالأسنة، نادر الزمان وبركة المسلمين في كل عصر وأوان، الجامع بين العلمين والكامل في النسبتين، حامل لواء الشريعة والحقيقة، ومعدن السلوك والطريقة"[4].

على الرغم من نشأة الشيخ الورثيلاني الريفية الفقيرة التي كان أساسها التقشف، إلا أنه كان من المحبين للأسفار والتنقل داخل الجزائر وخارجها، زائرا لمقامات الأولياء وأضرحة الصلحاء، كما أنه كان باحثا عن العلماء المجتهدين، سالكا طريق النصح بين المتخاصمين. فكان كثير السفر والترحال كما جرت عادة الله تعالى مع أوليائه أن يحرك خواطرهم للأسفار ليزدادوا يقينا بالاستبصار في أشعة الأنوار، لما في ذلك من دلائل التوحيد[5].

لقد انتقل وسافر الورثيلاني في حياته إلى مناطق عديدة، وكانت سفرياته إلى بجاية قبل بلوغه وبعدها متعلما ومعلما، فذكر بأنه يقضي شهر رمضان بالمدينة[6] ويزور أولياءها كلما سمح له الوقت بذلك، ولم يكتف بزيارة بجاية، بل سافر إلى مدينة تدلس (دلس) لملاقاة عالمها الشيخ أحمد بن عمر الدلسي، ويمكن أن تكون هذه الزيارة من أجل مدارسة إشكالية

---

[1]- هو أبو النجا سالم بن محمد النفراوي المفتي العلامة النحرير، كان مشهورا بمعرفة فروع المذهب... وكانت حلقة درسه أعظم الحلق، وأخذ عنه العديد من العلماء ومن بينهم الشيخ الورثيلاني صاحب الرحلة. أنظر حوله:

- ابن مخلوف، نفسه، ص338.

[2]- الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص84 – 92.

[3]- نفسه: ص ص87، 88.

[4]- الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص398.

[5]- محمد بن صعد الأنصاري التلمساني: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق: يحيى بو عزيز، الجزائر، 2004، ص ص16 و52.

[6]- الرحلة: ج1، ص66.

أمرية 1749 القاضية بمنع المرأة الزواوية من الميراث[1]، وتعتبر هذه القضية الهامة التي شغلت عقل الشيخ الورثيلاني ووقف في وجه الداعين إليها، فعمل على جمع الرأي العام المحلي لمحاربة هذه الأمرية المخالفة للنص القرآني.

لقد تصدى الشيخ الورثيلاني للتدريس والتعليم، فحاله كحال والده وجده اللذان كانا من المدرسين، وناشري العلم في بلدته، فتخرج على يديه الكثير من الطلبة الذين أخذوا عليه الفقه والتوحيد والعلوم الأخرى أمثال الشيخ محمد بن الفقيه، والشيخ محمد السكلاوي، الذي درس عليه كبرى السنوسي بالشيخ اليوسي قراءة تحقيق أيام سفريته الزواوية[2]، وهذا الأخير (السكلاوي) تعد عائلته من العائلات الزواوية التي توارثت العلم والفتوى أبا عن جد، ولعل الشيخ المهدي من أحفاده. وتظهر إسهامات الشيخ الورثيلاني في التعليم والفتوى وغير ذلك في الفصل الخاص بذلك.

لم يكن الورثيلاني، من الذين يهتمون بالدين دون الدنيا، ولا من المتقوقعين على ذاتهم، بل كانت علاقات مع أولي الأمر من حكام البلاد، كما كانت له مصاهرة العائلات النافذة في المجتمع، وهذا من دلائل اتساع أفق نظرته، وصواب نهجه.[3]

9-أحمد الورجي:

هو أحمد بن مزيان الورجي، نسبة إلى قرية ورجة في جبال جرجرة، وهي القرية التي عرفت ميلاد البطلة فاطمة نسومر. وتاريخ ميلاده غير معلوم ولكنه عاش في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، حيث ذكره الورثيلاني وكان حيا عندما زار قريته واتصل به، وهو الذي ذكر بأن الشيخ له دراية بعلوم عدة المنقولة منها والمعقولة، كما ذكر بأن الشيخ الورجي خمس البردة، وقال بأنه من الصعب على قارئها أن يفرق بين كلامه، والكلام الأصلي، مما يدل على تمكنه في اللغة ونبوغه في هذا الفن، كما أن له كتابا آخر في الصلاة على النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، ويقول الورثيلاني بأن هذا الكتاب لا يوجد له نظير لأنه ذكر تصاريف اللغة وحاز السبق فيها... وقد تمكن في علم الأوفاق

---

[1]- حول هذه القضية، أنظر: أحمد ساحي: ميراث المرأة بين المنع والشرع مداولة 1749(أعلام من زواوة 2)، دار التبيين، الجاحظية، الجزائر،1995.

[2]- أحمد ظريف: قراءة في الرحلة الورثيلانية سياحة في أغوار رحلة الوثيلاني، رابطة أهل القلم، الجزائر، 2005، ص35.

[3] -Hadj Sadok :op,cit, P31.

تمكنا كليا[1]، هذا ويذكر أحد الباحثين بأن الورجي أدى فريضة الحج، دون أن يذكر تاريخ ذلك[2]. أما ابن منصور، فيذكره ويضيف بأنه من فقهاء الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[3].

10- أحمد البرانسي:

من العلماء الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وهو من أحفاد العالم الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي صاحب التآليف العديدة، ودفين مدينة الجزائر. ولد الشيخ أحمد البرانسي في قرية يسر في تاريخ غير معلوم، وبعد أن تعلم في زاوية أجداده، رحل إلى تونس، واستقر فيها.

كان من العلماء الراسخين المتبحرين في العلوم العقلية والنقلية، جادا في طلب العلم حتى صار رئيسا للمفتيين، ذو عفة وديانة وإقدام على تغيير المنكر[4]، عاش معظم حياته في تونس، ولم يعد إلى الجزائر إذ لم أعثر على من يذكره في بلده الذي ولد فيه، بل تولى في تونس مهام سامية منها الإفتاء، وهو المنصب الذي لا يتولاه إلا العلماء الذين لهم مكانة عالية في الفقه، وله إسهامات هامة في التعليم، والسياسة في تونس، وقد ذكره العديد من علماء تونس أمثال أحمد بن أبي الضياف الذي تعرض إلى ذكر إسهامه في التخفيف من معاناة التونسيين في الوباء الذي عرفته البلاد خلال عهد حمودة باشا الحسيني[5]، وذكره غيره من التونسيين، كعمر الرياحي التونسي.

11- محمد العربي بن مصباح:

هو محمد العربي بن الموهوب بن أحمد زروق بن مصباح اليعلاوي، ولد في قرية (ثيغرمت) التابعة غلى عرش بين يعلا العجيسي الذي ينسب إليه والواقع في زواوة الشرقية[6]، وهو من أسرة علمية اشتهر أفرادها بالعلم والصلاح في المنطقة خاصة، وفي الشرق الجزائري عامة، وقد ترجم وذكر الورثيلاني عددا من أفراد هذه العائلة العلمية الذين توارثوا العلم والقضاء والإفتاء في منطقة زواوة خاصة الشرقية منها، ويذكره الورثيلاني قائلا:"ومنهم

---

[1]- الرحلة، ج1، ص63. كما نقل الحفناوي عن الورثيلاني في: تعريف الخلف... ج1، ص331.

[2]- نويهض: المرجع السابق، ص45.

[3]- أعلام المغرب العربي، ج6، ص416.

[4]- نفسه، ص422.

[5]- ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان... ج3، ص21. نقلا عن: ابن منصور، المرجع نفسه.

[6]- البو عبدلي: المرجع السابق، ص274.

الشيخ الفاضل الولي الصالح، المعلوم الناجح سيدي محمد بن مصباح، ذو العلم المتين والسر المبين..."[1]، وقد أدرك جده السيد أحمد زروق. ومر على أحد أفراد هذه العائلة العلمية ببني يعلا في رحلته الحجازية، فقال عنه:" ...قاصدين بني يعلى فبلغنا محل المدرس الفاضل، والعلامة الكامل، المحب على الدوام، المحقق الهمام، ذي الفضل والنجاح، سيدي الحسين بن مصباح[2]"

درس بمعمرة الشيخ بن علي الشريف الشلاطي، فكان من بين الطلبة الذين تأثروا بالشيخ الشلاطي الذي سبق ذكره، وترجم لشيخه هذا في مؤلفه الذي جمع فيه مناقب الشلاطي، وهو المخطوط الذي يحتمل بأن الشيخ المهدي البو عبدلي قد اطلع عليه، أما الآن، فأعتقد بأن المخطوط قد ضاع، ولم أتمكن من الحصول عليه عند حفدة الشيخ أو في الخزائن الخاصة في المنطقة.

12- محند أوقري:

يعتقد بأن الشيخ محند أوقري من مواليد عرش ريغة بناحية عين ولمان، وتعود أصول عائلته إلى الساقية الحمراء ووادي الذهب، والبعض الآخر ينسبونه إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إستقر محند أوقري مع إخوته التسعة، وأقاربه في البداية بالمكان المسمى (أخناق)[3]، وأنشأ هناك مطحنة لطحن الحبوب من مياه أحد الأودية المتدفقة في هذا المكان، وبعد ذلك انتقل إلى مكان آخر يشرف على الناحية كلها، لكونه مرتفعا عن باقي القرى القريبة إليه، ويعرف هذا المكان باسم (ثيزي نتعساسث)[4]، وفيه بنى معمرته التي ذكرها الورثيلاني.

يعتبر من الأولياء الصلحاء الذين انعزلوا عن الناس، واهبا نفسه لخدمة العلم والتعليم، زاهدا في الدنيا وزخرفها، وقد ذكره الورثيلاني بقوله:"ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى الزاهد في الدنيا رأسا، المتخلي عنها نفسا، سيدي محمد بن قري... وقد أدركته صغيرا "[5]. أسس هذا الزاهد المتصوف معمرة (زاوية) في جبل بني يعلا، وفي منطقة صعبة لا يسكنها إلا

---

[1]- الرحلة، ج1، ص 110.

[2] - نفسه، ص 188.

[3] - أخناق باللهجة المحلية: يعني الوادي، ويقع هذا الوادي بين جعافرة، وبني يعلا وتسامرث، أي أن المكان يتوسط ثلاث قرى من قرى الناحية.

[4] - زاهير عبد الحميد باجي أوقري: مقال نشره في جانفي 2009 بموقع:
-Thamurth - Ith Yaala www. Jorad.dz/F T P/JO-ARABE/2014

[5]- الورثيلاني: المصدر السابق، ج1، ص122.

الوحوش لعدم الماء فيها، تاركا ملاذ الحياة، زاهدا متعبدا معلما الناس أمور دينهم، ومربيا الطلبة على حب العلم، وعبادة الله سبحانه وتعالى.

تعد هذه المعمرة (الزاوية) من المعمرات التي قصدها الطلبة من مناطق عدة، ونهلوا منها علوما مختلفة، ولازالت عامرة إلى يومنا هذا، رغم ما تعرضت له من تدمير وتخريب من طرف الاستعمار الفرنسي مثل بقية المعمرات الأخرى في منطقة زواوة وغيرها من مناطق الجزائر، وأحفاد مؤسسها مازالوا ينفقون على طلبتها الذين يتلقون فيها العلوم الدينية المختلفة. ومن بين العلماء الذين يعود نسبهم إلى مؤسسها العالم المقرئ سيدي الحسين بن قري، الذي اشتهر في علم الإقراء، وترك العديد من الطلبة الذين تعلموا عليه هذا العلم، دون أن أتمكن من إيجاد ترجمته كاملة رغم ورود اسمه في تقاييد طلبته[1].

13- أبو عبد الله محمد القلعي:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد المولود بقلعة بني عباس، التابعة لزواوة الشرقية، رحل إلى تونس، واستكمل فيها دراسته، آخذا على علمائها علمي المنقول والمعقول، ثم تصدر التدريس بالجامع الأعظم، أي جامع الزيتونة مدة من الزمن، وتخرج خلال مدة تدريسه في الجامع عدد كبير من الطلاب الذين نهلوا من علمه، وبعد ذلك تولى القضاء المالكي في بلدة ماطر. وصفه العارفون المقربون إليه بالصلاح والتفقه في الدين[2].

14- أبو الحسن بن عمر القلعي:

برز أيضا عالم آخر من القلعة، وهو أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي العباسي في الأزهر الشريف، وهو من علماء رواق المغاربة، إذ تولى مشيخة الرواق ثلاث مرات، وكانت له مكانة كبيرة، وكان معدودا من المشايخ الكبار، وتوفي سنة 1199هـ/1785[3]. أخذ العلم على مجموعة من علماء وقته أمثال البليدي، والصعيدي، والجوهري، وغيرهم، وبعد إتمام دراسته، تفرغ للتدريس في الجامع، وتلقى عليه العديد من طلبة العلم علوما

---

[1] – أنظر عنه تقييد ابن عنتر، مخ الم. و. ج, رقم2444.

[2] – محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900- 1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 28.

[3] – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد االرحيم: المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517. 1798)، دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر، تونس 1982، ص105.

مختلفة، وبخاصة التوحيد والمنطق والفقه، وقد ترك العديد من المؤلفات في العلوم الشرعية، ومن أهمها:

- كتاب في خواص سورة يس، وآخر في خواص الآيات والمجربات التي تلقاها من أفواه الأشياخ.
- شرح على أم البراهين. حاشية شرح فيها ديباجة الشيخ محمد السنوسي في علم التوحيد.
- حاشية على رسالة محمد الكرماني، في الفلسفة، انتهى من تأليفه سنة 1172هـ/ 1758م ، منها نسخة في مكتبة الأزهر الشريف رقم 38720، عدد أوراقها عشرين ورقة، أولها :" الحمد لله الذي أحاط علمه بما لا يتناهى من المعلومات...".
- حاشية على السلم المرونق، في علم المنطق للعالم الجزائري عبد الرحمن الأخضري.
- ذيل الفوائد وفرائد الزوائد على كتاب الفوائد: حاشية على كتاب "الفوائد والصلات" للشيخ شهاب الدين أحمد الزبيدي...[1]

15- الحسين بن أعراب:

من علماء منطقة زواوة الذين لعبوا دورا كبيرا في الحياة الفكرية بالمنطقة خاصة، وبالمغرب الإسلامي عامة، والذي أهملت المصادر التاريخية ترجمته. ومهما يكن، فإن عالمنا هذا من أهل القرن الثاني عشر الهجري/ 18م، ولد بعرش بني إيراثن، وفيه أخذ العلم على شيوخ المنطقة، ثم هاجر إلى المشرق الإسلامي ربما قاصدا أداء فريضة الحج، وأثناء هذه الهجرة إلتقى بالعديد من العلماء المسلمين، واحتك بهم كعادة جميع علماء وقته ودرس عيهم، ومن بينهم الشيخ الخرشي. وأثناء عودته إلى بلاده قيل بأنه هو الذي أدخل شرح الخرشي[2] لمختصر الشيخ خليل إلى بلاد المغرب عامة، وإلى زواوة بوجه خاص، وبذلك أصبح هذا الشرح من الشروح التي يعتمد عليها طلبة العلم في وقته بمنطقة البحث خاصة، وخارجها[3].

---

[1] - أنظر حوله: بسكر، المرجع السابق، ج1، ص ص 50، 51.

[2] - هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي، الفقيه، العلامة، البركة، القدوة، الفهامة، شيخ المالكية، وإمام السالكين، وخاتمة العلماء العاملين. إليه إنتهت الرئاسة بمصر. أخذ عن والده، والبرهان اللقاني، والنور الأجهوري، وغيررهم. وعنه جماعة منهم الشيخ علي النوري، وأحمد الشرفي الصفاقسي...، وله شرح كبير على المختصر، وصغير رزق فيه القبول، وغير ذلك. توفي في ذي الحجة سنة 1151هـ/1783م. أنظر عنه:
- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية...ص 318.

[3] - سعد الله: تاريخ الجزائر...، ج 3، ص185. و ج4، ص 528.

أسس معمرة (زاوية) بقرية إشرعيون القريبة من ثيزي راشد لتعليم الناس العلوم المختلفة. وبقيت تؤدي هذه الوظيفة إلى أن دمرها الإستعمار الفرنسي في ثورة 1871م[1].

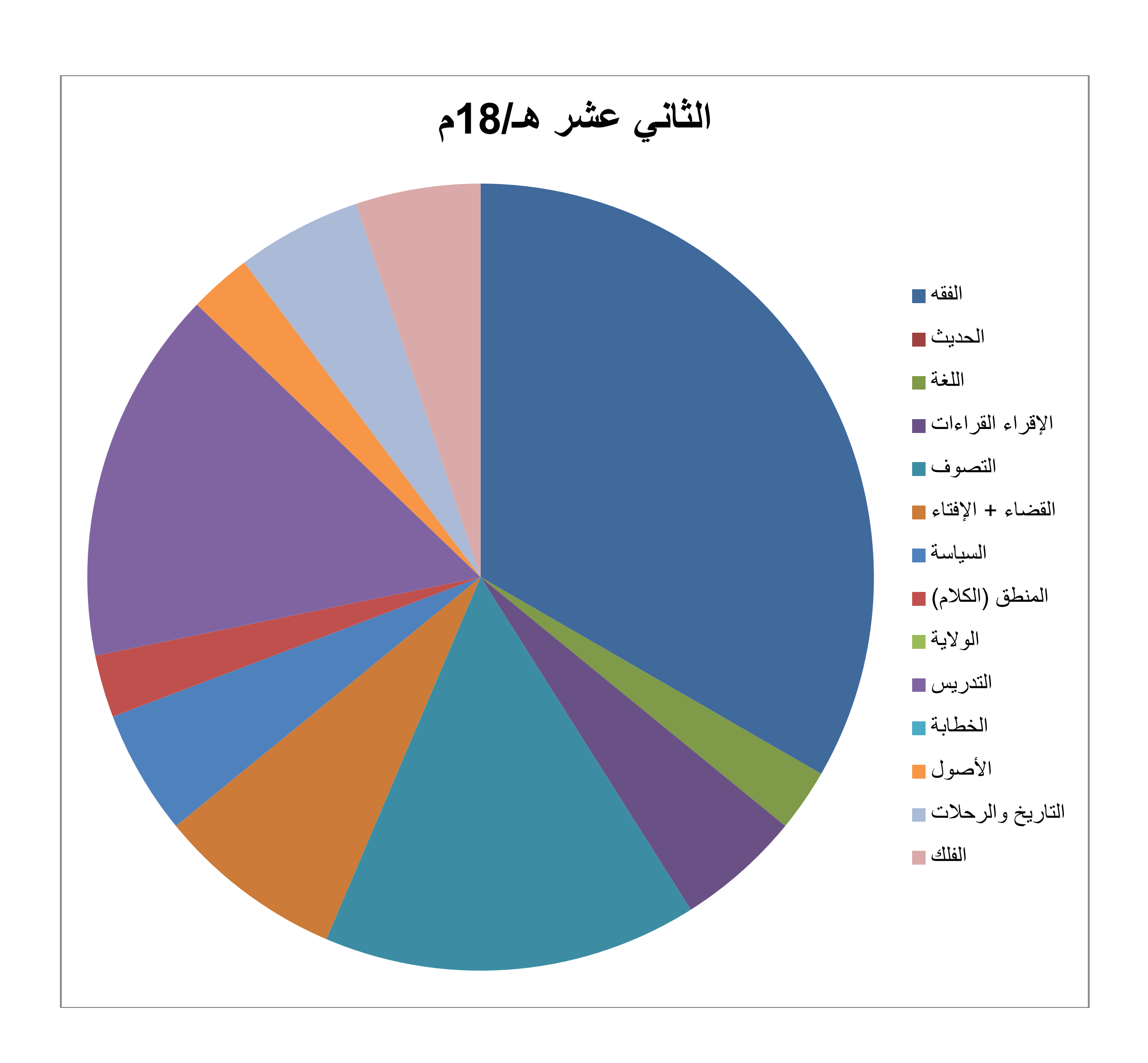
تحولت هذه المعمرة إلى قطب من أقطاب العلم والتعليم في جبال جرة جرة، فقصدها الكثير من طلبة العلم، وتخرج منها العديد من العلماء الذين انتشروا في مختلف المناطق، ومن بين العلماء االذين تخرجوا منها: الشيخ امحمد بن عبد الرحمن القشطولي، والشيخ محمد السعيد بن أبي داوود والشيخ امحمد التجاني، وغيرهم كثير.

يعتبر القرن الثاني عشر الهجري/ 18م، بداية لمرحلة جديدة بالنسبة للحياة الفكرية في منطقة البحث، ففي هذا القرن بدأت تظهر نتائج انتقال علماء بجاية إلى النواحي الداخلية من منطقة زواوة، فانتشر التعليم بين سكان هذه المنطقة الجبلية الوعرة، كما يعتبر هذا القرن بداية لظهور الطريقة الصوفية المحلية، والمتمثلة في الطريقة الرحمانية، التي اختلفت عن الطرائق الصوفية الأخرى بانتهاجها أربع مميزات هي:

- طريقة جزائري زواوية محضة، تفرعت عنها الطريقة التجانية.
- أنها طريقة تعليمية تربوية.
- أنها طريقة جهادية.
- أنها طريقة إصلاحية.

وهذه الخصائص، والمميزات قلما نجدها في الطرائق الصوفية الأخرى، وبسبب الميزتين (التعليم، والإصلاح) فرضت نفسها في المنطقة على باقي الطرائق الصوفية الأخرى التي كانت منتشرة قبلها، بل أن شيوخها فرضوا أنفسهم حتى خارج المنطقة، كالشيخ السكلاوي في بلاد الشام.

[1] -سعد الله:المرجع السابق، ج3، ص186.


الثاني عشر هـ/18م
الفقه
الحديث
اللغة
الإقراء القراءات
التصوف
القضاء + الإفتاء
السياسة
المنطق (الكلام)
الولاية
التدريس
الخطابة
الأصول
التاريخ والرحلات
الفلك

الفصل الثالث :

تراجم علماء منطقة زواوة خلال القرن الثالث عشر الهجري/ 19م:

عرف هذا القرن تزايدا ملحوظا في عدد علماء منطقة زواوة، وتنوع تخصصاتهم. وأعتقد أن السبب في ذلك يعود إلى نضج الثمار التي انبتتها معمرات المنطقة طيلة الفترة التي أعقبت نزوح علماء وفقهاء بجاية إلى النواحي الداخلية، وتأسيسهم لعدد كبير من المعمرات في النواحي والقرى التي حلوا بها.

من أهم العلماء المترجم لهم خلال هذه الفترة، وذلك حسب تاريخ وفاتهم بالتقويم الهجري، ما يلي:

- محمد المغربي الزواوي
- أحمد بن يحيى بن حمودي الورثيلاني
- امحمد بن عبد الرحمن الجرجري القشطولي الأزهري
- محمد بن عامر المغازي الزواوي
- محمد المبارك الدلسي
- محمد الصالح بن سليمان العيساوي المشدالي الزواوي الرحموني
- البشير الونيسي
- علي بن محمد المنجلاتي
- أحمد الطيب بن محمد الصالح الزواوي
- محمد العربي الأخداشي
- محمد السعيد بن ابي داوود
- المهدي السكلاوي
- صالح السمعوني
- محمد بن علي التقابي
- البشير بن أم رزق
- محمد الطاهر الجنادي

- حميدة العمالي
- محند أمزيان الحداد

علماء زواوة خلال القرن الثالث عشر هجري/ 19م

من العلماء الذين تمكنت الحصول على معلومات حولهم، وساهموا في الحياة الفكرية الإسلامية، وهم من منطقة زواوة، أو ينتمون إليها، ما يبينه الجدول التالي:

اسم العالم وكنيته	فترة حياته	تخصصه	ملاحظات
محمد بن محمد بن عبد الله المغربي الزواوي	1119هـ _1201/ 1707م_1787	محدث، فقيه	عاش في البقاع المقدسة
أحمد بن يحيى بن حمودي الورثيلاني	ت بعد 1203هـ/ 1788م	لغوي فقيه	من بني ورثيلان بزواوة الشرقية
امحمد بن عبد الرحمن القشطولي	1123- 1208هـ/ 1711 – 1793م	فقيه صوفي	من قشطولة بزواوة الغربية
محمد بن عامر المغازي الزواوي	ت 1221هـ/ 1806م	صوفي	
محمد المبارك الدلسي	1223- 1269هـ/ 1808 – 1852م	صوفي مدرس فقيه	نشأ في قرية دلس الساحلية التابعة إلى زواوة الغربية

محمد الصالح بن سليمان العيسوي المشدالي	ت 1242هـ/ 1826م	نحوي فقيه[1]	نشأ في قرية العش، وتعلم فيها، ثم توجه إلى الزيتونة للقراءة على علمائها
البشير الونيسي	ت 1242هـ/1826م	مدرس صوفي	من الزواويين الذين هاجروا إلى تونس، واستقروا فيها
علي المنجلاتي	ت 1246هـ/ 1830	فقيه مالكي مفتي المالكية	منجلاتي الأصل، ولد بمدينة الجزائر
أحمد الطيب الزواوي	ت 1251هـ/ 1835م	فقيه مالكي لغوي	حفيد العالم محمد الصالح بن سليمان المشدالي.
محمد العربي الأخداشي	ت: 1263هـ/1846م	مقرئ ناسخ	يعود أصله إلى قرية إخداشن الواقعة بعرش بني يتور
محمد السعيد بن أبي داوود الزواوي	1160هـ _1246هـ/ 1755_ 1830	مدرّس فقيه لغوي	مؤسس زاوية تاسلنت بالقرب من مدينة أقبو، التابعة لعرش إيلولة أوسامر.
المهدي السكلاوي	1200- 1278هـ/ 1785 – 1861م	صوفي فقيه	من عرش بن إيراثن، ومن الذين أفتوا بالهجرة بعد الاحتلال

[1]– ابن مخلوف: شجرة النور الزكية...، ص382.

صالح السمعوني	1240- 1285هـ/ 1824 – 1868م	فلكي فقيه مفتي المالكية	من عرش بني وغليس بزواوة الشرقية، وهو العرش الذي أنجب علماء لهم دور كبير في الفكر الإسلامي، وعلى رأسهم الشيخ سيدي عبد الرحمن الوغليسي.
محمد بن علي بن مالك التقابي	توفي في 1272هـ/	مقرئ نحوي	من العلماء البارزيين في القراءات القرأنية، تولى التدريس في الزاوية اليلولية، وأدخل الكثير من التعديلات على مناهجها.
البشير ابن أم رزق	توفي في 1275هـ/1858م	مقرئ نحوي	من قرية بويكني التابعة إلى عرش بني عيدل.
محمد الطاهر الجنادي	كان حيا في 1283هـ/	مدرس قاضي مقرئ	من عرش بني جناد، ويعتقد بأنه والد الشيخ الجنادي، صاحب كتاب أوضح الدلائل.
حميدة العمالي	1227هـ/ 1873/1290_1813	مدرّس فقيه مفتي قاضي	تعود أصوله إلى قرية عمال الواقعة في السفوح الغربية لجبال جرجرة.
محمد أمزيان بن الحداد	1202- 1290هـ/ 1790 – 1873م	لغوي فقيه متصوف	من عرش بني عيدل، الذي أخذ تسميته من الشيخ العالم العامل الولي الصالح الشيخ يحيى صاحب العدلي، صاحب زاوية تمقرة.

تراجم علماء القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر الميلادي:

إن القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر الميلادي من القرون التي بدأت تظهر فيها أعداد هامة من علماء الجزائر. وفي منطقة زواوة برز كثير من العلماء الذين تركوا بصماتهم في الحياة الفكرية الإسلامية عامة، وفي الجزائر بصورة خاصة. ومن العوامل التي ساعدت على هذه الظاهرة بالرغم من تواضع الكود النسبي في السياسة التعليمية في العهد العثماني، فإن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى اهتمام الأهالي بالتعليم، وتوفر الهياكل التعليمية، من الكتاتيب، والمدارس، والزوايا... إضافة إلى الحرية المتبعة في الحياة الفكرية، وقوف بعض الحكام إلى جانب هذه الحركة الفكرية بمختلف أوجهها، ومن أهم العلماء الذين تمكنت من الحصول على تراجمهم ما يلي:

1-محمد بن محمد بن عبد الله المغربي الزواوي:

الأصل، المدني المولد المالكي المذهب: يعد من العلماء الزواويين الذين هاجر أهله الجزائر نحو المشرق، دون تمكننا من الحصول على معلومات تاريخية تثبت المكان، أو القرية التي هاجر منها أهله، ولا الفترة التاريخية التي هاجروا فيها، والثابت أنهم استوطنوا البقاع المقدسة كبقية المغاربة الذين يذهبون إلى الحج فيبقون في البلد الحرام، وولد عالمنا هذا في المدينة المنورة عام 1119هـ/ 1707م، وفيها نشأ، وتربى وتعلم على علمائها ومشايخها، وصار من أعلامها، وقد ترجم له ابن البيطار قائلا:"الفاضل الذي خفقت رايات علمه، واستخرج دقائق مشكلات المسائل بثاقب فهمه، وكان له في جميع العلوم مشاركة وإلمام. فهو المحدث الفقيه، العالم العلامة النبيه، أوحدي العصر ألمعي الدهر، عمدة الأمثال ونخبة ذوي الكمال، من استوى على عرش الأفضال، ودار عليه مدار ذوي اللطف والجمال"[1]، ومن خلال هذه الترجمة تظهر مكانته العلمية في المدينة المنورة، فهو من الأعلام الذين ساهموا في إثراء الحياة الفكرية في المدينة المنورة، وتفرغ للتدريس في المسجد النبوي الشريف حتى صار من الأعلام الذين تشد إليهم الرحال في القرن الثالث عشر هجري/ نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر ميلادي، لما جمع من مختلف العلوم. فإلى جانب تخصصه في علوم الحديث، إلا أن تضلعه في الفقه، جعل الطلبة يقصدونه

---

[1]- عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه وعلق عليه حفيده: محمد بهجت البيطار، ج3، ط2، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج3، ص1240.

للأخذ عليه الفقه المالكي، ومن بين الذين أخذوا عليه في المدينة المنورة، عالم الشام وعمدة الأنام، ولوذعي السادة النقاد السيد شاكر العقاد[1]. توفي هذا العالم في المدينة المنورة يوم الجمعة 11 جمادى الأولى 1201هـ/ 19 فيفري 1786م، ودفن بالبقيع.

2-أحمد بن يحيى أوحمودي الورثيلاني:

نشأ العالم الفقيه الشيخ أحمد بن يحيى الورثيلاني، في عرش بني ورثيلان التابع لزواوة الشرقية، وهو من أسرة علمية توارثت العلم أبا عن جد، فمنهم الفقهاء، واللغويين، والأدباء، والرحالين. غير أن تاريخ ميلاده غير معلوم، ولكنه يحتمل أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

رحل إلى المشرق العربي قاصدا حج بيت الله الحرام سنة 1179هـ/ 1765م، وهي الحجة الثالثة التي حج فيها الشيخ الحسين الورثيلاني، أي أنه من بين الحجيج الذين رافقوا الشيخ الورثيلاني، وفي المشرق لقي عددا من العلماء الذين أخذ عنهم، واحتك بهم، وتأثر ببعضهم، ومن بين هؤلاء العلماء العالم المصري مرتضى الزبيدي، الذي أجازه سنة 1203هـ/ 1788م[2]. وبعد أدائه مناسك الحج والعمرة، رجع إلى وطنه وتفرغ للتدريس، واهبا نفسه ووقته في خدمة أبناء المنطقة، وغيرها من المناطق التي كان أبناؤها يتوجهون إلى هذا العالم من أجل الأخذ عنه، والتعلم عليه، وأما وفاته، فإن تاريخها غير معلوم، ولكنه يحتمل بأنه عاش إلى ما بعد الربع الأول من القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر الميلادي، إذا أخذنا بتاريخ الإجازة المذكورة، فيمكن القول بأنه عاش بعدها مدة طويلة.[3]

قدم الجد الأول لهذه الأسرة إلى عرش بني ورثيلان في حدود القرن السابع عشر الميلادي، والأول هذا، هو يحيى بن موسى الذي أسس هذه الأسرة بقرية فرحة (فريحة) التابعة إلى عرش بني ورثيلان، فانتشر نسله فيها، وكثر بعده تعداد الآباء والأجداد، حتى صار معظم سكان القرية ينتسبون إليه، وقد كانت لهذه العائلة مكانة مرموقة في الناحية، لما

---

[1]- ابن البيطار: المصدر السابق، ج3، ص1240.

[2]- يذكر الشيخ البوعبدلي، بأن نص الإجازة يحتفظ بها أفراد من أسرته ببني ورثيلان، ولعل الشيخ اطلع عليها، ونصها:"الشيخ الصالح الإمام الهمام العلامة مفيد الطالبين ومربي السالكين شمس سماء المعارف الإلاهية ومجلي ترقيات الفيوضات اللدنية شيخ الوقت سيدنا ومولانا الشهاب أحمد بن يحيى بن حمود نفع الله به، ولولده من بعده أبي التوفيق سيدنا الحاج محمد"... ثم يذكر علماء آرين ويقول: "... وسائر طلبة العلم الشريف في بني ورثيلان أو يرووا عني..." أنظر حولها:

- البوعبدلي: تراجم بعض علماء زواوة،... في: مجلة الأصالة... ص274.

[3]- ابن منصور: أعلام المغرب العربي...، ج7، ص9.

قامت به من أعمال جليلة خاصة في تعليم الناس أمور دينهم، والإنفاق على الفقراء...وقطع التشاجر بالمصالحة بين أهل الخصام، وتقسيم ما يرد إلى الأسرة من المعروف والزيارات، على أولي المسكنة، وذوي الإحتياجات، واتصف نسل الأسرة بالورع والعلم والعقل... وكان آخر علماء هذه الأسرة الشيخ يحي المتوفى يوم 6 فيفري 1884[1].

3-امحمد بن عبد الرحمن الأزهري:

سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الحسين بن طلحة بن جعفر بن محمد العسكري بن عيسى الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق عبد الله بن حمزة بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]. وحسب هذه الوثيقة فإن الشيخ امحمد بن عبد الرحمن من الأشراف الذين حلوا بمنطقة زواوة قادمين من المغرب الأقصى كبقية الأشراف والمرابطين في المنطقة.

ولد امحمد بن عبد الرحمن فيما بين 1126 و1133هـ/ 1714 و1720، وحسب أحد الباحثين، فإن ميلاده كان سنة 1715م[3] بقرية بوعلاوة التابعة لعرش قشطولة الواقعة في جبال جرجرة وإليها ينسب، وقد لقب كذلك بالأزهري نسبة إلى الجامع الأزهر الشريف الذي جاوزه مدة من الزمن متعلما ومعلما[4].

أما الشيخ الحفناوي، فقد وصفه "بالغوث الأكبر والمربي الأشهر، جامع الناس على كلمتي الشهادة وداعيهم إلى مقام الإحسان في العبادة"[5]، اشتهر اسمه في المشرق والمغرب، وكان تعليمه في بداية الأمر بالقرية التي نشأ فيها، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ ابن أعراب بالأربعاء بني إيراثن[6]، وانتسب إلى زاويته التي أخذ العلوم على أعلامها، وعلى رأسهم شيخها العالم الرباني الشيخ الصادق بن أعراب، وبعدها توجه إلى أداء فريضة الحج، وسنه لم يتجاوز التاسعة عشر سنة، وذلك في حدود سنة 1152هـ/ 1734م، وبعد عودته من الحج، أعجبته الأوضاع التي كانت عليها مصر فاستقر بها، وتزوج في القاهرة مكونا أسرة بقصد الإقامة

---

[1] - جريدة المبشر، الصادرة يم السبت 17 جمادي الأولى 1301/ 15 مارس 1884.

[2] - هكذا مكتوب في لوح معلق في محراب ضريحه المقدس قرب الحامة، نقلا عن: الحفناوي: تعريف الخلف... ج2، ص298.

[3]- Mohammed Brahim SALHI: La Tariqua Rahmaniya de l'avènement à l'insurrection de 1871, edition haute commissariat à l'Amazighité, 2008, P P 9 et 10.

[4] - بلقاسم عيسات: لمحة عن تاريخ قلعة العباس جبل الزواوة وأعلام الطريقة الرحمانية، ص74.

[5] - تعريف الخلف...، ج2، ص299.

[6]- SALHI: La Tariqa Rahmaniya… ,p10.

والاستقرار، وأثناء قامته بالقاهرة زاره أخوه محمد بالأزهر وأقام معه مدة، وفيها أخذ العلوم على الكثير من العلماء الذين لهم باع في مختلف الميادين أمثال الشيخ الصعيدي، والشيخ الدردير، والشيخ علي بن حضر العروسي، وشيخه الأكبر وولي نعمته هو الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الخلوتي[1]. الذي كلفه بعدة مهام سواء في العالم العربي أو خارجه. إذ أوفده إلى الهند ثم إلى السودان، ثم تركيا[2]، وبعد هذه الرحلات العلمية والدعوية عاد إلى الجزائر في سنة 1177هـ/ 1758م، وذلك بتكليف من شيخه الذي ألبسه الخرقة وطلب منه الذهاب إلى الجزائر ونشر الطريقة الخلواتية في المغرب الإسلامي عامة.

4-محمد بن عامر الزواوي المغازي:

من العلماء الذين أنجبتهم منطقة زواوة، الذي أغفلت المصادر التاريخية ذكره، أو الحديث عن إسهاماته في الحياة الروحية بالمنطقة خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة، عالمنا هذا من أهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الهجري، (18/ 19م)، وقد ذكر تاريخ وفاته البغدادي، بسنة 1221هـ/ الموافق لـ 1806م، ووصفه بأنه رجل فاضل وصوفي، وقد ترك مؤلفا مخطوطا أشارت إليه بعض المصادر التاريخية بعنوان:"الوظيفة المحمدية لأهل الطريقة الزروقية"[3]، وهو المخطوط الذي لم أتمكن من الاطلاع عليه، إذ يعد في حكم المفقود.

5-محمد المبارك الدلسي:

يعتبر من العلماء المجاهدين العاملين على تعليم الناس أمور دينهم، ولد سنة 1223هـ/ 1808م بقرية دلس أو تدلس الساحلية، وإليه ينسب، وقد حفظ القرآن الكريم في صغره، وبعضا من العلوم الدينية واللغوية المتداولة في وقته بالقرية التي نشأ فيها، وظهرت عليه في صغره معالم الخلوة والتعبد منذ صغره. فتوجه إلى العبادة مبتعدا عن الناس، فكان يأوي إلى غابة يعبد الله تعالى فيها أياما ثم يرجع إلى أهله ويتزود بما يحتاج إليه من مؤونة، ثم يعود إلى مكانه متعبدا ربه، ناظرا في ملكوت السماوات والأرض[4].

---

[1]– محمد بن عبد الكريم: مقدمة كتاب: التحفة المرضية... ص79.

[2] -Octave Depont et Xavier Coppolani, op,cit, P383.

[3] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ... ج2، ص712. وأيضا:

- نويهض: المرجع السابق، ص152.

[4]– محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، ج2، 1260 – 1304هـ/ 1844 – 1886م، 3ج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1412هـ/ 1991م، ج2، ص540.

عند بلوغه اتصل بالعالم الصوفي علي بن عيسى خليفة الشيخ امحمد بن عبد الرحمن – صاحب الطريقة الرحمانية – فأخذ عليه الطريقة الرحمانية، بعدما لازمه مدة من الزمن، ولما دنت وفاة شيخه (علي بن عيسى)، أوصى به خليفته الأكبر الشيخ المهدي السكلاوي، الذي تولى تربيته حتى فتح الله عليه، فاشتغل بالإرشاد ونفع العباد... حتى صار صيته في الأقطار وقصدته الناس من صغار وكبار... وتخرج على يده عدد كثير ووصل إلى مقصوده من لاحظته عين عناية اللطيف الخبير[1].

ظل عالمنا مدرسا، ومرشدا الناس إلى أمور دينهم، وعندما وقع الاحتلال الفرنسي على الجزائر، أعلن الجهاد عن الوطن والدين فكان على رأس الجيش الزواوي الذي قدم إلى الجزائر للدفاع عنها، وظل يحرض الناس على الجهاد، ويساعدهم في الهمة والنفس والمال، إلى أن ظهر الكفار على الإسلام لحكمة أرادها الملك العلام، فقصد بلاد الشام مهاجرا بأهله، وقرابته، إلى دمشق في الهجرة الأولى سنة 1264هـ/ 1846 – 1847م، مرافقا شيخه وصهره الشيخ المهدي السكلاوي، وقد عرفت هذه الهجرة، بهجرة العلماء[2].

استوطن دمشق، وبقي فيها عامين كاملين ثم توجه إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج، وقد رافقه في حجته هذه خمسة وأربعون نفرا من عشيرته ومريديه، ولما رجع إلى دمشق بعد أداء مناسك الحج، اتخذ لنفسه خلوة ببيته لا يخرج منها إلى يوم الخميس، وذلك لاستقبال المريدين، والقاصدين زيارته، ثم يعود إلى هذه الخلوة يوم السبت، وهذه هي عادته حتى آخر حياته إذ انتقل إلى الرفيق الأعلى في سنة 1269هـ/ 1852م، ودفن في سفح قاسيون بجوار نبي الله ذي الكفل[3].

ومن كراماته، ما رواه ولده محمد الطيب عن والدته، "أنها دخلت عليه مرة في خلوته لتحظى برؤيته وتغنم جميل زيارته، فلما أشرفت عليه اعترتها هيبة عظيمة وقشعريرة جسيمة، حتى لم تطق أن تسلم عليه ولا أن تنظر إليه، وسمعته يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة، ويقول له اضمني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حمد الله وقال يا رسول الله اضمن أولادي ثم حمد الله، وقال يا رسول الله اضمن أزواجي ثم حمد الله، وقال يا رسول الله

---

[1]– ابن البيطار: المرجع السابق، ج1، ص586.

[2]– الحافظ، وأباظة: المرجع السابق، ص540، وكذلك:

– ابن البيطار، نفسه، ص586.

[3]– الحافظ، أباظة: المرجع السابق، ص541.

اضمن من تعلق بي وتلقى وردي وبقي طويلا وهو يتضرع إليه صلى الله عليه وسلم في قبول مسألته ثم حمد الله وأثنى عليه، وقال هذا جلّ آمالي وربحي منك يا رسول الله ورأس مالي..."[1].

6-محمد الصالح بن سليمان:

هو أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني، نسبة إلى أولاد رحمون[2] الزواوي، وهو من شرفاء قرية العش التابعة لعرش مشدالة[3] التي اشتهر فيها من قبل علماء كثيرون تركوا إسهاماتهم في الحياة الفكرية الإسلامية، أمثال: الفقيه منصور بن عبد الحق المشدالي (ت.731هـ/ 1330م)، محمد بن محمدي المتوفى سنة 865هـ/ 1460م، وغيرهم من العلماء الذين اشته بهم هذا العرش[4].

زاول دراسته في القرية التي نشأ فيها، ولما أتقن علوم عصره انتقل إلى الزيتونة، إلى أن أجيز فيها، وقد وجد بخط يده أنه قرأ وأجيز بجامع الزيتونة بتونس[5]، ثم عاد إلى وطنه وتفرغ للتدريس بجبل بني عيسى، واستدعاه فيما بعد الشيخ امحمد بن عبد الرحمن للتدريس في زاويته، فبقي مدرسا ناشرا أنواع العلوم والإرشاد في المنطقة[6]، وقد أخذ عليه الكثير من الطلبة، ومن بينهم ابنه أحمد الذي ستأتي ترجمته، وقد أجازه إجازة عامة مطلقة[7].

ترك العديد من المؤلفات في ميادين مختلفة، خاصة في اللغة والقواعد، وهي:

- ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب.
- الدليل على الأجرومية.
- شرح على الأزهرية.
- حاشية على الصغرى في المنطق للأخضري، سماها المحتاج في شرح معاني السراج.

1- ابن البيطار: المرجع السابق، ص587.

2- الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص388.

3- بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة...، ص385.

4- أنظر حولهم: تعريف الخلف...، وكذلك التنبكتي، وغيرهما.

5- البو عبدلي: تراجم بعض علماء... في مجلة الأصالة، ص272.

6- أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص71.

7- الحفناوي: المصدر نفسه، ص388.

- رياض السعود فيما لله من العجائب والحدود.
- شرح على البردة للبوصيري[1].
- شرح على السلم في المنطق للأخضري[2].

توفي سنة 1242هـ/ 1826م عن عمر ناهز التسعين سنة، ودفن بداخل الروضة الأزهرية الرحمانية إزاء الشيخ محمد بن عبد الرحمن[3].

7-البشير الونيسي:

هو الولي الصالح الشريف سيدي البشير بن عبد الله بن عبد الرحمن السعدي الونيسي الزواوي[4]، وينتهي نسبه إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وإليه تنسب الزاوية الرحمانية المعروفة بزاوية سيدي البشير بتونس[5].

لم يرد تاريخ ولادته في المصادر التاريخية، وما هو معلوم هو المكان الذي ولد فيه بمنطقة زواوة دون التعرض إلى القرية، أو العرش. ويحتمل أن يكون من مواليد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وهاجر إلى تونس العاصمة التي استقر بها، وذلك بعد وفاة عمه الشيخ الونيسي[6] الذي كان على درجة عالية من الصلاح والتقوى، وله شهرة بين السطان في تونس.

لانعلم أسباب هجرة هذه العائلة أرضها واستقرارها في تونس، وكل ما يمكن تخمينه عن أسباب الهجرة، والتي يمكن أن تكون طلبا للعلم في جامع الزيتونة، كما يمكن أن تكون أسباب الهجرة غير ذلك من الأسباب التي جعلت بعضا من الزواويين يهاجرون طلبا للرزق والعمل في هذا البلد الشقيق.

---

[1]- أنظر حولها الفصل الخاص بإسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية...

[2]- بو عزيز : المرجع السابق، ص386.

[3]- الحفناوي: المصدر السابق، ص388.

[4] – أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان،الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1999،ج3، ص 112.

[5] – عبد المنعم القاسمي الحسني: الطريقة الرحمانية الأصول والأثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434/ 2013، ص 353.

[6] – لم أتمكن من العثور على ترجمته، ولاعن المعلومات حوله.

من بين الذين أثنوا على الشيخ البشير في تونس، تلميذه: أحمد بن أبي الضياف الذي قال فيه:" أصل هذا الشريف من جبل زواوة، قدم إلينا بعد وفاة عمه سيدي لونيس المشهور مقامه بالزلاج"[1].

تلقى هذا العالم علوم الحديث والفقه في تونس، وسلك طريق القوم، فلزم الخلوة متجردا للعبادة، وظهرت عليه أنواع الكرامات، مما جعل الناس يعظمونه تعظيما كبيرا، وقد تولى التدريس بمدرسة القصر بتونس، ومن الذين تتلمذوا عليه المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف، الذي ذكره قائلا فيه:" قرأت بين يديه . الشيخ البشير . التفسير وأنا في مبادئ القراءة، وتارة يأمني بإعادة بعض العبارات ريثما يتأمل"[2]، كذلك أخذ عنه الشيخ ابراهيم الرباحي[3].

من أهم إسهاماته الفكرية في تونس: أنه تولى تدريس أبناء الباي حمودة باشا وبأمر منه، فبنى له الباي زاوية في تونس عرفت بإسمه، كما كانت له زوايا أخرى في هذا البلد الشقيق[4].

كان الشيخ مبجلا عند العامة والخاصة، ولما توفي سنة 1242هـ/1826م بنيت له عدة زوايا في البلاد التونسية سواء في العاصمة، أو خارجها [5]، وذلك تكريما لإسهاماته الفكرية في هذا البلد.

8-علي المنجلاتي:

هو الشيخ علي بن محمد المنجلاسي (المنجلاتي) الجزائري المالكي، من عائلة علمية مشهورة في منطقة زواوة، ولد هذا العالم بمدينة الجزائر التي استقر فيها أهله بعدما نزحوا من بجاية بعد احتلالها من قبل الإسبان، وتلقى تعليمه على مشايخ المدينة أمثال: الشيخ علي بن الأمين الجزائري الذي درس عليه علمي المنقول، والمعقول. كما أخذ كذلك على الشيخ محمد بن الشاهد الجزائري، وعلى الشيخ أحمد بن عمار، وأخذ أيضا على الشيخ محمد أخو السفار الجزائري، وكان مرافقا للشيخ محمد بن موسى في التحصيل، ومن خلال هؤلاء يظهر

---

[1] - المصدر السابق، ج3، ص 112.

[2] - نفسه، ج3، ص 112.

[3] - هو: ابراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرباحي، ولد ببلدة تستور سنة 1180هـ/ 1767م، وبها حفظ القرأن الكريم، ثم انتقل إلى تونس العاصمة، وتلقى فيها العلوم المختلفة على علمائها، وانتصب للتدريس في جامع الزيتونة، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الولي الصالح الشيخ البشير الزواوي ... وتولى مناصب علمية هامة من أهمها إمامة جامع الزيتونة والخطبة فيه, كما ألف العديد من الكتب. أنظر:

محمد النيفر: عنوان الأريب عما نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب، المطبعة التونسية، تونس، 1351، ج1، ص 90.

[4] - محمد الباهلي النيال: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح، تونس، 1384هـ/1965، ص 311.

[5]- Mohamed Aziz Ben Achour: Zaouias et Confreries, sagitaire, E'ditions, 2003, p 75.

بأنه أخذ على معظم العلماء الذين عاشوا في مدينة الجزائر، وكانت لهم سمعة كبيرة بين أقرانهم.

بقي في منصب الفتوى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومما يدلنا على هذا ذلك النداء الذي وجهه إلى سكان الجزائر، ونصه: إلى إخواننا المسلمين في البلدان والقرى من عرب وأتراك وقبايل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. اعلموا رحمكم الله أن الجلنار السر عسكر الذي ملكه الله بلادنا بحكمه النافذ وتقديره السابق قد علمنا منه...[1]

تخرج على يده العديد من طلبة العلم، واستفاد منه الناس كثيرا، خاصة في الإفتاء، حيث تولى منصب الإفتاء في الجزائر لأكثر من ثمان سنوات، وفي تلك الفترة وجه نداءه السالف الذكر. وتوفي بمدينة الجزائر في سنة 1249هـ/ 1833م، ودفن بجوار سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر[2].

9-أحمد الزواوي:

هو أحمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي المشدالي، تلقى العلم عن أبيه ونبغ في كثير من العلوم[3]، ونال إجازة من والده، ووصفه الزركلي بالفقيه من أهل المغرب[4]، وهو من منطقة زواوة، وينتمي إلى عرش مشدالة.

كان من جلة فقهاء قطره علما وفصاحة وفضلا، يعتب من الفقهاء المتمكنين الذين لهم باع كبير في علوم شتى، وفنون مختلفة، ولا سيما علم التوحيد، وما يثبت هذا المؤلفات التي تركها في علوم مختلفة، والتي من أهمها:

- تكملة الفوائد في تحرير العقائد، وهو شرح على منظومة "أم البراهين" في علم التوحيد.
- الدرة المكنونة منظومة في علم التوحيد.
- مفتاح الأحكام: وهو عبارة عن نظم على الأحكام المتعلقة بالفتوى، تجاوزت أبياته
-

---

[1]- النص الكامل أنظره في: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1830 – 1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص57، 58.

[2]- عبد الحمد بيك: أعيان من المشارقة والمغاربة (تاريخ عبد الحميد بيك)، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص153 – 154.

[3]- المدني: المرجع السابق، ص72.

[4]- خير الدين: الأعلام قاموس تراجم... ج1، ص141.

ألفي بيت (2000) في أحكام الفتوى[1].

- تذكرة الحكام، لشرح مفتاح الأحكام، وهو عبارة عن شرح لأبيات منظومة مفتاح الأحكام.
- منهج الوصول، وهو عبارة عن أرجوزة في علم الفرائض.
- مفيد الطلبة، وهو شرح على متن الأجرومية في النحو.
- نص الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان.
- القرة العصرية في أحكام الفتوى[2].

إن المتتبع لمؤلفات عالمنا هذا، يستنتج مدى تضلعه في مختلف فنون المعرفة، وعدم اقتصاره على فن واحد من الفنون، وهذا ما يساهم في الفكر الإسلامي بمؤلفاته المختلفة مثله، مثل والده الذي اشتهر كذلك في مختلف العلوم وألف العديد من الملفات الدينية واللغوية.

- **محمد العربي الأخداشي:**

هو محمد العربي بن الجودي الأخداشي، نسبة إلى قرية إخداشن التابعة لعرش بني يتورغ، الذي هو بطن من بطون بني يليلتن، قضى حياته في خدمة العلم والتعليم، وتولى إدارة زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي، وعضو دائم في مجلسها الخاص مدة طويلة من الزمن، وكان طلاب الزاوية يعودون إليه في المسائل التي تخص الزاوية وشؤونها وهو في بيته على فراش المرض بعد اعتزاله التدريس[3]. وهذا إن دلّ على شئ، فإنما يدل على المكانة التي كانت له في الزاوية بعدما قضى حياته فيها مدرسا، ومسيرا لشؤونها.[4]

توفي الشيخ الأخداشي رحمة الله عليه سنة 1263هـ/1846م[5].

- **محمد السعيد بن أبي داوود الزواوي:**

هو السعيد، أو محمد السعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ...ابن أبي داوود الذي ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود بن موسى بن عبد الله الشريف الإدريسي الحسني، وهومن

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص93.

[2]– ابن منصور: المرجع السابق، ج7، ص ص228 – 229.

[3] – الجنادي، المصدر السابق، ص 54. وكذلك:

– ساحي: أعلام من زواوة إيقاوون 1،مطبعة الثورة الإفريقية، الجزائر(د.ت)، ص 102.

[4] – أنظر حول حياته، وإسهاماته في تنظيم أمور الزاوية: الجنادي: المصدر السابق، ص ص 54..56.

[5] – عليلي: مراكز التجويد بالزواوة...

كبار رجالات الطريقة الرحمانية، وعرف بأنه قطب زمانه لصلاحه وتقواه وخوفه من ربه[1]، فهم من الأشراف الذين قدموا إلى منطقة زواوة من المغرب الأقصى[2]، الذين أسسوا زاوية في جبل بني سلام القريب من مدينة أقبو الحالية في حدود القرن الثامن الهجري/ 14م، ثم أسس أجداده زاوية أخرى بأقلميم، وهي الزاوية التي عرفت شهرة واسعة في المنطقة خلال فترة حياة المترجم له[3].

ولد الشيخ السعيد فيما بين سنة 1170أو سنة 1176هـ/ 1756أو 1762م، فتاريخ ولادته غير محدد بدقة[4]، ولقد توفي والده وتركه صغيرا فقيرا فرعته والدته وعلمته قليل من القرآن الكريم وعلوم عصره ثم انتقل إلى زاوية الشيخ الحسين بن أعراب ببني إيراتن، فأخذ عنه مختصر الشيخ خليل في حوالي ثمانية أيام، وأجازه في تدريسه، وأعطاه نسخة من متنه، ونسخة من شرحه للعلامة الخرشي[5]، وبعدها انتقل إلى زاوية الشيخ سيدي عبد الرحمن الأزهري، ولما رآه عطف عليه ومنحه أسرارا ربانية ، وأمره بعمارة معمرة آبائه، ولما رجع إلى قريته أسس معمرته بقرية تاسلنت القريبة من مدينة أقبو –حاليا–، ومن يومئذ جعل يعمر القلوب بالعلوم، فقصده خلق الله من كل الجهات للتعلم عليه، وتحولت هذه المعمرة في فترة وجيزة إلى مركز من المراكز العلمية الهامة في المنطقة خاصة والجزائر بوجه عام.

اهتم بالتدريس في الزاوية والإشراف على طلبتها ولم يهمل التأليف، لكن تآليفه اقتصرت على الشروح وبعض القصائد، منها شرحه لنظم متروكات السوسي، والذي توجد نسخة منه في خزانة زاوية الهامل القاسمية[6]، وهي مخطوطة وغير محققة. وكذلك شرح نظم الأجرومية، ومجموعة من القصائد في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، وأكثرها باللغة الزواوية. ومنها قصيدة معروفة بغوثية سيدي السعيد بن عبد الرحمن بن أبي داوود في مدح الرسول عليه السلام [7].

---

[1] – الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف... ج2،ص 451.

[2] – شجرة نسب العائلة أفادني بها السيد: محمد الطيب بن أبي داوود، وهو من أحفاد الشيخ السعيد ببيته في أقبو يوم 30/ 01/ 2006.

[3] – سعد الله، تاريخ الجزائر... ج3، ص 193.

[4] – القاسمي: الطريقة الرحمانية...ص ص 358، 359.

[5] – الحفناوي المصدر السابق، ج2، ص 291.

[6] – رقمها 668.

[7] – أنظرها في الإنتاج الفكري لعلماء زواوة.

توفي رحمة الله عليه يوم السبت لعشر بقيت من محرم الحرام عام 1256هـ/ 1840م[1].

10- المهدي السكلاوي:

هو محمد المهدي السكلاوي اليراثني الزواوي المغربي، ولد ببني إيراثن في سنة 1200هـ/ 1785م من أسرة عريقة في العرش، وكان والده ممن يمتهن الفلاحة، ووجه ولده المهدي للتعلم، فأخذ عن علماء المنطقة، ويحتمل أنه انتسب إلى زاوية الشيخ ابن أعراب التي كانت لها شهرة كبيرة في المنطقة خاصة، وبلاد المغرب عامة، ثم لزم الشيخ علي بن عيسى – خليفة الشيخ امحمد بن عبد الرحمن على الزاوية الرحمانية وطريقتها – فأخذ عنه مبادئ وأوراد الطريقة، وبعد وفاة شيخه خلفه على رأس الطريقة الرحمانية[2].

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، أعلن الجهاد ضد المحتل الفرنسي إلى جانب أحمد الطيب بن سالم[3]، ولما تمكنت فرنسا من الجزائر هاجر إلى بلاد الشام هو وعياله، وذلك سنة 1263هـ/ 1847م، وكانت تلك الهجرة أول هجرة منظمة نحو الشام، ورافقه في هذه الهجرة عدد من سكان منطقة زواوة، بلغ عددهم في بعض الروايات أكثر من خمسمائة أسرة[4]، استقر معظمهم في سوريا ولبنان، ودخل الشيخ المهدي دمشق عن طريق بيروت، واستقبل من قبل الشاميين استقبالا يليق بمقامه، وقبل دخولها تقدم إليه أحد الشيوخ الدمشقيين وقال له: يا سيدي أنا موكل بالإشراف على المدرسة الخيضرية، ولقد رأيت في الرؤيا من يأمرني أن أسلم لك مفاتحها، وقدّم المفتاح فنزل بها[5].

---

[1] – الحفناوي: تعريف الخلف...، ج2، ص ص 289...293. إضافة إلى وثائق عائلية أفادني بها أحفاد العائلة.

[2] – الحافظ، وأباظة، المرجع السابق، ج2، ص595. وكذلك:

– البو عبدلي: المرجع السابق، ص273.

[3] – أحمد الطيب بن سالم: خليفة الأمير عبد القادر على بلاد زواوة، وقد عمل على تنظيم المقاومة في المنطقة، لكنه فشل في ذلك وذهبت جهوده أدراج الرياح، فأستسلم للقوات الفرنسية أواخر شهر فيفري 1847 في سور الغزلان، ومنها نقل إلى مدينة الجزائر، واختار الهجرة إلى بلاد الشام التي توفي فيها سنة1273هـ/1866م، وهو من أتباع الطريقة الرحمانية. أنظر:

– محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، 2ج، شرح وتعليق: ممدوح حقي، مطبعة ثالثة، الجزائر، 2007، ج1، ص ص 521...563.

– سعد الله: تاريخ الجزائر ... ج5، ص 521. وكذلك:

– محمد أرزقي فراد: المشرق العربي في الشعر القبائلي، في: جريدة الشروق اليومي، الجزائر، الخميس 11/ 12/ 2008.وأيضا:

– محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، 2009، ص65.

[4]– الحافظ أباظة، المرجع السابق، ص595.

[5]– المرجع نفسه، ص598.

اتخذ هذه المدرسة مكانا له، ومدرسة لنشر العلم والمعرفة، وتربية الطلاب والمريدين فقصده العديد من طلبة العلم[1]، وأخذ عليه كبراء دمشق، وعلماؤها، وحكامها وفضلاؤها، كما قصده الكثير من مريدي الطريقة الذين أخذوا عنه أذكار الطريقة الرحمانية الخلوتية، وتولى بدمشق مشيخة الطريقة الخضرية، وكان له تأثير كبير على الحركة الدينية والنهضة الفكري في سوريا خاصة وبلاد الشام عامة[2].

ومما يروى عليه أن له علاقات وطيدة مع والي دمشق أحمد عزت باشا، وفي سنة 1277هـ/ 1860م، وقعت حادثة النصارى في دمشق، وأمرت الدولة بإعدام الوالي لنسبتها القصور إليه، وكان ذلك من بين الأسباب التي دفعت بالدولة إلى إهمال الشيخ السكلاوي. ومن المشهور أن الشيخ السكلاوي كان يقول للوالي: يا أحمد ستموت شهيدا. ولما أرادوا قتله عرضوا عليه الماء فلم يقبل، وقال أنا صائم ولم أفطر إلا في الجنة[3].

انتقل شيخنا إلى مثواه الأخير سنة 1278هـ/ 1861م، وحضر جنازته أعيان دمشق وأفاضلها، وازدحم الناس في جنازته حتى صارت كالبساط تحته، وانسدت الطرقات فلم يجد الإنسان طريقا للسلوك، وصلوا عليه في جامع بني أمية، ودفن في قاسيون[4] بجانب ضريح العالم محمد الدلسي.

لم يترك الشيخ السكلاوي مؤلفات علمية، ودواوين شعرية، بل ترك الكثير من الطلبة الذين أخذوا عنه العلوم الشرعية، وأوراد الطريقة الرحمانية في معمرة أجداده بقرة تالة عمارة البعيدة عن مدينة تيزي وزو بحوالي 10 كلم نحو الشرق، وهي ليست بعيدة عن معمرة الشيخ ابن أعراب[5]، وهذ النشاط جعله من بين الذين أسهموا في انتشار الطريقة الرحمانية داخل الجزائر وخارجها، وبخاصة في بلاد الشام.

---

[1]- Kamel BOUCHAMA, Les Algériens de Bilâd ec- Shâm de Sidi Boumediène à l'Emir Abdelkader (1187-1911), 2eme edition, Edition JUBA, Algér, 2010, p p 217,218.

[2]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، ص 521. وكذلك:

- Bouchama : op, cit, p307.

[3] ابن البيطار، المصدر السابق، ص567.

[4]– ابن البيطار، المصدر السابق.

[5] – ورقة في الموضوع من الدكتور أرزقي شويتام ببيته .

11-صالح الجزائري:

هو صالح بن أحمد بن موسى السمعوني المالكي الخلوتي[1]، نسبة إلى قرية سمعون التي ولد بها، ونشأ فيها، وتلقى تعليمه الأولي على علمائها وجدّ في تحصيل العلوم العقلية والنقلية، وهي تابعة إلى عرش بني وغليس بزواوة الشرقية.

وصفه ابن البيطار بـ:"العلم الفرد في العلوم والمعارف، والأوحد المقصد في بدائع اللطائف والطرائف، من اشتهر بالعبادة والطاعة، وعرفه الناس بالزهادة والقناعة"[2]، نشأ – كما سبقت الإشارة – بمنطقة زواوة، وأخذ عن علمائها الكرام، وجهابذتها الفخام، واستقام بها اثنتين وعشرين سنة، وهو يتلقى العلوم على علماء المنطقة، خاصة شيخه السكلاوي، الذي رافقه في الهجرة نحو بلاد الشام بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتعطل المساجد والمنابر والمنائر، فرحل إلى بلاد الشام فارا بدينه وأهله، وفي دمشق أخذ عن علمائها أمثال الشيخ شهاب الدين أحمد مسلم الكزبري، الذي لازمه ملازمة تامة[3]، وأصبح من العلماء المشهورين الذين يقصدهم طلبة العلم للأخذ عليه، والارتواء من علمه، واشتغل بالتدريس في الجامع الأموي بدمشق، وكان معيدا في درس البخاري، واشتهر بعلم الفلك وتفرد به في عصره، وتولى منصب الإفتاء المالكي[4].

ترك الشيخ صالح العديد من المؤلفات في مختلف فنون المعرفة، والتي من أهمها:

- منظومة في فقه السادة المالكية، والتي كتب عليها حاشية جليلة جلية.
- شرح على رسالة في علم الميقات، وقد جمع فيه ما نثرته يد الشتات.
- تاريخ على طريق الرمز والإشارة والإيماء وصل فيه إلى ذكر ولاية رشدي

باشا الشرواني على بلاد الشام، وذلك سنة 1280هـ/ 1863م، وله فيه أسلوب عجيب، وطريق نادر غريب[5].

- رسالة في اختلاف المذاهب بين الأئمة الأربعة. وله رسائل أخرى في علم الميقات (الفلك)[1].

[1]– عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج5، ص3.

[2]– المصدر السابق، ج1، ص327.

[3]– الحافظ وأباظة: المرجع السابق، ص672.

[4]– نفسه، ص672.

[5] ابن البيطار: المصدر السابق، ج1، ص327.

كثر تلاميذه، وأتباعه وكان معظمهم من أهل الجزائر، وذلك ن تيجة علمه وتقواه، فقد وصفه أحد معاصريه قائلا فيه:"وكان صالحا تقيا وفالحا نقيا، رفيع المقام وافر الاحترام، مقبلا على الله مدبرا عمّا سواه، جميل المقال جليل الخلال، لم يزل على حاله، متخليا من الدهر عن أوحاله، إلى أن خطبته دواعي المنية إلى دار الآخرة العلية، وذلك لثلاث بقين من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف"[2]، ومن ذريته العالم الأجل، والمربي الأكمل الشيخ طاهر الجزائري الذي ولد ببلاد الشام سنة 1268هـ/ 1851م، وزار الجزائر في حدود سنة 1331هـ/ 1912م، وتوفي سنة 1338هـ/ 1919م[3].

– **محمد بن علي بن مالك التقابي:** يعتبر من العلماء الذين تجاهلت كتب التراجم عن الترجمة له، وما توفر لدينا من المعلومات حوله، ما تركه تلميذه الشيخ البوجليلي، الذي ذكر تاريخ وفاته، فقال: "أنه توفي ظهر يوم الأربعاء ثاني عشر شوال عام 1272هـ/ 1855م"[4]. أماالمرحوم الدكتور (سعد الله)، فرجحه أن يكون هو والد الشيخ أبو يعلى الزواوي، لكن دون أن يذكر سنده في ذلك[5]، وما يمكن ملاحظته من خلال تلميذه البوجليلي أنه: أثنى عليه كثيرا في مؤلفه، حيث نجد أنه وصفه بـ:(...فكلما قلت شيخنا، فالمراد به مولاي سيدي محمد بن علي المذكور، وهو العمدة في قراءتي)[6]، وقد جعله في مقدمة العلماء الذين درس عليهم، وهذا ما يدل على المكانة التي ينفرد بها عن غيره من العلماء الذين درس عليهم البوجليلي.

هذا، ويذكر أنه نقل عن شيخه الجنادي أنه: (...ما قرأنا قراءة صحيحة حتى قرأنا عن الشيخ سيدي محمد بن علي لكونه نحويا محسنا لصفات الحروف ومخارجها...)[7]، هذا وقد أجاز التقابي تلميذه البوجليلي إجازة عامة ذكر نصها سعد الله[8].

---

[1] انظر حوله: البغدادي: إيضاح المكنون...، ص567، وكذلك كحالة: المصدر السابق، ج5، ص3. وأيضا الحافظ وأباظة المرجع السابق ، ج2، ص673.

[2] ابن البيطار: المصدر نفسه، ج1، ص327.

[3] الزركلي، الأعلام... ج3، ص189.وكذاك:

- BOUCHMA : OP, CIT, P 317.

[4] – محمد بن أبي القاسم البوجليلي الحسيني: التبصرة في قراءة العشر، دراسة وتحقيق: حسين وعليلي، دار بن حزم، بيروت، 1434/ 2013، ص103.

[5] – تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 202.

[6] – البوجليلي: المصدر السابق، ص 106.

[7] – نفسه، ص 101.

[8] – تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص ص 64، 65.، أنظر نص الإجازة كاملة في الفصل

- **البشير بن أم رزق:**

هو العلامة المقرئ المحقق الفصيح النحرير: سيدي البشير بن محمد السعيد بن علي بن إمرزق، ويعرف بابن أم رزق، من قرية بويكني، وهي قرية من قرى عرش بني عيدل[1]، ولذلك يعرف بالعدلي رغم أنه ليس من ذرية الشيخ العالم الولي الصالح سيدي يحي العدلي

أخذ علم الإقراء(القراءات) عن الشيخ المحقق في عصره سيدي محمد بن يذير الفوملالي الفغالي، الذي كان حيا في حدود سنة 1250هـ/1834م. لأن العلامة المحقق المقرئ سيدي عبد الله بن الخراط ، وهو شيخ ابن أم رزق توفي في حدود سنة 1270هـ/1853م.

من المؤلفات التي تركها في علم القراءات القرآنية، تقييد في القراءات العشرية، وهو مخطوط غير محقق، توجد نسخة منه في خزانة عائلة حسيني(أحفاد الشيخ البوجليلي). وكذلك مؤلف آخر في العشر النافعية، وهو عبارة عن منظومة في هذا الفن الذي اشتهرت به منطقة زواوة في فترة البحث.

هذه أهم الآثار الفكرية التي تركها هذا العالم، والتي تدل على مدى نبوغه، وصدق نقله. لأنه يبين السند، ويذكر إسناد شيوخه في الإقراء، وينقل بالتحقيق والتدقيق والتفصيل، مما يجعل الباحث يثق في روايته، وقد ذكر سند قراءته في التقييد الذي ذكرته، وأنقله كما ورد في المخطوط:" عن شيخنا ابن الخراط، عن شيخه سيدي الحسين بن قري، عن شيخه الأستاذ سيدي عبد الرحمن اليلولي، عن شيخه سيدي محمد السعدي صاحب ثعزيبث رضي الله عنه عن شيخه الماهر سيدي عبد الرحمن بن القاضي الفاسي. قال هو أي ابن القاضي في مفردته للمكي رضي الله عنه، أخذت رواية عبد الله بن كثير المكي عن شيخنا العالم النصيح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن عبد الواحد العباسي السجلماسي، عن شيخه المفتي في مدينة فاس أبي عبد الله محمد الشريف الحسني- شهر بالمربي- عن القاسم بن إبراهيم الدكالي عن الإمام بن غازي الصغير عن أبي العباس أحمد الفيلالي، عن أبي عبد الله أحمد الفخار ، عن أبي العباس أحمد الزواوي...عن ابن كثير، عن مجاهد بن عباس وأبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم[2].

---

[1] - ورقة في الموضوع أفادني بها فضيلة الشيخ محمد طاهر آيت علجت، بوزريعة في: 06 أكتوبر 2014.

[2] - محمد البشير بن مرزوق العدلي: تقييد في القراءات العشرية، مخ، خزانة عائلة حسيني ببوجليل.

وقد نظم منظومته في العشر النافعية وعمره لم يتجاوز العشرين سنة، وهذا دليل آخر على علو كعبه في علم القراءات[1].

- **محمد الطاهر الجنادي:**

هو: محمد الطاهر بن محمد الشريف المنيعي، من قرية تيميزار التابعة لعرش بني جناد، لقد عرف الشيخ بغزارة علمه، وتنوع مواهبه، فحفظ القرآن الكريم بزاوية سيدي منصور الجنادي، وكانت له مكانة كبيرة في علوم اللغة، والمنطق، والفقه.

اشتهر بكونه أول من مارس الإصلاح التربوي في معمرة الشيخ اليلولي، وذلك عن طريق إدخاله لأساليب جديدة في التعليم بالزاوية[2]، ويشهد ابن زكري: بأنه بذل جهده وأنفق وسعه في تلك الزاوية بإتقان علوم العربية والرواية وتحسين صناعة التدريس بإحداث الأساليب العجيبة فكانت بحفظه حياض الرواية غامرة وبفصاحته علوم رياض العلوم زاهرة، لم يغادر المعمرة حتى لم يبق في نواحي زواوة كلها إلاّ تلامذة وتلاميذ تلامذته أكثر من أربعين سنة[3].

- **حميدة العمالي:**

من مواليد مدينة الجزائر العاصمة، غير أن أصوله تعود إلى قرية عمال الواقعة في السفوح الغربية من جبال جرجرة، والتابعة حاليا إلى ولاية بومرداس، سليل عائلة اشتهرت بالتدريس والعلم، وتربعت على الفتوى والوظائف الدينية فترة من الحكم العثماني وبرهة من العهد الفرنسي[4]، حيث تعلم والده في زاوية الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري قبل أن ينتقل للإقامة في الجزائر[5] التي ولد فيها عالمنا، وتعلم على علمائها، أمثال الشيخ مصطفي الكبابطي، والشيخ محمد بن الشاهد...وغيرهما.

يعد الشيخ أحمد(حميدة) بن محمد العمالي من كبار علماء الجزائر عامة في القرن الثالث عشر الهجري/ 19م، فهو فقيه، وقاضي، ومدرس، وقد حلاه المؤرخ أبو حامد

---

[1] – ورقة في الموضوع من فضيلة الشيخ: محمد الطاهر آيت علجت ببيته يوم 2014/08/29. وأخبرني بأن عائلته نزحت إلى مدينة صدوق الحالية، واتخذت لقب ابن الشيخ، ومنهم العلماء والقضاة خلال فترة بحثي، ومنهم من استقر في مدينة قسنطينة إذ بان الحكم العثماني للجزائر متولين فيها وظيفة الإفتاء والقضاء. وكذلك ما أفادني به من المعلومات التي قدمها لي الباحث في علم القراءات الأستاذ:عدنان غفار حول شخصية ابن أم رزق.

[2] – ساحي: المرجع السابق، ص 102.

[3] – أوضح الدلائل...، ص 55.

[4] – بسكر: المرجع السابق، ج 1، ص 234.

[5] –الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص 416.

المشرفي بقوله:" السيد الجليل العالم النبيل فريد العصر، ووحيد المصر في المعقول والمنقول أحمد بن محمد العمالي"[1].

هذا وقد أجازه الشيخ محمد الصالح الرضوي[2]، والشيخ حمودة المقايسي إجازة عامة.

تفرغ العمالي للتدريس في الجامع الكبير، فكانت له ملكة في عدة علوم فلقب بشيخ الجماعة، وتخرج على يديه عدة علماء تقلدوا وظائف سامية في الدولة، سواء في الإدارة ، أو الفتوى، أو الوظائف الأخرى.

كما تولى عدة وظائف في الدولة منها: القضاء من عام 1849 إلى 1856، والإفتاء سنة 1273هـ/ 1856، وكذلك إمامة الجامع الكبير والتدريس به، كما عمل في ظروف الإحتلال القاهرة وساهم في ابقاء العلوم الشرعية، وذلك بتدريسها، والكتابة فيها، والدعوة إلى الإهتمام بها. فواجه مخططات الإحتلال الرامية إلى القضاء على مقومات الشعب الجزائري من لغة ودين وعادات[3].

ترك العمالي عدة أعمال فكرية ساهم بها في الحركة الفكرية الإسلامية، ومن بين أهم أعماله: مؤلفه الذي ذكر (سعد الله) أنه اطلع عليه في مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي، وهو بعنوان الكناش. كما ترك مجموعة من الفتاوى، والنوازل الفقهية التي بلغت نحو الثلاثمائة مسألة، وكذلك مجموعة من الرسائل في أحكام المياه بالبادية، وأخرى في ترتيب أحكام القضاء[4]. توجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة محمد بن عزوز بعين وسارة.

[1] – المشرفي: ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول، مخ خاص بالمكتبة القاسمية، الهامل، ورقة رقم 230.

[2] – محمد الصالح الرضوي: هو الإمام العارف المحدث المسند الحافظ الرحال الجوال، أبو عبد الله محمد الصالح بن خير الله الرضوي نسبا السمرقندي أصلا ومولدا، البخاري طلبا للعلم وشهرة، المدني مسكنا ومدفنا، والمتوفى بها عام 1263هـ/ 1845م، حصل بجولاته في إفريقيا خصوصا ببلاد الجزائروالمغرب روجان لعلم الحديث ورواته فإنه نشر أسانيده وبث علومه، أجاز الكثيرين منهم: البرهان السقا، والشمس الأنباني، ومحمد بن سلامة، وحميدة العمالي...، توفي سنة 1263هـ/ 1845م بالمدينة المنورة وفيها دفن. أنظر :

– الكتاني: فهرس الفهارس...ج1، ص ص322، 323.

[3] – القاسمي: الطريقة الرحمانية... ص 381.

[4] – سعد الله: المرجع السابق ، ج 3، ص ص 76...80.

12-محند أمزيان بالحداد:

محند أمزيان بن علي بلحداد، المعروف بالشيخ الحداد، من مواليد سنة 1205هـ/ 1790م بقرية صدوق أوفلة(صدوق العليا)، التابعة لعرش بني عيدل، والواقعة في السفوح الجنوبية لوادي الساحل[1] (الصومام).

تلقى تعليمه الأولي على يد والده الشيخ علي الذي كان معلما للقرآن الكريم بالقرية، وعندما حفظ القليل من آيات الذكر الحكيم، وبعضا من السور القرآنية، ومبادئ اللغة العربية كعادة أبناء المنطقة في وقته، انتقل إلى زاوية الشيخ الموهوب بقرية إيمولة التابعة إلى مسيسنا بضواحي صدوق، وفي هذه الزاوية بدأت تتفتق مواهب الشيخ بلحداد، فتعلم على شيخها الربيع بن الموهوب، وبعدها انتقل إلى زاوية الشيخ الحسين بن أعراب ببني إيراثن[2]، وهي الزاوية التي كان لها صيت كبير في المنطقة وخارجها، والتي تعلم فيها الشيخ امحمد بن عبد الرحمن، والشيخ السكلاوي، والشيخ علي بن عيسى، والشيخ الهواري، والشيخ أحمد التجاني[3]... وغيرهم من الذين تأثروا بما فيها من العلوم العقلية والنقلية، وفيها بدأت تبرز مواهبه في مختلف العلوم، وكان له اهتمام كبير بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، كما كان له اهتمام بالفقه، وعلوم الباطن، خاصة التصوف.

لما أكمل الدراسة في زاوية الشيخ الحسين بن أعراب بتيزي راشد (عرش بني إيراثن)، رجع إلى القرية التي نشأ فيها، وعمل على تأسيس (معمرته) زاويته التي لعبت دورا هاما في الحياة الفكرية والاقتصادية، والاجتماعية في الناحية خاصة، والمناطق الأخرى عامة، من خلال تكفلها بالفقراء والمساكين، خاصة في ذلك الوقت الذي كثرت فيه الأمراض، والمجاعات، وقد أضفى هذا الدور على هذه المعمرة (الزاوية) المزيد من الشهرة، وبوأها مكانة مرموقة في الجانبين الديني، والثقافي، وتخرج منها العديد من الذين تركوا إسهاماتهم في الحياة الفكرية الإسلامية، منهم الشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي، الذي أخذ عن الشيخ بلحداد الفقه على مختصر الشيخ خليل، وقد صرح بذلك في كتابه "نور الراجي في إعراب

---

[1] Larbi Beddar : Cheikh Aheddad de la Tarîqa Rahmanya à l'insurrection d'avril 1871; Belle Lettres, L'imprimerie Hasnaoui, Alger, 2011, P19.

[2]- (M.B) SALHI: op. cit, p p,77,78.

[3]- الملتقى الوطني حول ثورة الرحمانيين 1871م، المنعقد يومي 22 و23 أفريل 2006 ببجاية، وصدوق، من تنظيم مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية بجاية.

مقدمة الصنهاجي"[1]، حيث قال "انتقلت إلى مقام الولي الصالح الشيخ محمد أمزيان بن الحداد، ألهمني الله إليه والحمد لله في أول عام 1268هـ/ 1851م فقرأت ختمه في خليل بن إسحاق، وذلك في العام ابتدأت الفقه"، وفي مؤلف آخر، ذكر فيه بأنه أخذ عن الشيخ بلحداد علوما أخرى غير الفقه، وفي ذلك يقول "وقرأت عنه نسخة في علم المنطق، والأخرى في الجوهر المكنون، وأخرى في استعارات السمرقندي"[2].

يعود أصل هذه العائلة إلى دوار "آث منصور" بناحية بني وغليس، وبعد تفرق أفراد العائلة استقر بعضهم في قرية تيفرة، والبعض الآخر استقر بقرية إيمولة التابعة لعرش مسيسنا محترفين مهنة الحدادة، وفي أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي انتقل أحد أفراد العائلة إلى القرية التي ولد فيها محند أمزيان، وهي قرية صدوق أوفلة، وفيها امتهن أفراد العائلة المهنة التي كان يعمل فيها الجد والملاحظ أن العرف عند سكان المنطقة يحترمون الحداد لما له من دور في حياتهم اليومية، ونادرا ما يقبلون غريبا معهم إلا الحداد والإمام، لأن الحداد يؤمن لهم أدوات الحرث والصيد والدفاع عن النفس. أما الأمام فيرعى أولادهم بالتربية، وتحفيظ القرآن الكريم لهم، ورعاية أمورهم الدينية، وهذا ما جعل الأسرة تجد سهولة في الاندماج مع سكان القرى التي حلوا فيها بسهولة كبيرة. ولما أكمل دراسته أجازه فيما أكمل دراسته عليه من العلوم، وقال "أجازني قطب زمانه وفريد عصره سيدي محمد أمزيان بن الحداد"[3].

هذا، وتخرج عليه العديد من الذين ساهموا في نشر الطريقة الرحمانية سواء في منطقة زواوة، أو في المناطق الأخرى، أمثال الشيخ محمد السعيد السحنوني، صاحب زاوية ثاغراست التي اشتهرت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. هذا، ولم يتوقف دوره على التعليم بل أمر طلابه بتأسيس المعمرات والزوايا في مناطق أخرى من الجزائر، مثل الزاوية الحملاوية بالقرب من قسنطينة، وزاوية أبو الديار الناظوري بالقرب من مدينة قالمة[4]، وترك بعضا من المؤلفات التي هي ما زالت مخطوطة، منها مخطوط في التصوف، ولعله الوحيد

---

[1]– مخطوط غير مطبوع، توجد نسخة منه عند أحفاده.

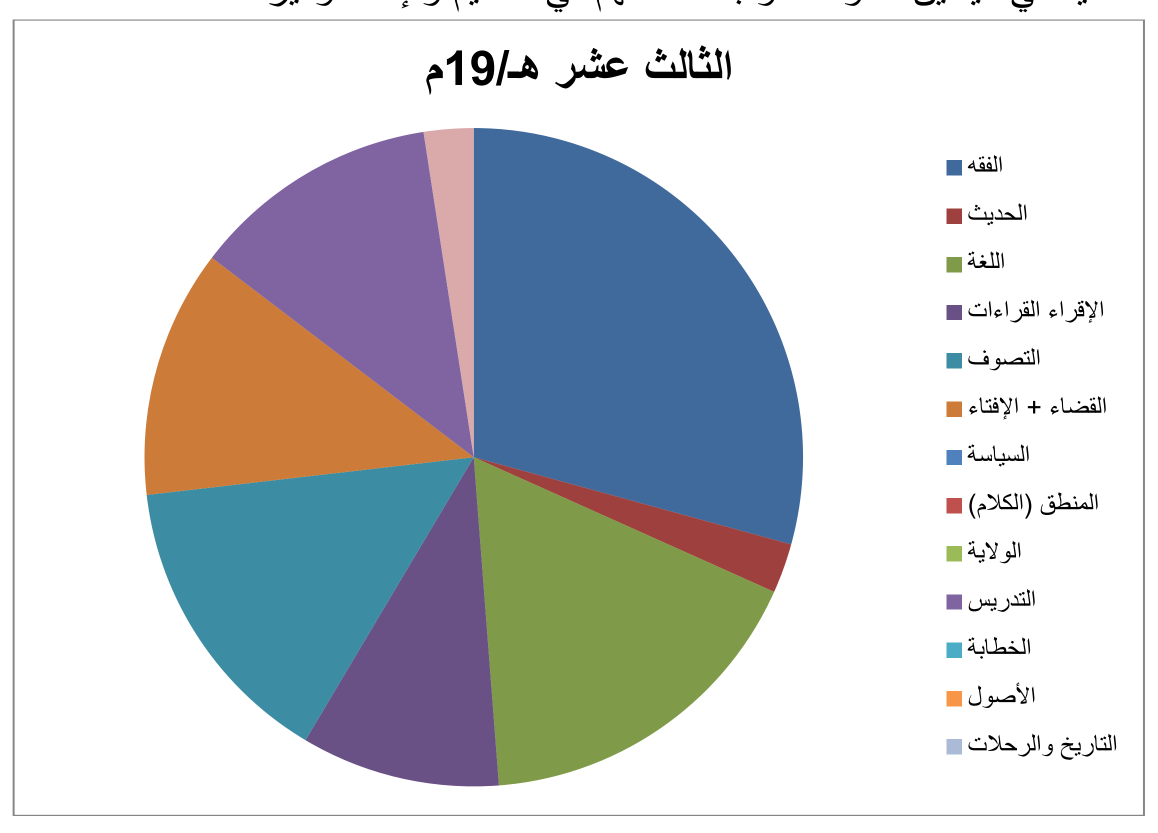
[2]– أنظر مقدمة التبصرة في قراءة العشرة للبوجليلي، مخطوط توجد منه عدة نسخ، كما عمل أحد الباحثين على تحقيقه من كلية أصول الدين، بجامعة الجزائر.وهو: حسين وعليلي، وطبع الكتاب بدار ابن حزم، بيروت، 2013.

[3]– نص الإجازة موجودة عند أحفاد الشيخ البوجليلي، ولم أتمكن من الاطلاع عليها.

[4]– الصادق وعلي:"الشيخ أمزيان بن الحداد ومكانته العلمية"، محاضرة في: الملتقى الوطني حول حياة الشيخ الحداد، صدوق يومي 8 و9 أفريل 2011.

في منطقة زواوة[1]، إضافة إلى مجموعة من الوصايا والرسائل[2]، وقاموس عربي قبائلي، يعد _ حسب علمي _ الوحيد في هذا الشأن، وهو القاموس الذي قام بتصديره مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

إن القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الموافق للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين تعد من القرون التي بدأت تظهر فيها نتائج انتشار المعمرات والزوايا في منطقة زواوة، ولعل عدد العلماء الذين ساهموا في الحياة الفكرية الإسلامية بالمغرب الإسلامي عامة أو مشرقه، من العلامات الدالة على عودة النشاط الفكري في المنطقة، كما أن عددا من الطلبة الذين قصدوا المنطقة خلال هذه الفترة من خارجها للتعلم على مشايخ زواياها، له دلالة كبيرة على مدى انتشار التعليم في المنطقة، ومساهمتها في الحياة العلمية ببلاد المغرب خاصة، كما أن الذين هاجروا من المنطقة إلى خارجها، خاصة المشرق وبلاد الشام نتيجة الاحتلال الفرنسي للجزائر، قد ساعد على بروز هؤلاء العلماء، والمفكرين في تبوئهم مناصب علمية في البلدان التي حلوا بها، سواء من خلال ما تركوه من المؤلفات العلمية في ميادين متنوعة، أو بمساهماتهم في التعليم والإفتاء وغير ذلك.



1- أنظر حوله الفصل الخاص بإسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية، القسم المتعلق بالتصوف.

2- أنظر الملاحق.

الباب الرابع :

أدوار علماء زواوة في الحياة الفكرية الاسلامية بين القرن العاشر و الثالث عشر الهجري/16-19م.

مقدمة الباب.

الفصل الأول: دورهم في التعليم بالمنطقة وخارجها.

الفصل الثاني:دورهخم في الحياة الاجتماعية في المنطقة.

الفصل الثالث: دورهم في الحياة الإقتصادية في المنطقة.

الفصل الرابع: دورهم في الحياة السياسية.

يعتبر العلماء نخبة المجتمع، فهم الذين ينيرون الطريق لغيرهم في مختلف الميادين. والأمم ترقى بعلمائها الذين يسعون إلى محاربة الجهل ، ونشر العلم بين أفراد المجتمع.

ومنطقة زواوة كغيرها من مناطق البلاد الجزائرية عرفت العديد من أولئك الذين وهبوا أنفسهم وأموالهم ووقتهم من أجل نشر العلم بين الناس، سواء في المنطقة، أو خارجها، وبرز الكثير من العلماء الذين ساهموا في خدمة الفكر والثقافة العربية الإسلامية، في مختلف الفترات التاريخية منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا إلى يومنا.

لقد عرفت المنطقة في بداية الفترة الحديثة، تغيرا كبيرا في الحياة الفكرية عامة، والتعليم بوجه خاص، وذلك بعد سقوط مدينة بجاية في يد الإسبان، ونزوح علمائها إلى النواحي الداخلية من المنطقة، وإلى خارجها سواء بالمغرب الإسلامي، أو مشرقه.، وذلك بفعل السياسة التخريبية التي انتهجها القوات الإسبانية في المدينة، حيث تذكر الوثائق التاريخية: أن القوات الإسبانية قامت بتهديم المؤسسات التعليمية الموجودة في المدينة، ففي الذكرى الخامسة لسقوط المدينة، أقبلت قوات الاحتلال الإسباني على تهديم ثمان وخمسين مسجدا من مجموع الاثنين والسبعين مسجدا كان موجودا في المدينة قبل احتلالها، ففي يوم 6 جانفي 1515م، وفي منتصف النهار على الساعة الثانية عشر زوالا تم تفجير هذه المساجد دفعة واحد، وتحويلها إلى أكوام من الحجارة[1]، وكان لهذه المصيبة أثرها في انتقال المراكز التعليمية من المدينة إلى خارجها. فانتشرت المؤسسات التعليمية في المناطق الجبلية الداخلية من خلال المعمرات والزوايا المنتشرة في جبالها وقراها سهوله، حتى أصبحت جبال المنطقة تعرف بجبال النور، من كثرة الأماكن التي يتلى فيها القرآن الكريم، كما أن هذه الأحداث قد ساهمت في إتمام تعريب المنطقة، وانتشار التعليم بين فئات أفراد المجتمع المحلي، وانتقل من احتكار التعليم في أسر معينة، إلى مختلف فئات المجتمع الزواوي.

كان لهذا النزوح الداخلي لعلماء المنطقة، وهجرة الآخرين إلى خارجها أثره الكبير في الإسهامات التي أسهموا بها في الحياة الفكرية الإسلامية عامة، والتعليمية بوجه خاص. فما هي الإسهامات التي ساهموا بها في العليم بالمنطقة، وخارجها؟

---

[1].pậque a Bougie en 1515, IN L’Echo de Bougie, de 31 Décembre 1905, 1e Année, no 88.

الفصل الأول:

دور علماء زواوة في التعليم بالمنطقة:

من بين أهم الميادين التي اهتم بها علماء المنطقة في نشاطهم، ميدان التعليم لما له من علاقة مباشرة بتكوينهم وثقافتهم. فالتعليم عادة يسند للمتعلمين مها كانت مستوياتهم وتخصصاتهم، ومن الأسس التي تساهم في نشاط الحركة العلمية، توفر الرجال، وتوفر الهياكل المتمثلة في المؤسسات التعليمية من كتاتيب، ومساجد ومعمرات (الزوايا)، وهي أسباب كلها متوفرة في المنطقة قبل وأثناء فترة البحث.

فمن حيث الرجال، كان لسقوط بجاية في يد الاحتلال الاسباني أثره في استقرار العديد من العلماء، والأسر العلمية في النواحي الداخلية من المنطقة، وكان ذلك مساعدا على نشر التعليم في النواحي التي حلوا فيها، خاصة إذا علمنا بأن الهياكل في كثير من هذه النواحي متوفرة من خلال المعمرات التي أسسها المرابطون الذين حلوا في المنطقة قادمين إليها من المغرب، بعد سقوط الأدارسة[1]، والكثير منهم ادعى الشرف بالانتساب، ومنهم من أصبح مرابطا بالعلم، وكما يقال: هناك مرابط الروح، وهم الأشراف من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك مرابط اللوح، وهم المنتسبون للعلم والمتفرغون لتعليم الصبيان من أبناء المنطقة، ولذلك نجد ما يعرف محليا بـ: (أَمْرَابَظْ أَنْتَارْوِيحْثْ، و أمرابظ نَتَلْوِيحْثْ). أما القرى والنواحي التي لا تتوفر على هذه الهياكل، فإن العلماء النازحين من بجاية، وبمساعدة سكان هذه القرى أسسوا العديد من الكتاتيب، والهياكل التعليمية في المنطقة، والتي سرعان ما أصبحت تؤدي دور العبادة والتعليم في آن واحد، فكثر عدد المساجد في قرى المنطقة فلا تكاد قرية إلا وفيها أكثر من مسجد، يتلقى الصغار في هذه المساجد تعليمهم، والكبار يؤدون فيها صلواتهم، بينما نجد في كل ناحية، أو عدد من القرى المتقاربة مسجدا جامعا تقام فيه صلاة الجمعة.

---

[1]– يعيد ابن فرحون بداية انتشار المرابطين الأشراف في المنطقة خاصة، والمغرب الإسلامي عامة إلى الأدارسة، الذين توزع أبناء إدريس الأصغر في مختلف مناطق المغرب الإسلامي. أنظر:

– علي بن محمد بن فرحون: الإعتراف والتواريخ والأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار، تحقيق وتقديم: علي أمقران السحنوني، مشروع كتاب غير مطبوع، صورت نسخة منه من الدكتور محمد أرزقي فراد.

وعلى كل، فإن الهياكل التعليمية في المنطقة خلال فترة البحث متوفرة، والرجال من علماء المنطقة أمثال: العلماء الذين درسوا على الشيخ: أحمد بن إبراهيم البجائي، وأحمد بن إدريس البجائي، و عبد الرحمن الوغليسي وغيرهم من علماء القرن الثامن، والقرن التاسع، وهم بدورهم انكبوا على التعليم في المنطقة، وعملوا على نقل التراث الفكري إلى طلبتهم في القرى والنواحي الجبلية الداخلية. ونفس الدور قام به الوافدون إلى زوايا ومعمرات المنطقة من الأندلسيين وغيرهم[1]. فانتشر التعليم بين أفراد سكان المنطقة. ولكن هذا لا ينبغي أن ينظر إليه بأنه تعليم متطور، ومواكب للتغيرات الحضارية التي عرفتها القارة الأوروبية في نفس فترة البحث، ولذلك نتساءل عن طبيعة التعليم في المنطقة، ومستوياته، وإسهامات علماء زواوة فيه.

التعليم في المنطقة ومستوياته:

انتشر التعليم في ربوع المنطقة انتشارا كبيرا وواسعا نتيجة الأسباب التي سبق ذكرها، غير أن مستواه ومنهاجه ومراحله، من الجوانب التي تتطلب وقوفا عندها، حتى لا يُعتقد بأن هذا الانتشار رافقه تطور في نوعية التعليم، والعلوم العقلية التي كانت تدرس في المنطقة.

إن دور ومساهمة علماء المنطقة، يظهر في انتشار التعليم بين مختلف فئات أفراد المجتمع، وذلك نتيجة الدور الكبير الذي قام به هؤلاء العلماء، والمعلمون في نشر التعليم الذي كان من قبل منحصرا بين فئات معينة من أفراد المجتمع المحلي، بينما نجد التعليم في الفترة الحديثة ميسرا لكل الفئات. وتعود أسباب ذلك في نظري، إلى عاملين.

أحدهما: متعلق بالعلماء أنفسهم لانتشارهم في المنطقة.

والثاني: طبيعة الزواويين الذين يقدسون العلم والمتعلمين رغم نشاطاتهم الفلاحية التي لا تتطلب دراية علمية بفنون الفلاحة. فالقرويون ليست لهم خلفية علمية في أنشطتهم الاقتصادية، ولكنهم يهتمون بتعليم أبنائهم. ويمكن أن نستخلص هذا من القوانين العرفية التي تقدس أماكن العلم والتعليم والعبادة. فالقانون العرفي لعرش مشدالة، نص في المادة 81 منه، "على أن الشخص الذي يسرق متاع المسجد يغرم بغرامة مالية قدرها عشرون ريالا...مع

[1]– البوعبدلي: تراجم بعض مشاهير علماء زواوة...، ص 267.

وجوب إعادة الشيء المسروق إلى أهله"، ونصت المادة 56 منه أيضا: "على أن معلم القرية له راتب حسب مدة العمل التي قدمها لتلاميذ القرية"[1].

أما قانون قرية إيغيل قيكن، وفي مادته 38، فقد نص على " إجبارية إرسال أطفال القرية إلى كُتَّاب القرية"[2]. هذا وينظر إلى أماكن العبادة والتعليم نظرة خاصة ومقدسة من قبل السكان، حيث، ورد في القوانين العرفية ما يوضح مدى تقديسهم لحرمة هذه المؤسسات. فقانون القرية السفلى بعرش بني إيراثن (ثادارث بوادة) نص على: " أن الذي يقوم بجمع أوراق الأشجار المحيطة بمسجد الشيخ المهدي يعاقب بغرامة مالية قدرها خمسة فرنكات"[3].

إن هذه القوانين العرفية التي تسير عليها قرى وأعراش المنطقة، تدل على مدى اهتمام سكانها بالتعليم ومؤسساته. فالتعليم عند الزواويين يعد من الأمور الضرورية التي يبذل الفرد الزواوي من أجلها أغلى ما يملك، ولم يكن هذا الأمر ناتج عن طبيعة سكان هذه المنطقة بالدرجة الأولى، بل أعتقد: بأن أكبر أسباب اهتمامهم بالتعليم، يعود إلى الدور الكبير الذي لعبه المرابطون، وعلماء المنطقة الذين يتمتعون بمكانة هامة بين السكان، فحببوا إلى الزواويين القرآن الكريم، وإتقانه وفهمه، يتطلب الإقبال على تعلم العلوم العربية والدينية. وتتجلى مظاهر احترام السكان لأهل العلم والعلماء كذلك، من خلال الأوقاف الكثيرة، والمحبسة في المنطقة على دور التعليم ورجاله، وكذلك احترام أماكن التعليم من خلال القوانين العرفية التي ذكرت بعضا منها.

وعلى العموم، فإن فترة البحث امتازت بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى الجبال والقرى، واشتهرت عدة معاهد إذ ذاك في كامل القطر الجزائري، ومن بين هذه المراكز الفكرية (معمرات) زوايا منطقة زواوة[4]، وعلى الرغم من أن الفترة الجاري البحث فيها قد عرفت ركودا فكريا وثقافيا كبيرين– ليس في المنطقة فحسب– بل في الجزائر، وفي كل البلدان العربية الإسلامية[5]، وهذا ما يوضحه (سعد الله) عندما قال: "بأنه لم تكن هناك حركات تجديدية فكرية، ولا انتفاضات علمية"[6] محلية. وعلى الرغم من ذلك، فإن حالة

---

[1] - HANOTEOU et LETAURNEUX , op, cit, T3, p 303.
[2] - E'UGegène Daumas ,Mœurs et Coutumes de L' Algérie , Éditions AN E P, Alger ,2006 ,p 138.
[3] - BOUSQUET (G.H) ; Un Qanoun Kabyle Contemporain »In , R. A ,No 79, Année 1936, p 870.

[4]– المهدي البوعبدلي: "الثقافة والتوجيه في الجزائر"، محاضرة ألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر، 1970.

[5]– أحمد مريوش وغيره: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 134.

[6]– أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 159.

الجزائر عامة ، ومنطقة زواوة خاصة، لم ترق إلى ما كانت عليه الحالة بين الشعوب الأوربية، أي أن مستوى التعليم في الجزائر عامة، لم يكن في المستوى الذي كان عليه الأمر في أوروبا. لكون الأخيرة، بدأت الدخول في عصر النهضة، والتحولات العلمية المصاحبة للنهضة الأوربية الحديثة، وهذه الظاهرة لا تعني بأن التعليم في الجزائر كان متوقفا كلية، أو أن الجزائريين يرفضون مسايرة الحداثة، إلا أن هناك ظروفا سياسية داخلية[1] أثرت إلى حد كبير في أوضاع الحياة الفكرية عامة، والتعليمية بوجه خاص في البلاد الإسلامية عامة، والجزائر لا يمكن بأي حال من الأحوال استثناءها.

فعن الأوضاع التعليمية فيها، وبداية من القرن العاشر الهجري/ 16م، بدأت تفقد المراكز التعليمية القديمة من مكانتها، فتلمسان التي كانت عاصمة للعلم والعلماء أيام الزيانيين فقدت مكانتها، وكذلك بجاية التي خرج العلماء منها، وانتقلوا إلى النواحي الداخلية الجبلية. وهكذا بدأت تظهر معالم جديدة للتعليم في المنطقة سواء من حيث التأطير، أو التموين. فما هي الخصوصيات التعليمية في منطقة البحث خلال الفترة الحديثة؟

المستويات التعليمية في المنطقة:

يختلف مستوى التعليم في المنطقة باختلاف أعمار الطلبة، ومستوى المعلمين، وحتى المشرفين على التعليم في معمرات المنطقة، وكذلك انتساب هذه المعمرات إلى الطرائق الصوفية المنتشرة بين علماء وشيوخ المنطقة، إضافة إلى المناهج التي يُعتمد عليها في التدريس. وعلى كل، فإن المستويات الدراسية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل رئيسية هي:

1- **المرحلة الأولى:** تعد بمثابة مرحلة إعدادية، وفيها يتلقى المتعلمون مبادئ القراءة والكتابة، وتكون هذه المرحلة بين الرابعة والسادسة من عمر المتعلم، ومكانها في العادة كُتّابٌ يكون ملتصقا بالجامع، أو داخل حجرة دراسية خاصة، ولغة التعليم تكون بسيطة، وباللغة الزواوية (القبائلية)، إذ يتعلم الطفل الحروف الهجائية باللسان الزواوي، وتحفظ للتلاميذ بطريقة تقليدية فمثلا: (الألف يرسم شكله، ويحفّظ بأن هذا الحرف خال من النقطة، وحرف الباء يرسم كذلك، ويحفّظ للتلاميذ بأن له نقطة من أسفل، وحرف التاء يرسم أيضا ثم يحفّظ على أن له نقطتين من أعلى، وهكذا حتى يحفظ التلميذ جميع الحروف

[1]- شويتام: المجتمع الجزائري...، ص 471.

الهجائية)، ثم ينتقل المعلم، أو الشيخ إلى تركيب المفردات والجمل من الحروف التي حفظها الصبيان عليه[1].

هذا بالنسبة للحروف. وأما بالنسبة لتحفيظ سور القرآن الكريم، فإن الطريقة المتبعة هي: الحفظ بالسماع، لأن الصبيان لا يتقنون كتابة الحروف، فيعتمدون على حاسة السمع، ويحفظون السور القصار معتمدين على المدرس في تلقينهم بعض الآيات القرآنية، وبعض السور. فتكون هذه المرحلة بمثابة مرحلة انتقالية للصبي من الحياة المنزلية، إلى الحياة التعلمية.

2- **المرحلة الثانية:** وهي المرحلة التي يكون فيها سن الصبي بين الثامنة والعاشـــــرة، وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك، حسب سن التحاقه بالمرحلة الإعدادية، وفيها يتلقى المتعلمون دروسا في القرآن الكريم وتجويده، فيكتبون آيات القرآن الكريم على اللوح الخشبي، مستخدمين في ذلك أقلاما مصنوعة من القصب، وصمغا مصنوعا من صوف الغنم، والذين لا يحسنون الكتابة يكتب لهم معلمهم ألواحهم، ثم يشرعون في إعادة قراءتها حتى تحفظ اللوحة عن ظهر قلب. أما الذين يعرفون الكتابة، فإن الشيخ أو أحد الطلبة المساعدين للشيخ، يقوم بالإملاء على الطلبة فيكتبون ألواحهم، وبعد تصحيحها ينزوي كل واحد من الطلبة بلوحته فيحفظها، وفي المساء يستعرض لوحته على شيخه، فإن حفظها فيؤذن له بمحوها، وإلاّ فيعود إلى إتمام ما بقي منها في اليوم الموالي[2].

أما بالنسبة للدروس التي يتلقاها الطالب، فإنه يتلقى العلوم التي تساعده على فهم آيات الذكر الحكيم، ففي اللغة يتلقى مبادئ اللغة العربية، ويعتمد في ذلك على متن الأجرومية، وألفية ابن مالك، وغير ذلك من المتون التي تدرس في مساجد المنطقة، هذا ويتلقى الطلبة كذلك مبادئ الحساب للقيام بالعمليات الحسابية الأربعة.

3- **المرحلة الثالثة:** وتكون عادة للذين حفظوا أجزاء من القرآن الكريم، أو حفظوا القرآن كله، ويعيدون حفظه مرة أخرى وتجويده، فهؤلاء نجدهم عادة قد أكملوا دراستهم ويشرفون على الطلبة، بل ينوبون عن الشيخ أثناء غيابه، أو يعملون على مساعدته إذا كان عدد الطلبة في المعمرة كبيرا، فهم يعوّدون أنفسهم، ويتدربون على وظيفة التعليم. وبذلك تعتبر

---

[1]- عن شيوخ المنطقة والطرائق المتبعة في تعليم الصغار مبادئ القراءة.

[2]- الطريقة التقليدية في تحفيظ القرآن الكريم.

هذه المرحلة بمثابة مرحلة تدريبية للطلبة الذين أكملوا حفظ القرآن الكريم، وتلقوا قسطا من العلوم الأخرى التي تؤهلهم لتولي وظيفة التعليم والتدريس.

وعلى هذا الأساس، فإن مراحل التعليم خلال هذه الفترة لم تكن محددة من حيث السن تحديدا دقيقا، بل يمكن أن نجد بين الطلبة المبتدئين. طلبة أعمارهم تفوق فئة المبتدئين، كما يمكن أن نجد الطلبة الذين أنهوا دراستهم طلبة صغار من حيث أعمارهم. فمسألة تحديد العمر في طلبة المعمرات غير مطروحة، وهي مرتبطة أساسا بمدى حفظ الطالب للقرآن الكريم، ومسايرته للمواد المدروسة في المعمرة، وتصنيف الطلبة في هذه المؤسسات عادة يكون موحدا في معمرات المنطقة، وإذا كان الأمر كذلك. فما هي أصناف الطلبة في هذه المعمرات خلال فترة البحث؟

إن المصادر التاريخية المهتمة بالحياة الفكرية في المنطقة، تبين لنا أصناف الطلبة الذين يزاولون دراستهم في مختلف المعمرات، والذين تُجمع هذه المصادر على التصنيف التالي:

1- أقداش[1](إِقَدَّاشَنْ): وهم الطلبة الصغار الجدد الذين يلتحقون بالمعمرة وينتسبون إليها، وضمن هذه الفئة، نجد تصنيفا لهم حسب المهام المسندة إلى كل واحد، فمنهم:

- أقداش نَّشِّيخْ: وهو الذي يكلف بتحضير ما يحتاج إليه شيخ المعمرة من الأمور اليومية، والضرورية له من مأكل ومشرب، وغير ذلك.

- أقداش نَّلْمَصْبَحْ: وهو الطالب الملتحق بالمعمرة حديثا، والذي يكلف بإنارة المصابيح في الليل، وتزويدها بالزيت، والفتيل، كي تبقى المصابيح مشتعلة. فمهمته اليومية تتمثل في الاهتمام بإضاءة المعمرة ليلا، وفي النهار يجلس إلى جانب زملائه لحفظ القرآن الكريم.

- أقداش نتنوالت[2]: وهؤلاء يعدون أكبر سنا من الصنفين الأوليين، فإلى جانب تلقيهم دروسا في حفظ القرآن الكريم، وبعض المتون، فإنهم مكلفون بإعداد الطعام للطلبة، فيخبزون الكسرة (الخبز)، ويفتلون الطعام (الكسكسي)، ويحضرون كل ما يحتاج إليه الطلبة من مستلزمات الغذاء والأكل، ويعاملون معاملة القدادشة[3].

2- الطلبة: وهم أعمدة المعمرة، لأنهم يمثلون أغلبية من فيها ، فمنهم من يلتحـــــــق

---

[1]- أقداش: كلمة زواوية ، تعني العامل، أو المشتغل.

[2]- ثنوالت: تعني المطبخ في اللسان المحلي.

[3]- المجهول: سيرة زواوة ...، الورقة الأخيرة. وكذلك:

- الجنادي: أوضح الدلائل... ص ص، 62،63.

بالمعمرة مباشرة لكبر سنه، أي أنه لا يمر بمرحلة القدادشة، أو لكونه قد حفظ القرآن الكريم قبل دخوله إلى المعمرة إضافة إلى بعض المتون، والشروح سواء في المسجد، أو زاوية أخرى، ومنهم من ينتقل من فئة القدادشة إلى فئة الطلبة في نفس المعمرة.

3-الوكيل: في بعض المعمرات، يكون الوكيل من الطلبة القدامى، وفي بعضها الأخـــر يكون من المتولين على تسيير المعمرة، ويكون مقره النوالة (المطعم)، ومهمته تتمثل في مساعدة المقدم، والإشراف على شؤون تموين المعمرة، وتوفير ما يحتاج إليه الطلبة من مواد غذائية.

4-المستخلف: يتم اختياره من بين الطلبة القدامى المنتسبون للمعمرة، ومهامه تتمثل في: مساعدة الوكيل في المراقبة العامة للطلبة، وكذلك تنظيف المعمرة ومحيطها، والوقوف على الحاجات الداخلية للطلبة.

5-المقدم: يعتبر بمثابة رئيس المجلس التنفيذي للمعمرة، ويختار من طرف كبـــــــار السفارة[1] الذين يمثلون أعلى سلطة في المعمرة، ويبقى في هذا المسؤولية إلى أن يرقى إلى مسؤولية أعلى، كأن يرقى إلى وكيل، أو مستخلف، أو يغادر المعمرة نهائيا[2].

المواد التعليمية:

تختلف المواد المدرسّة في زوايا ومعمرات المنطقة خلال فترة البحث من معمرة إلى أخرى، ومن مستو، إلى آخر.

ففي المستوى الأول من المراحل الدراسية، نجد بأن المواد المدرسة، هي المواد التي يمكن من خلالها تحضير المتعلم إلى المراحل الأخرى، كالقراءة ومبادئ اللغة العربية، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، وقواعد الحساب... وهذه المواد لا تعتمد على مقررات ومناهج معينة، أو كتب محددة يستعين المتعلم بها، بل لكل شيخ، أو معلم منهج معين يقدمه للمتعلمين. وما يلاحظ، أن الطرائق المتبعة في تقديم هذه المواد، هي طرائق تقليدية تعتمد أساسا على ملكة الحفظ. واللغة المستخدمة في التعليم، هي اللغة العربية مع الشرح باللغة الزواوية(القبايلية)، إضافة إلى تحفيظ بعض الألفاظ، والتراكيب اللغوية، أما أرقام التدريس، فهي الأرقام الهندية فقط.

---

[1]- السفارة: مصطلح يطلق على القوانين الداخلية التي تسير عليها المعمرة. وهي مختلفة من زاوية إلى أخرى.

[2]- السحنوني: المرجع السابق، ص 74.

بالنسبة للمواد المدرسة في المستوى الثاني، فهي مختلفة ومتنوعة، وتتمثل عادة في اللغة وفروعها من صرف ونحو[1]، بالإضافة إلى البلاغة، والعروض، والحساب الذي يقدم ويحفظ في شكل متون، وهناك مواد أخرى ترتبط بمستوى الشيخ وتكوينه. ويعتمد الشيوخ في التدريس خلال هذه المرحلة على مجموعة من المراجع المعروفة كألفية ابن مالك، والأجرومية في النحو، وتحفظ على شكل متون أيضا مع بعض الشروح لهذه المتون. وبالنسبة للعلوم الشرعية، إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، وهي الوظيفة الأساسية للمعمرات في المنطقة. نجد مواد أخرى في السيرة النبوية، كسيرة ابن هشام. وفي الفقه يعتمد الشيوخ على عدة مصادر معروفة في شمال إفريقيا، كمختصر الشيخ خليل، ومتن ابن عاشر، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكلها من المصادر المالكية. كما يعتمد الشيوخ في تدريس التوحيد، على كتاب الجوهرة، وبعض المؤلفات المحلية، والمؤلفات الخاصة بعلماء المنطقة، مثل كتاب نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد للشيخ قاسم بن عمر الزواوي[2].

هذه هي المواد التي تدرس في المرحلة الثانية، من مراحل التعليم في معمرات المنطقة خلال فترة البحث، والظاهر أن الدارسين لا يتعمقون في دراسة هذه المناهج، بل يكتفون بالإطلاع عليها، ومعرفتها دون مناقشة محتواها، لأن ذلك يكون في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي يمكن اعتبارها بمثابة التعليم الثانوي، وربما في بعض الأحيان العالي، فجل المواد الدراسية فيها هي علوم دينية بالدرجة الأولى، كالفقه، والتفسير، وعلوم الحديث، وفن القراءات القرآنية الذي امتازت به المنطقة خلال فترة البحث، واشتهرت بإتقان علمائها لهذا العلم، كما اختصت بعض معمراتها به دون غيره من العلوم، وهذا ما جعل أحد الكتاب يقولون: " ...والذي في علمي أن من لم يقرأ القرآن في شلاطة، ولم يتعلم الفقه في تاسلنت، ولو قرأ وتعلم في غيرهما يعتبر عن المحبين ناقص السر"[3]، وهوالفن الذي انفردت به معمرة الشيخ عبد الرحمن اليلولي كذلك، الذي درس على الشيخ عمر السعدي بمعمرة ميزرانة قرب دلس، والشيخ السعدي انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها علم القراءات، ولما رجع إلى منطقة زواوة بدأ في إحياء هذا العلم الذي أوشك أن يندثر[4].

---

[1]- شويتام، المرجع السابق، ص 483.

[2]- ورقة في الموضوع من شيوخ عدة زوايا في المنطقة.

[3]- الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 402.

[4]- ورقة في الموضوع أفادني بها الشيخ محمد الحسن عليلي.

من بين الكتب المرجعية التي يعتمد عليها شيوخ المنطقة في تدريس فن علم القراءات والذي عثرت على نسخة مخطوطة منه، نسخة نسخها علي بن عبد الكريم الميلي ثم البجائي، وهي القصيدة المنسوبة للشيخ البشير نجل بن رزق القاضي ببعض قرى بني عيدل، في وطن بجاية، جاء في صفحتها الأولى:

الحمد للإله والصلواة — على الذي اقتدى به الهداة

محمد سيدي خلق الله — وآله ذوي الهدى والجـــاه

دونك عشر طرق لنافع — تنشر طي الدرر اللوامــع

طريق الأزرق وعبد الصمد — عن ورشهم والأســد بسنـد

والمروز وأحمد الحلواني — والقاضي عن قالون ذي الإتقان[1]

هذا بالنسبة لعلم الإقراء، غير أن هناك علوما أخرى أتقنها علماء ومشايخ المنطقة، فعلّموها لطلابهم، وكان مستوى الطلبة في المنطقة لا يقل عن مستوى طلبة المعاهد العليا في حجم الأزهر والقرويين والزيتونة، وكانت المواد التي تدرس فيها هي نفس المواد التي تدرس بأرقى الجامعات الإسلامية كالقرويين، والزيتونة[2].

إن علم القراءات وفنون التجويد، انتشر في المنطقة، وفي مختلف قراها بفضل المشايخ الذين تخرجوا من عدة مراكز لتعليم هذا العلم، ومن بينها: معمرة الشيخ السعدي الميزراني بغابة ميزرانة القريبة من مدينة دلس، ومركز آث علي أو حرزون الواقع بعرش بني بترون، القريب من مدينة تيزي وزو حاليا، إضافة إلى مركز ومعمرة الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي، بعرش إيلولة أوسامر الذي بقي مختصا في الدراسات القرآنية إلى حدود عام 1263هـ/1846م،أين أُدخلت إلى هذه المعمرة المواد الأخرى مثل النحو، والصرف، والمعاني، والبيان...[3].

هذه المراكز الثلاثة تعد بمثابة المراكز الرئيسية التي تخرج منها العديد من العلماء الذين أتقنوا هذا العلم، وعملوا على تأسيس مراكز أخرى في مختلف نواحي وقرى المنطقة،

---

[1]- أنظر صورة عن هذا المخطوط في الملاحق، وقد أخبرني الشيخ محمد طاهر أيت علجت، بأن هذا المتن بقي يدرس في زوايا المنطقة إلى غاية القرن العشرين، وقد حفظه عن والده الشيخ مقران، وعمره عشر سنوات، مقابلة معه في بيته يوم 22/01/ 2014

[2]- المهدي البوعبدلي: جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن(13.10هـ)، جمع وإعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012،ص 209.247.

[3]- الجنادي: المصدر السابق، ص 48 ، وكذلك:

- محمد الصالح الصديق: من أعلام منطقة القبائل ج2، دار هومة، الجزائر،(د. ت)، ص ص 13،15.

وخارجها، مما جعل المنطقة تستقطب العديد من طلبة العلم الذين يسعون إلى إتقان هذا الفن[1]، وبفضل هؤلاء انتشرت المعمرات والمراكز المهتمة بعلم القراءات سواء في زواوة الشرقية، أو الغربية.

ففي زواوة الشرقية، نجد مجموعة من المراكز التي تخصصت في الإقراء، والموزعة على مختلف أعراش الناحية، فعلى سبيل المثل، نجد: مركز قرية ثيطست، ومركز قرية إغيل أوحموش، ومركز قرية فوملال، وكل هذه المراكز في عرش بني يعلا نتزمورين. وفي حوض الصومام، نجد مجموعة من المراكز، ومن بينها، مركز آث أعمر أوزقان، وفرع بوجليل، ومعمرة الشيخ سيدي أحمد أويحيى بأمالو...

وفي زواوة الغربية، نجد أيضا عددا من المراكز المنتشرة في مختلف قرى الناحية، ومن بينها مراكز عرش بني جناد، وفليسة، وبني واقنون...، هذا إلى جانب مراكز جبال جرجرة، كمركز بني إيراثن، وبني يتورغ، وبني منجلات[2].

2- نماذج من العلماء الذين ساهموا في التعليم بالمنطقة وخارجها:

يعتبر تعليم الأطفال من أهم المهام المنوطة بالمعلمين. فمهنة التعليم قديمة، وقدسها الإسلام في كثير من آي القرآن الكريم، كما قدستها السنة النبوية الشريفة في أحاديث عدة، حتى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنبل الأعمال في قوله صلوات الله عليه وسلم:« خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، بل جعل التعليم من الأعمال الخالدة في حديثه عليه الصلاة والسلام: « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله... من ثلاث»[3]، من بينها علم علمه ينتفع به"، ونتيجة ذلك اهتم العلماء بهذا الجانب منذ القديم، وفي الفترة الحديثة. وفي منطقة زواوة اهتم علماء هذه المنطقة بالتعليم اهتماما كبيرا، وتفرغ الكثير منهم إلى هذه المهمة، ونادرا ما نجد في كتب التراجم عالما دون أن يكون اسمه. مقرونا بالمدرس، أو مربي الأجيال.

إذا كان بعض هؤلاء العلماء لم يهتموا بتأليف الكتب، ولم يتركوا من الكتب ما يدل على نبوغهم، فإن مرد ذلك يعود أساسا، إلى تفرغهم لتكوين الرجال وتثقيف الأجيال من خلال

---

[1]- الفكون، المصدر السابق، ص 57.

[2]- محمد الحسن عليلي: مراكز التجويد بالزواوة خلال ثلاثة قرون من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، بحث أعده للنشر غير منشور سلمني نسخة منه.

[3] – حديث صحيح رواه الإمام مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. أنظر:

– مسلم بن الحجاج بن مسلم القشري: الجامع الصحيح، الطبعة التركية للمطبعة العامرة، ج5، ص 73.

الأدوار التي لعبوها في تأسيس الكتاتيب، والمعمرات، وأماكن التدريس في القرى وأرياف المنطقة.

إن علماء المنطقة قد تركوا بصماتهم، وإسهاماتهم الواضحة في ميدان التعليم، سواء في المنطقة، أو في حواضر الجزائر العلمية بعد تراجع مكانة بجاية. بل في العالم الإسلامي، مغربا، أو مشرقا سواء كان تأثيرهم مباشرا من خلال تصدرهم للتعليم في البلدان التي حلوا بها، أو من خلال طلابهم الذين انتقلوا إلى هذه البلدان.

لقد أخذ الكثير من طلبة العلم عن علماء المنطقة علوما مختلفة، وفي فترات تاريخية سابقة عن فترة البحث، وعملوا على نشر ما أخذوه من العلوم في البلدان التي استقروا فيها. فهذا العالم المغربي الشيخ: أحمد زروق البرنوسي الذي اغترف من مناهل العلم بالمنطقة وعلى علمائها الذين تتلمذ عليهم، ومنهم الشيخ سيدي يحيى العدلي[1]، قد صال وجال في المشرق ناشرا ما تعلمه من علوم الظاهر والباطن على علماء المنطقة. وكذلك العالم الخروبي الطرابلسي الذي تعلم على علماء المنطقة وترقى في الدولة الجزائرية، حتى أصبح سفيرا للجزائر في المغرب الأقصى. وكذلك العالم التونسي (أحمد بن برناز) الذي أخذ العلم في منطقة البحث عن علماء أجلاء[2].

في فترة البحث، أدى علماء المنطقة أدوارا كبيرة في التعليم، وتثقيف الناس، وإتمام تعريب المنطقة، خاصة بعد نبوغ بعضهم في علوم مختلفة، وعودة البعض الآخر من المشرق، واستقرارهم في المنطقة، وتصدرهم لمهمة التعليم.

لقد برز في المنطقة العديد من العلماء الذين ساهموا مساهمة كبيرة في نشر العلم بين أبناء سكان المنطقة، وأسسوا لذلك العديد من المؤسسات التعليمية التي لعبت دورا هاما في نشر التعليم بين الأفراد. فهذا الشيخ العالم سيدي منصور الجنادي، الذي أنشأ معمرة للتعليم بعرش بني جناد، لينشر العلم في ربوع هذه الناحية. وهذا الشيخ محند أوقري الذي أسس معمرة في جبال بني يعلا، والتي وصف مكانها الشيخ الورثيلاني، قائلا: «...وقد اعتزل بأهله وسكن القلعة...ومع ذلك، إنه بنا دوره في الأوعار من الجبل مع بعدها من الوادي إلى

[1] – الرحلة، ج1، ص 49.

[2]– سعد الله: تاريخ الجزائر...، ج1، ص 325.

رأس الجبل، وبنى فيها مساجد بإذن الله...[1]». وكذلك فعل الشيخ اليلولي، وابن أعراب، والشلاطي، وامحمد بن عبد الرحمن، والحداد... وغيرهم من العلماء الذين تفرغوا للتعليم والتربية الروحية. فتخرج على هؤلاء العلماء العديد من طلبة العلم سواء من أبناء المنطقة، أو من المناطق الأخرى القريبة والبعيدة عنها. فكان علماء المنطقة بمثابة مصابيح أضاءت الجزائر في فترة كان التعليم فيها مقتصرا على عائلات محددة، وفي حواضر معينة.

وللاستدلال على ما نقول، نورد ما ذكره (الحفناوي) عن عدد الطلبة الذين أخذوا العلم عن الشيخ محمد الطيب بن أبي داوود. فقال:" وأخذ عنه خلق كثير، وفتح الله على 72 منهم، وهو _ أي محمد الطيب _ أخذ عن عمه ... سيدي أحمد بن بوداود، وتخرج عنه كثيرون فتح الله على 353 منهم ودرّس 25 سنة"[2] .

فهذا النموذج، من النماذج التي تذكرها المصادر التاريخية التي تعكس إسهامات علماء زواوة في الحياة العلمية خاصة، والفكرية بوجه عام. خاصة ما تعلق بالتعليم ونشر العلم بين الناس.

كما أن المتصفح لرحلة الشيخ الورثيلاني، يجد العديد من أسماء أولئك الذين أدوا أدوارا كبيرة في نشر التعليم، حيث العديد من الأسماء المشهورة في المنطقة، والذين وصفهم بأنهم مدرسون. وذكر مثلا في رحلته قائلا: " سيدي أحمد الزروق بن مصباح، وسيدي الحسين بن أعراب... وسيدي أحمد بن باباس... فيقول: بأن هؤلاء فقهاء مدرسون متبعون للسّنة [3]"، هذا ووصف سيدي الحسين بن مصباح: بالمدرس الفاضل العلامة الكامل[4].

هكذا، فإن الرحلة تضم العديد من الأسماء الذين وصفهم صاحبها بالعلماء، والمدرسين الذين تعلم العديد من الطلبة عليهم، سواء كانوا من أبناء زواوة، أو من خارجها، فمنهم مَن توارث العلم أبا عن جد، كآل مصباح اليعلاوي، وآل حمودي الورثيلاني، وآل العدلي، وعائلة بن أعراب ببني إيراثن، والعائلة السحنونية، والمنجلاتيين، والمشداليين، وغيرهم من العائلات العلمية التي توارثت العلم. وكذلك بعض الذين برزوا في وقت الورثيلاني، وذكر منهم: علي بن درار، الذي قال فيه: " أنه من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم".

---

[1]- الرحلة...، ج1، ص 122.

[2]- تعريف الخلف ... المصدر السابق، ج 2، ص ص 289، 290.

[3]- الرحلة، ج1، ص 18.

[4]- نفسه، ج1، ص 107.

نفس الشيء، نجده في مصدر آخر من المصادر التي ترجمت لعلماء الجزائر، ويتعلق الأمر بالحفناوي، الذي ذكر بعضا من علماء المنطقة، ولعبوا دورا هاما في تعليم الناس، فإلى جانب الشيخ ابن أبي داوود (صاحب معمرة تاسلنت)، يذكر العالم الأستاذ: محمد الصالح العيسوي الزواوي[1]، الذي اشتغل بالتدريس والتعليم في قريته، ثم استدعاه الشيخ امحمد بن عبد الرحمن إلى زاويته، فانتقل إليها ودرّس فيها مدة من الزمن، ونفع الخلق كثيرا. هذا وخص عائلة الشلاطي بترجمة ذكر فيها دور العائلة في نشر التعليم منذ تأسيس الزاوية. أما الشيخ امحمد بن عبد الرحمن، فخصص له ترجمة وافية استعرض فيها مناقبه ودوره في نشر التعليم بالمشرق قبل تأسيسه لزاويته في الجزائر، ثم انتقاله إلى عرشه بجرجرة[2].

إن المتتبع لتراجم العلماء الذين ذكرهم ابن مريم[3]، وهم من منطقة زواوة، يجد بأنهم يشتركون جميعا في تأدية وظيفة التعليم، وملازمة الكثير من المتعلمين لهؤلاء العلماء، سواء في منطقة زواوة، أو خارجها.

وإذا عدنا إلى كتب التراجم الأخرى التي نجد فيها تراجم لعلماء المنطقة، فإننا نستخلص الدور الذي أداه علماء المنطقة في نشر العلم مغربا ومشرقا، فهذا العالم شرف الدين قاسم الزواوي، الذي اخذ عنه البدر الغزي بالمشرق[4]، وهذا أحمد البجائي، الذي درس عليه: أبو عبد الله محمد بن شقرون بن هبة الله بتلمسان[5]، وكذلك بلقاسم بن محمد الزواوي (ت931هـ/1516م) الذي أخذ عنه، ودرس عليه محمد بن عمر الملالي[6]، وموسى بن سعيد الزواوي (ت931هـ/1524م) الذي درس عليه الشيخ عيسى بن أحمد الماوسي[7]بفاس.

من بين علماء زواوة الذين درسّوا خارج المنطقة، نجد منهم من بقي مدرسا في البلدان التي استقروا فيها، كمحمد بن محمد بن عبد الله المغربي الزواوي، ويحيى الزواوي، وعيسى

---

[1]- تعريف الخلف...،ج2، ص388.

[2]- الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص ص 298...320.

[3]- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د. م. ج. الجزائر.

[4]- الحنبلي: شذرات الذهب...ج8، ص 155.، وكذلك:

– الغزي: الكواكب السائرة...، ج1، ص 138.

[5]- الشفشاوني: المصدر السابق، ص 114. وكذلك:

– الغزي: المصدر السابق.

[6]- التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص ص 139، 140.

[7]- المكناسي : جذوة الإقتباس...ج1، ص 347.

الثعالبي، والمهدي السكلاوي، ومحمد الصالح السمعوني، وغيرهم من الذين أتعرض لإسهاماتهم في التعليم بالمغرب الإسلامي، أو مشرقه.

إسهامات علماء زواوة في التعليم خارج المنطقة

لقد ساهم علماء المنطقة في التعليم خارج منطقة البحث، ولعل أقرب مكان ظهر فيه هذا الإسهام، هي مدينة الجزائر، عاصمة الدولة في فترة البحث، ففيها حظي العديد من علماء زواوة بالمكانة الراقية، والدرجة العلمية العالية، ومن بينهم: الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاتي، الذي ينتسب إلى عائلة علمية مشهورة، استقر أهله بمدينة الجزائر بعدما هاجروا من بجاية بعد احتلالها من قبل الإسبان، وتنقل في كثير من المدن المغربية متعلما ومعلما، ومن بين الذين أخذوا عنه في مدينة الجزائر العالم المغربي (ابن زاكور)، الذي درس عليه كتاب جمع الجوامع، وكان يُدرس لطلابه الخزرجية بشرح الغرناطي[1]. هذا ونجد عالما زواويا آخر كان له باع كبير في مدينة الجزائر خلال فترة البحث، وهو العالم أبو مهدي عيسى الثعالبي، الذي كان ينوب عن شيخه أبو الحسن السراج السجلماسي، ومن بين الذين تأثروا به ودرسوا عليه، الشيخ يحيى الشاوي.

أما في الشرق الجزائري، فإن المصادر التاريخية تذكر عددا من العلماء الزواويين الذين درسّوا في قسنطينة، وانتفع من علمهم العديد من الطلبة، ومن بين هؤلاء العلماء نجد: الطاهر بن زيان الزواوي القسنطيني، الذي استقر بالمدينة في وقت غير معلوم، قبل أن يتوجه إلى البقاع المقدسة، وقد تخرج على يديه عدد كبير من طلبة العلم بالمدينة، ومنهم الشيخ العالم محمد الوزان[2].

ومن بين العلماء الزواويين الذين توجهوا إلى هذه الحظيرة العلمية أيضا، أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي، الذي كان يدرّس النحو من كتاب التوضيح، وكانت لهذا العالم مكانة هامة في هذه المدينة، وساهم في تكوين، وتعليم العديد من الطلبة، ومن بينهم: عبد الكريم الفكون، الذي قال عنه: " كان هو السبب في تعلق قلبي بعلم النحو[3]".

---

[1]- السحنوني: المرجع السابق، ص 12.

[2]- ابن مخلوف: المصدر السابق، ص 278.

[3]- الفكون: المصدر السابق، ص 106.

هذا، وقد تخرج بعض العلماء غير الزواوين من معمرات منطقة البحث، وانتقلوا إلى مدينة قسنطينة للتعليم. فأسهموا في هذه المدينة بما نهلوه من العلوم على علماء المنطقة، ومنهم: العالم المغربي: محمد التواتي، الذي انتقل إلى جبال زواوة، ودرس الفقه عن العالم الفقيه الصالح: أبي محمد بن عبد الله محمد بن مصباح اليعلاوي، المشهور بإجادته لعلم النحو حتى لقب بسيبويه زمانه[1].

وفي مدينة عنابة، تصدر للتعليم والتدريس فيها: كل من الشيخ: أحمد العيدالي (العدلي)، والشيخ: عمر المنجلاتي، اللذان ذكرهما الشيخ أحمد بن عبد الله قاسم البوني، إضافة إلى كل من الشيخ عمر الدلسي، والشيخ محمد الراشدي، وغيرهم من العلماء الزواويين الذين ساهموا في التعليم بمدينة عنابة خلال فترة البحث[2]. ويمكن أن يكون السبب في تدريس هؤلاء العلماء بهذه المدينة التي لم تكن من الحظائر العلمية المشهورة في فترة البحث نتيجة لموقعها المطل على البحر، وتوقف السفن المتوجهة إلى البقاع المقدسة فيها، مما جعل العديد من العلماء يجلسون للتدريس فيها، ومنهم علماء زواوة.

إسهامات علماء زواوة في التعليم خارج الجزائر

كانت لعلماء زواوة مكانة علمية في البلدان التي حلوا فيها، مستقرين، أو مارين. فتأثروا بعلماء هذه البلدان، وأثروا فيهم من خلال الجلسات العلمية التي تنعقد في المساجد والمؤسسات التعليمية المنتشرة في البلدان التي زاروها، أومروا بها سواء في المغرب الإسلامي، أو مشرقه، ومن بين هذه الإسهامات:

أ- إسهاماتهم في التعليم بالبلدان المغاربية:

إن الهجرات نحو المغرب الأقصى ظلت قائمة طيلة الفترة الإسلامية من عهد الأدارسة، إلى بداية السعديين، وقد ساهمت في تمتين الروابط بين شعوب المغرب الإسلامي، الجغرافيا والتاريخ واللغة ...كما ساهمت في هذا التواصل بشكل كبير وجود جامعة القرويين التي كانت المركز الثقافي الأول منذ تأسيسها في بداية القرن التاسع الميلادي، وحتى الحدود التي

---

[1]- الفكون: المصدر السابق، ص ص،57...59.

[2]- أنظر حولهم، الدرة المصونة...، ص، 30.

رسخها الحكام العثمانيون في الجزائر لم تؤثر في استمرار الروابط الثقافية والاجتواعية بين البلدين.[1]

لكن إسهامات علماء المنطقة في التعليم بالمغرب الأقصى في فترة البحث قليل جدا مقارنة بالفترات السابقة، ولا تذكر المصادر والمراجع إلا عددا قليلا من الزواويين الذين ساهموا في التعليم بالمغرب الأقصى، ومن بينهم العالم يحيى الزواوي، الذي توجه إلى المغرب الأقصى واستقر فيها[2].

إسهاماتهم في تونس: تعتبر تونس ومراكزها الفكرية بمثابة محطة رئيسية لعلماء الجزائر، والمغرب الأقصى في مسيرتهم نحو المشرق الإسلامي، سواء كانت هذه المسيرة من أجل أداء فريضة الحج، أو من أجل البحث عن العلماء للتعلم عليهم والأخذ عنهم، ويعود السبب الرئيس في ذلك إلى وجود أحد المراكز الفكرية المشهورة في العالم الإسلامي قاطبة، ألا وهو جامع الزيتونة الذي يقصده الطلاب من كل أصقاع العالم الإسلامي، لما لشهرته، وتاريخه الفكري في العالم الإسلامي عامة، وذلك ما جعل عددا من علماء زواوة يقصدونه للأخذ عن علمائه، والبعض الآخر أسهم في التدريس به، ومن بين العلماء الزواويين الذين درسوا في تونس نجد:

أحمد البرانسي الثعالبي: استوطن تونس مدة طويلة من الزمن، وشارك في النشاط الفكري، والعلمي بهذا البلد، وتخرج على يده العالم التونسي محمد بيرم الثاني، شيخ الإسلام بتونس[3]، وذكره في شرح نظّمه للمفتين في تونس على المذهب الحنفي.

ومن بين العلماء الزواويين الذين أسهموا في تونس في ميدان التعليم، نجد كذلك الشيخ محمد طاهر الجنادي بن الشيخ شريف، الذي انتقل إلى تونس بعدما أكمل دراسته في معمرة الشيخ سيدي عبد الرحمن اليلولي سنة 1282هـ/ 1865م، وبمجرد وصوله إلى هناك، عينه

---

[1]- محمد أمطاط: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008، ص 29.

[2]- هلال: العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين (14/4هـ)...ع 9، ص 28.

[3]- ابن منصور: المرجع السابق، ج 6، ص 422.، وهو العالم الذي يحتمل بأن ابن أبي الضياف، ذكره في: إتحاف أهل الزمان...عندما تعرض إلى الوباء الذي ضرب تونس في عهد الباي حمودة باشا الحسني، أنظر إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان،... ج2، ص 174.

أحد الوزراء التونسيين شيخا على أولاده[1] لما له من علم غزير، وسمعة كبيرة بين أقرانه خاصة في اللغة العربية وعلومها[2].

ب- دور علماء زواوة في المشرق العربي:

استقر المقام بكثير من العلماء الزواويين في المشرق الإسلامي عبر فترات تاريخية مختلفة، وفي بلدان عربية متعددة، سواء في مصر، أو في الحجاز، أو في بلاد الشام، وذلك لعدة اعتبارات.

ففي مصر: الأزهر الشريف، الذي يعد بمثابة قبلة العلماء، ومنتهى البحث. فإليه تشد رحال كل باحث عن العلوم ومختلف فنون المعرفة، وهو الأمر الذي أشار إليه ابن خلدون قبل فترة البحث بقوله: " ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو في القاهرة من بلاد مصر، كما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعليم العلم وآكد ذلك فيها وحفظه ما وقع بهذه العصور بها منذ مائتين من السنين من بناء المدارس والزوايا والربط وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة... وعظمت العائدات والفوائد، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراياتهم منها وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت تجارتها"[3].

ففي قاهرة المعز، نال الكثير من أبناء زواوة حظهم من التعليم، بل منهم من أضحى أستاذا يؤخذ عنه العلم في الأزهر الشريف، ومن بين هؤلاء: الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي، الذي استوطن مصر سنتي أربع وستين، و خمس وستين وألف هجري (1653-1654) آخذا على علمائها متأثرا بهم ومؤثرا فيهم، وأن شيوخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يفيدونه، لأن غالب استفادته منهم إنما هي في الرواية، وهم يستفيدون منه الدراية، وأن أحد شيوخه، وهو الشيخ الأجهوري، إذا دخل عليه الثعالبي، يطالبه بتشنيف أسماعهم بعلمه[4]. هذا، أن الشيخ البابلي، وهو من بين شيوخه أيضا قال فيه: " ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقرّي، ولا أذكى منك – يقصد الثعالبي-[5]"، وبقي في مصر مدة، ثم رحل

[1]- عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007، ص 49.

[2]- الجنادي، المصدر السابق، ص 54.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 365.

[4]- محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الأفراني: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، .... ، ص 284.

[5]- نفسه.

إلى مكة المكرمة، وبقي فيها متعلما و معلما. ومن بين الذين أخذوا عنه في مصر أبو سالم العياشي، الذي ذكره في فهرسته: بأنه لقيه في أول رحلته، ولم يأخذ عنه شيئا، ثم لقيه بعد ذلك بأعوام في الوجهة الثانية بمصر، وقرأ عليه، واستفاد منه كثيرا[1]. كما أخذ عنه في مصر كذلك العالم الجزائري يحيى الشاوي، الذي لازمه مدة آخذا عنه مختلف العلوم[2].

علماء زواوة في البقاع المقدسة:

عرفت البقاع المقدسة نشاطا علميا كبيرا منذ العهد الأيوبي[3]، وذلك لتوافد عدد كبير من العلماء الذين ساهموا في نشاط الحياة الفكرية الإسلامية من بلدان العالم الإسلامي، ولما لهذه الأماكن من قداسة روحية عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فتزايد عدد الوافدين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن بين العلماء الزواويين الذين استقروا في المدينة المنورة، وكانت لهم مكانة علمية وحظوة عند أهلها نجد:

- طاهر بن زيان الزواوي: يعتبر من متصوفي زواوة الذين نزلوا بطيبة ولازموا الحرم وبقي ملازما للبقاع المقدسة مدة من الزمن، بل توفي ودفن في البقيع. أما عن دوره في الحياة العلمية والتعليمية بوجه خاص، فإن المصادر التاريخية لم تذكر أي دور له في هذا الجانب، ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون الرجل من المتصوفين الذين انقطعوا للعبادة.

- أبو مهدي عيسى الثعالبي: دخل البقاع المقدسة حاجا لبيت الله الحرام، وذلك سنة إحدى وستين وألف هجري(1650م)، فأخذ عن علمائها، ولازم بعضهم، وتأثر بهم، ثم أقبل على نشر العلم، وتعليم الناس علوما مختلفة، وكان كامل الأدوات من نحو وتصريف، ومنطق، وعلم الكلام...ما أعجب أهل الحرمين بحسن تقريره وتبيينه وتحقيقه فطار عندهم صيت وانتشر له ذكر[4]. فكان من العلماء الذين ساهموا في نشر العلم في الحجاز، واعترف

---

[1]- القادري (محمد بن الطيب): نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي، وأحمد التوفيق،4ج، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977،ج 2، ص 186.

[2]- التنبكتي: نيل الإبتهاج...، ص 191. وكذلك له: كفاية المحتاج...ص 123.

[3]- يلاحظ على أن عدد الزواويين خاصة والمغاربة عامة المرابطين والملازمين للحرم قليل جدا، خلافا للمذاهب الأخرى، ويعود ذلك إلى سببين رئيسيين هما: كراهية المجاورة بالنسبة للمالكية، وصعوبة مناخ الحرمين الشريفين. أنظر:

- طرفة عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثمن للهجرة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية' الرياض، 1996، ص ص 65...68.

[4]- العياشي: المصدر السابق، ج2، ص 128.

الناس له بغزارة علمه. ومن أعماله الجليلة التي أداها في الحجاز، ما يذكره تلميذه العياشي عن لقائه شيخه ببيته في مكة المكرمة، وتلقى عليه الذكر على الطريقة النقشبندية، ويذكر: بأن الثعالبي ألبسه الخرق الثمانية التي ضمها الشيخ أبو الفتوح (ض)عنه في كتابه المسمى "جمع الفرق لرفع الخرق"، وهي ثمانية... وقد ذكرها في مسودته قائلا: " لبست الخرق الثمانية التي اشتمل عليها كتاب أحمد أبي الفتوح من يد شيخنا مسند العصر وعلامة الدهر، سيدي أبي مهدي عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي رضي الله عنه بمنزله بباب حزورة إحدى أبواب المسجد الحرام[1]"

- محمد بن محمد بن عبد الله الزواوي المغربي: من حلقات العلم للمغاربة عامة في المدينة

المنورة، كانت حلقة الشيخ محمد الزواوي في علم الحديث[2]، وقد أخذ عليه عدد من أهل المدينة المنورة، ومن بينهم الشيخ محمد بن أبي السعود الشيرواني[3]، فانتفع بعلمه خلق كثير، وذلك لغزارة علمه، وإتقانه لعلم الحديث، حتى وصف أحدهم حلقة درسه: بأنها من الحلقات التي لا نظير لها في المدينة المنورة[4].

ومما تقدم، يمكن استخلاص الدور الذي لعبه كل من الثعالبي، والزواوي في التعليم بالأراضي المقدسة. فالثعالبي كان مثالا في العلوم اللغوية، وسند الرواية. أما الزواوي، فكانت له دراية واسعة بعلم الحديث. غير أن الثعالبي تحول إلى الاهتمام بعلم الحديث، فأقبل على الرواية والأخذ والسماع[5]، وأصبح من أقطاب هذا العلم، ومن المحدّثين الكبار في العالم الإسلامي، ومن بين أهم مؤلفاته في هذا الميدان كتابه" كنز الرواة".

علماء زواوة في بلاد الشام:

وصل الكثير من العلماء الجزائريين إلى بلاد الشام، وعبر فترات تاريخية مختلفة. فهجرة الجزائريين عامة والزواويين خاصة ليس لها تاريخ معين ومحدد، بحيث كانت الهجرة في بداية الأمر عبارة عن تنقل للأفراد فقط، والشاميون كانوا يطلقون اسم المغربي على كل

---

[1]- العياشي، نفسه: ص 207.

[2]- محمد علي فهيم بيومي: المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، دار القاهرة مصر، 2006، ص 173.

[3]- نفسه: ص 132.

[4]- ابن البيطار: المرجع السابق، ج3، ص 1240.

[5]- نفسه: ج2، ص 598.

القادمين إلى بلادهم من المغرب الإسلامي، سواء من تونس، أو من الجزائر، أو من المغرب الأقصى، وهذا مما يصعب تحديد بداية الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام.

أما الهجرات المعروفة، والتي تمت على دفعات، فإن المصادر التاريخية تعيد تاريخها إلى بداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت كل هجرة تضم عددا من الأسر، وكان من بين المهاجرين في كل هجرة عدد من العلماء وشيوخ الطرائق الصوفية والبسطاء[1]... فكانت الجالية الجزائرية في بلاد الشام من أنشط الجاليات المهاجرة إلى هذه المنطقة من العالم الإسلامي، وقد ساهموا خلال إقامتهم في المناطق التي استقروا فيها مساهمة كبيرة، وفي جوانب حياتية مختلفة. فما أسباب هذه الهجرات، وما هي إسهاماتهم في بلاد الشام عامة، وسوريا بوجه خاص؟

أسباب هجرة الجزائريين عامة، والزواويين خاصة: تعود أسباب هذه الهجرة إلى مجموعة من الأسباب، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

1- طلب العلم: من العوامل التي دفعت بالكثير من الجزائريين عامة إلى الهجرة نحــــو المشرق الإسلامي الرغبة في طلب العلم ومجالسة العلماء لتوسيع معارفهم، فكانوا يلازمون مشاهير العلماء والشيوخ[2]في الأماكن التي حلوا بها، ويكفي مثالا: العلماء الذين ذكـــرهم الورثيلاني في رحلته[3]، والعلماء الذين أخذ عنهم الثعالبي في مصر، أو الحجاز[4]، وكذلك الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الذي تنقل في كثير من البلدان الإسلامية بحثا ومجالسة للعلماء آخذا عليهم، وقد أخذ الطريقة الخلواتية عن الشيخ الحفناوي في مصر[5]، وهذا كله تطبيقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، وكذلك قوله عليه السلام: « أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد »[6]، وامتثالا لقوله تعالى:

---

[1]- ابن البيطار: المصدر السابق، ج 2، ص 598.

[2]- أرزقي شويتام: " العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية . الفترة العثمانية . "، في: مجلة الدراسات التاريخية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ع 13، السنة 1433هـ/ 2011م، ص 82.

[3]- الرحلة، ذكر العديد من العلماء الذين جالسهم، وفي صفحات متعددة، منها مثلا: ص ص 343...369 الخ.

[4]- العياشي: الرحلة العياشية، ماء الموائد...، ج1، ص ص 133، 134.

[5]- الحفناوي: تعريف الخلف... ج 2، ص ص 298،301.

[6]- رواه أنس بن مالك (ض)، انظر: ابن عبد البر النمري: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ج1، دار الطبع المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت)، ص 7. وحول الترغيب في طلب العلم، أنظر: صحيح البخاري، باب الرحلة في طلب العلم، المجلد الأول.

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾[1]، وتنفيذا لتعاليم الدين الإسلامي اجتهد الزواويون في البحث عن منابع العلوم لإثراء معارفهم العلمية والزيادة في التحصيل العلمي من المشرق الإسلامي.

2-أداء فريضة الحج: تعتبر الرحلات الحجازية بالنسبة للعلماء وطلبة العلم من بين أهم المناسبات التي تساعد على الاحتكاك فيما بين العلماء، وفيما بين العلماء وطلاب العلم، فالحج أهم ملتقى جامع للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وخلال هذا الحدث العلمي الديني يجتهد العلماء في الاتصال فيما بينهم من أجل تبادل الأفكار والمعارف العلمية. فعلماء زواوة وطلبة المنطقة يغتنمون هذه المناسبة لإثراء معارفهم سواء في الحجاز، أو في بلاد الشام، لأن الكثير منهم يعرج على بيت المقدس امتثالا لحديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال:«لا تشد الرحال إلى لثلاثة مساجد، مسجدي هذا، وبيت الله الحرام، والمسجد الأقصى»[2]، فكان المغاربة يتصلون ويحتكون بعلماء القدس وبلاد الشام والعراق، فيأخذون منهم، ويساهمون هم أيضا في نقل معارفهم إلى هؤلاء، فيتأثرون ويؤثرون في الأماكن التي حلوا بها.

بذلك تعدّ الرحلات الحجازية، بمثابة دافع من دوافع الهجرة نحو بلاد الشام، لكون بعضا من هؤلاء كثيرا ما يستقرون في البقاع المقدسة، فيؤثرون ويتأثرون بالحياة الثقافية ببلاد المشرق الإسلامي.

3-الهجرة الإجبارية: تعتبر الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية مـن بين أهـم العوامل التي تجبر الناس على الهجرة إلى خارج بلدانهم، ومنطقة البحث ليست بمعزل عن هذه الظروف. إذ نجد بعضا من العلماء الذين تركوا المنطقة وهاجروا إلى بلدان ومناطق أخرى للاستقرار فيها، سواء في الحواضر المغاربية كتلمسان، وقسنطينة، وفاس، وتونس. أو إلى بلدان إسلامية أخرى. فهذه عائلة المنجلاتيين التي هاجرت بجاية بعد احتلالها واستقرت في مدينة الجزائر[3]، ونفس الشيء بالنسبة لأولئك الذين استقروا في تلمسان، أو قسنطينة، أو غيرهما من الحواضر الجزائرية.

---

[1]- سورة التوبة، الآية 122.

[2]- حديث شريف ، رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم: 1115.

[3]- السحنوني: المرجع السابق، ص 16.

كما أن هناك عاملا داخليا، دفع ببعض العلماء إلى مغادرة المنطقة نتيجة اختلاف أفكارهم مع أفكار الأسر النافذة والحاكمة في المنطقة، فخوفا من الاصطدام بين هؤلاء العلماء، وأصحاب النفوذ في المنطقة فضّل البعض، الفرار بأفكارهم ومبادئهم إلى خارج المنطقة[1]، وربما هذا هو العامل الذي جعل الثعالبي يهاجر ويترك بلاده، بعدما كان من المقربين لحاكم الجزائر الداي يوسف باشا، غير أن اغتيال الداي، ووفاة شيخه جعلته يسوح في الأرض حتى بلغ به المرام بلاد الحجاز.

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتوسعه في البلاد، وجد العديد من العلماء الجزائريين أنفسهم مجبرين على الهجرة نحو الخارج فرارا بدينهم وعيالهم، ومن بين العلماء الذين أفتوا بالهجرة أحد علماء المنطقة ومقدم الطريقة الرحمانية الشيخ (المهدي السكلاوي) من سيباو العليا، والذي أفتى سنة 1847 بضرورة هجرة الزواويين وتركهم لأراضيهم وأملاكهم، وقد استجاب لهذه الفتوى العديد من سكان أعراش هذه المنطقة فهاجروا إلى بلاد الشام[2].

حول هذه الهجرة وأسبابها، أورد أحد الباحثين تقريرا موجها إلى السيد الحاكم العام للجزائر، ورد فيه: (طلبتم مني في 19 سبتمبر الأخير أن أزودكم بمعلومات عن الأهالي الذين أشار إليهم السيد الحاكم الإداري لعزازقة... قد استقى معلومات هامة عن الموضوع، أنقلها إليكم فيما يلي كما وصلتني: ((حوالي سنة 1847 كان يوجد من قبائل الشرفة مرابط كبير يدعى الشيخ المهدي، الذي مكنته تقواه من اكتساب سمعة طيبة بين سكان القبائل، وخاصة منها منطقة عزازقة وضواحيها، ولما إستطع_ استطاع _ الفرنسيون أن يستولوا على مناطق واسعة في الجزائر أعلنوا عن نيتهم في غزو بلاد القبائل فهلع المسلمون من كل مكان وهبوا إلى الشيخ المهدي يطلبون منه النصائح والإرشادات لتحديد موقفهم من غزو الكفار الذي سيدهمهم عما قريب))...

((بعد أن فكر الشيخ المهدي طويلا في الأمر _ صرح في الناس _ أنه اتخذ قرارا لا رجعة فيه وهو مغادرة هذه الأرض... لذلك استجاب لنداء الشيخ المهدي عدد هائل من الأهالي في المنطقة ولجأوا بصحبته إلى سوريا))[3]، وفي الحقيقة، كانت هذه الهجرة نتيجة

[1]– ورقة في الموضوع من الشيخ محمد الحسن عليلي حول هجرة بعض العائلات من مناطقها الأصلية، واستقرارها في أماكن أخرى.
[2] -OCTAVE DEPONT et XAVIER COPPOLANI : op, cit , p 260.
[3]– عمار هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847– 1918)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، أنظر الملاحق، ملحق 8، ص ص 311، وما بعدها.

فشل المقاومة التي قادها وتزعمها أحمد الطيب بن سالم، وهو خليفة الأمير عبد القادر على منطقة زواوة، فبعدما فشلت مقاومته في شهر فيفري 1847م، أي قبل انتهاء مقاومة الأمير بحوالي عشرة أشهر، عقد ابن سالم صلحا مع السلطات الاستعمارية اشترط عليهم فيها السماح له بالهجرة إلى الشام، وهي الشرط التي وافقت السلطات الاستعمارية عليه، فكانت تلك أول هجرة جماعية لسكان منطقة زواوة إلى الخارج[1]، وقد لبى عدد كبير من سكان المنطقة نداء الشيخ السكلاوي، الذين أقلوا سفينة نقلتهم إلى الشام منطلقة من ميناء دلس يوم 24 سبتمبر1847، وكان ضمن المهاجرين في هذه الهجرة الشيخ السكلاوي، وابن المبارك وسي الحاج عبد الله[2]، وبلغ عدد المهاجرين في هذه الرحلة حوالي 560 شخصا بين الرجال والنساء والصبيان[3].

بعد فشل ثورة المقراني، والشيخ الحداد زاد عدد المهاجرين إلى بلاد الشام الجزائريين إلى بلاد الشام، بفعل اسياسة الإستعمارية المطبقة في الجزائر، خاصة في سنوات1875،1888، 1898، وفي كل سنة من هذه السنوات أحداث وقعت في الجزائر، كان لها وقع على السكان في الجزائر عامة، وفي منطقة البحث بوجه خاص[4]

والجدول التالي يبين تطور المهاجرين الزواويين إلى بلاد الشام، والنواحي التي هاجروا منها:

السنوات	1847	1853	1854	1860	1864	1886	1888	1896	1898
ع.العائلات		7	84	39،23	90	37	37	105	38
ع.الأشخاص	560 ن[5]	90 ن	496 ن	193ن		169ن[6]	347ن [7]		600ن 750ن 378ن

---

[1]– نادية طرشون، جمال يحياوي، سهيل الخالدي: الهجرة الجزائرية نحو المشرق، أثناء الاحتلال ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث قي الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص 197، 198.

[2] - R. A, Année 1885, p 354.

[3]– طرشون وغيرها، المرجع السابق، ص 122.

[4] – سعيدي مزيان: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2009/2008، ص ص 269، 270.

[5]– طرشونو....المرجع السابق، ص 122.

[6] – هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام...، ص 312.

[7] – أجيرون: المسلمون الجزائريون و فرنشا (1871–1919) تعريب محمد حاج مسعود ، أ . بكلي ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر 2007 .،ج2 ، ص 752.

الأعراش المهاجر منها				تيزي وزو ناحية عمراوة[1]	بني غبرين			تيزي وزو دلس أزفون بجاية	إعكورن[2]

إن هذا التقرير يبين دور الشيخ السكلاوي في إثارة الناس وتشجيعهم على الهجرة نحو بلاد الشام، وذلك بعدما فشل في تنظيم المقاومة في المنطقة، ولم يجد آذانا صاغية لندائه، ففضل الهجرة على البقاء ليحيا تحت حكم الكافر، وكانت الوجهة التي توجه إليها هي بلاد الشام، وتعتبر هذه الهجرة أول جرة جماعية لسكان المنطقة إلى الخارج[3]، ولقد كان ضمن هؤلاء المهاجرين عدد من العلماء، والطلبة، والفلاحين، وكلهم اختاروا الاستقرار في بلاد الشام، وخاصة سوريا. فما هي العوامل التي جعلت هؤلاء يتوجهون إلى هذه المنطقة دون سواها؟

ترجع المصادر التاريخية عوامل استقرار هؤلاء في سوريا، إلى عدة عوامل، وأسباب، ومن بين أهمها:

1- طبيعة المنطقة: تعتبر بلاد الشام مشابهة في مناخها، وطبيعتها الجغرافية منطقة زواوة، خلافا لبلاد الحجاز التي تتميز بالطابع الصحراوي، مناخا وتربة، ونباتا، وهي المظاهر الجغرافية التي لم يألفها الزواويون الذين ألفوا مناخا معتدلا، لا يختلف كثيرا عن مناخ سوريا خاصة، وبلاد الشام عامة، فكان ذلك عاملا استقطب الزواويون إلى هذه البلاد.

2-وجود القدس الشريف في بلاد الشام: يعتبر المسجد الأقصى من الأماكن المقدسة عند كافة المسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...[4]﴾، فكان هذا المكان مقصدا مقدسا للمسلمين عامة، ومنهم الزواويون الذين تذكر الروايات التاريخية بأن

[1] – سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل،... ص ص 269، 271.

[2] – نفسه، ص 272.

[3]– هلال: المرجع السابق، ص 14.

[4]– سورة الإسراء، الآية 01.

لهم أوقافا في القدس، خاصة بالمغاربة، أوقفت لهم منذ أن فتح صلاح الين الأيوبي القدس الشريف، واسترجعه من النصارى[1].

3- تبعية بلاد الشام للدولة العثمانية: تعتبر بلاد الشام ولاية من الولايات العثمانية التي بقيت تحت حكمها، والجزائر كانت أيضا خاضعة لنفس الدولة، مما يجعل اللجوء إلى الشام بقاء تحت حكم الدولة العليا، ولعل العريضة التي تقدم بها شيوخ، وعلماء زواوة الذين استقروا بدمشق إلى السلطات العثمانية فيها يطالبون من خلالها الدولة بمساعدتهم، والوقوف إلى جانبهم، خاصة أولئك الذين لا يستطيعون العمل في الزراعة. وقد لبت الدولة مطلبهم وخصصت لهم أعطيات بلا مقابل كرواتب تصرف لهم شهريا لتأمين معيشتهم ومعيشة عيالهم [2].

لقد استقر عدد كبير من الزواويين في بلاد الشام عامة، وفي سوريا بوجه خاص بعد هذه الهجرة حتى بلغ عددهم حسب البعض حوالي 560 شخصا بين رجال ونساء وأطفال منهم من استقر بلواء عجلون بفلسطين، ومنهم من استقر في مناطق أخرى خاصة دمشق التي أحدث فيها علماء زواوة نهضة فكرية هامة لم يسبق لأحدهم إحداثها في البلاد, فما مظاهر هذه النهضة؟

إسهامات علماء زواوة في النهضة الفكرية ببلاد الشام:

لقد لعب العلماء الزواويون الذين استوطنوا بلاد الشام عامة، وسوريا بوجه خاص، دورا كبيرا في نشر التعليم، وتكوين الناس، وصقل معارفهم، كل حسب تخصصه، وإمكانياته. ومن أبرز العلماء الزواويين الذين ساهموا في النهضة الفكرية ببلاد الشام، نجد:

الشيخ المهدي السكلاوي اليراثني:

كان من العلماء الزواويين الذين استفاد العديد من علماء الجزائر من علمه قبل رحيله، ولما حل بدمشق، تقدم إليه أحد أعيان المدينة، وقال له: (يا سيدي أنا موكل بالإشراف على المدرسة الخيضرية، ولقد رأيت في الرؤيا من يأمرني أن أسلم إليك مفتاحها[3]). أخذ الشيخ المفتاح واستقر في المدرسة، وبدأ في تأدية رسالته التعليمية، فقصده الكثير من الطلبة

---

[1]- خلفات، المرجع السابق، ص ص 445، 446.

[2]- طرشون، وغيرها، المرجع السابق، ص، ص 199، 200.

[3]- محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها... ج2، ص 598.

والعلماء للأخذ عليه العلوم المختلفة، كما قصده المريدون من أتباع الطريقة الخلوتية، فكان إلى جانب نشاطه التعليمي يلقن أذكارا للمريدين[1]، مما جعله يسهم إسهاما كبيرا في إنعاش الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الشام، وهذا ما أهله ليكون قطبا من أقطاب النهضة العربية الحديثة بالمشرق الإسلامي[2]. ومن بين الذين أخذوا عليه من أعيانه سوريا الوزير أحمد عزت باشا والي دمشق، وعدد من علماء وفضلاء وحكام سوريا[3].

الشيخ محمد المبارك الدلسي:

إن الشيخ الدلسي لم يعش طويلا، إذ توفي وعمره لم يتجاوز السادسة والأربعين حولا. إلاّ أنه ساهم في الحياة الفكرية الإسلامية مساهمة كبيرة، سواء في بلاد زواوة، أو في بلاد الشام التي اتخذها موطنا ثانيا له بعد الهجرة إليها، فكانت له سمعة كبيرة في علوم شتى، مما جعل الناس يقصدونه للأخذ عنه العلوم اللغوية والدينية، وانتفع به خلق كثير. كما ساهم مساهمة فعالة في نشر الطريقة الخلوتية الرحمانية في البلاد التي حل بها. فبذل في نصح الخلق همته وأحسن إليهم نيته، وجمعهم على الملك الحق وسلك بهم مسلك الصدق، وتخرج على يده عدد كثير[4].

كان الشيخ المبارك مقصودا من قبل المريدين والراغبين في علمه بدمشق، وظل معتكفا على العبادة والتعليم، وكانت له خلوة يتعبد فيها، ولا يخرج منها إلاّ يوم الخميس، فيستقبل طلبته في هذا اليوم وزواره، ويقضي حاجاته، ثم يعود إلى مكانه ليلة الخميس. ومما نقله ابن المبارك عنه معتمدا على رواية ابنه محمد الطيب عن والدته: (أنها دخلت عليه مرة في خلوته لتحظى برؤيته وتغنم جميل زيارته، فلما أشرفت عليه اعترتها هيبة عظيمة وقشعريرة جسيمة، حتى لم تطق أن تسلم عليه ولا أن تنظر إليه، وسمعته يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة ويقول له اضمني يا رسول الله، ثم حمد الله وقال يا رسول الله اضمن أولادي ثم حمد الله، وقال يا رسول الله اضمن أزواجي ثم حمد الله، وقال يا رسول الله اضمن

---

[1]- ابن البيطار: المصدر السابق، ج 2، ص 67.

[2]- مجموعة من الأساتذة، أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، 2ج، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2004، ج 2، ص 43.

[3]- الحافظ، وأباظة، المصدر السابق، ج2، ص 598. وكذلك، ابن البيطار: المصدر نفسهن ج3، ص 1327.

[4]- مطيع، أباظة: المرجع السابق، ج2ن ص 540.

كل من تعلق بي وتلقى وردي وبقي طويلا يتضرع إليه صلى الله عليه وسلم في قبول مسئلته، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال هذا جلّ آمالي، ورحبي منك يا رسول الله ورأس مالي.

ثم سمعته يخاطب والدها _ الشيخ السكلاوي _ ويذكر له بعض الأسرار والمكاشفات[1])، فالشيخ ابن المبارك أدى دورا تعليميا، وصوفيا هاما في بلاد الشام خاصة، والأماكن التي حل فيها بوجه خاص.

الشيخ الصالح السمعوني الوغليسي:

هاجر إلى بلاد الشام ضمن الهجرة الأولى، فاتخذها محل إقامته، وموطن راحته[2]، وفيها واصل دراسته، والجلوس في حلقات علماء دمشق، فأخذ عنهم أنواع الفضائل[3]، فكانت له مكانة بين علماء دمشق في وقته، وبقي يترقى في مجالس العلم، وازدادت مكانته بين الناس، خاصة وأنه متعدد التخصصات، فكان معيدا في المسجد الأموي يدرس صحيح البخاري، كما كانت له شهرة في علم الفلك، بل تفرد فيه[4]، وأصبح مرجعا يعود العلماء والطلبة إليه، وبذلك يمكن القول، بأن الشيخ السمعوني من العلماء الزواويين القلائل الذين كانت لهم هذه المكانة في هذا العلم في الفترة الحديثة بدمشق، رغم صغر سنه.

لم يكتف الشيخ السمعوني بالتعليم فقط في بلاد الشام، بل أسندت إليه مهمة الإفتاء المالكي بدمشق، وبذلك ساهم في القضاء[5]، كما ساهم في نشر التعليم العربي الإسلامي في سوريا.

ومهما يكن، فإن علماء منطقة زواوة الذين استقروا فى بلاد الشام، كانت لهم إسهامات فكرية مختلفة، سواء في القضاء، أو السياسة. حيث تشير بعض الدراسات إلى أن الفضل في انتقال مركز القومية العربية من لبنان إلى سوريا، هم العلماء الزواويين. فبعدما كانت الإدارة العثمانية تنظر إلى أن الحركة القومية حركة مؤيدة من قبل أطراف استعمارية، لكن وقوف الأمير عبد القادر، وبعض العلماء الزواويين الذين كانوا يقدمون دروسهم في المسجد الأموي، والمدرسة الجقمقية، وكذلك في مسجد العناية، وفي دار الحديث...، وهي الدروس

---

[1]- ابن البيطار: المصدر السابق، ص ص، 586، 587. وكذلك:
- الموقع الإلكتروني.http://www.alwarraq.com
[2]- ابن البيطار: المصدر السابق، ج1، ص 327.، وكذلك الموقع السابق.
[3]- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ... ج5، ص 3.
[4]- الحافظ، أباظة: المرجع السابق، ج 2، ص 672.
[5]- نفسه، ص 673.

التي يقبل عليها الشاميين وعلمائهم والذين يعرفون توجه هؤلاء العلماء، واستماتتهم في الدفاع عن الإسلام والعروبة.

أخذت فكرة العروبة تدخل إلى بلاد الشام عن طريق هؤلاء العلماء الزواويين، وانتقلت بذلك قيادة الحركة من لبنان إلى سوريا سنة 1872[1]. غير أن أخطر هذه الإسهامات نجدها في الجانب الثقافي، فبعدما وصل المهاجرون الأوائل إلى بلاد الشام عامة وسوريا خاصة، والذين كان على رأسهم مجموعة من العلماء الزواويين الذين قاموا بتحويل الزوايا والمدارس المغلقة منذ العصر المملوكي الذين حولوها إلى مخازن، وخانات. حولها هؤلاء العلماء إلى أماكن لإلقاء الدروس، وتعليم العلوم المختلفة، ومن بين أولئك العلماء الزواويين الذين نظموا أوقاتا لإلقاء الدروس في هذه المساجد، الشيخ السكلاوي، الذي كان يلقي دروسه في مسجد العناية بدمشق، فأعاد علماء زواوة دور المسجد في التعليم ببلاد الشام[2].

وعلى العموم، فإن المتتبع لإسهامات العلماء الزواويين خلال الفترة الحديثة، سواء في منطقة البحث، أو في المناطق التي هاجروا إليها مغاربيا، أو في المشرق. يستخلص بأن هؤلاء العلماء على الرغم من قلتهم، قد تركوا إسهامات هامة في الحياة الفكرية الإسلامية، من خلال الأدوار التي قاموا بها في نشر العلم والمعرفة، فأثروا وتأثروا، وأعطوا وأخذوا، ولم يحتكروا العلوم والأفكار، بل أنهم كانوا متفتحين على إخوانهم العلماء في المغرب الإسلامي، ومشرقه. فاشتهر البعض منهم ونبغوا بين علماء وقتهم. وهذا ما يجعلنا نقرّ بأن هذه المنطقة قد ساهمت في إثراء الرصيد الفكري للعالم الإسلامي خلال الفترة الحديثة.

---

[1]– طرشون، وغيرها: المرجع السابق، ص، ص 293، 294.

[2]– نفسه: ص 298.

الفصل الثاني :

دورهم علماء الزواوة في الحياة الاجتماعية:

العلماء ورثة الأنبياء، ودورهم في المجتمعات لا يقتصر على تعليم الناس أمور الدنيا، والدين، بل يتعدى دورهم إلى تنظيم حياة أفراد المجتمع، خاصة في المجتمعات التي لاينصاغ أفرادها إلى القوى السياسية بقدر ما ينصاغون إلى القوى الدينية كمنطقة زواوة. ولذلك أرى أن علماء المنطقة، لم يكن دورهم مقتصرا على التعليم والأمور الشرعية فقط، بل نجدهم قد ساهموا في تنظيم الأمور الحياتية اليومية لسكان المنطقة، خاصة في غياب سلطة سياسية ثابتة، وتظهر أدوار وإسهامات هؤلاء العلماء والفقهاء والمرابطين في الجوانب التالية:

إصلاح ذات البين: إن الفراغ السياسي الذي عاشته المنطقة خلال فترة البحث، جعل العلماء، والأشراف المرابطين الذين يمثلون نخبة المجتمع في المنطقة، يقومون بدور اجتماعي بين السكان، خاصة وأن المجتمع المحلي يغلب عليه طابع الصفوف[1] والأحلاف، إما نتيجة النظام القبلي الذي عاشته المنطقة، خاصة في الجهات الجبلية المنيعة الذي ساعد على نمو الإحساس بالانتساب إلى القرية (الدشرة) التي تمثل الوحدة الأساسية للنظام الاجتماعي في منطقة البحث[2]، أو نتيجة الصراع الذي تغذيه السلطة المركزية بين قبائل المنطقة وسكانها مما جعل العلماء يملؤون هذا الفراغ الذي عاشه المجتمع المحلي، فأصبحوا هم الذين يتدخلون للإصلاح ذات البين بين المتخاصمين.

فالشيوخ، والأولياء، والصالحين يتموقعون تعظيما في قمة الهرم الاجتماعي[3]، وإلى هؤلاء يرجع السكان لحل خلافاتهم، ومشاكلهم، وهم الذين يتدخلون للحد من اتساع الخلاف بين الناس. ومن أمثلة ذلك ما قام به العالم والولي الصالح علي أوطالب، صاحب زاوية كوكو بعرش بني يحيى فقد تمكن الشيخ من إخماد الصراع الذي نشب بين أفراد العائلة القاضوية بعد اغتيال أعمر أوالقاضي سنة 1629م. فعندما عاد إبنه أحمد الملقب بالتونسي، سعى إلى الانتقام من قتلة والده.

---

[1]– شالر: المصدر السابق، ص ص 141، 146.

[2]– سعيدوني: مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية... ص 2.

[3]– محمد جلاوي: تطور الشعر القبائلي وخصائصه (بين التقليد والحداثة)، 2ج، المحافظة السامية للأمازيغية، الجزائر، 2009، ج1، ص 226.

لم يتوقف الصراع المحتدم بين أعمام الإبن أحمد المغتالين لوالده إلّا بعد تدخل الشيخ على أوطالب الذي أوقف الصراع، وحال دون وقوع حرب بين أفراد هذه العائلة[1].

المثال الثاني: الذي يمكن من خلاله توضيح الدور الهام الذي قام به العلماء في إصلاح ذات البين، ما أورده الشيخ الورثيلاني الذي سخر جهده، ووقته، وعلمه لتحقيق هذه الغاية، وتحكيم شرع الله فيما اختلف فيه الناس. حيث ذكر من بين الوقائع التي أشرف على إصلاح ذات البين فيها، وكانت سببا من بين الأسباب التي جعلته يقوم بسياحته في منطقة زواوة ما ذكره في قوله:(...فانفصلنا من مقامنا – قريته ببني ورثيلان – بنية الزيارة و قضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين...)[2]. ومن الذين ذكرهم في رحلته، وبيّن لنا الصراع القائم بين أفراد أولاد سيدي بهلول بن عاصم[3] بناحية مشدالة، وقد كان الخصام والصراع، بل الحرب قائمة بين أفراد هذه القبيلة، وذكر ذلك في قوله (... فلما وصلنا قرية أولاد سيدي بهلول فعلوا ما أمرناهم به من الصلح مع أعدائهم، وردهم إلى محلهم لأنهم حرّقوهم بالنار، وأخذوا وقتلوا منهم ثلاثين...)[4].

واكثر من ذلك، فإن الزواويين في صراعاتهم المحلية، يتركون الباب مفتوحا لكل محاولات التصالح بين المتخاصمين، والتي تكون عادة عن طريق العلماء والمرابطين الذين يتدخلون لإصلاح ذات البين، ويوقفون الحروب بين الصفوف المتخاصمة، مطبقين في الصلح الشريعة الإسلامية (رَبِّي ذَا النّْبِي)[5].

كان إصلاح ذات البين، من بين الأعمال الجليلة التي قام بها علماء المنطقة، فقد لعبوا بواسطة مؤسساتهم العلمية، من المعمرات، والمساجد المتواجدة في جميع النواحي دورا كبيرا في فضّ النزاعات التي كانت تعصف بالمنطقة من حين إلى آخر[6]، وكان لشيوخ هذه

---

[1] - Boulifa : op,cit, p214.

[2] – الرحلة... ج1، ص 45.

[3] – بهلول بن عاصم: هو الولي الصالح والشريف الواضح... اشتهر بأنه تلميذ الشيخ العدلي الذي زوجه بينته. أسس زاوية له بعد اتمام دراسته بناحية بني منصور. أنظر عنه:

– الحفناوي: المصدرالسابق، ج 1، ص ص 363، 364. انتقل بهلول بن عاصم من هذه الناحية هو، أو أحد أبنائه إلى ناحية عزازقة، فأسس فيها زاوية أخرى بقرية شرفة نبهلول. أنظر:

- Madjid Chrifi: Chorfa N'bahloul et les chorfa du Maghreb, impression F. I. G industries graphiques, Alger, 2005, p p 31, 36.

[4] –الورثيلاني: المصدر السابق، ج 1، ص 57.

[5] - Dahbia Abrous : La Société des Missionaires d'Afrique a' l'épreve du muthe Bebére Kabylie – Aurès – Mzab , E'ditions PEETERS, Paris, Louvain, 2007, p 28.

[6] - Boulifa : op, cit, p p128,129.

المعمرات الفضل الكبير في الإصلاح بين الأفراد، ولمّ شمل الأعراش التي كان كثيرا ما يدب بينها النزاع والصراع. وهو الدور الذي دأب عليه علماء المنطقة وشيوخها للمحافظة على البناء الاجتماعي في الريف على وجه الخصوص. هذا من جهة، وعلى تطبيق نصوص الشريعة الإسلامية بين السكان المتخاصمين المتنازعين، إمتثالا لقوله تعالى﴿... فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله...﴾[1] من جهة ثانية.

لم يتوقف تدخل العلماء في فض الخلاف بين السكان، بل تعداه إلى توسطهم في توقيف الصراع والنزاع بين السلطة المركزية بالجزائر، وسكان عرش بني جناد الذين عارضوا استغلال أشجار غابة ثامغوط، وذلك بتدخل العالم، والولي الصالح سيدي منصور[2].

فإصلاح ذات البين، تعد من الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها المشايخ و الأئمة، والعلماء ليس في المنطقة فحسب. بل في مختلف بلدان العالم الإسلامي، وقد جعل الورثيلاني ذلك واجبا على العلماء الذين يُقبل منهم التدخل في إصلاح ذات البين، مستدلا في ذلك بقول علماء بجاية الذين أفتوا بتحريم النظر إلى المتحاربين و مخالطتهم، ووجوب الإصلاح فيما بينهم[3]. خاصة إذا علمنا بأن المنطقة خالية من حكم السلطان، والذين يتولون هذه المهمة هم العلماء، والصالحون من المرابطين الذين يلتجئون في كثير من الأحيان إلى الحكام من أجل إحلال السلم و إخماد نار الفتنة.

التقاضي: إلى جانب تدخل العلماء لإصلاح ذات البين، فإنهم يمثلون في النواحي الداخلية الممتنعة السلطة القضائية، فيحكّمون في ذلك الكتاب والسنة النبوية، واجتهاد بعضهم فيما لم يرد فيه نص شرعي. فالتقاضي بين المتخاصمين يقع في أماكن محدودة ومعينة، فإن كان المتقاضيين من نفس القرية أو العرش، فإن المكان المخصص عادة هو المسجد، لكون الإمام هو بمثابة قاضي الجماعة. وإن كان المتخاصمون من خارج العرش، فإن العالم القاضي الفقيه، يقابل المتخاصمين خارج القرية في مكان معين يعرف بـ:(الشريعة)، وقد نجد الكثير من الأماكن التي يقصدها المتخاصمون تعرف بهذا الاسم أو

---

[1]- سورة النساء، الآية 59.

[2] -Boyer, « contribution religieuse des Turks dans la Régence d'Alger »,IN, R.O.M.M .no,1, 1er semestre, Aix en Provence, France, 1966,

[3]- المصدر السابق، ج1' ص 46.

باسم (إشرعيون)، وعادة نجد هذه الأماكن بالقرب من القرى التي يتواجد بها العلماء، والمرابطين الذين يتحاكم الناس إليهم.

أما المداولات العامة للقضاء، فإنها تتم عادة في الأماكن العمومية، خاصة منها الأسواق الأسبوعية[1]، وأحكام القضاء لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية في معظمها[2]، وفي كثير من الأحيان، نجد هناك أسرا من سكان المنطقة مشتهرة بالتقاضي. وفي الغالب يكونون من فئة المرابطين[3]، الذين يتمتعون بمكانة مرموقة بين سكان المنطقة، وكلمة هؤلاء المرابطين مسموعة ومحترمة بين الناس جميعا، وعادة هم الذين يسكتون لغة السلاح، ويتدخلون لإخماد الفتن والحروب بين الناس، وقد اشتهرت الكثير من العائلات التي يقصدها المتخاصمون للحكم فيما هم فيه مختلفون. ولعل العائلات التي تحمل الآن ألقاب القاضي، وبلقاضي، ولفقي، والشيخ، وغيرها من الألقاب التي تعد بمثابة دلالة على دور هذه الأسر في التقاضي بين المتخاصمين، وبالنسبة للأحكام القضائية. ففيها ما يتم قبوله من طرف المتقاضيين ومنها ما يتم فيها الاستئناف. وقد ذكرت الوثائق التاريخية أن بعض الحالات تطلبت تدخل الداي نفسه في إعادة النظر في الحكم الذي صدر من قبل قضاة المنطقة[4]. وهذا مما يدل على أن التقاضي يتدرج الحكم فيه من القرية إلى العرش، إلى أعلى هيئة قضائية في الدولة.

وعلى كل، فإن المنطقة اشتهرت بالعديد من مراكز التقاضي خلال فترة البحث، سواء في زواوة الغربية، أو الشرقية. وهي المراكز التي كانت لها مكانة هامة بين سكان المنطقة فيما يتعلق بالتقاضي، ويعود إليها المتخاصمون لحل مشاكلهم، وتحكيم شرع الله تعالى في قضاياهم[5].

هذا في النواحي الجبلية الممتنعة. أما الجهات الخاضعة للسلطة المركزية، كمدينة بجاية التي كانت فيها نوبة وحامية تركية، فإن القضاء فيها يتم عند القضاة الذين تعينهم السلطة المركزية في هذه المدينة. وقد دلت الوثائق التاريخية التي تمكننا من الاطلاع عليها على تعيين قضاة من طرف الداي في المدينة، بحيث ورد في الرسالة التي يعود تاريخها إلى

---

[1] – المجهول: سيرة زواوة... ورقة 10 وجه.

[2] – محمد سي يوسف: "الشريعة الإسلامية كمصدر للقانون العرفي في بلاد القبائل"، في: الملتقى المنظم من قبل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، حول البعد الروحي في الثقافة الأمازيغية، باتنة، 3 و4 ديسمبر 2005.

[3] -Hanoteau et Letourneux : op, cit,T 2,p 64.

[4] – قسم المخطوطات، م.و.ج، رقم 3206، ورقة 16

[5] – أنظر: آيت سوكي، مرجع سابق، ص ص 120.. 121

1201هـ /1713م تعيين العالم الأكمل السيد (محمد بن السيد الحسين) قاضيا مرضيا و ثقة محضيا ببلد بجاية يحكم بين الناس فيما لهم وعليهم، سالكا في ذلك أحسن المسالك حاكما بالمشهور من مذهب الإمام مالك [1]. وهذه الرسالة موجهة من طرف الداي إلى سكان بجاية يخبرهم فيها بهذا التعيين.

كذلك عثرنا على رسالة أخرى، موجهة من الدولاتي محمد باشا إلى سكان المدينة أيضا مؤرخة ب 1212هـ/1736م، أي بعد إحدى عشر سنة تقريبا من التعيين الأول، ونصت على تعيين القاضي السيد (الحسين بن محمد) قاضيا في المدينة لحل النزاعات والخصومات على مذهب الإمام مالك (ض)[2].

ومهما يكن، فإن المشايخ العلماء، والمرابطين في المنطقة، لهم دور كبير في إصدار الأحكام الشرعية، والتقاضي بين الناس، مما جنّب المنطقة صراعا وحروبا بين الصفوف المتناحرة، وأعراش المنطقة.

مساعدة الفقراء و المحتاجين:

من بين الأدوار التي قام بها علماء ومشايخ المنطقة, تقديم يد المساعدة للمحتاجين من الفقراء، وعابري السبيل. فكانت المعمرات، والمساجد المنتشرة في ربوع هذه المنطقة الريفية مأوى للفقراء والمحتاجين, وعابري السبيل. فلا تخلو قرية من قرى المنطقة من مكان مخصص لهم, وعادة يكون هذا المكان ملحقا بمسجد القرية و يحوي إسطبلا للحيوانات, وقاعة للنوم. أما تموين المسافرين، فيكون من قبل سكان القرية، وإلى هذا يشير(أبو يعلى الزواوي) في سياق حديثه عن محامد زواوة فيقول: (ومن محامد الزواوة إطعام البائس الفقير بقواعد و نظامات خاصة عجيبة، بحيث لا يبيت الإنسان الأجنبي عندهم بلا شيء و عنايتهم بالأجنبي أكثر أيا كان)[3].

أما المعمرات التي غالبا ما تكون بمثابة مأوى يقصده الفقراء والمساكين والمسافرون، فإن الأرزاق التي تتحصل عليها من أوقافها، والزكاة، وعشر الإنتاج الفلاحي، وكذلك الصدقات والتبرعات (الوعدة) التي يقدمها المحسنون والزائرون لهذه المعمرات، فهي بمثابة موارد تعود

[1]- قسم المخطوطات، م.و.ج، رقم 3206، ورقة 43

[2]- قسم المخطوطات، م.و.ج، رقم 3206، ورقة 44

[3]- تاريخ زواوة...، ص 107.

بالفائدة على المحتاجين من الفقراء والمساكين، وهذا ما يقلل بؤس وحرمان أفراد المجتمع المحلي، كما تساهم في إبعاد شبح التشرد عن سكان الريف في هذه المنطقة[1]. فبفضل سلوك شيوخ هذه المعمرات (الزوايا)، و تقربهم من أفراد المجتمع، اكتسبوا احتراما كبيرا من لدنهم، و أصبح للمعمرات و الزوايا شأن عظيم بين الناس، فكان لها وجود اجتماعي كبير[2]. بل تحولت هذه الأماكن إلى عقل المنطقة، و منبع العدل ومكان تقسيم الثروات[3]، فتحولت هذه المؤسسات إلى أماكن ذات أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة نتيجة ما تقدمه من خدمات[4]، سواء في وقت الحرب. أين تتحول هذه المؤسسات إلى مستشفيات لعلاج المرضى، وأماكن يلجأ إليها المحاربون. وفي وقت السلم فإنها تؤدي أدوارا اجتماعية مختلفة. فهي بمثابة المحاكم الشرعية لحل مشاكل الناس، والفصل في القضايا الشرعية التي تعرض على علماء ومشايخ المعمرة، أما بالنسبة لعابري السبيل، فإنها تمثل بيتا للضيافة، وكذلك بالنسبة للغرباء والفقراء، والمساكين الذين يجدون كل ما يحتاجون إليه في مثل هذه المؤسسات مهما طالت مدة إقامتهم بها[5].

ومهما يكن، فإن المعمرات، وشيوخها، يعتبرون بمثابة سند يساعد الفقراء والمحتاجين أيام المحن والشدائد، فتتحول إلى ممون للجائعين الفقراء، والبائسين المعوزين الذين اضطرتهم ظروف الحياة إلى الالتجاء إليها خاصة سنوات القحط والمجاعات التي تتعرض لها البلاد، مما يجعل شيوخ الزوايا والقائمين عليها يفتحون خزائن، ومطامير هذه المؤسسات لتوفير حاجات الناس الغذائية، فتقدم المساعدة لكل المحتاجين للغذاء بمختلف أنواعه[6]. لقد ساعد دورها الاجتماعي التضامني الذي قام به شيوخ المعمرات، الكثير من المحسنين على توقيف وحبس أملاكهم وعقاراتهم لهذه المعمرات، وساهم ذلك في التكافل الاجتماعي بين الناس من جهة، والزوايا(المعمرات) التي تحولت إلى مؤسسات تحتوي على كل ما يحتاج إليه الطلبة من مئونة كمطحنة الحبوب، ومعصرة الزيتون، فهي تقدم خدماتها للطلبة، والزوار إضافة إلى

---

[1]– قاسيمي: قيادة سيباو (1132هـ–1720م)–(1247هـ–1857م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2006–2007، ص 40.

[2]– نسيب: المرجع السابق، ص 29.

[3] -Stora Ben jamin et Akram Ellyas:Les 100 portes du Maghreb (Algérhe, le Maroc; la Tunisie)trios voies singulière pour allier Islam et Modernitié, les editions de l'Atelier, editions Ouvières, Paris,1999, p 123.

[4]– الزواوي: المرجع السابق، ص 118.

[5]– الجنادي: أوضح الدلائل... ص ص 58، 59.

[6] - Coppolani : op, cit, p 230.

السكان في وقت الشدة. فكان دور المعمرات (الزوايا) من الجوانب التي ساهمت إلى حد ما في الاستقرار الاجتماعي لسكان المنطقة[1]، فيجدون فيها راحتهم النفسية لكونهم ينظرون إلى شيخ الزاوية نظرة تجعلهم يعتقدون بأنه رجل سخره الله تعالى لخدمة الناس وفعل الخير[2].

إن الشيخ الذي عادة يُنظر إليه بأنه عالم في المنطقة، له نفوذ كبير في المجتمع المحلي فكلمته نافذة، بل تكون كلمته أكثر نفوذا بين سكان المجتمع الزواوي من كلمة شيخ القبيلة، وحتى الباي، مما يجعل الشيخ أو المرابط، من بين الشخصيات التي تعمل السلطة التقرب إليها، واستمالتها بمختلف الإغراءات. حتى بالنسبة للأسر النافذة في المنطقة، فهي كذلك تتقرب إلى العلماء، والمشايخ من أجل دورهم في الحياة الاجتماعية ومكانتهم بين سكان المجتمع المحلي[3].

و على كل، فإن أدوار مشايخ وعلماء المنطقة في الحياة الاجتماعية متعددة، ولا يمكن إغفالها، سواء تعلق الأمر بتقديم يد المساعدة للمحتاجين، أو إيواء المعوزين، أوتقديم الحماية للمضطهدين من جور الحكام، والمسؤولين. فتعاظم شأن شيخ المعمرة على حساب زعيم القبيلة، وهو الأمر غير المألوف في منطقة البحث من قبل. إذ ذهب (بوليفة) في هذا الجانب إلى القول: "ربما لأول مرة منذ أن كانت المنطقة خاضعة للشريعة الإسلامية تشعر هذه المنطقة المتميزة بالديمقراطية واللائكية[4] بأنها مهددة في حريتها من قبل الأتراك والأمراء الإقطاعيين، فلجأت إلى الإحتماء بالقرآن الكريم[5].

إن دور علماء زواوة في الحياة الاجتماعية بين السكان، لا يتوقف على ما ذكرناه، بل يتعداه إلى جوانب أخرى لها مكانتها في المجتمع. فالشيخ والإمام، والعالم يؤدون أدوارا أخرى ذات أهمية كبيرة، فإلى جانب كونهم مربين، وقضاة، ومساعدين للناس في التغلب على مشاكل الحياة اليومية، فإنهم كذلك يقومون بأعمال أخرى إدارية، فهم الذين يوثقون العقود

---

[1]– ترمنقهام: المرجع السابق، ص 349.

[2] - Murati : le Maraboutisme ou la Naissance d'Une Famille …p 14.

[3]– عمراوي: المرجع السابق، ص 211.

[4]–اللائكية في نظر بوليفة، هي التي يمثلها الأفراد الذين لا ينتسبون إلى الأسر الشريفة، والمرابطة ، وأعتقد بأن هذا التعريف الذي استخدمه بوليفة لا ينطبق على الواقع المحلي، إذ أن هناك أفراد غير مرابطين، ويمارسون الشعائر الدينية ويلتزمون الشريعة الإسلامية، بل أن الذين يصفهم باللائكيين، يلتزمون بالإسلام عقيدة ومنهجا، فيصومون، ويصلون، ويحجون، ويقومون بكل الفرائض، والشعائر الدينية التي توارثوها أبا عن جد، وهي الظاهرة التي يمكن تسميتها بالإسلام الشعبي. ولهذا، أعتقد أن التعبير الذي وظفه بوليفة في هذا المكان مصطلح غربي لا يمكن توظيفه في المجتمع الزواوي.

[5]- Murati: op, cit, p 128.

المختلفة، سواء كانت عقود البيع أو الشراء، أو التحبيس والوقف، وقد عثرت على مجموعة من العقود التي تبين دور هؤلاء العلماء في كتابة العقود، ومنها ما استلمته من الباحث الدكتور: محمد أرزقي فراد، الذي زودني بمجموعة من عقود عائلة أومحجوبة من بني يعلا، وهي عقود توضح دور المرأة في المنطقة في الوقف الخيري للأملاك التي تمتلكها على العلماء الذين يشرفون على تسيير المعمرات[1]، أو عقود التركات والميراث الذي عرف نقاشا كبيرا بين علماء المنطقة، خاصة في القرن الثاني عشر الهجري/ 18م. فبعد أمرية 1749 التي منعت المرأة الزواوية من الميراث، شهدت المنطقة نقاشا حادا بين علمائها، ومن الشيوخ، وعلماء المنطقة الذين عارضوا هذه الأمرية الشيخ الورثيلاني، الذي وقف في وجه تطبيق هذه الوثيقة، وحاول جمع رأي علماء المنطقة لإبطال مفعولها، فانتقل إلى زواوة الغربية، وإلى قرية تدلس(دلس) لملاقاة العلماء وتوحيد الموقف من أجل إلغاء ما جاء في هذه الأمرية التي تخالف النص القرآني الذي بيّن نصيب المرأة من الميراث[2]. قال تعالى: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ...﴾[3].

وعلى كل، فإن الكثير من علماء المنطقة، ومن خلال الوثائق التي تمكنا من الاطلاع عليها حاولوا تطبيق الحكم الشرعي فيما يتعلق بالمرأة الزواوية، حتى وإن كانت بعض النواحي ترى في حصول المرأة على نصيبها من الأمور القبيحة المذمومة في المجتمع المحلي، فالوثائق تبين بأن الذين عملوا على تسجيل هذه العقود من العلماء والفقهاء الذين لهم باع كبير في الجانب الفقهي، واشتهرت الكثير من الأسر في هذا المجال، سواء في زواوة الغربية أو الشرقية، إلا أن الملاحظة التي يمكن الإشارة أليها، تتمثل في كون معظم هذه الوثائق ضاعت لظروف سياسية وطبيعية واجتماعية، والباقي منها عند بعض العائلات المحلية التي مازالت تحتفظ ببعض هذه العقود.

يعتبر دور علماء الزواوة في الحياة الاجتماعية هاما، لأنهم تمكنوا من تنظيم المجتمع المحلي رغم الفراغ السياسي الذي كان يعاني منه، فأصبحت كلمتهم أشد وقعا على السكان

---

[1] – أنظر نماذج من هذه العقود في الملاحق.

[2]– أنظر: الرحلة... ج1 ص 57، وما بعدها. وعن هذه الأمرية، يمكن العودة إلى:

– أحمد ساحي: ميراث المرأة بين المنع والشرع مداولة 1749(أعلام الزواوة2)، دار التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1995.

[3]– سورة النساء، الآية 11.

من كلمة أي شخص أخر، و ذلك لطبيعة الزواويين المتسمة بعدم الرضوخ للسلطة السياسية، فهم متشبثون بمعتقدهم الديني ومتصلبون في العبادة[1]، مما جعل العلماء و شيوخ المعمرات يجدون في هؤلاء أذانا صاغية لتنفيذ كلامهم، ومشروعهم الاجتماعي.

---

[1] – شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسيرن القوميات الإسلامية والسياسة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم، والطيب لمهيري، الصادق المقدم، فتحي زهيرن الحبيب الشطي، مراجعة: فريد السوداني، الدار التونسية للنشر(تونس)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396هـ/ 1976، ص 23.

الفصل الثالث :

دور علماء زواوة في الحياة الاقتصادية بالمنطقة

تعتبر الحياة الاقتصادية في المنطقة، من الجوانب الهامة التي لعبت دورا كبيرا في استقرارها، والعلماء فئة متميزة من فئات المجتمع المحلي، و كان لهم دور في تنظيم هذا الجانب، والاستفادة منه، خاصة وأن السلطة المركزية ليس لها اهتمام مباشر بهذه الفئة، لا من حيث تخصيص الرواتب الشهرية لها، أو تقديم المساعدة المالية للمؤسسات التي يشرفون عليها. وحتى نتمكن من تحليل هذا الجانب نتساءل: عن الدور الذي لعبه العلماء و المشايخ في المنطقة، فكيف كان تدخلهم في الحياة الاقتصادية، وما هي نظرة سكان المنطقة لهذه الفئة؟

إن الإجابة على هذا التساؤل، يدفعنا إلى تتبع مصادر تموين المؤسسات التعليمية من الكتاتيب والمساجد والزوايا (المعمرات) المنتشرة في مختلف نواحي وقرى المنطقة، وكذلك موقف العائلات النافذة، والحكام، ونظرتهم نحو هذه الفئة.

مصادر تموين المؤسسات التعليمية:

على كل، إن أهم المصادر التموينية للمؤسسات التي يشرف عليها علماء، ومشايخ المنطقة تأتي من مصدرين رئيسيين هما:

المصدر الأول: المساعدات والهبات، والتبرعات التي يقدمها المحسنون من سكان المنطقة وغيرها من المناطق، سواء كانت هذه المساعدات مواد غذائية، كالحبوب، والزيتون والغلات الفلاحية الأخرى التي تنتج محليا، أوفي الهضاب العليا، إذ يكلف شيوخ الزوايا والعلماء طلبتهم بالخروج في مواسم الحصاد وجني الإنتاج الزراعي إلى القرى القريبة من محيط الزاوية، وحتى الأماكن البعيدة من أجل جمع عشر الإنتاج، و كذا الزكاة التي يقدمها المنتجون والفلاحون لهذه المؤسسات، و يخضع الطلبة بعد خروجهم من المعمرة إلى قانون صارم حفاظا على سمعة الزاوية خاصة في مثل هذه المهام التي تهدف إلى جمع الصدقات و الزكاة وغير ذلك من مواد تموين هذه المؤسسات. فالطلبة يتناوبون في مثل هذه المهام التي نجد اختلافا في تسميتها من زاوية إلى أخرى. ففي زاوية الشيخ العالم الرباني يحيى العدلي، بعرش بني عيدل. تعرف تسمية العملية باسم (الشحاتة) التي تستغرق يوما، أو عدة

أيام، وذلك حسب المكان المقصود من الطلبة[1]. وفي زاوية العالم الجليل: سيدي عبد الرحمن اليلولي بعرش إيلولة أومالو، فإن الطلبة المكلفون بالمهمة تختلف تسميتهم باختلاف عدد الأيام التي تستغرقها العملية، فهناك مهام تستغرق يوما واحدا، وتعرف بالعرشية لكونها تكون بعرش المعمرة. ومهام أخرى تتطلب يومين أو ثلاثة أيام، وتعرف بالعباسية[2]، والمجانية[3]، وأخرى تستغرق أسبوعا. وأطول مهمة تستغرق شهرين كاملين تسمى هذه المهمة (الصيفية). والمهمة الأخيرة لا يقوم بها طالب الزاوية إلا مرة واحدة ولو بقي في الزاوية طول حياته[4]، وخلال هذه المدة التي يقضيها الطالب في مزرعة الزاوية بأقبو يعمل في المزرعة، ويواصل دراسته وحفظه للقرآن الكريم، فهو يمثل الزاوية رغم بعده عنها، ويظل مطبقا لقوانينها النظامية التي تعود عليها أثناء إقامته بالزاوية.

أما الهبات، والمساعدات المالية، والغذائية والحيوانية، فعادة ما يأتي بها القادمون لزيارة شيخ الزاوية، أو أثناء قدوم عناصر متخاصمة يريدون حل مشاكلهم التي استعصت عليهم، فيحضرون معهم هدايا مختلفة تدخل ضمن مصادر تموين المعمرة وشيخها، وتتوقف أهمية هذه الهدايا والهبات على سمعة شيخ الزاوية ومكانتها بين الناس، وهذا ما يبين دور شيوخ الزوايا في مواردها المالية.

المصدر الثاني: الأوقاف والحبوس التي يوقفها الناس، أو يحبسونها على هذه المؤسسات[5]. إن الأوقاف، تعتبر من أهم المصادر التي تعتمد عليها المؤسسات الخيرية، والتربوية، في الجزائر خلال الفترة الحديثة، وهي متنوعة. فمنها الأراضي الزراعية، وحقول الأشجار المثمرة خاصة التين والزيتون، وكذلك المحلات التجارية، والحمامات المعدنية، والحيوانات المختلفة ....، و تدر هذه الحبوس والموقوفات على شيوخ، وعلماء المنطقة أموالا تساعدهم في حياتهم اليومية، وتوفير ما يحتاج إليه طلبتهم من ضروريات الحياة، كما يستخدمون هذه المداخيل

---

[1]– معلومات من كبار طلبة الزاوية، وشيخها العالم محمد طاهر آيت علجت.

[2]– العباسية نسبة إلى عرش بني عباس القريب إلى أقبو، لأن طلبة الزاوية يتجهون إلى هذا العرش لجمع المساعدات المختلفة.

[3]– المجانية: نسبة إلى مجانة القريبة إلى مدينة برج بوعريريج.

[4]– نسيب: المرجع السابق، ص ص 142، 143.

[5]– مقران إيسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920. 1954)، بحث لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر، 1411/ 1991. ص 23.، وللتوسع أكثر، يمكن العودة إلى:

– يحي بوعزيز: "أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19و 20"، في: مجلة الثقافة، ع 63، السنة 1981، ص 23.

في إنارة، وتنظيف، وتبييض، وتأثيث، وصيانة هذه المؤسسات، بالإضافة إلى الإنفاق على المشايخ، والمعلمين في المؤسسة.

إن الأهمية التي تكتسيها الأوقاف في تمويل، وتموين المؤسسات الخيرية، والتعليمية أرى من الضروري التعرض إلى هذه الظاهرة في منطقة البحث خلال الفترة المدروسة.

الوقف عبارة عن أراض وعقارات يمكن استخدامها للاستفادة منها من قبل الموقف له[1]، فهو عبارة عن ملك موقوف لا يباع، ولا يورث، ولا يوهب، وإنما هو صدقة جارية[2]، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[3]. هذا ويرى البعض بأن الأراضي الوقفية، هي التابعة إلى المؤسسات الدينية فقط، كالمساجد، والزوايا، ومؤسسة الحرمين الشريفين، والتي يتولى تسييرها الوكيل، ويكون تحت إشراف الناظر[4].

ومهما يكن، فإن الوقف له دور كبير في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، ومن خلاله يمكن تحديد دور العلماء وشيوخ زوايا المنطقة من حيث كثرة الأحباس الموقوفة على المؤسسات الدينية، وكذلك استغلالها والاهتمام بها.

والوقف ينقسم إلى قسمين رئيسيين، هما: الوقف الخيري، أو ما يعرف بالوقف العام، وهو الوقف الذي يعود مردوه مباشرة على الموقوف له، وذلك عملا بأحكام مذهب الإمام مالك بن أنس(ض) المنتشر في المغرب الإسلامي عامة ، ومنطقة البحث خاصة، وعلى الرغم من قلة الأراضي والعقارات الموقوفة للمعمرات (لزوايا) في المنطقة، مقارنة بالحواضر والمدن، وذلك لاعتبارات متعلقة بطبيعة المنطقة، وقلة المساحات الزراعية فيها، وارتباط السكان بالأرض، وكذلك الاهتمام المباشر من قبل سكان المنطقة بالزوايا، وما يحتاج إليه الطلبة وشيخ الزاوية. فإن بعضا من شيوخ معمرات (زوايا) المنطقة يعتبرون الأملاك الموقوفة على الزاوية ملكا خاصا لهم ولذريتهم، كما هو شأن زاوية ابن علي الشريف الشلاطي، وزاوية الشيخ الحداد ببني عيدل، وغيرهما من زوايا المنطقة، خاصة الزوايا

---

[1] - HANOTEAU et LETORNEUX , op, cit, T2 ,p 172.

[2] – أبو القاسم سعد الله: " وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين (الوقف والزكاة)، في: مجلة الحياة ، ع: 8، تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، الجزائر، رمضان 1425هـ/ نوفمبر 2004، ص 93.

[3] – حديث صحيح، رواه نافع عن ابن عمر (ض)، أنظر:

– الجامع الصحيح...، ج5، ص 73.

[4] - VAYSSETTESN, « Histoire des Derniers Bays de Constantine »IN, R. A no 7,année 1863, p 116.

العائلية التي توارث أبناء المؤسس تسييرها والإشراف عليها، أو ما يمكن تسميته بالزوايا العائلية[1].

وعلى كل، ومهما كانت الأحباس الموقوفة على هذه المؤسسات، فإنها من أهم المصادر التي تعتمد عليها المعمرات (الزوايا)، والمساجد، والكتاتيب في منطقة البحث للإنفاق على الطلبة، والشيوخ، وعابري السبيل، والفقراء. وحسبنا في ذلك، أوقاف زاوية الشيخ الحداد الرحمانية بصدوق أوفلة، والتي تبين الإحصائيات بأن أملاكها قبل تعرضها إلى المصادرة من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي بعد ثورة 1871 كانت تتمثل في:

- أملاك عقارية تجاوزت مساحتها 500 هكتار، وتحتوي على:

ستة بساتين مسقية خاصة بالخضر والفواكه.

14528 شجرة مثمرة أغلبها من أشجار الزيتون، والباقي تين ورمان.

ستة أحواش تحتوي على 41 غرفة وبيتا.

15 دكانا ومخزن للتجارة.

ثلاثة إسطبلات.

ثلاث رحى لرحى الحبوب.

معصرة لعصر الزيتون[2].

فهذه الزاوية تعتبر من الزوايا الميسورة الحال من الناحية المادية بالنظر إلى أوقافها، وكذلك المداخيل التي تأتيها من أموال الصدقات، وهبات الإخوان. وتستغل هذه الأموال في الإنفاق على الطلبة وأئمة الزوايا ومشايخها، وكذلك إطعام الفقراء والمساكين[3]، وهذا ما جعل مردود معظم هذه الزوايا معتبرا، وكافيا لمتطلبات الزوايا الضرورية وقاصديها من الفقراء والمحتاجين، وابن السبيل.

أما القسم الثاني، من أنواع الوقف: فهو الوقف الأهلي أو المعروف كذلك بالوقف الذري. لقد انتشر هذا النوع من الوقف في الجزائر خلال الفترة الحديثة بصورة كبيرة خاصة في المدن من قبل الأتراك العثمانيين، وذلك خوفا من مصادرة أملاكهم، وتأميمها من قبل

---

[1]- أنظر حول هذه الظاهرة: سعيدوني: الزوايا ... ، ص 8.

[2]- بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 11...28.

[3]- بطاش علي: لمحة عن تاريخ منطقة القبائل، حياة الشيخ المقراني والشيخ الحداد وثورة 1871، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2007، ص 83.

السلطة، كما انتشرت في المناطق الريفية خاصة في القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي، وبداية القرن الثالث عشر/ التاسع عشر، وذلك تهربا من الضرائب التي تفرض على الأملاك، والأراضي الزراعية، ومثال ذلك، أقاف زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بأقبو، والتي لا زالت إلى الآن على حالتها، وتتعرض إلى النهب، بفعل الإهمال الذي تعرفه هذه الأراضي[1]،

ومهما يكن، فإن هذا النوع من الأراضي الوقفية موجودة كذلك في منطقة البحث، غير أن عائداته لا يستفيد منها الموقوف عليه إلا بعد انقراض عقب الواقف. مما يجعل أهميتها ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المنطقة أقل أهمية من النوع الأول.

هذا، ولبعض الزوايا في المنطقة مداخل أخرى غير التي ذكرت، وتعرف بأسماء محلية مثل: (ثغفارث)[2]، و(إشريكن)[3]، و(العشر)[4]، وعادة يستفيد منها طلبة المعمرات وورثة العلماء الموقوف على زواياهم، والذين لعبوا أدوارا هامة في حياة سكان المنطقة، ويعتقد فيهم العامة الخير والبركة، والكرامات، فيتقربون إليهم بهذه الهبات، والصدقات المعروفة محليا باسم (الوعدة).

علماء المنطقة وعلاقتهم في الإشراف على الموارد الاقتصادية:

إن منطقة زواوة لم تكن كلها ممتنعة، بل كانت بعض نواحيها خاضعة للسلطة المركزية، ومن خلال علماء هذه النواحي حاولت السلطة المركزية التقرب إلى سكانها واستمالتهم إليها، فمنحت بعضهم امتيازات مادية، وأخرى معنوية، ومن الامتيازات المادية التي منحت لهؤلاء العلماء وشيوخ الزوايا الإعفاء من الضرائب، كتلك التي منحها الباشا الحاج محمد بن محمود، المدعو التريكي في سنة 1093هـ/ 1682م لأحد مشايخ أسرة المقرانيين بعرش بني عباس، وذلك مقابل استغلال الدولة للثروة الخشبية التي تتوفر عليها غابات العرش، والأعراش الخاضعة للإمارة، وقد جاء في رسالة الباشا ما يلي: «إلى السيد عبد القادر المعظم الفقيه الأجل السيد المولى الأعلى البركة السيدي عبد القادر ابن المرحوم

---

[1]– معلومات من حفدة الواقفين لهذه الأرض، والمقيمين في مدينة أقبو، مقابلة شخصية مع عائلة: عباسي خلال سنة 2009.

[2]– ثغفارث:تعني في اللغة العربية المغفرة، والمقصود منها أن الذي يخرجها عن الزرع يغفر الله تعالى له، ويبارك في رزقه.

[3]– إشريكن: وهي تعني الشراكة في العمل الخيري، إذ أن عروشا تقدم لشيخ الزاوية، أو أحفاده كمية من المنتوج الزراعي والحيواني في كل موسم من المواسم الفلاحية، وهذا حسب الأعراف المحلية ومقابل إيواء أبناء هذه العروش للدراسة في زوايا المرابطين في منطقة البحث.

[4]– العشر: عبارة عن نوع من الضرائب الشرعية التي يخرجها الفلاح عن الإنتاج الفلاحي، وتقدم للفقراء والمساكين، وجزء منها للزوايا، والمؤسسات التعليمية.

الولي الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا. يقوم هذا الشيخ بالإشراف على برباشة بأقسامها الثلاثة: أولاد عبد الله، وبري وبرباشة، تكون كل هذه الفرق زوايا تحت إشرافه، وتكون تلك الزوايا حبسا عليه وعلى أعقاب أعقابه من بعده، ولا يدفع أية ضريبة للحكومة التركية"[1].

ففي هذه الرسالة، يظهر كيف يعمل المسؤلون في الدولة بغية التقرب إلى علماء المنطقة، والسعي إلى استمالتهم. كما أنني قد عثرت على وثيقة أخرى، وجهها أحمد باشا، داي الجزائر(1695– 1698) مؤرخة في شهر جمادي الثانية 1107هـ / 1695 موجهة كذلك إلى أولاد سي عبد القادر بن سيدي محمد أمقران في ناحية برباشة، وهذا نصها: " وحبسناها عليه وعلى عاقبه وعاقب أعقابه ذلك صدقا منا عليه لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ولإطعامه للفقراء والمساكين، وعلى كافة أهل الزاوية المذكورين خصوصا زاوية بني بومسعود أن يكون كلهم عند نظره وسمعه وطاعته، كما أننا أقمناه في مقام والده المذكور على شغل البايلك يجري عليه مثل الكراستة[2] وغيرها من غير ممانع في ذلك مع حرمه واحترامه ورعيه وحفظ جنابه، بحيث لا تهتك له حرمة، ولا من يتعدي عليه ولا على كافة الزاوية، ولا يكلفهم أحد بشيئ من التكاليف المخزنية»[3]. فهذا الإمتياز يتمثل في إشراف آل مقران على زوايا ناحية برباشة، وسمح لهم بتأسيس زاوية في بني مسعود، بوادي بجاية .

هذا، ويشير أحد الباحثين إلى أن أحد شيوخ المنطقة، والذي يعود نسبه إلى عائلة المقرانيين، كانت له مكانة بين السكان في مدينة بجاية، فاغتنم قائد الحامية التركية في المدينة تواجده فيها، وتقرب إليه من أجل مساعدته في استغلال غابات المنطقة الجبلية القريبة من المدينة[4]، بل أكثر من هذا، ساعد الأتراك الشيخ سي الحاج أحمد المكي بن

[1]- Féraud (ch), « Exploitation des Forets de la Karasta dans la Kabylie oriental sous la domination Turque» in: R.A, nº 13, Année 1868, p 39.

[2] – الخراستة، أو الكراستة: كلمة تركية تعني: الألواح الخشبية التي تستخدم في الأغراض المختلفة، منها صناعة الأبواب والأثاث، وكذلك بناء السفن... أنظر:

- Diran Kélékian : Dictionnaire Turc – Françeis, Imprimeur, Mihran, Istanbul, 1911, p 850.

[3] - Féraud, op,cit, p384.

[4] - ABD ELHAMID MERRAD BOUDIA : la formation sociale Algérienne précoloniale, O.P.U, Alger,(s.d), p 186.

الشيخ عبد القادر أمقران في الرحيل عن بجاية والاستقرار في جيجل ومنحوه امتياز تقطيع الأشجار، وإرسالها عبر ميناء بجاية إلى مدينة الجزائر لصناعة السفن[1].

من خلال هذه النماذج، يظهر الدور الذي لعبه بعض من علماء ومشايخ المنطقة في إعفائهم من دفع الضرائب المخزنية، أو منحهم امتيازات مادية معتبرة، بل أن سكان المدينة الذين كانوا يعادون الحامية التركية الموجودة فيها، قد أصبحوا يعتزون بحملهم لشهادات تحمل ختم الباشا، فحسب أحد الذين زاروا بجاية سنة 1670م، فقد ذكر بأن المدينة تعيش أوضاعا يرثى لها... وأن الأتراك لا يغادرون حصونهم لأن السكان يعادونهم ويقاتلونهم[2]. لكن بفعل هذه الامتيازات الممنوحة لمشايخهم وعلماء المدينة، وذوي النفوذ فيها، تغير وضع المدينة وسكانها، فحققت السلطة المركزية بذلك مكسبين: أحدهما توقيف العداء بينها وبين السكان المناوئين لها. والثاني: تزويد الصناعة الجزائرية بما تحتاج إليه من ثروة خشبية تتوفر عليها الناحية، وأضحت تتدفق على مصانع السفن عبر ميناء بجاية، وغيره من موانئ منطقة زواوة.

وخلاصة القول، إن العلماء والمشايخ، ورجال الزوايا في منطقة زواوة، كانت لهم إسهامات هامة في الحياة اليومية للفرد في المنطقة، وفي خارجها، وهذه الإسهامات تظهر في التعليم، والتقاضي، وإصلاح ذات البين، وهي الأدوار التي كان يقوم بها العلماء، والنخبة المثقفة في كل المناطق. غير أن منطقة البحث انفردت عن كثير من المناطق الأخرى نتيجة الفراغ السياسي الذي تركه غياب السلطة المركزية فيها، وهذا لا يعني إغفال السلطة كلية للمنطقة، ولكنها تتدخل كلما سمحت لها الفرصة في ذلك، سواء لحماية المواطنين، من خلال تقنين المواد الاستهلاكية، ومراقبة المكاييل، خاصة في النواحي الخاضعة لها[3].

---

[1]– لخضر بوطبة: قلعة بني عباس ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 2006/2005ص 168.

[2] - LAURENT(le Chevalier), d'Avrieux :Mémoires du Chevalier d'Avrieux, Paris 1735 ,p 236.

[3]– كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 16.

الفصل الرابع :

دور علماء زواوة في الحياة السياسية بالمنطقة فيما بين القن 10 و13هـ /16-19م:

إن شيوخ وعلماء المنطقة، استطاعوا بفضل مكانتهم التي يتمتعون بها في الوسط الاجتماعي المحلي، من توجيه الرأي العام، والتأثير في سكان المنطقة الذين يلتجئون إليهم في الأفراح والأتراح، ويستشيرون هذه الفئة في كل ما يتعلق بأمور حياتهم اليومية الدينية منها والدنيوية. ولذلك أدت هذه الفئة أدوارا هامة في الحياة السياسية في منطقة البحث، خاصة ما تعلق بتوجيه الرأي العام المحلي بعدما تراجعت مكانة فئة المرابطين في هذا المجال الذين فشلوا في تحقيق تطلعات العامة المختلفة، وهذا ما ساعد على انتقال الزعامة التقليدية من فئة المرابطين، وشيوخ الأعراش والقبائل، إلى العلماء وشيوخ الطرائق الصوفية، فزاد هذا التغيير في دور العلماء وشيوخ الطرائق الصوفية في مكانتهم داخل المجتمع المحلي. غير أن التساؤل الذي يطرح نفسه: ما هي الجوانب السياسية التي ظهر فيها دور العلماء بالمنطقة، وما هي العوامل التي ساعدت على هذا الظهور، ونتائج ذلك؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات، يدفع بنا إلى الوقوف أولا: إلى معرفة المظاهر الرئيسية التي يظهر من خلالها الدور السلبي والإيجابي الذي أداه العلماء، والشيوخ في المنطقة وخارجها، خلال فترة البحث، ومن بين أهم هذه الأدوار ما يلي:

التوسط بين السلطة وسكان المنطقة:

من بين الجوانب التي ظهر من خلالها دور العلماء، وشيوخ المعمرات (الزوايا)، والطرائق الصوفية، ظاهر التوسط بين سكان المنطقة والسلطة القائمة، أو ممثليها المحليين، سواء من أجل إحلال السلم والأمن. ومثال ذلك الدور الذي لعبه الشيخ سيدي منصور الجنادي في توقيف الحرب والصدام بين سكان عرش بني جناد، والسلطة المركزية حول مشكلة استغلال الثروة الغابية التي تتمتع بها غابة (ثامغوط)[1]. فكان تدخل الشيخ منصور، والدور الذي لعبه في هذا الصراع. سببا هاما في تقريب وجهات النظر بين الطرفين وتوقيف آلة الحرب بين السكان والسلطة المركزية.

---

[1] - PIERRE BOYER « Contribution a’ l’Étude de la politique religieuse des Turks dans la Régence d’ Alger XVI -XIV »,IN R.O.M.M ,no 01, 1er semestre, Aix en Provence, 1966, p 30.

هذا، وهناك مثال آخر يمكن أن أصوغه في هذا الإطار، والذي يبين دور شيوخ الزوايا وعلماء المنطقة في إخماد نار الفتنة، وتمتين أواصر المحبة، والصداقة بين السكان والسلطة، خاصة بعد تمرد آل مقران في بني عباس، وآل القاضي في كوكو عن السلطة المركزية، وقد شهدت المنطقة جراء هذا الانشقاق السياسي صدامات دموية عنيفة بين هذه القوى المحلية، والسلطة المركزية، مما دفع بأحد الشيوخ غلى التدخل لتوقيف نار الفتنة بين حيدر باشا(1589-1592)، وأمير إمارة بني عباس (سي مقران)، وذلك سنة 999هـ/ 1590[1]، وقد أدى هذا العالم دورا كبيرا من الناحية السياسية في إخماد الحرب، وحقن دماء المسلمين، باعتبار القتال بين المسلمين من الكبائر التي حرمها الله تعالى بنص الآية: ﴿ومن يقتل مومنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾[2] ، وكذلك وردت أحاديث كثيرة في تحريم الاقتتال بين المسلمين، ومن بينها، قوله عليه الصلاة والسلام: « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، القاتل في النار فكيف بالمقتول... »[3]. هذا وبيّن للطرفين المتخاصمين، بأن الحرب ستؤدي إلى إضعاف المسلمين أمام أعدائهم الحقيقيين، ألا وهم النصارى[4] .

كما أصوغ في هذا الجانب كذلك مثالا آخر، للدور الذي لعبه شيخ زاوية سيدي علي بن موسى بين سكان العرش الذي تقع فيه زاويته، - عرش قشطولة - ، والباي علي خوجة في توقيف الحرب التي اندلعت بين السكان، وباي قيادة سيباو. وهو الدور الذي ثمّنه الباي، فعمل على إعادة ترميم مسجد الزاوية، وبناء قبة الولي الصالح، وتقرب إلى شيخ الزاوية الذي وقف إلى جانبه على حساب زاوية الشيخ ابن أعراب بعرش بني إيراثن، وهي الزاوية التي فضلت التحالف مع القوى المحلية ضد التواجد العثماني في المنطقة[5]. هذا بالنسبة لدور

---

[1] - BOULIFA, op, cit, p182. Et :
GRMAY,JEAN BOPTIST :«évêque d'Afrique en 1635 » Alger 16eme, 17eme. sel.(son Journal), présentation de ABD ELHADI BEN MENSSOUR, Edition de CERF, Paris 1998, p26.

[2] - سورة النساء، الأية 93.

[3] - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب « وإن طائفتان من المؤمنين غقتتلوا فأصلحوا بينهما»، فسماهم المؤمنين، رقم 31. أنظر:
- محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400.

[4] - Haëdo :Histoire…op, cit, p p108,109 .et
-BERBRUGGER : Les epoques militaires…p p 103,104.et :
- BOULIFA :op, cit, p 182.

[5] - Delpech (A) « la Zaouïa de Sidi ALI N'FOUNAS »IN : R. A no 18, Alger1874, pp81…85. et
-ROBIN (J. N) : LA Grande Kabylie sous le régime Turk…, p 64.

العلماء والشيوخ بين السكان والسلطة المركزية بحثا عن الاستقرار، وتجنبا لإراقة دماء المسلمين، وهدر طاقاتهم التي يجب أن توجه لخدمتهم لا لإضعافهم.

غير أن هناك تدخلا لهؤلاء العلماء والشيوخ عندما تتعرض مصالحهم إلى تهديد من قبل القوى المحلية، أو السلطة المركزية، ومثالنا في ذلك: الدور الذي لعبه الشيخ سيدي منصور صاحب زاوية تيميزار عندما رأى الظلم الذي يتعرض له سكان الناحية، فعمل على تحريضهم ضد السلطة المحلية المستبدة، والمتمثلة في سلطة أمير إمارة كوكو، الذي سخر سكان عرش بني جناد لخدمة مصالحه الذاتية، فرفض الشيخ هذا التسخير، وأعلن رفضه عن استقبال الأمير لما حل بسوق العرش الذي ينعقد في يوم الأحد، لكن الشيخ ظل في خلوته رافضا الذهاب لاستقباله، بل أكثر من ذلك أنه أمر أعيان عرشه بألاّ يستعدوا لاستقبال موكب الأمير كما جرت العادة عند مدخل السوق ... وذكرت المصادر والمراجع التاريخية: «أن أعيان بني جناد لما علموا بقدوم موكب السلطان استشاروا سيدي منصور في القيام بواجب الضيافة، فمنعهم عن ذلك... وقال لهم لا نذهب إليه، بل هو الذي يقدم إلينا...»[1].

ونفس الدور، قام به أحد علماء عرش بني يجر، وهو الشيخ حند أومالك[2] الذي وقف في وجه الاضطهاد الذي يتعرض له البسطاء من الحكام.

إن الشيوخ والعلماء الزواويين أدوا أدوارا سياسية هامة ، وقد تمكنوا بواسطتها من ملء الفراغ السياسي الذي عاشت فيه المنطقة خلال فترة البحث، وهو الأمر الذي أشار إليه الورثيلاني في سياق حديثه عن الأوضاع السياسية في المنطقة، لما قال: " ... وبالجملة فوطننا طيب فيه العلم وبعض الكرم للغريب ... غير أن الوطن عزيز وغال، وسبب ذلك كثرة الناس، غير أنه خال من السلطان وأحكامه فالوطن سائب... وأزال منه الفتنة"[3]. فهؤلاء العلماء هم الذين حلوا في كثير من الأحيان محل السلطة السياسية، وساهموا مساهمة كبيرة في استقرار المنطقة وأمنها، وتوحيد الصفوف المتناحرة فيها.

---

[1]– ساحي: أعلام من منطقة زواوة...ص 52. وكذلك:

- BOYER : op, cit ,p 14.

[2] -BOULIFA : op ,cit, pp140, et, p159.

[3]– الرحلة: ج1، ص 83.

وعلى العموم، فإن هذا الدور، تأرجح بين التعاون تارة، والتنافر تارة أخرى، وذلك بحسب الظروف المختلفة التي عاشت فيها المنطقة.

تأمين الطرق البرية: تعتبر المنطقة منطقة صعبة ذات تضاريس طبيعية معقدة، تساعد المتمردين والخارجين عن القانون من الاحتماء بها، وكذا الرافضين الانضواء تحت الحكم المركزي، أو حتى المحلي. فاتخذها هؤلاء مكانا آمنا لهم وملجأ يعودون إليه كلما تعرضوا إلى ملاحقة السلطة، ومن جهة أخرى، اتخذوها قاعدة للانقضاض على المناوئين لهم، والمخالفين لرأيهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن خلو المنطقة من سلطة زجرية، ساعدت على انتشار ظاهرة _ قطاع الطرق_ فيتربصون بالقوافل المارة بالمنطقة، وكذا القوافل المتجهة نحو بايلك الشرق، سواء المارة على الطريق السلطاني، أو المتجهة نحو مدينة بجاية عبر مرتفعات أكفادو. وللحد من هذه الظاهرة، استعانت السلطة المركزية، والقوى المحلية بشيوخ، وعلماء المنطقة، وكذلك رجال الزوايا، وحتى العائلات المرابطية قصد حماية وتأمين هذه الطرق، خاصة وأن الأتراك لهم اعتقاد قوي برجال الدين، وبخاصة المرابطين[1]، وهذا من العوامل التي جعلت السلطة المركزية تربط علاقات متينة مع العديد من شيوخ وعلماء المنطقة.

وفي مقدمة العائلات العلمية والمرابطية التي تحالفت معها السلطة المركزية، لتأمين الطريق البري نحو بجاية، عائلة ابن علي الشريف الشلاطي، وشيخ زاوية إيمولة بصدوق الشيخ ابن الموهوب[2]، بعرش بني عيدل، وهذان الشيخان قدما خدمات جليلة للسلطة المركزية، خاصة في تأمين الطريق الرابط بين مدينة الجزائر ومدينة بجاية. هذا وكان لشيوخ زاوية ابن علي الشريف، الدور الكبير في تأمين الطريق الرابط بين قيادة سيباو، ومدينة بجاية مرورا ببني زلال، وبني يجر[3]وصولا إلى مشارف بجاية، فقدموا الحماية (لعناية) للفرق الإنكشارية المارة عبر هذا الطريق. وهذا الدعم من قبل علماء المنطقة هو الذي سمح للسلطة المركزية من التوغل في منطقة زواوة، وتأمين الطرق البرية العابرة للمنطقة. وهنا نتساءل عن الدوافع التي جعلت هؤلاء العلماء يقبلون على لعب هذا الدور.

---

[1]– سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...ج1، ص 470.

[2]– سعيدوني: الزوايا... ص 26. يذكر الدكتور سعيدوني، بأن زاوية الشيخ ابن الموهوب بأمالو، بينما هذه الزاوية تقع في قرية إيمولة القريبة إلى صدوق، أما زاوية أمالو فهي زاوية الشيخ سيدي أحمد أويحي، وهو من علماء القرن التاسع الهجري/ 15م.

[3] - ROBIN : note sur l’Organisation…pp ,204,205.

إن الإجابة عن هذا السؤال حسب اعتقادي، مرده بالدرجة الأولى هو جانب مادي، يتمثل في الإعفاءات الضريبية التي تمنحها الدولة لهذه الشخصيات العلمية المتعاونة معها، إضافة إلى بعض الامتيازات الأخرى، مثل نقل جرايات الجند، والمساهمة في المحلة الخاصة بجمع الضرائب من السكان، وكلها تعود بالفائدة المادية على هؤلاء الشيوخ ورجال الزوايا.

هناك سبب آخر، يمكن اعتباره سببا روحيا جعل السلطة المركزية تتقرب من خلاله إلى علماء المنطقة، وهو: المكانة الروحية التي يتمتع بها أحد علماء المنطقة، وهو العالم الشيخ محمد الموهوب بن علي الزواوي العدلي، الذي كان يتردد مع القوافل والسفار المجتازين ببلادهم لكي يأمنوا من مكر أهل ذلك الوطن، إذ هم لصوص الغالب عليهم استلاب القوافل والسفار..."[1].

إن شيوخ الزوايا والمتصوفين في المنطقة، وكذلك علمائها، أدوا أدوارا جليلة في خدمة السلطة المركزية، والتي تمكنت بواسطتهم من التوغل في المنطقة واستمالتها، واستغلال بعض خيراتها، بالرغم من عدم خضوعها خضوعا كليا ورسميا للسلطة المركزية بالجزائر. كما قدموا خدمات معتبرة للسكان المحليين من خلال تجنيب الكثير منهم الأتاوات التي تفرضها الدولة عليهم. فلعبوا بذلك دورا مهما في إحداث نوع من التوازن في الإستقرار المحلي، غير أن بعضهم استغل هذه المكانة لخدمة مصالحه الشخصية، مستغلا الولاء الشعبي له، فتحصل على كاسب وامتيازات مختلفة في المنطقة.

الجهاد ومقاومة الدخلاء، واخماد الثورات المحلية:

إن الجهاد في سبيل الله تعالى، من الأمور التي فرضها المولى على المسلمين بنصوص قرآنية، فقال الله في محكم التنزيل: ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾[2]، بل فضل المجاهدين عن القاعدين فقال: ﴿... فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة... ﴾[3]، كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الدين والوطن في أحاديث كثيرة، أخذ بها علماء منطقة البحث، وجعلوا ذلك عملا دينيا من الأعمال الجليلة التي وهب الزواويون أنفسهم لخدمتها، فوهبوا أنفسهم وأموالهم

---

[1]- الفكون: المصدر السابق، ص 201.

[2]- سورة البقرة، الآية 192.

[3] - سورة النساء، الأية 95.

للجهاد في سبيل الله تعالى منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وكانت لهم سجالات تاريخية رائعة. وفي الفترة الحديثة تعرضت البلاد الإسلامية إلى اعتداء صليبي، قادته مملكة قشتالة وأراغون، مما دفع بالمغاربة إلى المشاركة في صد الحملات الإسبانية على السواحل المغاربية وبخاصة بعد سقوط الأندلس سنة 898هـ/ 1492م. حيث بدأت القوات الإيبيرية في التوسع على حساب البلاد المغاربية، فاحتلوا العديد من المدن الساحلية من بينها مدينة بجاية التي سقطت بيد الإسبان في 916هـ/ 1510م.

كان سقوط المدينة بمثابة بداية لجهاد العلماء والشيوخ وأعيان المدينة الذين وقفوا صفا واحدا لمواجهة الاحتلال الإسباني، ومن بين العلماء البجائيين الذين كان لهم السبق في الجهاد بالمدينة الشيخ سيدي تواتي البجائي، الذي كانت زاويته مركزا للمجاهدين المغيرين على القواعد العسكرية الإسبانية، ولما فشل المجاهدون في تحرير المدينة ، انتقل معظم العلماء البجائيين إلى المناطق الأخرى كالجزائر، وقسنطينة وغيرهما.

هذا واستقر علماء آخرون في النواحي الداخلية بمنطقة زواوة، فتحالف البعض منهم بالقوى المحلية بغية استرداد المدينة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تحالف العلماء الزواويون مع قوة إسلامية جديدة بقيادة الإخوة بربروس، ومن بين هؤلاء العلماء البجائيين الذين تحالفوا مع الإخوة بربروس العالم البجائي أحمد بن القاضي، الذي ذكره خير الدين في مذكراته ونعته (بالرجل العاقل)[1]. كما تحالف شيخ قبيلة بني عباس وهو من عائلة المقرانيين الذين كانت لهم حظوة في الناحية بالأمير عبد العزيز بن العباس آخر أمراء بجاية الحفصية، والذي فرّ إلى الناحية بحثا عن سند ديني أو عصبي للدفاع عن المدينة المحتلة، وكان هذا التحالف بداية لقيام إمارة بني عباس، التي ساهمت في الدفاع عن منطقة زواوة، بل ساهمت في تحرير تلمسان من يد الإسبان، وكذلك مد نفوذ السلطة العثمانية إلى الجنوب نحومدينة تقرت، لما شارك السلطان عبد العزيز في الحملة العسكرية التي قادها حسن باشا لتأديب أمير إمارة بني جلاب الذي حاول الإستقلال بالمنطقة.

[1]– خير الدين بربروس: مذكرات خير الين بربروس، ...، ص 109. وللإطلاع على هذه التحالفات يمكن العودة إلى:
– محمد دراج: المرجع السابق، ص 191.

مهما يكن، فإن العلماء وشيوخ الزوايا، وأعيان المنطقة، كان لهم فضل كبير في مقاومة الدخلاء، والعمل على تحرير المدن الإسلامية المغاربية المحتلة، سواء بالسلاح، أو بتحريض العامة على الجهاد في سبيل الله تعالى.

ظل العلماء في طليعة المقاومين للغزو الأجنبي في منطقة البحث وخارجها، ولما تبين لهذه الفئة هدف الأتراك الرامي إلى إنشاء دولة مرتبطة بالسلطان العثماني، عارض العلماء، وبعض شيوخ الزوايا هذا الهدف ووقفوا في وجهه، من خلال الحروب التي عرفتها المنطقة ضد العثمانيين، وتزعم هذه الحركة الثورية ضد السلطة العثمانية التي كان عليها العنصر التركي، الكثير من العلماء، وشيوخ الزوايا (المعمرات)، سواء الذين أعلنوا الحرب مباشرة على الأتراك العثمانيين، أو الذين تحالفوا مع القوى السياسية المحلية، ومن بين هؤلاء العلماء الذين رفضوا التوسع العثماني في المنطقة، ووقف إلى جانب المقرانيين، العالم سيدي الجودي العلمي، الذي تذكر بعض الروايات، بأنه، أعلن الحرب على الإخوة بربروس منطلقا من زاويته التي تقع في عرش بني يعلا، محرضا أتباعه على القتال والدفاع عن المنطقة، وظل كذلك حتى قتل من قبل الجنود الأتراك، ولازالت بعض أسلحته عند أحفاده إلى اليوم[1]. ومثال آخر، عن العلماء الذين وقفوا إلى جانب المناوئين للإخوة بربروس في منطقة البحث كذلك، الشيخ سيدي علي أوطالب، شيخ معمرة بني يحيى بقرية كوكو، عاصمة الإمارة القاضوية[2].

هذا على صعيد مقاومة المد الأجنبي. أما على الصعيد الداخلي، فإن موقف الشيخ سيدي منصور من سلطان كوكو، له أكثر من دلالة على وقوف الشيوخ عامة، ورجال الكثير من المعمرات والزوايا خاصة في وجه الإقطاعية المحلية[3]. وكذلك الموقف الذي أبداه شيخ معمرة شلاطة الشيخ محمد السعيد بن علي الشريف، الذي تصدى للثائرين من الطريقة الدرقاوية الذين خرجوا عن طاعة الداي، بقيادة ابن الأحرش الدرقاوي المعروف بالبودالي، الذي حاصر مدينة بجاية، ولم ينه حصاره لها إلا بعد تدخل قوات الشيخ السعيد بن علي الشريف، الذي وقف إلى جانب قوات الباي، وتمكن بفضل مؤازرة القبائل المحلية كقبيلة أولاد

---

[1]– رواية شفوية من أحفاد، وأعيان عرش بني يعلا العجيسي، ودرع الشيخ وسيفه، لازال أحفاده يحتفظون بهما إلى الآن، والشيخ سيدي الجودي من العلماء الذين أغفلتهم المصادر التاريخية، ولعل الزمان سيكشف عن معلومات أكثر حوله.

[2]– ساحي: أعلام...ص ص 54، 55.

[3] -BOULIFA : O P, cit , p153.

سلام، وقبيلة أولاد بوعزيز، وأولاد صلاح ... الذين استطاعوا فك الحصار على المدينة وملاحقة الثائرين إلى نواحي الدهامشة بجبال البابور واقفا إلى جانب قوات بايلك قسنطينة، وبعد ذلك وضع قواته وأتباعه في خدمة الداي أحمد خوجة (1806 – 1808) الذي لاحق قوات الثائر الدرقاوي.

بعد تحالف ابن الأحرش مع أحد الأعيان، وهو المرابط ابن بركات من أولاد دراج قصد غزو مجانة عاصمة إمارة المقرانيين. تحالف الشيخ ابن علي الشريف مع المقرانيين، ووقف إلى جانبهم في مواجهة الدرقاويين الذين حاولوا الدخول إلى مجانة، وتمكن من تحقيق انتصارين هامين، احدهما في بجاية، والثاني في القلعة، وعمره لم يكن يتجاوز الثلاثين سنة[1].

وعلى كل، فإن علماء المنطقة، وشيوخها، قد لعبوا دورا جهاديا وثوريا عظيمين في مختلف المراحل التاريخية، سواء ضد الغزو الخارجي، أو الاستبداد المحلي. ولعل أهم فترة تعكس إسهامات هؤلاء في صد العدو الأجنبي، هي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر عامة، ومحاولات توسعه في المنطقة خاصة، فكانت معمرات المنطقة، وزواياها بشيوخها وطلبتها، وأعيانها في الجبهة الأمامية لمواجهة جحافل الجيوش الفرنسية.

لقد كان الغزو الفرنسي للجزائر، غزوا عسكريا ودينيا وثقافيا واقتصاديا[2]، استهدف سلخ الجزائر عن ماضيها التاريخي، ومسخ شعبها وإبعاده عن دينه وعقيدته، محاولة منها ربطه بالحضارة الغربية، متبعة السياسة الاستعمارية الهادفة إلى فرنسة الشعب الجزائري، وقلعه عن جذوره التاريخية. فمن بين الأوائل الذين أعلنوا الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، وسياسته الاستعمارية الرامية إلى تنصير الشعب الجزائري، وتحويله عن عقيدته ودينه، رجال الزوايا والمرابطين الذين لعبوا دورا بارزا في محاربة سياسة التنصير التي باشرها رجال الدين

---

[1]- Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aàyane el Marhariba Département de Constatine, Alger, imprimerie Fontana Frères, 1920, p 24.

– كانت الانتصارات التي حققها ابن علي الشريف، عاملا من العوامل الرئيسية التي جعلت الداي: أحمد خوجة، يحاول التقرب إليه أكثر عن طريق المصاهرة، والهدايا، فأهدى له أسدين بدون ذيل، وأوفد الرايس حميدو إلى شلاطة من أجل تقديمه هذه الهدية الهامة، وبذلك وثق الشيخ علاقاته بالسلطة المركزية، وباي قسنطينة، فنال مكانة هامة في نواحي بجاية. غير أن الشيخ ابن علي الشريف، تغير موقفه بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة، فجمع أعيانها، وأقنعهم بضرورة الاستسلام للقوات الفرنسية لما لذلك من المنافع، وتمكن من تحقيق غايته بسهولة، فوضع خدماته في يد القوات الفرنسية، التي تمكنت بفضل ولاء العامة للشيخ من بسط نفوذها على حوض الصومام، رغم المقاومة التي أبدتها الزوايا الأخرى. أنظر:

i.b.i.d. pp 24,25.

[2]– نسيب: المرجع السابق، ص 65.

المسيحيون بقيادة الأب لافيجري، خاصة بعد ثورة الرحمانيين سنة1871. فقد عارض هؤلاء معارضة شديدة إنشاء المدارس الفرنسية في بلاد زواوة[1]، كما أن علماء المنطقة وشيوخها وقفوا إلى جانب الثورات الشعبية التي قاومت الإستعمار الفرنسي وسياسته التوسعية في الجزائر. والمتتبع للثورات المحلية، والانتفاضات الشعبية في المنطقة، يجدها كلها منطلقة من المعمرات، والزوايا، ولواء القيادة فيها دائما يعقد لشيخ الزاوية، أو مرابط العرش، بل أن المعمرات كانت همزة وصل بين الشعب والمقاومة[2]، فأهداف تأسيس الرباط الذي تحول إلى (الزاويا، أو المعمرة في المنطقة)، فإن دورها الأساسي الذي تأسست من أجله هو الجهاد ضد العدو، سواء كان هذا العدو غزوا أجنبيا، أو جهلا داخليا، ومن الزوايا التي أعلن شيوخها النفير لمواجهة الاحتلال بعد النداء الذي وجهه الداي لشيوخ المنطقة، شيخ زاوية امحمد بن عبد الرحمن بعرش قشطولة، وزاوية عبد الرحمن اليلولي بعرش إيلولة أومالو، وزاوية إشرعيون – زاوية الشيخ ابن أعراب – بعرش بني إيراثن، بل أن معظم هذه الزوايا قد أعلنت الجهاد وانضمت إلى المجاهدين ، فأصبحت مراكز لتجميع المجاهدين، وتدريبهم، وتحضيرهم للعمل العسكري، ولم يتوقف دور العلماء وشيوخ الزوايا والمعمرات على الدفاع عن المنطقة، بل وجهوا القوات التي تمكنوا من تجميعها بعد النداء السالف الذكر، فطلب العلماء وشيوخ الزوايا من القبائل المتحاربة، والمتصارعة أن يتركوا خلافاتهم جانبا، وأن يستعدوا للجهاد ضد الغزو الفرنسي للبلاد.

قدرت بعض الإحصائيات، عدد المجاهدين الذين تمكن العلماء، وشيوخ الزوايا من جمعهم بخمسة وعشرين ألف مجاهد[3]، اجتمعوا في عدة زوايا رئيسية استعدادا للتوجه إلى مدينة الجزائر، حاملين رايات الزوايا التي ينتسبون إليها، والجدول التالي يبين العروش التي شاركت في هذا النفير، وأسماء الشيوخ والعلماء الذين تزعموا عروشهم للمقاومة:

---

[1] - ABROUS : op,cit, p 19.

[2] – صالح بلعيد: المازيغية في خطر !؟، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 207.

[3] Mahé (A) : op, cit, p p234,235.

وكذلك: محمد أرزقي فراد: "دور زوايا منطقة القبائل في مقاومة الاستعمار"، في: جريدة الشروق اليومي، الأحد 11 جوان 2006، ع 1709، الجزائر.

العرش	القيادة الروحية والسياسية
قبيلة فليسة البحرية بني غبرين	أعراب أقروجن، المرابط الشيخ أعراب أمسون. الشيخ أبو حاميل الرابط سي أحمد أومالك من ثيفريث ناث الحاج.
بني يتورغ إيليلثن بني واقنون	سعيد ناث حملوث، المرابط سي الصغير ولد يحي واعمر، أحمد ناث يحي، والرابط السعيد من الشرفة
بني يجر، واد الحمام ثيقزيرث	محمد ناث علي، المرابط الشيخ الوهوب تقريت ناث أومالك.
بني جناد	محمد بن العبي ناث باب، المرابط سي العربي وشريف تزروت، مع رفع راية زاوية سيدي منصور
بني إيراثن	سي محند الحناشي ناث واعمر تمازيرث، والمرابط سيدي محمد السعدي، رافعا راية زاوية الشيخ ابن أعراب
بني فراوسن، بني خليل، بني بوشعيب	سي السعيد أوسحنون، والمرابط سي الصالح
فليسة أومليل	الحاج محمد بن زعموم، والحاج محمد أوشكال، والشيخ اسماعيل
زرخفاوة وبني فليق	سعيد واعمر، والشيخ سي محمد أونفون
بني يحي، بني بوسيف	يحي ناث أوعزوز، والشيخ سي الحاج من بني منجلات،
بني منجلات	والشيخ سي محمد والشريف من بني بوسيف
أقبيل وبني عطاف، بني بوذرار بني واسيف بني بوعكاش	الحسين أوزنوش، الحاج أعمر ناث أوقاسي والحاج المختار ناث سعيد، وعلي نايث يوسف واعلبي،وعلي محمد أوقاسي،والشيخ سيدي الجودي من بني بوذرار
بني يني	ابراهيم واحمد والشيخ سي الحاج لمين
بني صدقة	سي أحمد واسعيد من واضية، والشيخ سي المحفوظ من بني شبلة
بني محمود	الحسين ناث مبارك، والشيخ نور الدين نايث زيان

بني عيسى ومعاتقة	سي الحاج الطاهر ومقدم زاوية سيدي علي أوموسى
قشطولة	الحسين واعلي، والشيخ مقدم زاوية سيدي امحمد بن عبد الرحمن
عمراوة	الشيخ سي محمد أمزيان من أولاد بوخلافة، واعمر أوسعيد[1]

التعليق على الجدول: إن هذا الجدول يعكس دور العلماء وشيوخ المنطقة في الحث على الجهاد، وتلبية نداء القيادة السياسية عندما تتعرض البلاد غلى الخطر الخارجي، وهذا يدل دلالة واضحة على دور هذه الفئة في المجتمع المحلي وفي التعبئة للجهاد، وتعدى دورهم إلى العنصر النسوي اللائي شاركن في المقاومة والجهاد ضد التوسع الفرنسي في المنطقة.

هذا، ويمكن الاستدلال أيضا على ما أسهم به العلماء ورجال الزوايا في حشد العامة لمواجهة الغزو الخارجي من خلال الدور الذي لعبه الشيخ الحداد في مقاومة 1871، وزاويته في المقاومة الشعبية[2].

من خلال ما سبق، يمكن استنتاج الحقائق التاريخية التالية:

- المكانة الكبيرة التي يوليها الزواويون للعلماء وشيوخ الزوايا، والمرابطين.
- الدور الذي لعبته هذه الفئة – العلماء – في تنظيم المجتمع المحلين وتوجيهه إلى خدمة البلاد والعباد.
- تعويض العلماء وشيوخ الزوايا للنقص، بل الفراغ السياسي الذي كانت عليه المنطقة.
- تنوع الأدوار التي ساهم من خلالها العلماء في تنظيم أمور المنطقة.
- إنصياغ الزواويين إلى العلماء والفقهاء أكثر من إنصياغهم إلى الإقطاعية المحلية.
- نكران الذات عندما تعرضت البلاد إلى الخطر الخارجي.

ومهما يكن، فإن الأدوار والإسهامات التي أداها العلماء كثيرة ومتنوعة، وحصر أمثلتها ليس بالأمر الهين في فترة البحث.

---

[1] -Mahé : op, cit pp 234,235.

نقلا عن: قاسيمي: المرجع السابق، ص ص 99، 101.

[2] – حول دور الشيخ الحداد وزاويته في ثورة 1871 أنظر: SALHI : OP, CIT , pp 77…80.

الباب الخامس :

مؤلفات علماء زواوة وإجازاتهم العلمية بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري/16-19م

لقد انتشر التعليم في مختلف القرى و مداشر المنطقة بفضل الكتاتيب، والمساجد والمعمرات المنتشرة فيها، وهي الأماكن التي تخرج منها العديد من العلماء والمشايخ الذين ساهموا في إثراء الرصيد الفكري، والمعرفي في المنطقة خاصة، والجزائر عامة، بل منهم من نبغ في المغرب والمشرق خلال الفترة الحديثة، وفي علوم كثيرة.

لقد كان إنتاج علماء المنطقة خلال فترة البحث، وكبقية علماء العالم الإسلامي، بمثابة استمرار للفترات السابقة التي أعقبت فترة الموحدين التي امتازت بغزارة الإنتاج المعرفي والفكري المتسم بالإطناب، والتكرار والسجع، واعتمد العلماء في تآليفهم خلال هذه الفترة على الحفظ والرواية والنقل، وعرض المسائل كما وردت دون تمحيصها، أو نقدها، أو ابتكار الجديد منها. وعلى الرغم من هذه الصفات التي تطغى على الإنتاج الفكري خلال هذه الفترة، نجد بعضا من التآليف المتميزة والتي لها مستوى علمي راق، وقيمة فكرية عالية.

وعلى كل، فإن علماء منطقة زواوة، وعلى الرغم من قلة إنتاجهم الفكري خلال فترة البحث – إن قارناه بالفترة السابقة – فإننا نجده قليلا، غير أنه لا يمكن إنكار مساهمتهم في الفكر والثقافة العربية الإسلامية. مما يجعلنا نتساءل عن الإنتاج الفكري لهؤلاء العلماء، والميادين التي برزوا فيها، والمؤلفات التي ألفت خلال فترة البحث.

مؤلفاتهم في العلوم النقلية:

لقد كثرت التآليف الخاصة بالعلوم النقلية في الجزائر عامة ، خلال الفترة الحديثة، غير أن جلّ هذه المؤلّفات تفتقر إلى الأصالة والجدية، لاتصافها بالتقليد والتكرار[1]، وذلك ناتج عن الأوضاع التي عاش فيها العلماء خلال فترة البحث. كما أن ظاهرة التقليد المتبعة من قبل العلماء المؤلفين خلال الفترة، جعلت المؤلفات في العلوم الشرعية خاصة و النقلية بوجه خاص قليلة، لكون هذه العلوم تحتاج إلى ثقافة واسعة، وفي علوم شتى، وهو الأمر الذي لم يكن متوفرا في كثير من المؤلفين خلال الفترة الحديثة، وتعود أسباب ذلك إلى فقدان مدينة بجاية إلى دورها الحضاري بعد سقوطها بيد الإسبان سنة 1510م، وإلى انعدام الحلقات العلمية التي تجمع بين الآراء الفكرية المساعدة على التبادل المعرفي بين العلماء كما كان عليه الحال من قبل، إضافة إلى تشتت جهود علماء المنطقة، وغياب مركز جامع فقل التواصل بينهم مما أثر سلبا على الإنتاج الفكري لعلماء زواوة.

وعلى كل، فإن أهم العلوم النقلية التي تمكنت من حصر مؤلفات علماء زواوة فيها هي:

أ- **علوم الفقه وأصوله:** إن الحديث عن الإنتاج الفكري في الفقه وأصوله في منطقة زواوة خلال الفترة الحديثة، يجعلنا نركز أساسا على الفقه المالكي، لأنه الأكثر انتشارا بين سكان المنطقة وعلمائها، غير أن الإنتاج الفكري حسبما توصلت إليه من خلال البحث عن تآلف علماء المنطقة خلال الفترة الحديثة، يعد قليل جدا مقارنة بالفترة الوسيطة، للأسباب التي ذكرتها من قبل، وكذلك انتقال العلماء إلى النواحي الداخلية في المنطقة، وتفرغهم إلى التعليم دون التأليف. وهذه الأسباب لا تعني إهمال العلماء للتأليف في العلوم الشرعية، والخوض في المسائل الفقهية، بل نجد منهم من ساهم بفكره وقلمه في المسائل الفقهية المطروحة عليه. فالشيخ الورثيلاني رغم تصوفه، نجد له مواقف فقهية ساهم بها في الإنتاج الفكري لعلماء المنطقة، وقد ورد في رحلته حكم السماع والرقص وإنشاد الأشعار، فقال: " وقد عمت والعياذ بالله بانكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف والمزامير وسائر الآلات

[1]- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 2، ص 9.

والأشعار والألحان، واتخذوا ذلك صراطا مستقيما، واتبعوا فيه شيطانا رجيما، ونبذوا السنة وراء ظهورهم، وزالت هيئة الشريعة من صدورهم، وكان لهم ذلك ديدنا في سائر الأزمان، فصاروا مسخرة للشيطان"[1].

وذكر كذلك الحكم الشرعي في شرب القهوة والتدخين. فبعد أن استعرض آراء الفقهاء والعلماء في المسألتين، خلص إلى فتواه التي قال فيها: " فإذا علمت هذا علمت الفرق بين الدخان والقهوة فإن القهوة أقبل عليها المتلبسون بالصدق، والدخان الغالب إقبال أهل الفسق عليه، بل لا تجد صديقا عارفا يشمه أو يشربه، فلا تساعد من يشربه _ يدخنه _، ولا تسمع لقوله، لما علمت من قبل من اتفاق أرباب القلوب على ذمه وكفى"[2].

إن الشيخ الورثيلاني، وهو من علماء المنطقة، وفي فترة البحث، قد خاض في الفقه، وناقش مسائل فقهية هامة في وقته، غير أنه لم يؤلف كتابا في الفقه محددا، وكل إسهاماته الفقهية ذكرها في سياق رحلته المشهورة، والتي أملاها على طلابه بعد حجته الأخيرة.

أما بالنسبة للمؤلفات الفقهية التي ساهم بها علماء المنطقة، خلال فترة البحث، فأذكر ما تمكنت من حصره في المؤلفات التالية:-

1-مؤلفات الشيخ أحمد الطيب بن محمد الصالح الرحموني:

ألف الشيخ الرحموني المشدالي عدة مؤلفات في الفقه، والتي ضاع معظمها ولم أتمكن من الإطلاع عليها، واكتفيت بذكر عناوين هذه المؤلفات، ولعل البعض من الباحثين يتمكن من الحصول عليها، ومؤلفات هذا العالم في الفقه المالكي تتمثل في العناوين التالية:

*- نظرة الإخوان إلى احتجاج الفقهاء بالبرهان، وهو عبارة عن أرجوزة أبياتها نحو الألفي بيت. إضافة إلى مؤلف أخر ورد بعنوان "القرة العصرية في أحكام الفتوى"، وله أيضا "منظومة في أحكام الفتوى"[3].

2- مؤلفات الشيخ صالح السمعوني:

من فقهاء زواوة وعلمائها الذين ساهموا في إثراء المكتبة الإسلامية بمؤلفاته في علوم شتى، ومن بين مؤلفاته التي ألفها في الفقه المالكي بعد هجرته إلى الشام نجد منظومة في الفقه،

1- الرحلة ...المصدر السابق، ج 1،ص ص364، 365.

2- نفسه، ج 2، ص ص 61، 62.

3- نويهض، المرجع السابق، ص 24.

وشرح لها، وكذلك رسالة في اختلاف المذاهب الفقهية[1]، وهذه المؤلفات مخطوطة في مكتبة الأسد بسوريا .

3- مؤلف الشيخ محمد أمزيان بن الحداد

لقد ألف الشيخ الحداد مؤلفا في الفقه عنوانه: شرح منظومة بن رشد[2].

4- مؤلف الشيخ محمد الصالح بن سليمان الرحموني:

وهو والد الشيخ محمد الطيب، السابق الذكر، والذي ألف في الفقه كتابا عنوانه: رياض السعود فيما لله من العجائب والحدود[3].

وفي أصول الفقه، عثرت على تأليف ألفه الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري، وهو عبارة عن شرح لكتاب المنهج المنتخب في قواعد المذهب الذي ألفه الزقاق، والذي توجد نسخة منه في الخزانة القاسمية بالهامل.

5- ابن مصباح اليعلاوي:

ألف كتابا في الفقه المالكي يعد بمثابة مرجع عند علماء المنطقة، وهو الذي ذكره الشيخ الموهوب أولحبيب في إحدى الفتاوى الشرعية التي رجع فيها إلى ما ذكره الشيخ ابن مصباح في كتاب وضع عنوانا له سماه "السفينة"[4].

ب- **علوم التفسير:**

يعتبر تفسير القرآن الكريم من العلوم الشرعية التي اهتم بها العلماء المسلمون منذ صدر الإسلام، لكونه الكتاب الذي يحدد معالم القوانين الشرعية التي تنظم حياة المسلمين في دنياهم وآخرتهم، مما جعل المسلمين يهتمون بحفظه، ودراسته، وفهمه. فانتشرت مؤلفات تفسيره، وتبسيط معانيه من قبل العلماء المسلمين الذين ألفوا في هذا العلم الكثير من التفاسير العلمية للقرآن الكريم، غير أن جلّ الباحثين في التاريخ الثقافي للجزائر، يؤكدون على أن علماء الجزائر لم يتركوا لنا مؤلفات كثيرة في هذا العلم، إذ لا نكاد نعثر على أي تفسير للقرآن الكريم من علمائنا بالرغم من اهتمام العديد منهم بالعلوم الشرعية، وبخاصة،

---

[1]- الزركلي ،المرجع السابق ،ج3، ص 189.

[2]- بشير بن ضيف بن ابي بكر بن البشير بن عمر الجزائري: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث, نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول، مراجعة وتقديم عثمان بدرين 3ج، الجزائر، 2002، ج2، ص 143.

[3]- الحفناوي: المصدر السابق، ج 2، ص 388.

[4]- خزانة الشيخ أولحبيب، بني ورثيلان.

في الفترة الحديثة. ما عدا تفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1470م)، والذي لايدخل ضمن فترة البحث، والموسوم بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) والذي يقع في عدة أجزاء، وقد انتهى من تأليفه في الخامس عشر من ربيع الأول عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة (833هـ) عندما كان عمره سبعا وأربعين سنة[1].

في فترة البحث، يذكر (سعد الله) بعضا من علماء الجزائر الذين كان لهم اهتمام بعلم التفسير، أمثال محمد بن علي أبهلول، وابن للو التلمساني، وعبد القادر الراشدي، وأبو راس الناصري، وغيرهم من الذين كان لهم اهتمام بهذا العلم، ولكنه يرى بأن أعمال هؤلاء لم ترق إلى المستوى الذي يمكن من خلاله اعتبار أعمالهم، ومؤلفاتهم ذات مستوى علمي رفيع، لكونهم اعتمدوا في تآلفهم على منهج المتقدمين الذين يعتمدون تكرار أقوال المفسرين السابقين لهم، دون تمحيصها، أو الإضافة فيها[2].

وإذا عدنا إلى منطقة البحث، فإن الأمر لا يختلف عما هو سائد في الجزائر عامة، حيث نجد بأن علماء منطقة زواوة لم يتركوا لنا آثارا دالة على إنتاجهم الفكري في هذا الفن، ولعل ذلك يعود إلى اعتماد هؤلاء العلماء على تبسيط آي الذكر الحكيم لطلابهم دون العمل على التأليف في علم التفسير، أو لكون هذا العلم من العلوم التي يعتمد فيها المؤلفون على إتقان علوم أخرى كثيرة، وهو الأمر الذي نجده قليل في فترة البحث. وبالرغم من ذلك، فإنني تمكنت من العثور على بعض المؤلفات التي ألفها علماء المنطقة في فترة البحث، ومن هذه المؤلفات:

1-مؤلف محمد بن علي الشريف الشلاطي الزواوي:

ألف الشيخ الشلاطي في هذا العلم مؤلفا سماه: "تفسير الغريب للمبتدئ القريب"، وهو المؤلف الذي قال عنه (سعد الله) بأن:(عنوانه غامض لا نفهم منه بالضرورة أنه تفسير القرآن الكريم، كما لا نفهم أنه موجه إلى الطلاب المبتدئين في هذا الميدان)[3]. ومهما يكن، فإن هذا الإنتاج الفكري يعد من الإسهامات الفكرية التي ساهم بها علماء المنطقة في هذا

[1]- قاهر، المرجع السابق، ج1، ص 127

[2]- المرجع السابق، ج 2، ص 12.

[3]- المرجع السابق، ج 2، ص 20.

العلم، وهو عبارة عن محاولة لتبسيط معاني القرآن الكريم للمتعلمين، والمبتدئين خاصة، ولم أتمكن من الإطلاع عليه حتى أستطيع الحكم على أهميته.

2- **مؤلف عمر بن محمد المحجوب، المعروف بالبهلول الزواوي:**

لعل مؤلفنا هذا من أهل القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، لأن المعلومات الخاصة بترجمته لم أتمكن من العثور عليها، وما نعرفه عنه، أنه وضع تأليفا في تفسير القرآن العظيم، يعرف ب(تفسير البهلول)، ويعتقد بأن صاحبه لم يكن من العلماء الذين لهم باع في هذا الفن. وقد وصفه (سعد الله)، بأنه "رجلا عاميا كتب في التفسير بما عنّ له، والذين اطلعوا عليه، اعتبروه عملا سطحيا، لكون صاحبه لم يتعمق في معانيه[1].

ج- **علوم الحديث والإثبات:**

من العلوم التي أولاها الجزائريون عناية كبيرة، علم الحديث، وذلك لما له من صلة بالعلوم الشرعية الأخرى من جهة، ولكونه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم من جهة ثانية، مما جعل العلماء المسلمين يهتمون به تدريسا، وتأليفا ورواية، وإجازة[2]. وقد اهتم بهذا العلم الكثير من العلماء المغاربة، والجزائريين، ولم يكن اهتمام العلماء المسلمين به وليد فترة البحث، بل نجد الصحابة والتابعين أولوا عناية كبيرة بعلم الحديث. فشمروا عن سواعدهم في الجد في حفظ الأحاديث، والحفاظ عليها، وتدوينها، والرحلات الطويلة الشاقة في سبيله، وتمييز صحيحها من سقيمها، وتدوين أسماء رواتها[3].

وهكذا فعل المغاربة والزواويون عامة خلال الفترة الحديثة، وظهر منهم من ألف في علوم الحديث، والإثبات، وعلى رأس هؤلاء المؤلفين في هذا الفن والمهتمين به من أهل زواوة رواية وإثباتا المحدّث:

- **عيسى الثعالبي:** الذي وضع رجزا في هذا العلم سماه" مضاعفة ثواب هذه الأمة" في علم الحديث[4]، وألف كذلك مؤلفا آخر بعنوان: "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات

---

[1]- سعد الله، نفسه.

[2]- سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص25.

[3]- ربيع بن هادي عمير المدخلي: مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين، ط1، دار المنهاج، القاهرة، 1426/ 2005، ص 11.

[4]- سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص30.

والأجزاء والمسانيد"، وهو المصنف الذي جمع فيه أسانيد ومرويات أساتذة الشيخ البابلي[1]، كما أن له مؤلفا آخر سماه: " كنز الرواية في درر المجاز ويواقيت المسموع"، وصفه بعضهم بكونه من أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها، وأنه كتاب حافل في أسهل المقاصد[2].

أما (أبو سالم العياشي) فقد قال عن هذا المؤلف: " هذا تأليف سلك فيه مسلكا نفيسا ورتبه ترتيبا غريبا جمع فيه غرائب الفوائد شيئا كثيرا، وهو إلى الآن لم يكمل وإذا منّ الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء والمسلك الذي سلكه فيه أنه رتبه على أسماء شيوخه ...فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأئمة والمؤلفين، وأسانيد مؤلفاتهم مما يدل على اعتناء عظيم وحفظ عظيم ومطالعة واسعة، والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين وغبطة السامعين ورغبة الطالبين"[3]. ومن خلال هذا يظهر بأن الكتاب من المؤلفات الهامة التي وضعت في علم الحديث من قبل العلماء الزواويين، الذين تركوا إسهامهم في هذا العلم.

هذا إلى جانب مؤلف آخر تذكره بعض المصادر، والذي تنسبه إلى الثعالبي كذلك بعنوان: " إتحاف ودود وإسعاف بمقصد محمود"، في أسانيد الإمام مالك (ض)، قال فيه (الدرعي): " جمع سلسلة الفقه على مذهب الإمام مالك جمعا لم يسبق إليه بعد ما حارت فيه فحول الأئمة كما هو معروف. فرفع الأسانيد من طريق شيخه الأنصاري إلى مشاهير أئمة المذهب المتأخرين ثم إلى من فوقهم من الشهرة والزمان ... ويواصل الدرعي في ذكر أعمال الثعالبي، ودوره في جمع الأسانيد فقال: إذ هو ما يغتبط به لندارته ونفاسته وعزته وسلامته"[4].

ومهما يكن، فإن العالم المحدّث عيسى الثعالبي الزواوي، قد ساهم بمؤلفاته في علم الحديث مساهمة كبيرة، لو تمكننا من الإطلاع عليها، وتحقيقها، فإن ذلك سيزيد في إثراء رصيد علماء المغرب الإسلامي في هذا العلم. فعيسى الثعالبي وصفه معاصروه، والمترجمون له بأنه:" كان ذا ملكة واسعة في علم الحديث، وأنه كان مسند الدنيا في وقته،

---

[1]– هو محمد بن علاء الدين أبو عبد الله شمس الدين البابلي، القاهري، الأزهري، الشافعي، الحافظ، الرحلة، أحد الأعلام في الحديث والفقه، وأحفظ أهل عصره لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان شيوخه وأقرانه يعترفون له بذلك.وقد أخذ عليه الثعالبي بمصر والحجاز. أنظر حوله: الكتاني: المصدر السابق، ج 1، ص ص 210، 211.

[2]–الكتاني: نفسه، ج1، ص500.

[3]– ماء الموائد، ج2، ص 132.

[4]– رحلة الدرعي، مخ. م. و، الجزائر ، رقم 1997، أوراق من 99 إلى 104.

كما أنه كان عملاقا بين أقرانه من العلماء خلال القرن الحادي عشر، فنال بذلك رضى أهل الظاهر والباطن من علماء الفقه والتصوف [1].

أحمد بن ثابت البجائي:

ينسب إليه كتاب ألفه في علم الحديث تحت عنوان: " التفكير والاعتبار في الصلاة على النبي المختار" وهو عبارة عن عمل ضمّه شرح فضل الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والكتاب مخطوط توجد منه عدة نسخ، منها نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية[2]، وخزانة المكتبة القاسمية بالهامل، والمكتبة الوطنية بالمملكة المغربية[3]. غير أن المتفحص لهذا المخطوط، يلاحظ أن صاحبه اعتمد فيه على التكرار، والنقل دون التحليل، مما يجعل قارئه لا يستفيد منه. فالكتاب – حسب الدكتور محمد الشريف قاهر – كثير الكلام قليل الفائدة ، وذلك بسبب الفراغ الذي كان سائدا بين علماء عصر المؤلف[4].

محمد بن أحمد بن حسن بن محمد بن محمد بن ميمون الجزائري:

من العلماء الزواويين الذين عاشوا في الفترة الحديثة بمدينة الجزائر، وهو صاحب كتاب " التحفة المرضية في الدولة البكداشية...". تضلع عالمنا في عدة علوم وفنون، من علم التاريخ، إلى الأدب والشعر، وكذلك علم الحديث. وقد ألف كتابا في هذا العلم عنونه بـ: " جامع الأصول المنيفة من مسند أبي حنيفة[5]"، ولا نستغرب إن ألف في مسند أبي حنيفة النعمان، لكون الرجل عاش بين العثمانيين الأتراك الذين كانوا يتبعون هذا المذهب.

د- القراءات القرآنية:

لقد اهتم العلماء المسلمون بعلم القراءات القرآنية اهتماما بالغا، لما لهذا العلم من أهمية في قلوب المسلمين عامة، ولما ورد من أحاديث شريفة تحثّ المسلمين على العناية بخدمته التي تعتبر من أعظم القربات إلى الله تعالى، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وكذلك حث النبي الكريم صلوات الله عليه المسلمين على قراءة القرآن العظيم في قوله صلى الله عليه وسلم، لما قال: « أفضل العبادة قراءة القرآن»، ومن أجل

---

[1]- نقلا عن: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج2 ص56. وكذلك ص 60.

[2]- رقم المخ، 2743 . CD.169

[3]- قسم المخطوطات، رقم جك TN1. 105، وهو المخطوط الذي اعتمدت عليه.

[4] - مقابلة شخصية معه يوم 2014/05/19، بالمجلس الإسلامي الأعلى.

[5]- الكتاني: المصدر السابق، ج1، ص 108.

ذلك تسابق علماء الإسلام على إعطائه الأولوية الكبيرة في إتقان أحكامه، ويتشددون في السند والروايات، بل أنهم يشترطون في المتصدرين لتعليمه إتقانهم للعلوم الأخرى المساعدة على الرواية والدراية، وتمييز الصحيح من السقيم، والمتواتر من الشاذ، وما لا تحل القراءة به، وما تحل, وكل هذا، من أجل الحفاظ على كلام رب العالمين.

وعلى كل، فإن علماء منطقة زواوة كان لهم الحظ في الاهتمام بهذا الفن من العلوم الشرعية، ومن العلماء الذين كان لهم الشأن الكبير فيه: الشيخ علي الزواوي[1]، الذي كان أستاذا للشيخ عبد الرحمن الثعالبي.

أما في فترة البحث، فقد اشتهرت معمرات وكتاتيب، ومدارس منطقة زواوة بمشايخ، وعلماء كان لهم نصيب وافر في هذا العلم مما جعلها مقصدا للراغبين في الاستزادة من هذا الفن، ومحط رجال المقرئين طيلة العهد العثماني وكان يقصدها الطلاب من القطاع القسنطيني وتونس[2] لاشتهارها بالحذق في هذا الفن[3],

لقد ذكر الفكون بأن شيخه(محمد بن مزيان التواتي المغربي)[4] قصد معمرات زواوة لتلقي علم القراءات على علمائها، فقال: "... ثم إنه لما أراد أن يرتحل لزواوة في أوائل القرن الحادي عشر لقراءة السبع...وارتحل للأستاذ الفقيه أبي عبد الله أبي القاسم[5]...وأقام عنده سنة أو أزيد قليلا فجاء وقد حصلت له ملكة عظيمة ومعرفة تامة بعلم القراءات"[6] .

ومما تقدم، يظهر بأن علماء منطقة زواوة في فترة البحث، كان لهم إسهام كبير في هذا الميدان، غير أنهم لم يتركوا التآلف فيه، وكل ما تركوه عبارة عن بعض التقاريض، والتقاييد

---

[1]- علي الزواوي: من علماء الجزائر الذين درس عليهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وكانت له شهرة كبيرة في الإقراء، ودفن في مدينة الجزائر، وسمي حي باسمه قبل أن تقدم السلطات الإستعمارية على هدم ضريحه. من مؤلفاته: كتاب في الوقف، نسخه، أحمد بن عبد العزيز الحاج الزواوي، أنظر حوله: المهدي البوعبدلي: "اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث"، في: مجلة: رسالة المسجد، ع 8، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، محرم1425هـ/ مارس 2004م، ص ص 7، 8.

[2]- نفسه ، ص 16.

[3]- سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص20.

[4]- محمد بن مزيان التواتي: ترجم له الفكون قائلا: "وممن لقيناه وقرأنا عليه الشيخ الأستاذ النحرير النحوي آخر المتكلمين لسان حجة المسلمين، أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي لقبا، أصله من المغرب، توفي في تونس في طاعون سنة إحدى وثلاثين وألف/1621" منشور الهداية... ص ص 58، 59.

[5]- لم أعثر على ترجمته.

[6]- الفكون: المصدر السابق، ص 58.

التي وضعها بعضهم في هذا الفن، مثل تقييد الشيخ محمد العربي الحرزوني في القراءات العشر. وكذلك تقييد الشيخ: محمد بن عنتر البتروني على إفراد ورش وقالون[1].

هذا، وقد اشتهرت بعض معمرات المنطقة بالسبق في علوم القرآن الكريم، خاصة معمرة سيدي عبد الرحمن اليلولي، التي اختصت بالتعليم القرآني لفترة طويلة، وتخرج منها من العلماء الذين استفادوا من شيوخها الذين أفادوا طلبتهم، وأخذوا عنهم علوم الإقراء والتجويد، وممن أخذوا من معمرات المنطقة العالم التونسي: أحمد بن مصطفى برناز التونسي[2]، وكذلك أبو القاسم البوجليلي (ت 1314هـ/ 1898م)، الذي يعتبر من العلماء البارزين في علوم القرآن، وألف كتابا في الموضوع بعنوان: " التبصرة في قراءة العشرة[3]"، وفيه ذكر عددا من علماء زواوة الذين درس عليهم الإقراء واستفاد منهم الكثير، بل أشاد بمناقبهم، ويدخلون في فترة البحث، نجد الشيخ محمد بن علي التقابي،- الذي يعتقد سعد الله بأنه والد السعيد الجنادي، صاحب كتاب: أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل[4]- وهو العالم الذي خصه تلميذه البوجليلي بأوصاف حسنة منها:" فكلما قلت شيخنا، فالمراد به مولاي سيدي محمد بن علي المذكور وهو العمدة في قراءتي[5]"، وكذلك أخذ عن السيد العربي الأخداشي المتوفى سنة 1263هـ/ 1846م، والسيد محمد الطاهر الجنادي(ت 1262هـ/1845م). ثم يذكر العلماء الذين أخذ عنهم مشايخه، فيذكر بأن الجنادي أخذ عن الشيخ السيد محمد بن يحيى اليراتني، والأخداشي أخذ عن محمد بن علي إفرادا وعشرا. وبعد ذلك يذكر سند أخذ شيوخه، فيقول: وقرأ محمد بن يحيى عن الشيخ سيدي محمد بن سبع عن شيخنا، وهو عن سيدي عبد الله الخراط، وقرأ الشيخ الأخداشي عن الشيخ صالح بأولاد أعمر أوزكان، وقرأ الشيخ محمد بن علي المذكور عن الشيخ أحمد بن يذير الفملالي، وهو عن ابن تريغت، وكلاهما من بني يعلى تزمورين[6] " وهؤلاء العلماء والمقرئين من منطقة البحث كلهم.

---

[1]- مخ ضمن مجموع، الم. و. ج، رقم 2245.

[2]- أحمد بن مصطفى برناز: هو عالم من علماء تونس الذين قصدوا منطقة زواوة للأخذ على علمائها، وكان في المنطقة سنة 1107هـ، وتوفي في تونسية 1138هـ. حسين خوجة المصدر السابق، مخ المكتبة الوطنية، الجزائر،

[3]- التبصرة في قراء العشرة، من تأليف البوجليلي، درسه، وحققه حسين وعليلي، دار ابن حزم، بيروت، 1434هـ/2013م، وهذا التأليف قال فيه البوعبدلي: " هذا وإن تأليف البوجليلي على صغر حجمه يزخر بالفوائد، إذ أثبت سنده في علم القراءات ببلاد زواوة"، المرجع السابق، ص 16.

[4]- تاريخ الجزائر الثقافي، ...ج3، 202.

[5]- وعليلي، المرجع السابق، ص 106.

[6]- وعليلي: المرجع السابق، ص ص 100، 103.

وباستعراضي لهؤلاء العلماء الذين اشتهروا في إجادة علم القراءات في منطقة زواوة، يمكن القول بأن المنطقة في فترة البحث كانت قبلة لكل راغب في إتقان القراءات القرآنية، ومعمرات المنطقة كانت منارة يستهدي بها كل باحث عن معرفة المزيد من هذا الفن، مما جعل المنطقة وبفضل علمائها، وشيوخ معمراتها، يساهمون مساهمة كبيرة في إثراء القراءات القرآنية، ويحافظون على مكانة هذا العلم من الاندثار، فكان لهم الفضل في بقاء هذا العلم.

هـ- علوم التصوف:

تنقسم المؤلفات المتعلقة بالجانب الصوفي خلال فترة البحث إلى فترتين مختلفتين، هما:

*الفترة الأولى: الفترة التي تبدأ من القرن العاشر هجري/ 16م، إلى غاية نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ 18م، وهي الفترة التي تأثرت إلى حد ما بالطرائق الصوفية المشرقية، وبخاصة الطريقة القادرية، وهو ما جعل الإنتاج الفكري في منطقة البحث يتصف بالكثرة، والغزارة خاصة ما تعلق بالأذكار والمناقب الصوفية، والأوراد، والشروح المتعلقة بالقصائد الصوفية، والمدائح النبوية[1]، والمرائي، وغير ذلك من الميادين التي لها علاقة بالتصوف، وتميزت التآلف الصوفية في منطقة البحث خلال الفترة الحديثة بالميل إلى التأليف في الزهد، والدعوة إلى الالتزام بمبادئ المتصوفين والزهاد السابقين.

ومهما يكن، فإن هناك عددا من العلماء الذين ألفوا في هذا الجانب، ومن بينهم:

1- **الحسين الورثيلاني:** يعد من بين الذين ألفوا الكثير من المؤلفات الصوفية، أو التي لها علاقة بالتصوف، خاصة منها الشروح، ومن بين أهمها:

- شرح على المنظومة القدسية: وهي منظومة ألفها الشيخ عبد الرحمن الأخضري[2]، وتمثل قصيدة في آداب السلوك[3]، وله شرح على وسطى السنوسي، وحاشية على حاشية المحقق السكتاني التي وضعها على شرح السكتاني. هذا، وقام بشرح وظيفة الشيخ سيدي

---

[1]- سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 128.

[2]- هو عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، عالم، زاهد ورع، ذو قدم راسخ في المعقول والمنقول، له تآلف تلقاها المعلمون بالقبول، والمتعلمون بالحفظ والاستفادة، كان حيا أواسط القرن العاشر، دفن في زاوية بن طيوس بالقرب من بسكرة. أنظر عنه: الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص72.

[3]- سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 130.

يحيى العدلي، وهو الشرح الذي سماه " شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار"[1].

كما أن له عدة رسائل في هذا الجانب، أشار هو إليها في الرحلة، إحداهما في قول بعض الأولياء " وقفت على ساحل وقفت الأنبياء دونه"[2]، وهي المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي. ورسالة أخرى، في قول بعضهم " نسجت برنسا من ماء"، وهي الرسالة المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني. إضافة إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة ميمية تجاوزت أبياتها خمسمائة بيت، وكذا تشطيره للبردة[3].

إن الشيخ الورثيلاني، من علماء زواوة ومتصوفيها الذين ألفوا الكثير من المؤلفات في هذا الميدان، غير أن معظم مؤلفاته ضاعت ولم تصل إلينا، فقد ساهم في التصوف تأليفا وسلوكا، وكانت له كلمة مسموعة في قومه.

2- **أحمد بن محمد الحاج البجائي التلمساني:**

عمل هذا المؤلف على شرح القصيدة المعروفة بـ :(أنس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس)[4]، ويذكر (سعد الله) بأن صاحب الشرح " لا يعرف أحد قبله وضع شرحا على القصيدة"[5]، ومما جاء في بداية هذا الشرح، " اعلم أن هذه القصيدة ليست لي فيها رواية، ولا شاركت فيها من له بها دراية، ولا وقفت على نسخة منها عتيقة، تكون النفس بصحبتها وثيقة، ولا عثرت على شرح لها أمامي أجعله إمامي..."[6].

---

[1]- توجد نسخة من هذا الشرح مخطوطة بخزانة الشيخ أولحبيب ببني ورثيلان، وهي غير كاملة، كما توجد نسخة أخرى بمكتبة تطوان (المغرب) ضمن مجموع رقم 155. عمل على تحقيق هذا المخطوط الأستاذ الدكتور: محمد الشريف قاهر بمعية الدكتور: محند أويذير مشنان، كما أبلغني الأستاذ الدكتور: عمار طالبي بأنه يعمل على تحقيقها أيضا. وللتوسع أكثر حول مؤلفات الشيخ الورثيلاني، يمكن العودة إلى:
مختار بن الطاهر فيلالي: رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة، ص ص 26، 28.، وكذلك:
- أحمد ظريف: قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورثيلاني، ... 2005،ص ص 37، 38.

[2] - الرحلة، ج1، ص 60.

[3]- سعد الله ، المرجع السابق، ج 2، ص ص 146، 147.

[4]- مخ. م .و.ج، رقم 2104.

[5]- المرجع السابق، ج 2، ص 128.

[6]- سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 129.

3-الطاهر بن زيان الزواوي القسنطيني:

ألف الطاهر بن زيان مؤلفين على الأقل في التصوف، أحدهما " نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد"[1]، والمؤلف الثاني بعنوان: " رسالة القصد إلى الله"، غير أن المؤلف الثاني مفقود، ولم أتمكن من الإطلاع عليه.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن الشيخ الورثيلاني ألف في المناقب الصوفية، وخص فيه ذكر كرامات الشيخ يحيى العدلي، وهو مخطوط بحوزة حفدة الشيخ العدلي، غير محقق ولا مطبوع.

*الفترة الثانية: وهي فترة القرن الثالث عشر الهجري/ 19م، فقد انتشرت بالمنطقة ظاهرة التصوف والولاية المتسمة بالدروشة، انتشارا لم تشهده الجزائر عامة من قبل، غير أن حصيلة الإنتاج الفكري في هذه الفترة ظل قليلا، وذلك لاشتغال المتصوفين بممارسة الذكر، وتلقين الأوراد للأتباع، وتربيتهم على آداب السلوك، واهتمامهم منصب أكثر على نشر التعليم، مما حال دون التأليف حول الكون وخالقه، والإنسان ومصيره، ودوره في الحياة[2], وبالرغم من ذلك ، نجد بعض المؤلفات التي ألفها علماء المنطقة خلال هذه الفترة، ومنها:

1-إسهامات الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري:

أسهم الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري من خلال مؤلفاته، ورسائله التي وضعها في هذا العلم، مساهمة كبيرة، ويظهر ذلك من المؤلفات والشروح التي وضعها، ومن أهمها:

شرحه على رسالة عبد الله الرفاعي، الموسومة بـ" قوتة قولي في التصوف"[3]، إضافة إلى رسائله في الطريقة[4]، التي أرسلها لأتباع الطريقة الرحمانية، سواء من القاهرة، أو تلك التي تبادلها مع مقدمي الطريقة في الجزائر.

---

[1]- أنظر حول هذا المؤلف الفصل التالي.

[2]- سعد الله، المرجع السابق، ج 7، ص 113.

[3]- مخ، بم .و .م، رقم د 1956. وحول هذا الشرح ، أنظر الفصل التالي.

[4]- عدد من هذه الرسائل محفوظة في خزانة الزاوية القاسمية بالهامل.

2- مؤلف الشيخ محند أمزيان بن الحداد:

ألف الحداد في التصوف كتابا[1]، تعرض فيه إلى أحوال البلاد في وقته[2]، وذكر بأنه ألف مؤلفه بطلب من أستاذه الشيخ المهدي السكلاوي قبل هجرته إلى الشام.

3-علي بن محمد المغازي الزواوي:

يعد المغازي من علماء زواوة الذين عاشوا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ 19م، ومن بين المؤلفات التي ألفها في التصوف مؤلف بعنوان: " الفيوضات الربانية والتدرجات الإنسانية في نشر الطريقة الرحمانية"، وهو التأليف الذي لم أتمكن من الإطلاع عليه، وحسب (سعد الله)، فإن الكتاب يمكن أن يكون قد طبع في مصر[3]، ولم يصل إلينا في الوقت الحالي.

4-أحمد الطيب الرحموني العيسوي:

عمل الرحموني على شرح أم البراهين، ووضع لشرحه عنوانا سماه "تكملة الفوائد في تحرير العقائد"، وهو عبارة عن شرح لعقيدة السنوسي التي ذكرت من قبل[4].

5-ابن علي الشريف الشلاطي:

تذكر المصادر التاريخية بأن الشلاطي ألف في التصوف كتابا في التعريف برجال التصوف، سماه: "التعريف بالأحبار المالكيين الأخيار"، وكذلك "مختصر حث الوارد على حب الأوراد"[5]

6- محمد بن راشد اليلمايني:

من التآلف التي تناول فيها صاحبها الرد على المناوئين والمعارضين للشيخ الحداد، وسمى مؤلفه بـ" نصرة السني ردا على ذي الوهم البدعي"، وهو عبارة عن نظم ذكره (سعد الله) نقلا عن (علي أمقران السحنوني)، تعدت أبياته المائة وأحدى عشر بيتا (111)، تدور موضوعاته حول الصوم وعيد الفطر[6].

---

[1]- مخ، صورت نسخة عنه من مكتبة الأستاذ: محمد الشريف بن الشيخ، بمدينة بجاية، وقد أخبرني الأستاذ الدكتور عمار طالبي، بأنه يعمل على تحقيقه.

[2]- أنظر حوله الفصل التالي.

[3]- تاريخ الجزائر الثقافي...،ج7، ص 134.

[4]- نفسه، ص 149.

[5]- مخ، بم .و .ج، رقم 2694 ضمن مجموع.

[6]- ج 7، ص 132.

7-المهدي السكلاوي:

وضع الشيخ السكلاوي نظما في الطريقة الرحمانية،نصه:

الحمد لله على ما أنعما	حمدا كثيرا طيبا منظما
ثم سـلام الله مع صلاته	على النبي وآله وصحبه
وبعـد هاك رجز للمبتدي	به يكون سالكا ويهتدي
جمعته من كتب الطريقة	أصل الشريعة كذا الحقيقة
هذا وأرجو الله في الهداية	به في الإبتدا وفي النهاية
فواجب على المريد الإجتهاد	في حفظ قلبه أخي من الفساد
كالكبروالرياء والنميمة	والغيبـة القبيحـة الذميمـة
والحقد والحسد والغل كذا	كل من أنواعه اجتنب أذى
والمكر والوسواس والخواطر	مزيلها تصفو له السرائر [1]

[1] – نسخة مخطوطة من القصيدة عند عائلة كديد بزواوة الغربية. أنظر صورة عنها في الملاحق.

الفصل الثاني:

العلوم العقلية:

ترك علماء زواوة الذين عاشوا فيما بين القرن العاشر الهجري/ 16م، والقرن الثالث عشر الهجري/ 19م، مجموعة من المؤلفات العقلية في ميادين مختلفة، منها ما هو باق، والكثير منها ضاع، ولم يبق منها إلا الأثر، ومن هذه العلوم العقلية التي ألف فيها الزواويون ما يلي:

1- التاريخ:

إن اهتمام علماء زواوة بهذا العلم - رغم أهميته يعتبر ضئيل جدا،وهو الشيء الذي ذكره الورثيلاني عندما قال: " ...لا سيما أهل بلادنا فإن علم التاريخ منعدم فيهم وساقط عندهم، فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالا بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها"[1]، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الجهل بأهمية هذا العلم، ودوره في بناء وحياة الأمم والشعوب[2].

وعلى كل، فإن هناك بعضا من الذين ألفوا في هذا العلم، وتركوا إسهاماتهم في علم التاريخ، ومن بين الذين عثرت على تآلفهم أذكر:

مؤلف محمد بن ميمون الزواوي الجزائري: بعنوان " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، وهو تأليف في سيرة الداي محمد بكداش باشا(ت 1122هـ/ 1710م)[3]، والكتاب في شكل مقامات عددها ست عشرة مقامة، تعرض فيها إلى وصف سيرة محمد بكداش وأخلاقه، وإلى تحرير مدينة وهران الأول على يده سنة 1119هـ/ 1708م[4].

المؤلف الثاني، والذي يمكن تصنيفه ضمن المؤلفات التاريخية هو تأليف الشيخ صالح السمعوني، الذي ألفه في دمشق وسماه ب" التاريخ"، وقد انتهى من تأليفه سنة 1280هـ/ 1863م، واتبع في منهجه أسلوب الإشارة والرمز. ويعود ذلك ربما إلى المراقبة التي فرضها

---

[1]- نزهة الأنظار ... ج3، ص ص 217، 218.

[2]- عن أهمية هذا العلم يمكن العودة إلى مقدمة ابن خلدون... وكذلك :

- ابن مهنى القسنطيني، في حاشيته على رحلة الشيخ الورثيلاني، مخ، بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، أملك صورة عنه بمكتبتي الخاصة.

[3]- مقدمة التحقيق التي وضعها محمد بن عبد الكريم لكتاب التحفة المرضية...،ص 12.

[4]- نفسه، ص8.

الإستعمار الفرنسي على الجالية الجزائرية المقيمة في بلاد الشام. ويذكر بعض المطلعين عليه من المشارقة، بأن الأسلوب الذي اتبعه في هذا التأليف أسلوب عجيب وطريقته فيه نادرة غريبة[1].

2-التراجم:

تنقسم التراجم إلى تراجم عامة، وهي التراجم التي ترجم فيها لأكثر من جانب واحد، كتلك التي ترجم فيها أصحابها لمدن معينة، أو لفترات محددة، أو لنواحي معينة[2]. وهذا النوع لم أجد له أثرا في منطقة البحث.

أما النوع الثاني من التراجم، فهي التراجم الخاصة، والهادفة إلى الترجمة لشخصية معينة، أو لعائلة ما، فهي موجودة، ومن بينها:

كتاب: توشيح طراز الخياطة، الذي وضعه محمد العربي بن مصباح اليعلاوي، وترجم فيه لشيخه محمد بن علي الشريف الشلاطي وعائلته[3]، والكتاب عبارة عن منظومة مدح فيها شيخه، وعائلته وبعض الذين أخذ عنهم من علماء معمرة شلاطة، وهذا المؤلف، يذكره البعض بأنه مخطوط اعتمد عليه الشيخ البوعبدلي في التعريف بعائلة ابن علي الشريف خلال مشاركته في ندوة عالمية بألمانيا[4]، لكنه الآن في حكم المفقود ولم أتمكن من الإطلاع عليه.

- **مؤلف ابن علي الشريف الشلاطي:**

ألف الشلاطي عملين في التراجم، وهما (التعريف بأخبار المالكيين)، الذي وضعه في شكل منظومة ترجم فيها لعدد من الشخصيات التي له علاقة بها من العلماء المالكيين. كما وضع تأليفا آخر عنونه بـ " الوعظ والأذكار وحكايات الصالحين الأبرار "[5].

3-الرحلات:

---

[1]- ابن البيطار، المصدر السابق، ج1، ص 327.، وكذلك :

- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المشتشرقين ، ط 15 ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ، 2002 ، ج 3، ص 189.

[2]- سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 350.

[3]- نفسه، ص365.

[4]- نفسه، ص 276.

[5]- بشير ضيف: المرجع السابق، ج3، ص 54.

من أهم كتب الرحلات التي تركها علماء منطقة زواوة في الفترة الحديثة، رحلة الشيخ الورثيلاني، الموسومة بـ:" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، والتي انتهى من تأليفها سنة 1168هـ/ 1754م، وهي موسوعة تشتمل على علوم عدة، أملاها على طلابه بعد عودته من حجته الثالثة.

من بين الذين ألفوا في الرحلات من منطقة البحث كذلك الشيخ الشلاطي، الذي عثرنا على أحد مؤلفاته بعنوان (الرحلة)، ذكر فيها أخبارا عن رحلاته، ووضع مؤلفه في كراستين مكتوبتين بخط مغربي دقيق من الحجم المتوسط، توجدان في مكتبة الشيخ محمد الحسن عليلي، ولم يسمح لنا من الإطلاع عليها.

نفس العنوان وجدناه في مؤلف الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي (الرحلة)، والذي دون فيها رحلته من الجزائر إلى مصر، والحجاز، وذلك في حدود سنة 1066هـ/1655م[1].

هذا، وألف الشيخ أبو عبد الله محمد الصالح الزواوي[2] كتابا يتضح من خلال عنوانه أنه اهتم بذكر معلومات عن رحلته الحجازية، وعنوان المؤلف: (بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين) .

4-اللغة والأدب والشعر:

من المؤلفات التي ألفها أهل المنطقة في هذه العلوم، عثرنا على:

- مؤلفات، محمد الصالح الرحموني:

ألف العديد من الأعمال الخاصة باللغة والأدب، بعضها مازال مخطوطا، وبعضها الآخر ضاع بفعل عوامل الزمن، ومن هذه الأعمال: (الدليل على الأجرومية)، و(شرح الأزهرية)، و(ميزان اللباب في قواعد الإعراب)[3]. ومن خلال هذه العناوين يظهر بأن ما ألفه الرحموني موجه أساسا للطلاب الذين يدرسون اللغة والأدب العربي، وذلك لكونه من العلماء الذين قضوا مدة طويلة في التدريس بمعمرة الشيخ سيدي امحمد بن عبد الرحمن.

---

[1]- الكتاني: المصدر السابق، ج 2، ص 808.

[2]- لم أتمكن من العثور على ترجمته، وكذا الإطلاع على مؤلفه.

[3]- البشير بن ضيف: المرجع السابق، ج3، ص95.

- مؤلف، الشيخ أحمد الطيب الرحموني:

وهو ولد محمد الصالح، الذي درّس مع والده بالمعمرة المذكور، فوضع عملا في اللغة سماه: (مفيد الطلبة)[1]، وهو شرح للأجرومية موجه للطلبة كمرجع لهم.

- مؤلف الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري:

على الرغم من نبوغه في التصوف، إلا أنه اهتم بالتأليف في اللغة، ومن مؤلفاته التي عثرنا عليها رسالة في أحوال الفعل المضارع[2].

- محمد بن أحمد بن زكري الزواوي[3]:

يعتبر من أهل القرن الثالث عشر/ 19م، اعتمادا على تاريخ إنهائه لمؤلفه الذي وضع له عنوانا يظهر من خلاله أنه شرح لألفية السيوطي في النحو، وسماه: (المهمات المفيدة على الفريدة)، ويذكر بأن المؤلف طبع في الجزائر سنة 1321هـ/1903، بينما أنهى تأليفه للكتاب في سنة 1227هـ/1812[4].

- في الشعر:

ألف علماء ومشايخ منطقة زواوة في الشعر الكثير من القصائد والمدائح، حتى باللغة الزواوية (القبائلية)، غير أن هذه التآلف ضاع معظمها ولم تصل إلينا، والبعض الآخر منها في الخزائن الخاصة التي يصعب الوصول إليها يعتريها الغبار، وتنتظر متى يحين الوقت للإفراج عنها، ومن هذه المؤلفات التي وضعها علماء المنطقة نجد:

- مؤلف أحمد المنجلاتي:

الذي ذكره (ابن عمار)[5] واعتبره ثالث الاثنين في الشعر والموشحات، فهو لا يختلف عن البوصيري، وابن الفارض في القصائد النبوية[6]، ومن موشحاته:

---

[1]- نويهض، المرجع السابق، ص 161.

[2]- الحفناوي: المصدر السابق، ج 2، ص 298.

[3]- لم أتمكن من العثور على ترجمته.

[4]- أنظر حوله : معجم المطبوعات العربية، ج 1، ص 112.

[5]- من علماء القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، وقد عاش إلى ما بعد 1205هـ/ 1787، ولد بمدينة الجزائر، وتولى مناصب سامية في الدولة ، أنظر حوله:

- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، ص ص 224...236.

[6]- سعد الله: المرجع السابق، ج 2، ص 248.

بالله حادي القطار　　قف بتلك الدار　　واقر السلام

سلم على عرب نجد　　واذكر صبابة وجد　　كيف يلام

من بادرته الدموع　　شوقا لتلك الربوع　　مع المقام[1]

وبعد أن أورد لنفس المؤلف قصيدة أخرى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، مطلعها:

الركب نحو الحبيب قد سار　　يود شوقا إليه لو طارا

قال فيه ابن عمار: إن المنجلاتي من عشاق الشمائل المحمدية ، وإن له ديوانا في المدائح النبوية " تزري بالأزهار الندية"[2]. فهو من الشعراء الذين كانت لهم مكانة في الجزائر خلال الفترة الحديثة.

- هذا، وترك عيسى الثعالبي نصوصا شعرية أوردها تلميذه العياشي في رحلته، عندما مدح شيخه الثعالبي، فرد عليه بقصيدة مما جاء فيها:

حبا بابنة الفخر العلى والمناقب　　فريدة فرد في امتطاء المناصب

أتت تتهادى في مروط ملاحة　　تجرر هاتيها على كل كاعـــب

وتأنف إذا كانت يتيمة دهرها　　جمالا بديعا عن إجابـة خاطـب[3]

يظهر من خلال هذا المقطع من القصيدة التي وضعها الثعالبي، بأنه يمتلك ملكة شعرية فياضة، تمكنه لو اهتم بها من أن يكون من الشعراء البارزين في عصره[4].

وهكذا، فإننا نجد الكثير من الذين نظموا الشعر ووضعوا قصائد شعرية ذات قيمة فكرية هامة، خاصة ما تعلق منها بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا بعض الأدباء الذين تركوا بصماتهم في الأدب والشعر، ومنهم الأديب الشاعر ابن ميمون الجزائري الذي يعدّ من بين الذين برعوا في قرض الشعر، واعتبر على رأس ممثلي المدرسة الأندلسية في الجزائر، بعد المقري[5]، ومما ألف في الشعر، إلى جانب كتابه التحفه المرضية...، قصيدة ذكرها (سعد الله)، في تهنئة عبدي باشا (1724- 1732) حين قدومه من المحلة، مما جاء فيها:

---

[1]- نقلا عن سعد الله ، نفسه.

[2]- نفسه، ص 248.

[3]- العياشي: الرحلة، ج2، ص131.

[4]- سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 271.

[5]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص 215.

بشرى كما انبلج الصباح البادي   بقدوم مولانا ضحى الميلادي

في ساعة بركاتها فاضت على   كل الورى من حاضر أو بادي

بالطالع الميمون في يوم بدا   في مثله وجه الرسول الهادي

حتى يصل في نهاية القصيدة إلى قوله:

فصفات مجدك أعجزت من رامها   ولو استعان لسان (قس اياد)

لا زلـت تبلغ كل ما أملته   في النفس والسلطان والأولاد[1].

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى القصائد العديدة التي وضعها شيوخ المنطقة وعلمائها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بينها قصيدة الشيخ السعيد بن أبي داوود الزواوي، صاحب معمرة تاسلنت،

ومما جاء فيها:

ربي صلي على المرسلين   ألف ألف مع ضعف ومدد

يا رسـول الله غوثا ومدد   يا رسول الله أنت المعتمد

يا رسول الله ما لي سند   غير(ك) إلا أنت يا نعم السند

يا رســول الله ما لي عتد   غير حبك ويا خير العتد

يا رسول الله يا خير الورى   أنت هو الولد والعبد والولد

إلى أن يقول:

وصلاة الله مع تسليمه   لرســول الله من غيــر أمـد

ببقـاء الله تبقى دائما   وعلى الأهل والصحب ذي الرشد[2]

هذه القصيدة من حوالي سبع وعشرين بيتا، تعرف بغوثية سيدي السعيد بن عبد الرحمن بن أبي داوود، في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

من خلال هذه النماذج، يظهر بأن علماء زواوة ساهموا في هذه العلوم، وتركوا مجموعة من النماذج التي تدل على مدى نبوغ بعضهم في الأدب والنثر والشعر واللغة.

---

[1]- المرجع السابق، ص ص 217، 218.

[2]- الصادق بالة: الأنوار الزكية في الذكر ومدح سيد خير البرية:، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2014، ص ص 72، 73.

5-الفلك والحساب:

يعتبر هذا العلم، من العلوم التي لم يكن الاهتمام بها كبيرا في المنطقة خلال فترة البحث، غير أن الحاجة إليها دفعت ببعضهم إلى التأليف فيها، ومن بين التآلف التي تمكنت من جمعها، أو الإطلاع عليها:

- تأليف الشلاطي في الفلك: الذي يعتبر من التآلف الهامة في هذا الميدان وفي المنطقة خلال فترة البحث، وعنوانه الكامل هو: " معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار"، وقد انتهى من تأليفه سنة 1192هـ/ 1778م، وتوجد منه عدة نسخ في داخل الوطن وخارجه، والنسخة التي اعتمدت عليها، هي النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم2678،و 2694.[1]

- تأليف الشيخ الأزهري:

وضع الشيخ سيدي امحمد الأزهري رسالة في الحساب، ذكرها الحفناوي لما ترجم للشيخ الأزهري، وهي مفقودة لم أتمكن من العثور عليها[2].

هذا، وقد ألف بعض علماء المنطقة في المنطق، وعلم الميقات والفلك. فالشيخ محمد الصالح العيساوي، شرح كتاب "المنطق" الذي ألفه الأخضري، والمعروف بكتاب السلم المرونق. وألف الشيخ صالح السمعوني رسائل في علم الميقات، أشار إليها الزركلي في ترجمته للسمعوني[3]، وهو الأمر الذي أشار إليه (سعد الله) عندما قال: بأن السمعوني من المولعين بالفلك[4]. هذا، وقد ألف أيضا محمد الطيب اليعلاوي نظما في الفلك لازال مجهولا، ولم أتمكن من معرفة المعلومات حوله. إضافة إلى مصنفات أخرى في هذا الميدان كنظم الشيخ ابن أبي داوود في الفلك، وهو نظم متروك السوسي[5]، وكذلك تأليف: أحمد الطيب الزواوي في الحساب الذي عنونه بـ" منهاج الوصول إلى ما في الإرث من الأصول" ، وهذا التأليف عبارة عن أرجوزة في الفرائض[6].

---

[1] - أنظر حول هذا المؤلف الفصل التالي.

[2]- تعريف الخلف... ج2، ص298.

[3]- الأعلام...ج3، ص 189.

[4]- المرجع السابق، ج7، ص 280.

[5]- نفسه، ص 279.

[6]- أنظر حوله: الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص 522.، وكذلك:

- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية... ص 382.

الفصل الثالث:

الإجازات العلمية

الإجازة: هي عبارة عن شهادة يمنحها شيخ لتلميذه، وتكون عادة بطلب منه، وتسمى في المصطلح استدعاء. وقد تكون الإجازة الممنوحة شعرا أو نثرا، أو كليهما معا[1].

تكون الإجازة عادة بطلب من التلميذ(الطالب) بعد القراءة على شيخه في تخصص معين، أو في عدة تخصصات لفترة يمكن أن تكون قصيرة، أو تستغرق عدة سنوات. كما أن هناك إجازات يقدمها شيوخ الطرائق الصوفية لأتباعهم ومريديهم، والغاية منها نشر معالم الطريقة في المناطق الأخرى، غير التي توجد فيها الطريقة، أو أن يصبح بمثابة مقدم لها، ولا يكون ذلك إلا بعد اطمئنان الشيخ عن تلميذه بعد ملازمته له مدة طويلة، وهذا ما يظهر من إجازة الشيخ (فيض الدين حسين أبو الفيض غنيم السمان)، الذي أجاز السيد (عبد الرحمن بن السيد إبراهيم) من أولاد السيد منصور، من الجزائر. بعد ملازمة الأخير لشيخ الطريقة في مصر لمدة طويلة، فكلفه بنشر الطريقة في الجزائر عامة، ويعود تاريخ الإجازة إلى يوم الثلاث المبارك ستة أيام خلت من شهر جمادي الأول سنة ألف ومايتين(مائتين) وإحدى وستين من هجرة النبي الأكرم، والتي مطلعها: بعد البسملة (...وبعد فيقول راجي عفو ربه المنان السيد حسين أبو الفيض غنيم السمان القادري الخلوتي قد اجتمع علي الشيخ السيد عبد الرحمن ابن السيد إبراهيم بن السيد عبد الرحمن من أولاد السيد منصور من الجزائر وطلب مني الإجازة على طريق الشيخ السمان عن طريق السيد عبد القادر الجيلاني فاستخرت الله تعالى وأجبته لذلك وأجزته بإعطاء العهود وبافتتاح المجالس والأذكار وبقراءة الأوراد لا سيما توسل سيدي محمد السمان وأحزاب السيد عبد القادر الجيلاني...)[2] .

وبالنسبة لعلماء زواوة في فترة البحث، فقد عثرت على مجموعة من الإجازات العلمية، التي أجاز بها علماء المنطقة طلبتهم سواء من الجزائر أو من خارجها، وهذه الإجازات من مظاهر إسهامات علماء المنطقة في الحياة الفكرية الإسلامية خلال الفترة البحث، ومنها:

---

[1] - سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص 54.

[2] - أنظر نماذج عن هذه الإجازات في الملاحق.

أ- إجازات الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي:

كان الثعالبي من العلماء الذين لهم شهرة واسعة في علوم شتى، فلازمه عدد من الطلبة آخذين عنه مختلف العلوم، ومن هؤلاء الذين لازموه مدة من الزمن الشيخ يحيى الشاوي، الذي اضطر إلى أن يسافر معه مسافة ثمان مراحل دارسا عليه المنطق[1]، كما لازمه أيضا العالم المغربي الرحالة العياشي في مكة المكرمة، فأجازه إجازة عامة في العلوم التي درسها عليه، وعنها يقول العياشي: " ومنهم شيخنا سيدي عيسى الثعالبي ، تلقنت منه الذكر، وصافحني، وناولني السبحة، وشابكني، وأضافني بالتمر والماء، وألبسني الخرقة، وأجازني كل ذلك بأسانيده"[2].

ومن الذين أجازهم الثعالبي أيضا، الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الروداني[3]، الذي وضع له ثبتا على إجازة الشيخ قدورة الجزائري[4] .

هذا، وأجاز عددا من طلابه في المشرق، إجازة مباشرة أو غير مباشرة، ومن بين أولئك الذين أخذوا الإجازة عنه، أحمد بن سعيد الدلائي (ت 1068هـ/1657م)، والذي أجازه بمكة المكرمة. وكذلك المحبي، صاحب كتاب: خلاصة الأثر...، والعيثاوي الدمشقي (ت 1080هـ/1669م)، وإبراهيم بن حامد القاكي[5]، وأجاز الشيخ إبراهيم الكوراني إجازة عامة، تاريخها أوائل شهر ذي الحجة سنة 1053هـ/1643م ومما جاء في هذه الإجازة:" وأخبرنا بجميع ما تقدم إجازة شيخنا خاتمة الحفاظ المحدثين وبقية الأعلام المسندين، حامل لواء علوم الحديث، والمميز بواسع باع بين الطيب والخبيث، والسمين والغيث..."[6] وغيرهم. فالثعالبي ازدحم حول مجلسه الطلبة، في مكة المكرمة، وذلك لتضلعه في العلوم المختلفة خاصة علم الحديث، غير أن تآلفه قليلة لكونه متفرغ للقراءة والتدريس.

---

[1]- سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 43.

[2]- العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ، فهرس أبي سالم العياشي11هـ/17م. تحقيق، نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996، ص 150

[3] - هو محمد بن محمد بن سليمان الروداني السوسي، ولد بتارودانت، جنوب المغرب الأقصى سنة 1037هـ/1627م، وتوفي بدمشق سنة1094هـ/ 1683م، ومن بين الذين أخذ عنهم في الجزائر الشيخ سعيد قدورة، والشيخ عيسى الثعالبي اللذان أجازوه إجازة علمية عامة. أنظر:
- المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر...، ص 100.

[4]- نص إجازة الشيخ الثعالبي للروداني، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية المغربية، تحت رقم ح 5. صورت نسخة عنها.

[5]- سعد الله: المرجع السابق،ج 2، ص ص 56، 57.

[6]- عيسى بن محمد الثعالبي المغربي: ثبت شمس الدين البابلي المسمى منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد...قام بأصله واعتنى به : محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1425/ 2004.

ب- إجازة المنجلاتي:

لقد أجاز المنجلاتي تلميذه محمد بن قاسم بن محمد ...أبو عبد الله بن زاكور الفاسي[1]، القائل في شيخه المنجلاتي: " ... عندما عزمت على الخروج من تلك الجنة، ولما أزف الرحيل، واستعمل عزمي في أسبابه العنق والذميل، التمست ممن اصطفيته من أولئك الأخيار، أن يكتب لي من إجازته ما أطاول به الأحبار، فسوغ لي من اعتمرت بمطافه ما ترشفته من نطافه، وأجاز لي من اهتديت بمناره ما أقبسني من أنواره"[2]. فأجازه الشيخ المنجلاتي على أن يروي عنه ما درسه من العلوم على مشايخه الذين ذكر سندهم في الإجازة، وكان مطلع الإجازة: " الحمد لله وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين. وبعد: فقد اجتمعت بالشاب الأديب الأريب الحاذق اللبيب، السيد محمد بن قاسم بن زاكور، مفتتح عام أربعة وتسعين وألف 1094هـ/ 1682م، وقرأ علي... فطلب مني أن أجيزه فامتنعت، لأني في نفسي لست من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان ذلك الميدان، فألحّ علي المرة بعد المرة، لظنه الجميل أني من هذا القبيل، فأسعفت طلبه حرصا على جبر خاطره ...وها أنا أكملت غرضه، وأذنت له أن يروي عني بشرطه عمن رويته عنه، ووالله مع هذا ما ظننت أني في هذه الطبقة، ولكن خلت الديار..."[3] .

ج – إجازات الشيخ امحمد بن عبد الرحمن:

للشيخ امحمد بن عبد الرحمن شهرة واسعة في الجزائر وخارجها، وقصده الكثير من طلبة العلم، ومنهم من لازمه في معمرته مدة طويلة، ومنهم من درس عليه علوما، أو أذكار الطريقة، فأجاز الكثير منهم، والمتفحص لأوراق الشيخ التي تركها سواء في معمرته بعرش قشطولة، أو في خزانة زاوية الهامل القاسمية، وزاوية علي بن عمر، أو الزاوية العثمانية بطولقة، أو في غيرها من الخزائن الخاصة، والعامة. فيجد الكثير من الإجازات التي أجاز بها طلابه ومريديه.

1- ابن زاكور ولد بفاس في تاريخ غير معلوم ، أما وفاته فكانت سنة 1120هـ/ 1708م، نشأ في أسرة علمية ، ثم انتقل طالبا العلم في كثير من البلدان، وبعد عودته إلى بلده انكب على التأليف والتدريس. أنظر حوله:

- ثلاث رحلات مغاربية، ويليه مجموع رحلات جزائرية، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 13 وما بعدها.

2- نفسه، ص 41.

3- ابن زاكور: الرحلة...، ص ص 45...49.

ولعل من بين تلك الإجازات، والتي تمكنت من تصويرها، تلك التي منحها لتلميذه الذي لازمه مدة من الزمن، وهو الشيخ أحمد بن عيسى المغربي(ت 1252هـ/1836)، وكتب له وصية يستخلفه فيها عن أملاكه وأوقاف المعمرة، والتي جاء فيها: " احتفظ بكتبي وأملاكي وحقولي، وأرضي وكل ما أملك. فأنت المالك، وأحرر لك وثيقة حبس بجميعها أشهد كل سكان القبيلة على الحبس والوصايا"، وفيها أشهد جميع سكان القبيلة على هذه الوصية، فقال: " أشهدكم جميعا أمام الله بأني خلفته في مكاني ومكنته من كل سلطاني...وهو خليفتي وأودعت في قلبه كل الأسرار، وأوكلت له كل الكرامات والبركات. لا تعصوه مهما يكن الأمر لأنه وجهي ولساني".

فهذه أول وصية أوصى بها الشيخ عن زاويته وأملاكه، وقد تولى خلافة الطريقة بعد وفاة شيخها مدة ثلاثة وأربعين سنة(1208/ 1794-1252/ 1836)، فكانت بمثابة أطول مدة تولى فيها أحد طلبة الشيخ ابن عبد الرحمن شؤون الطريقة الرحمانية وزاويتها ببلاد زواوة، وتتضمن نفس الوثيقة، إجازة الأزهري لمحمد بن لعلا، ومحمد بن بلقاسم بن محمد، من شرفاء تجديوت بمعاتقة، وتاريخ هذه الوثيقة هو1192هـ/ 1777-1778م، والوثيقة موقعة من قبل الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري[1].

أما الإجازات العلمية التي أجاز بها الشيخ تلامذه، فهي كثيرة من أهمها:

- إجازة حمودة المقايسي[2]: نال المقايسي إجازات عدة، سواء في المشرق أو المغرب، ومن بين الذين أجازوه من المشارقة مرتضى الزبيدي، ومحمد الأمير...وغيرهما. أما إجازة الشيخ ابن عبد الرحمن، فيمكن أن يكون قد أجازه بها في مصر قبل عودته إلى الجزائر[3].

- إجازة محمد بن عبد الرحمن باش تارزي: من بين الذين أجازهم الشيخ، وعينه بنفسه خليفة للطريقة الرحمانية على الشرق الجزائري، وجنوبه الشرقي[4].

---

[1]- تحصلت على هذه الوثيقة ضمن مخطوطات المرحوم أحمد ساحي، واستلمتها من الدكتور أزرقي شويتام مصورة.

[2]- هو حمودة بن محمد بن عيسى الشريف الجزائري، من أشراف مدينة الجزائر، انتقل إلى المشرق طالبا العلم ، فأجازه بعضهم، ولما رجع إلى الجزائر اشتغل في صناعة الأساور(لمقايس)، وظل في هذه الحرفة حتى توفي سنة 1245هـ/1829م، أنظر: الحفناوي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 408...416.

[3]- سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 42.

[4]- نفسه، ج 4، ص 141.

- هذا، وأجاز كذلك كل من العابد بن الأعلى الشرشالي، وأحمد التجاني، صاحب الطريقة التجانية في الجزائر[1].

هؤلاء من الذين أجازهم الشيخ ابن عبد الرحمن في الجزائر ومن الجزائريين، أما الذين أجازهم من غير الجزائريين، فقد تمكنت من العثور على إجازة للشيخ امحمد بن عبد الرحمن أجاز فيها محمد العالي بن محمد الحسني[2]، وذلك في الخزانة الحسنية بالمملكة المغربية تحت رقم 11463.

كيفية تلقين الذكر في الطريقة الرحمانية:

ذكر الشيخ ابن عبد الرحمن ، كيف يتم تلقين ذكر الطريقة الرحمانية للمريدين، وشروط التلقين التي يجب أن يتوفر عليها الملقن، والتي عدها في خمسة شروط هي: أن يأخذ إجازة من ثلاثة أوجه ...وهي من الشريعة، ومن الطريقة، ومن الحقيقة، والخصلة الرابعة أشار إليها بقوله: يقوم بحال من لا يقوم به غيره من تأنيسه للغرباء، ومن نصيحته في التربية، والخصلة الخامسة: لابد أن يكون غنيا وإلا وقع في الخسران...وإن عجز الشيخ عن هذه الخصال الخمسة كلها أو بعضها فمشيخته باطلة[3].

وبعد أن يستجمع الشيخ هذه الشروط التي صنفها ، يضع يده اليمنى في يد المريد اليمنى بعد طهارة كل منهما، ويجعل راحته على راحته، ويقبض إبهامه...ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويستغفر الله ويأمر المريد بذلك، ويأمره بالتوبة ثم يقرأ: ﴿يا أيها الذين أمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا...﴾[4]، وكذلك يقرأ: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله...﴾[5]، وكذلك: ﴿أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم... ﴾[6]، ويدعو له فيقول: "اللهم افتح عنه وأحفظه وتقبل منه وافتح عليه باب كل خير كما فتحته على أنبيائك وأوليائك، ويقول اللهم اقبلنا وتقبل منا وأهدنا وأهد بنا وأرشدنا وأرشد بنا وأصلحنا وأصلح بنا، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه،

---

[1]- سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 507، 509.

[2]- لم أتمكن من العثور على ترجمته.

[3]- امحمد بن عبد الرحمن الأزهري: شرح على الرسالة المسماة" مطلع قوتة قولي في علم التصوف"، لعبد الله الرفاوي المصري، مخطوط بالمكتبة الوطنية الغربية، الرباط، رقم د 1956، ورقة 73، و74.

[4] – سورة التحريم، الأية 8.

[5] – سورة الفتح، الأية 10.

[6] – سورة النحل، الأية 91.

وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه، اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ولا تقطعنا عنك ولا تشغلنا بغيرك. ثم يقول الله على ما نقول وكيل ويقرأ الفاتحة[1].

وبعد ذلك، يذكر الشيخ الطريقة التي تم بواسطتها تلقين المريد أذكار الطريقة، ثم يوصي الملقن المريد وصايا لابد أن يعمل بها ولا يخالفها مهما كانت الظروف والأمور. والإجازة في الطريقة أنواع، منها الإجازة العامة، والإجازة الخاصة، والمصافحة.

وهنا يشرح الشيخ هذه الأقسام، فيقول: " سألت أستاذي سيدي محمد بن سالم الحفناوي سبط الإمام حسن، وقلت له هذه الإجازة التي أجزتني بها بلسانك المبارك وكتبتها لي ببنانك المباركة ما كيفيتها يا أستاذي؟ هل هي مفيدة في بعض العلوم دون بعض، أو عامة في سائر العلوم والأوراد والحركات والسكنات...فقال لي أذنتك إذنا مطلقا عاما دائما لك لغيرك ممن إنتماه ينفعك على الإطلاق طول عمرك في كل زمان ومكان[2].

وعلى كل، فإن نص الإجازة التي أجاز بها الحفناوي تلميذه ابن عبد الرحمن، هي نفسها التي يجيز بها طلابه ومريديه، كي لا ينقطع سند الطريقة حسبما أجازه بها شيخه الحفناوي.

جـ - إجازة الشيخ محمد بن علي بن مالك التقابي:

أجاز الشيخ التقابي تلميذه البوجليلي إجازة شملت العلوم التي تعلمها عن شيخه في معمرة اليلولي لمّا كان طالبا فيها ، ويظهر بأن هذه الإجازة خاصة بالعلوم التي درسها على الشيخ ابن مالك التقابي، والمتمثلة في علمي القراءات القرآنية والتصوف، فهي إجازة قصيرة، ولا يذكر فيها الشيخ التقابي سنده، والشيوخ الذين أخذ عنهم، بل هذه الإجازة تعد بمثابة شهادة منحت للبوجليلي من قبل شيخه، ونصها: " أما بعد، فأنا أعلم الواقف على كتابنا هذا من الأئمة العاملين بالسّنة والكتاب، بأني قد أجزت تلميذنا ...في جميع ما أخذه عني من القراءات نحوا وتجويدا، فهما وأداء، وما أخذه عني عهدا ووردا صحيحا، لوقوع حقيقته على شريعة كاملة وأحكام نافذة. ومن أخذ عنه الورد كأنه أخذ عني، بل هو أفضل مني، وإنما أسعفته بذلك لحسن ظنه, بتاريخ 1275هـ/ 1859م[3].

---

[1]- الأزهري، المخطوط السابق، ورقة 74، 75.

[2]- الأزهري، المصدر السابق، ورقة 76.

[3]- نقلا عن: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...ج 7، ص ص 64، 65.

د- إجازة الشيخ الحداد:

يعتبر الشيخ الحداد، أو ابن الحداد، من علماء منطقة زواوة الذين انكبوا على التعليم ونشر الطريقة الرحمانية، فقصده الكثير من طلبة العلم، ومن المريدين والإخوان الذين ينتمون إلى هذه الطريقة الصوفية، فكثر المقبلون على زاويته بصدوق أوفلة من أتباع الطريقة، وطلبة العلم، لما لهذه الزاوية من خصائص ومميزات تميزت بها عن باقي الزوايا الأخرى، لكونها تجمع بين التعليم والتربية الروحية للمريدين.

لقد ساهم الطلبة المتخرجون من هذه الزاوية في نشر العلم، وتوسيع مجال الطريقة، لا في المنطقة فحسب، بل في الشرق الجزائري كله، وحتي خارج الجزائر، وذلك عن طريق الزوايا التي أسسها طلبة الزاوية في المناطق التي حلوا فيها، ومن بين الطلبة الذين تعلموا على الشيخ الحداد، ونالوا شهرة في المنطقة، الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي، الذي أجازه شيخه إجازة جمعت علم الفقه، وبركة الطريقة، ومما جاء فيها: "...كل ما فتح الله به عليه على أيدينا، من فقه وطريقة رحمانية، بل وجميع ما يِؤذن فيه شرعا في حياتي، واستخلفته في ذلك بعد مماتي. فمن أخذ عنه في ذلك كان كمن أخذ عني، ومن خالفه فقد خالفني"[1]. ويذكر (سعد الله) أن الإجازة أرسلت إلى البوجليلي عن طريق الشيخ الطاهر اليتورغي لما كان الحداد في السجن بقسنطينة[2].

هذا وأعتقد بأن طلبته الآخرين أجازهم إجازات علمية، أو إجازات لنشر الطريقة، ومن بين الذين أجازهم: محمد السعيد اليراتني السحنوني، الذي كانت تربطه بالشيخ علاقة وثيقة، وهو الذي أمره بتأسيس زاويته بثغراسث القريبة إلى إغزر أمقران، إضافة إلى طلبة آخرين كان لهم شأن في التعليم والتربية الروحية للإخوان الرحمانيين، ومن بينهم الشيخ محمد بن عمارة الوزلاجي[3]، الشيخ علي بن الحملاوي، وغيرهم[4].

---

[1]- من مقالة عن البوجليلي، لعلي أمقران السحنوني، ذكرها سعد الله، في المرجع السابق، ج7، ص 64. ونص الإجازة كاملا موجود عند حفدة الشيخ البوجليلي ببني منصور.

[2]- نفسه، ص 64.

[3]- هو محمد بن عمارة بن موسى بن علي ...ابن إدريس الأصغر، وهو من عائلة مرابطية حل أجداده بمنطقة زواوة ، ولد بقرية ثيمليوين سنة 1258هـ/ 1842م، حفظ القرآن الكريم بالقرية، ثم انتقل زوايا المنطقة طالبا العلم على علمائها، وخلال ذلك أجازها الشيخ الحداد في زاويته ، ورقة في الموضوع أفادني بها حفيد الوزلاجي، السيد الصادق واعلي .

[4]- الصادق واعلي: "الشيخ محمد أمزيان بن الحداد ومكانته العلمية،" في مجلة: الملتقى الوطني حول حياة الشيخ الحداد، صدوق، 8 و9 أفريل 2011

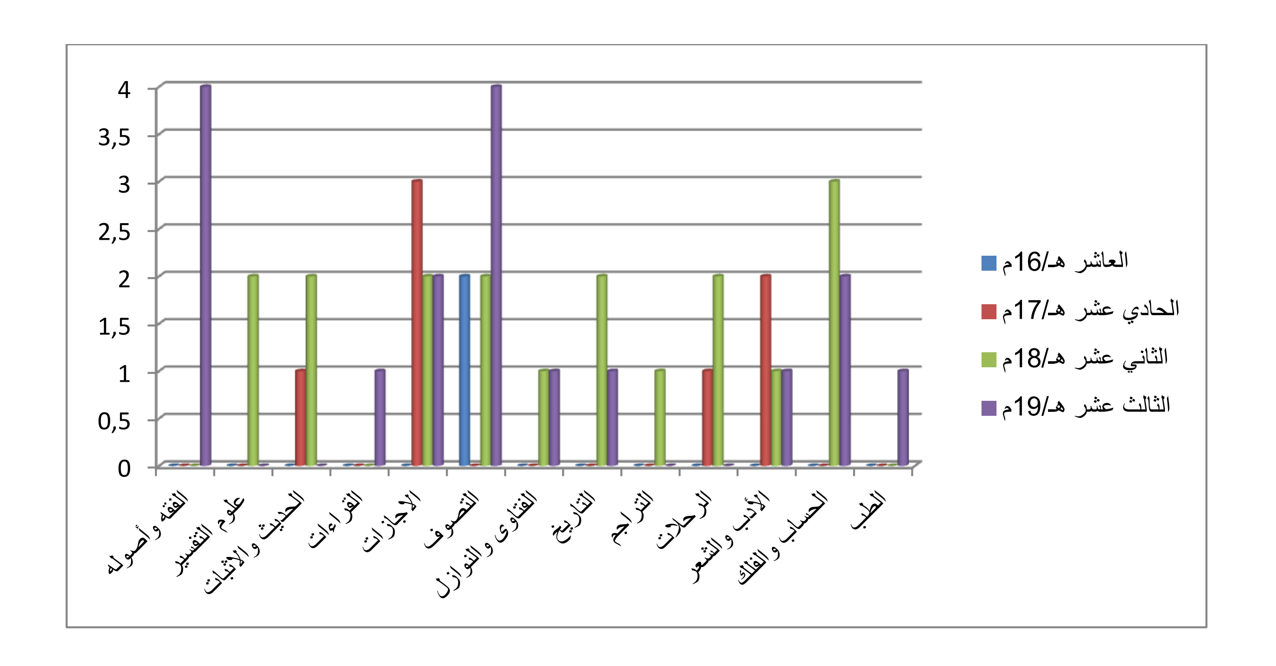
هذه أهم المؤلفات التي تمكنت من جمعها والاطلاع على بعضها، والتي ألفها علماء المنطقة في فترة البحث، ويمكن أن تكون هناك مؤلفات أخرى لم أتمكن من الوصول إليها، ولعل غيري من الباحثين يستطيعون التنقيب عنها وإخراجها إلى الوجود، وعلى كل، فإن هذه البحث عبارة عن محاولة لإظهار مساهمة علماء المنطقة في الحياة الفكرية الإسلامية في الفترة الحديثة، التي عرفت تراجعا كبيرا في الإنتاج الفكري في العالم الإسلامي عامة، والجزائر ليست بمنأى عن هذه الظاهرة.

فالمنطقة رغم ضآلة الإنتاج الفكري خلال فترة البحث، إلا أنه لا يمكن تجاهل ما أنتجه علماؤها من مؤلفات حاولت جمعها، وتقديمها في هذا الفصل لتكون نموذجا عما قدمته المنطقة من إسهامات فكرية في العالم الإسلامي عامة، ومغربه بوجه خاص.

الجدول التالي يبين نوعية الكتب المؤلفة من قبل علماء المنطقة وعددها في كل قرن، وكذا الإجازات العلمية التي أجاز بها علماء المنطقة طلبتهم:

	القرن10هـ/16	القرن11هـ/17	القرن12هـ/18	القرن13هـ/19
الفقه				4 مؤلفات
التفسير			2 مؤلفين	
الحديث		مؤلف واحد	2 مؤلفين	
القراءات				مؤلف واحد
التصوف	2 مؤلفين		2 مؤلفين	4 مؤلفات
التاريخ			2 مؤلفين	مؤلف واحد
التراجم			مؤلف واحد	
الرحلات		مؤلف واحد	2 مؤلفين	
الأدب والشعر		2 مؤلفين	مؤلف واحد	مؤلف واحد
الفلك والحساب			3 مؤلفات	2 مؤلفين
الطب				مؤلف واحد
الإجازات		3 إجازات	2 إجازتين	2 إجازتين

أعمدة بيانية تبين عدد مؤلفات علماء زواوة ونوعيتها من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري/ 16 – 19م:



<u>التعليق على الجدول والرسم البياني:</u>

مما يلاحظ على هذا الجدول أن: العدد الكبير من الأعمال الفكرية التي أنجزها علماء منطقة زواوة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ 17، 18م، ربما تعود أسباب ذلك إلى:

- الإضطرابات التي عرفتها المنطقة بعد سقوط مدينة بجاية بيد الإسبان، والتي كانت حاضرة من الحواضر الإسلامية العلمية، فهاجر علماؤها المدينة، ولم يتفرغوا للتأليف، لأن التأليف يحتاج إلى استقرار المؤلفين.

- تفرغ العلماء والشيوخ الذين انتقلوا إلى النواحي الداخلية، والمناطق الأخرى إلى التدريس دون الإهتمام بالتأليف، فوظفوا أوقاتهم في تكوين الطلبة وتعليمهم أمور دينهم ولغتهم. لأن ذلك يعتبر بمثابة جهاد في سبيل الله تعالى.

- انتشار ظاهرة المرابطية بين علماء القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين/ 16 و17م، بفعل تراجع القوة السياسية في المنطقة، فانعكف الطلبة وشيوخهم على تحفيظ الأوراد والمتون دون العمل على التأليف فيها، أي الإكتفاء بما كان موجودا دون العمل على إضافة الجديد عليها.

- اقتصار المؤلفات على جوانب معينة، خاصة ما يتعلق منها بالعلوم النقلية.

أما خلال القرنين الثاني عشر، والثالث عشر الهجريين /18، و19م، فإننا نجد بأن علماء منطقة البحث قد ألفوا العديد من المؤلفات التي ساهموا بها في إثراء المكتبة العربية الإسلامية، والتي لا تزال بعض مؤلفاتهم تمثل مرجعية للبحث في هذه الفترة إلى الآن، وأعتقد بأن ذلك يعود إلى:

- استقرار العديد من علماء وشيوخ المنقطة في المعمرات والمؤسسات العلمية التي أسسوها في القرى والنواحي الداخلية من بلاد زواوة.

- انتشار الطرائق الصوفية في المنطقة، خاصة منها الرحمانية التي من بين مبادئها الأساسية نشر التعليم بين أفراد الأمة، وهذا لايمكن أن يتأتى إلا بتوفير الكتب المرجعية التي يمكن العودة إليها والإستفادة منها.

- الإستقرار الأمني النسبي الذي عرفته المنطقة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ 18، و19م مقارنة بالفترة السابقة، لكون فترة حكم الدايات في الجزائر أقل اضطرابا من حكم الأغاوات والباشاوات على الصعيدين الداخلي، والخارجي.

- تأثر علماء المنطقة بما يجري من التحولات الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي، نتيجة للإحتكاك الناتج عن الرحلات الحجازية التي كان يقوم بها الجزائريون إلى المشرق الإسلامي، واتصالهم بغيرهم من العلماء المسلمين الذين تأثروا بهم، وعند عودتهم إلى بلادهم عملوا على تدوين وكتابة ما شاهدوه أو عايشوه.

- تنوع المؤلفات والمواضيع التي ألف فيها العلماء، وظهور المؤلفات التي يطغى عليها الجانب العقلي، خاصة منها علم الفلك.

على العموم، فإن كل المؤلفات التي ساهم بها علماء زواوة في فترة البحث، هي مؤلفات يغلب عليها الطابع الديني، كحالة الأمة الإسلامية في هذه الفترة بالوطن وخارجه.

الباب السادس

نماذج من إسهامات علماء زواوة علماء زواوة الفكرية.

الفصل الأول: نماذج إسهاماتهم في نسخ الكتب.

الفصل الثاني: نماذج إسهاماتهم في الفتاوى والنوازل.

تقديم نماذج من مؤلفات علماء زواوة.

الخاتمة.

الفصل الأول:

نماذج من إسهاماتهم في نسخ الكتب (خزانة الشيخ الموهوب أولحبيب نموذجا).

تعتبر حرفة النسخ من الحرف القديمة المعروفة عند المسلمين، وبواسطتها استطاع النسّاخ من نقل تراث السلف إلى الخلف، خاصة في وقت لم تكن وسائل الطبع متوفرة، والنسخ للكتب معدود جدا، فكان النسّاخ يتنقلون من مكان إلى آخر، ومن مكتبة إلى أخرى بحثا عن المخطوطات، والمؤلفات لنسخها ونقلها حتى يستفيد منها طلاب العلم والمعرفة.

والنساخون، هم فئة من طالبي العلم، أو من العلماء، احترفوا نسخ الكتب من مصادرها الأصلية، سواء كانت هذه المصادر مطبوعة، أو مكتوبة بخط اليد . مخطوطة . ونقلها إلى أوراق خاصة، من أجل تداولها وتدارسها، وإقامة حلقات العلم الفقهي أو غيره في هذا الكتاب من خلالها، فضلا عن تبادلها بين المتعلمين في ذلك الوقت للاستفادة منها، في ظل شح النسخ التي يتم تداولها. بحكم قلتها بأعداد طالبيها، والراغبين في قراءتها، والإطلاع عليها[1].

إن هذه الفئة من المتعلمين الذين وهبوا أنفسهم وصحتهم، ووقتهم في نسخ الكتب المختلفة، قد ساهموا مساهمة كبيرة في المحافظة على التراث الفكري والعلمي الذي كان سائدا في العلم الإسلامي مشرقه ومغربه، وبفضلهم انتقل هذا التراث المعرفي إلى طلبة العلم في تلك المعمرات والزوايا المنتشرة في المناطق الريفية البعيدة عن الحظائر العلمية.

من بين الخزائن الهامة الباقية إلى الآن في منطقة البحث، خزانة الشيخ أولحبيب التي اعتمدت على المخطوطات التي تتوفر عليها في استخراج إسهامات علماء منطقة زواوة عامة – حسب علمي – فاتخذتها كنموذج عن مساهمة علماء زواوة في نقل التراث الفكري، والحفاظ عليه من الاندثار والزوال، ولعل هناك العديد من الذين امتهنوا هذه الحرفة في نواحي أخرى من المنطقة، وفي فترات تاريخية سابقة عمّا عثرت عليه من مخطوطات في هذه الخزانة، خاصة وأن هناك من نسخ العديد من المصاحف، والكتب المختلفة، وقد أشارت بعض المصادر والمراجع بأن العديد من علماء المنطقة، كانت لهم موهبة في الخط فنسخوا

[1] - www.shabiba.com.

العديد من نسخ المصحف الشريف، حتى أضحى الاسم المتداول بين الطلبة لكتاب الله تعالى هو" النسخة"، لكون الطلبة تعودوا على النسخ المنسوخة من علماء ونسّاخ المنطقة، فالشيخ ابن عنتر البتروني مثلا، نسخ تسع وتسعين مصحفا، وترك المائة دون إتمامه، وتوجد إحدى هذه النسخ عند الشيخ (أحمد الورجيوي)[1]. كما صورت نسخة من المصحف الشريف نسخها السيد: (الحسين بن زيان)، والتي جاء في آخر المخطوط: "وتم بحمد الله وحسن عونه على يد الفقير الحقير، المقر بالعجز والتقصير محمد الحسين ابن الحسين ابن محمد ابن علي ابن عمار نجل سيدي زيان نفعنا الله به آمين، الجعفري مسكنا اليعدلي عرشا المالكي مذهبا..."[2]

لعل هذه العلاقة بين الناسخ والكتاب المنسوخ منه، والمنسوخ إليه، شكل ما يشبه المهنة، وإن كانت مهنة لا يتقاضى صاحبها في العادة عليها أجرا، إذ أن المنسوخ هو الكتاب المرغوب منه تعلم الدين، أو غيره من العلوم. فكان يكفي الناسخ أن يذّيل الكتاب الذي نسخه باسمه طالبا ممن يقرأه الدعاء له ولوالديه، ولأهله بالمغفرة والثواب، كما هو حال كل الكتب المنسوخة التي تمكنت من الإطلاع عليها.

فكثيرون هم النُسّاخ في المنطقة، ومنهم من كان ذو موهبة في رسم الخط العربي، وكانت منسوخاتهم منتشرة في الأوساط العلمية والتعليمية والقرائية على حد سواء، إلاّ أنهم لم يحظوا بتلك الشعبية التي تضعهم في مجال تعاطي معرفي ثقافي، يرصد معاناتهم من ناحية، وإيمانهم بضرورة خدمة العلم والدين من ناحية أخرى، وكونهم لا يطلبون من وراء منسوخاتهم إلاّ رضاء المولى أولا وآخرا. ومن بين هؤلاء ما يبينهم الجدول التالي:

اسم الناسخ	وفاته، أو نسخه للكتاب	العناوين، والكتب التي نسخها
		– قصيدة متعددة الجوانب (منها: وجوب الإيمان بالسؤال). – كتاب المدحة المباركة، لسعيد

[1] – مقابلة مع الشيخ أحمد الورجيوي (الورجي) رحمة الله تعالى عليه، بمسجد عين الحمام، يوم 02 جوان 1989. وكذلك ورقة في الموضوع من قبل الشيخ محمد الحسن عليلي.

[2] – نسخة من المصحف الشريف المنسوخة كاملة بحوزتي.

محمد البشير بن الطيب بن الحبيب	تـ 1277هـ/1861	بن حاج الطيب. - النورية في شرح العقائد السنية، لمؤلف مجهول. - قصيدة في مدح القرآن الكريم وترتيبه، لأبي عبد الله المحاصي الفاسي. - القصيدة الزنوبية من كتاب: التفاحة الوردية في شرح قصيدة الزنوبية، لعبد المعطي السملاوي. - الأمثال والحكم من كتاب: حكم المنتخب من عيون الحكم، لأحمد بن محمد بن خلف الوراق. - التعاليق السنية على الأجرومية، لأبي العباس أحمد البجائي. وله فيه عدة نسخ. - المنحة المباركة، لسعيد بن حاج الطيب، وهي قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. - تعليق على منظومة ابن فرج الإشبيلي، لمؤلفها شهاب الدين القرافي (ت 684هـ/ 1285م). - أرجوزة تربية: شرح بعض خفي ألفاظ الحديث لمحمد بن محجوبة اليعلاوي. - كنز الأخبار في أحاديث النبي المختار، لعلي بن إسماعيل أبو

		الحسن الأشعري. - كفاية الكفاية في فقه العبادات لمحمد بن عبد المالك. - فضل في شهر رجب وشعبان، من تأليف الناسخ بقريته ثالا وزرار، مؤرخة في أواسط القرن الثالث عشر. - مخطوط متعدد المواضيع لمؤلف مجهول. - تحفة السائل في المجيبة على المسائل لـ: أحمد بن محمد بن حسن بن علي العياشي، المتوفى سنة 890هـ/1485. - العقيدة الصغرى لعبد الله بن يوسف السوسي (تـ 895هـ/ 1490). - عدة مصاحف بقراءة ورش عن نافع. - كشف الأستار عن علم حروف الغبار، للقلصادي (تـ 891هـ/ 1486). - كتاب الإختلاج، لـ: محمد بن سيرين البصري (تـ 110هـ/ 729م). - منحة الإعراب، وتعرف بمنحة الحريري، لأبي محمد بن علي بن محمد المعروف بالحريري(تـ

		516هـ/ 1121م).
	ت.ن: 1288هـ/ 1871م	- قصيدة في أنوار الأزهار والطيور، من كتاب: الأسرار عن حكم الطيور والأزهار لعبد السلام بن أحمد بن غانم. - الاستعارة، لمنصور ناصر الدين الطبلاوي.
	ت.ن:1266هـ/ 1850	- أرجوزة صحيحة الألفاظ الملغوزة، لأبي عبد الله محمد بن الحاج.
محمد الموهوب بن البشير بن الطيب بن الحبيب	ت.ن 1264هـ/1848م	- شرح لطائف الأجرومية في أصول علم اللغة. لخالد بن عبد الله الأزهري (ت881هـ / 1477). - بلوغ الأرب في شرح شذور الذهب، لأبي زكرياء بن أحمد بن صالح بن زكرياء الأنصاري (ت 926هـ/ 1520). - الأجرومية. - قصيدة في ظ، و ض، لأبي عبد بن محمد بن مالك (ت672هـ/ 1274م) - مشكل رسم الأصفار، لـ:محمد الجكاني (الجكني) حي في (1126هـ/1714)

		- أحاديث وحكم من تأليف الناسخ. - كنز الأخبار في أحاديث النبي المختار، لـ: علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) - أرجوزة تربية، ل: محمد بن محجوبة اليعلاوي.
	ت.ن: 1268هـ/ 1852	المقدمة القرطبية، لأحمد زروق البرنوسي(ت 899هـ/1493م). - مجالس القضاة(التنبيه والأعلام في مجالس القضاة والحكام) لـ: محمد بن عبد الله المكناسي (ت 917هـ/1511م)، عدة نسخ. - إرشاد المريدين لفهم المرشد المعين، لـ: علي بن محمد الجمالي الميلي(1248هـ/ 1832). - أرجوزة الولدان، وتعرف بالمقدمة القرطبية، ليحيى بن محمد القرطبي (ت 567هـ/ 1172م) - جوهرة النفيسة في الأصول في الدائرة القدسية لعبد الرحمن الأخضري. - نظم في العقيدة، لعلي بن محمد

الأجهري (ت 1066هـ/ 1656)	
- شرح عقيدة الشيباني، للقاضي بن عجلون محمد بن عبد الله (ت 876هـ/ 1472). - قصيدة الاستغفار، لأبي مدين شعيب الأندلسي (ت 594هـ/1472م). - قصيدة في الزهد، لعبد الرحمن الأخضري. - مبادئ التصوف وهوادئ التعرف، لعبد الواحد بن عاشر. - شرح وظيفة الشيخ يحي العدلي للشيخ الورثيلاني. - شرح الرسالة السمرقندية على الاستعارة للسمرقندي (ت888هـ/1483م)للشيخ: الورثيلاني. - سيرة الأنبياء لـ: محمد الشريعي. - سيرة يوسف الصديق، لمؤلف مجهول. - صلاة الحضرة على الطريقة الرحمانية. - أخبار مدينة إسطنبول، لمؤلف مجهول. - الميراث. من كتاب الإبانة،	نسخها سنة 1294هـ/1877

		على مذهب أبي زيد الفرضي. – مجموع الفتاوى. – المواعظ. من تأليف الناسخ ونسخه. – نصوص شرعية، وهو عبارة عن مجموع الفتاوى الفقهية من وضع الناسخ. – شرح العقيدة السنوسية، تعليق في الهامش من وضع محمد الموهوب بن البشير بن الحبيب. – الرحلة الورثيلانية.
بلقاسم بن مريم اليراتني	لم أتمكن من تحديد فترة حياته	– شرح البردة، لسعيد بن سليمان الكرامي.
أحمد الوليلي	959هـ/ 1552م	تعليق بن مقالش، للناسخ، وقد ذكر أنه نسخ هذا التعليق بقرية ثيلا تيوينن وهي قرية من قرى بني ورثيلان.
محمد بن أبو القاسم بن المبارك	1215هـ/ 1801	مقاصد النحو، لعبد الله محمد بن مالك.
محمود بن الخالف بن أحمد بن اعمر الغرزولي اليعلاوي	1203هـ/ 1789م	العقيدة السنوسية، لـ: محمد بن ابراهيم الملالي(ت 897هـ/1492)
محمد الصديق بن أعراب		تصريف الخاتم المثلث، لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ/ 1111م)

أحمد الزروق بن عبدون البجائي	1228هـ/1813م مكان النسخ: بجاية	مختصر على نظم أبي مقرع، لـ: محمد بن سعيد السوسي (ت 1089هـ/1678).
حسين بن موفق بن يذير	تاريخ النسخ1192هـ/1778 مكان النسخ: بجاية	– السر الرباني في العالم الجسماني، لشامور الهندي (ت. ق.9هـ/ 15). – اللمعة النورانية (التنجيم والجداول)، لأبي العباس أحمد البوني(ت 622هـ/ 1225م).
	ت.ن: 1190هـ/1777 مكان النسخ: بجاية	– ذكر تصريف على ندرومي، وشامور الهندي، الأوفاق، والجداول، لمحمد بن على الندرومي
	ت.ن 1142هـ/1729	– شرح نزهة الاستنباط (جداول) لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096هـ/ 1685).
محمد الشريف بن علي بن مرزوق	1168هـ/1755م	شرح الأجرومية في أصول العربية لـ: خالد بن عبد الله الأزهري.
محمد الشريف بن مخلوف بن منصور الحسناوي	1197هـ/ 1783م	شرح الأجرومية في أصول العربية لـ: خالد بن عبد الله الأزهري. – نسخ عدة نسخ للمكودي (ت 807هـ/1405)

الطيب بن محمد أمزيان	القرن 13هـ/19م	كتاب الأجرومية، لأبن أجروم.
	ت.ن:1245هـ/1829 بالقبائل	– الحساب والترائك. لـ: محمد بن علي بن مرزوق.
	1245هـ/ 1830 ببني ورثيلان	– الميراث، لمؤلف مجهول.
محمد بن ناصر	1245 هـ/1829	– اختصار نسبة في الحساب لـ: محمد الصالح بن علي بن مرزوق، ألفه سنة 1129هـ/1717م.
سعيد الحلوي البجائي	ت.ن : 1268هـ/ 1852 ببجاية.	شرح لمع الحساب، لـ: محمد سبط الماريديني، (ت 912هـ/1506)
محمد بن الصغير بن مدور الأخداشي	ت.ن: 1098هـ/1687م، ببني يتورغ	شرح أرجوزة أبي بكر التلمساني، لعلي بن يحي العضوني.
محمد الصغير الشريف البهلولي	ت. ن: 1188هـ/ 1774، ببجاية	الميراث، لعلي بن يحي العضوني، ألفه سنة 635هـ/1238م.
أبو القاسم الزواوي	توفي في القرن 13هـ/19م ت. ن: 1240هـ/1825م	شرح القول المكرم لشرح معاني السلم، ل:عبدالوهاب بن قنديل
محمد أبي القاسم الزواوي	ت.ن: هـ/1825	– تقييدات على متن إساغوجي في المنطق، لـ: سليمان بن عبد الرحمن المغربي الجري.

أحمد الزروق بن العربي الزواوي	ت. ن:1239هـ/1824م ببني ورثيلان، وتوجد نسخة ثانية منسوخة ببني يعلا.	– رسالة من المنطق، شرح إيساغوجي، لـ: علي بن محمد الأجهري(ت1066هـ/ 1657م)
منصور بن محمد	ببني ورثيلان	– شرح سلم المرونق في علم المنطق، لـ: الأخضري. – شرح مختصر في المنطق، لـ: أبي عبد الله بن يوسف السنوسي (ت 895هـ/1490م)
أحمد بن محمد الشوتري	ت.ن: 1206هـ/1490م، ببني يعلا	– تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، لـ: مؤلف مجهول.
بلقاسم الزواوي	ت.ن: 1240هـ/1825م	– شرح العقيدة السنوسية، لـ: محمد بن إبراهيم الملالي. – شرح القول المكرم لشرح معاني السلم، لـ: عبد الوهاب بن قنديل.
محمد البشير بن الشريف الحاج	ت.ن: 1242هـ/1827م، أذرار نسيذي يذير	– العقيدة الصغرى لـ: عبد الله بن يوسف السوسي(ت 895هـ/1490)
محمد أمزيان بن بلقاسم بن زمور	مكان النسخ: بني عيدل	– العقيدة الصغرى. – الحقيقة الصغرى، لـ: أبي عبد الله بن يوسف السوسي.
أحمد بن محمد بن أحمد بن مبارك	ت. ن: 1221هـ/ 1806م	– الحقيقة الصغرى.

عبد الرحمن بن علي الشريف بن عبد الله الصباغ	ت. ن: 1153هـ/1741م	- جوهرة التوحيد، لـ: إبراهيم بن إبراهيم اللقاني، (ت1046هـ /1636)
أحمد الزروق بن العربي بن محمد الزواوي	ت. ن: 1239هـ/1823 ببني يعلا	- كتاب الإعراب عن القواعد الإعراب، لـ: جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت 761هـ /1360)
أحمد بن محمد بن رحاب	ت. ن: 1279هـ/1862م	- كتاب: الدرة النحوية في شرح الأجرومية، لـ: مؤلف مجهول.
محمد بن موسى بن ساكر الدراجي السمعوني	ت. ن:1045هـ/1635م ب: سمعون، بجاية.	- شرح منظومة المجرادي (في العروض)، لـ: عبد الله بن يوسف بن مهدي الزياني المتوفى قبل 819هـ/ 1416م
أحمد بن المبارك		نسخ عددا من الكتب الخاصة بالقراءات القرآنية لعدد من المؤلفين منها: - القراءات ورسم القرآن للقيسي (ت 437هـ/1045). - القراءات لـ: مؤلف مجهول. - قراءات لـ: عباس الزواوي بن عسكر التونسي.
محمد بن إبراهيم البتروني	ت. ن: 1116هـ/1705 ب: القبائل.	- الجواهر الحسان، للثعالبي.

إبراهيم بن سعيد بن لعيب	ت. ن:1269هـ/1853م	– شرح منظومة ابن عاشر، لـ: عبد الله محمد بن أحمد العياشي(ت 1090هـ/1679)
محمد الفضيل الزيتوني	مكان النسخ: بني يعلا	– منظومة في فقه العبادات، لـ: محمد بن ناصر الدرعي،(ت 1085هـ /1674).
العربي بن محمد بن عبد الرحمن اليلولي	ت. ن: 1128هـ/1716م ب: أقبو	– مختصر مقيد الأحكام، لـ: ابن الربيع التونسي. [1]

ملاحظات حول الجدول: لقد اعتمدت على محفوظات خزانة الشيخ أولحبيب في تصنيف النُّساخ الذين اهتموا نسخ الكتب المختلفة في منطقة البحث، وهناك العديد من النُّساخ الذين اهتموا بهذه المهنة في المنطقة، ولكني اكتفيت بهؤلاء فقط، لكون المخطوطات المنتشرة في المنطقة ليس من السهل الإطلاع عليها، كما أنها غير مصنفة، ولذلك ركزت على خزانة واحدة من الخزائن التي تتوفر عليها المخطوطات التي يعود نساخها إلى زواوة، ومن خلال هذا الجدول، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي تخدم الموضوع منها:

– اختلاف عنـــــاوين الكتب المنسوخة، وهذا يـــدل على تنوع العـــــلوم المنتشرة في المنطقة، خاصة إذا علمنا بأن هذه الكتب موجهة أساسا للطلبة، فالمنطقة متفتحة على مختلف العلوم المتداولة في فترة البحث.

– عدم احتكار العائلات العلمية للنسخ الكتب، فعلى الرغـــم من أن معظم الكتب التي عثرنا عليها في الخزانة التي وقع عليها البحث، إلا أننا وجدنا النُّساخ من قرى وأعراش منطقة زواوة، سواء في شرقها، أو غربها، مما يجعلنا نقول: بأن عملية انتقال الكتب بين علماء المنطقة كانت منتشرة بصورة كبيرة رغم قلة الوسائل والإمكانيات،

– تنوع الكتب المتداولة بين طلبة المنطقة، فلم تقتصر على الكتب الدينية فقط، بل نجد

[1] – استخرجت هذا الجدول من خلال مخطوطات خزانة الشيخ أولحبيب ببني ورثيلان، وبمساعدة القائم على الخزانة السيد: جمال الدين مشهد.

مختلف العلوم الأخرى كالفلك، واللغة العربية وعلومها، والتصوف، والقراءات القرآنية، والحساب، والتنجيم...مما يدل على تنوع المعارف المتبادلة بين علماء المنطقة والطلبة.

- تنوع مصادر الكتب، وتاريخ تأليفها، فمنـــــها المؤلفات المشرقية، والمغربية، بل حتى الهندية، كما أن هناك مؤلفات يعود تاريخها إلى القرن الثاني من هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا يظهر لنا مدى إسهام علماء المنطقة في الحفاظ على التراث الإسلامي عامة.

نماذج من إسهامات علماء زواوة في النوازل والفتاوى

لعب علماء زواوة كغيرهم من علماء الجزائر في المناطق الأخرى دورهم في الإفتاء، والإجابة على القضايا التي طرحت عليهم من قبل العامة، والخاصة فيما بين القرن العاشر الهجري، والثالث عشر منه/ 16–19 م. غير أننا وجدنا بأن مساهمة علماء منطقة البحث في النوازل والفتاوى، أقل بكثير عما ساهم به علماء المنطقة في الفترات السابقة. فإلى ماذا تعود أسباب ذلك؟ وما مدى إسهامات علماء المنطقة في النوازل والفتاوى خلال مرحلة البحث؟.

إن الباحث في كتب النوازل والفتاوى يجد بأن علماء زواوة قد ساهموا بصورة كبيرة في النوازل والإفتاء سواء في المنطقة، أو خارجها مغربا ومشرقا، فكانت لهم مكانة بين العلماء قبل القرن العاشر الهجري/ 16م، والمتتبع لما ذكره المغيلي من النوازل التي عرضت على علماء زواوة وأجابوا عليها في كتابه. ليجد بأن عددا كبيرا منهم قد ساهموا في إثراء والدراسة والإجابة على العديد من القضايا الفقهية التي عرضت على علماء زمانهم، ومن بين هؤلاء العلماء الذين كان لهم كعب عال في النوازل والإفتاء أذكر على سبيل المثال: عبد الرحمن الوغليسي(ت.760هـ/1358م)، وأبو العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت.760هـ/1358م)، وأبو علي منصور بن علي الزواوي، وناصر الدين المشدالي (ت.770هـ/1368م)[1]...وغيرهم من العلماء الذين أجابوا على نوازل عرضت عليهم، أو على غيرهم من علماء المغرب الأوسط خلال القرون السابقة عن فترة البحث.

ففي الجزء الأول من نوازل مازونة، أحصينا أكثر من عشرين مسألة عرضت على علماء زواوة، أمثال الوغليسي، والمشدالي والبجائي، والغبريني، والزواوي، وكلهم من علماء منطقة زواوة[2]، وكذا بالنسبة للأجزاء الأخرى.

---

[1] – أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: مختار حساني، مراجعة: عبد المالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2009، ج1، ص 32.

[2] – أنظر الصفحات: 65، 79، 78، 90، 143، 147، 168، 180، 191... من المصدر السابق.

نفس الشيء نجده في نوازل الفكون، حيث نجد بأن علماء المنطقة قد ساهموا بدورهم في الإجابة على عدد من المسائل المطروحة على علماء الجزائر في نهاية القرن التاسع، وبداية القرن العاشر الهجريين/14و 15م، فنجدهم كذلك قد ساهموا بدورهم في الإجابة على العديد من المسائل الفقهية المطروحة على الفقهاء والعلماء في هذه الفترة، ومن بين الذين وردت أسماؤهم من العلماء الزواويين الذين أسهموا في نوازل عائلة الفكون، نجد عيسى الغبريني، ومحمد بن قاسم المشدالي (ت. 866هـ/1461م)، والشيخ عمر المكلاتي(المنجلاتي)، والشيخ محمد بن محمد الزواوي، والشيخ أبو عبد الله محمد المشدالي[1].

أما بالنسبة لفترة البحث، فإن إسهامات علماء منطقة زواوة في النوازل والفتاوى الفقهية، فقد تراجع بشكل كبير، وذلك لعدة أسباب منها ما يتعلق بالأوضاع التي عاشت فيها المنطقة من اضطرابات داخلية، وحروب خارجية، خاصة بعد الاحتلال الإسباني لبجاية، والمدن الساحلية الجزائرية الأخرى. ومنها ما يعود إلى أسباب عامة مرتبطة بواقع العالم الإسلامي الذي انتشرت فيه مظاهر التراجع الفكري، والتخلف الحضاري.

إسهامات الشيخ الورثيلاني في النوازل والفتاوى:

على الرغم من ذلك تمكنا من العثور على بعض النوازل التي عرضت على علماء الجزائر عامة ومنطقة البحث بوجه خاص، ومن بينها: تلك التي أجاب عليها الشيخ الورثيلاني، والتي جاء فيها: « أن الشك في الشرط موثر بخلاف الشك في المانع فليس بموثر، وذلك كالشك في الطهارة والشك في الطلاق. فإن الشك في الطهارة يوجب الوضوء بخلاف الشك في الطلاق. فلا يرفع العصمة الحاصلة، لأن الطلاق مانع، والشك فيه لا يوثر...».

هذه النازلة عرضت على الشيخ الورثيلاني من قبل قاضي الجزائر، حيث جاء في مقدمتها: « الحمد لله على التحقيق، والصلاة والسلام على كل فريق، وبعد: قد أورد الفاضل

---

[1] – سيدي محمد بن عبد الكريم الفقون التميمي: نوازل الشيخ الهمام محمد بن عبد الكريم الفكون، مخطوط عائلي مصور عن النسخة الموجودة عند: منيرة بن (بنت) الشيخ الفقون بن علاوة بن الحسن بن محمد، الأوراق: 70، 279، 281، 303.

الكامل الحافظ أخونا في الله سيد محمد بن جعدون[1]... سؤالا استصعبه الأوائل فضلا عن غيرهم...».

أجاب الشيخ الورثيلاني على هذه المسألة بعدما استعرض آراء العلماء، وأقوالهم في مسألة الشك والظن معتمدا على أقوال الشيخ خليل[2]، الذي قال في المسألة: « ولا يومر إن شك هل طلق أم لا. عكس الطهارة، لقوله أيضا أو بشك في حدث...الخ»، واستدل كذلك بقول ابن عرفة[3]، والوانوغي[4]، والمشدالي[5]، وغيرهم. ثم جمع بين أقوالهم، وبعد ذلك توصل إلى الإجابة على هذه النازلة فقال:« قلت والذي منّ الله علي في هذا المقام بالفتح الرباني والوهب الصمداني أن الجواب عن هذا الإشكال الصعب الذي يعسر عن الأفاضل فهمه فضلا عن الجواب عنه هو: أن الشرط لابد وأن يكون محققا وجوده عند وجود المشروط وإلا فلا. فالمهارة إذًا لابد من تحققها وتيقنها عند وجود الصلاة التي هي المشروط، وكذا سائر الشروط مع مشروطاتها، فإن لم يتحقق وجوده لم يوجد المشروط. لأن الماهية المقررة لا تثبت في الخارج، ولا تتحقق إلا بتحقق أسبابها وأركانها وشروطها، ولو انتفى أحدها ولو شك (...) ولذا كان الشرط في الشك لا يوثر لتوقف الماهية على تحققه، أعني ماهية المشروط على تحقق المشروط، فلزم منه أن الشك في كل شيء موثر(مؤثر)، وأما المانع فكذلك

---

[1] – هو الحاج محمد بن أحمد بن جعدون، من عائلة دينية وعلمية محترمة في مدينة الجزائر، تولى القضاء المالكي بعد عبد الرحمن المرتضي في عهد محمد باشا(1179– 1205هـ/1765–1790). وبعده تولى القضاء المالكي في المدينة محمد بن الشاهد. وآخر من تولى هذا المنصب في العاصمة من هذه العائلة هو: أحمد بن جعدون، الذي عينته السلطات الاستعمارية في هذا المنصب سنة1834. أنظر حوله:
– الزهار: المصدر السابق، ص 52، وص 74. وكذلك:
– سعد الله: تاريخ الجزائر... ج4، ص 425.

[2] – هو: خليل بن إسحاق بن موسى، أبو المودة. أحد شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام، الفيقه الحافظ، المجمع على جلالته وفضله، توفي سنة 776هـ/1366م، وقيل غير ذلك. من آثاره: التوضيح. وشرح مختصر بن الحاجب الفرعي، والمختصر الفقهي. أنظر حوله:
– ابن مخلوف: شجرة النور الزكية... ص 223.

[3] – هو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح المتبرك به محمد بن عرفة الورغمي التونسي، إمامها وخطيبها بجامعها الأعظم خمسين سنة، الإمام شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، أستاذ الأساتذة وقدوة الأئمة الجهابذة علامة الدنيا...أخذ عن الكثير من جهابذة علماء الإسلام، وأخذ عنه الكثير من العلماء. ترك عدة مؤلفات منها: مختصر في الفقه، مختصر في فرائض الحوفي... توفي سنة 803هـ/1400م. أنظر عنه:
– ابن مخلوف: المصدر السابق، ص 227.

[4] – هو عيسى بن أحمد بن محمد التوزري. الفقيه المالكي من تلاميذ الشيخ ابن عرفة ، توفي سنة 813هـ/ 1410م، من آثاره: حاشية على تهذيب البرادعي للمدونة، وهي الحاشية المسماة بالطرر على المدونة. أنظر حوله:
– بدر الدين محمد بن يحي القرافي: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/ 2004، ص ص 156، 157. وكذلك:
– محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1405هـ/1985، رقم 613، ج5، ص 120.

[5] – لم يحدد اسم العالم المشدالي الذي أخذ عنه، ولذلك لا يمكن التعريف به، لآن علماء مشدالة كثيرون.

أيضا، أي فلابد من وروده وسريانه على الماهية الممنوعة تحقيقا كما هو في وجود الشرط، فالشرط في وجوده غير موثر للزوم وروده تحقيقا، وحيث لم يتحقق لم يوثر. فقد ظهر أن تحقيق الشرط مع المشروط في طريق الثبوت لازم. أي ثبوت المشروط ملزوم لثبوت شروطه. فالصلاة مثلا ملزومة لوجود الطهارة، أي يلزم من وجود الصلاة شرعا وجود الطهارة، أي لا تصح الصلاة شرعا إلا بوجود الطهارة. ولذا كان الشك في الطهارة مؤثرا، الفساد فيها أي الصلاة ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه، فتنتفي الصلاة، أي صحتها عند انتفاء تحقق الطهارة.فيكون الشك فيها موجبا لنفي الصلاة. فالمؤثر مباشرة هو الشك في الطاهرة الذي هو شرط، والشك في الحدث الذي هو المانع لازم في الشك للطهارة. فقدم المباشر عند مناقضة الموجبين فلم يبق الشك في الحدث اللازم على الشك في الطهارة اعتبار. فنفي الطهارة يستلزم نفي الصلاة، ونفيها أي الطهارة مقدم في التأثير على موجبها الذي هو الحدث. وأما المانع الذي هو الطلاق مثلا فلا أثر للشك فيه لما علمت من لزوم وروده تحقيقا، حاصله يلزم من عدم الشرط عدم المشروط ولو شكا. ويلزم من وجود المشروط تحقق شروطه وإلا فلا. وإنما المانع فإنما يلزم من وجوده تحقيق العدم، لأنه من باب الدافع والرافع، ولا أثر له مع الشك في ثبوته».

إن هذه النازلة التي عثرنا عليها ضمن مخطوطات خزانة الشيخ أولحبيب، توضح بشكل جلي المكانة العلمية للشيخ الورثيلاني، ومدى تمكنه في الفتوى، وإسهامه في حل المسائل الفقهية التي قال عنها هو: بأنها تصعب على الأفاضل فهمها فضلا عن الجواب عنها، ورغم ذلك نجده قد أجاب على هذه النازلة بعدما ناقش آراء العلماء الآخرين الذين تناولوا مثلها، وهذا يجعلنا نقول بأن: الشيخ الورثيلاني، من بين العلماء الجزائريين الذين ساهموا في الحياة الفكرية الإسلامية في القرن الثاني عشر الهجري/ 18م. ومما يبين لنا ذلك معالجته لهذه النازلة، فقد استعرض أولا أقوال العلماء في الشك في الحدث، واستخدم القياس إلى الحكم في الشك في الطلاق. فهو من العلماء المجتهدين في الفقه الإسلامي، ولم يكن من المتصوفين المتقوقعين على أنفسهم، بل هو عالم باحث مجتهد لا في الجزائر فقط، بل حتى خارج الجزائر، إذ نجد له مواقف في مسائل ناقشها في مصر، والتي ذكرها في رحلته المشهورة.

من بين المسائل التي ناقشها في مصر مسألة الدخان(التدخين)، وكذلك شرب القهوة، فالتدخين رأى فيه رأيا اختلف مع بعض علماء عصره، وقال بتحريمه « فإن الدخان الذي شاع في الآفاق أكثر العلماء أجمعوا على تحريمه، وهو الصحيح إن شاء الله لما اشتمل عليه من المفاسد ولا منفعة فيه أصلا»[1]. وخلاف ذلك فيما يتعلق بالقهوة، التي رأى بأنها على السهر في العبادة[2]، وهذا ما جعل انتشار شربها بين الناس واسعا في المشرق والمغرب – حسب رأيه –.

استدل في فتواه بأقوال بعض العلماء الذين ناقشوا مسألة الدخان التي ناقشها غيره من العلماء الجزائريين قبله، ومن بينهم الشيخ الفكون، الذي رد على جواب الأجهوري[3]عندما أفتوى بعدم تحريمه، وألف في ذلك كتابا سماه: " محدد السنان في نحور إخوان الدخان"، ومما جاء فيه: «...وما ليس بمسكر فليس بحرام ، وهذا غير صحيح. لأن التحريم خاص ، لما فيه الإسكار وهو أوضح من أن يوضح، ولا نعتقد في المجيب إرادته ولا أنه اقتضاء اللفظ والكلام على مقتضا (مقتضى) الألفاظ... فقد وجب فيه الحكم بالتحريم[4].

هذا، وللشيخ الورثيلاني فتاوى عديدة، من بينها فتوى حول استغلال وقف لمسجد بإحدى قرى عرش بني ورثيلان. وقد جاء في هذه المسألة: " الحمد لله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وسلم. أعلمت كل واقف من أهل العلم، ومن له ولاية فيّ، وغرض في السُّنة. أن أملاك مسجد (ثوريرث أُمَعلاف)[5] بعد خرابها، وعمارتها ثانيا بغير أربابها، ثم أرادوا إخراج الولي سيدي محمد البجائي من الأملاك المحبسة على المسجد. فحكمت بأن السيد المذكور

---

[1] – الرحلة، ج2، ص 58.

[2] – نفسه، ص 57.

[333] – الأجهوري هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو زيد الأجهوري. الفقيه العالم. أثنى عليه الشيخ الشعراني في طبقاته. توفي سنة 957هـ/1550م، من آثاره: حاشية على مختصر خليل، وطرر على هوامش الشرح الكبير. أنظر عنه:

– التنبكتي: نيل الإبتهاج...ص، . وكذلك:

– ابن مخلوف: شجرة النور الزكية... ص 280.

[4] – نوازل الفكون، الأوراق من 575إلى 579.

[5] – ثوريرث أُمعلاف: ثوريرث، في اللغة الأمازيغية تعني: المنطقة المرتفعة، ويطلق عليها كذلك اسم (ثيزي)، وهي كلمة مؤنث أورير، الذي هو أكثر ارتفاعا عن الأولى، وثوريرث أمعلاف: قرية تعرف الآن باسم "ترفت"، تابعة إداريا إلى دائرة بني شبانة، وتجمع بين حيين، أوصفين هما: ترفت في الجهة العليا، وثوريرث: في الجهة السفلى، والحيين متصلين فيما بينهما مكونين: قرية ثوريرث أمعلاف. أنظر:

– محمد الطاهر فضلاء: أعلام الجزائر الشيخ السعيد أبهلول الورثيلاني في مجموعة من رسائله وفتاويه 1276-1364/1859-1945، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 402.

هو الناظر على الأملاك، ويستحق ما يكفيه في أجرة إمامته، والباقي يصرفه في مصالحه من بناء وحصير، ومَن فيه أهلية من أولاده بعده كذلك، أو يستعينوا بما فضل على القراءة"[1].

في هذه النازلة، رجع الورثيلاني إلى فتاوى العلماء الذين سبقوه، واستدل بآرائهم، فذكر قولا يتعلق بصرف أموال الوقف في غير محله، وقال بعدم جوازه، وذكر مثالا في ذلك وقال: بأن ما يحدث عند القبائل من صرف أموال الأوقاف على شراء السلاح من رصاص وبارود. يُحوّل الطاعة إلى معصية...لا يرضى به عاقل فضلا عن عالم [2].

يعود تاريخ هذه الفتوى – حسب ما جاء فيها إلى سنة 1164هـ/ 1750م، حيث جاء في آخرها: " والسلام من زابره فقير ربه، وغلام أوليائه الحسين بن محمد السعيد الشريف. بتاريخ عام 1164".

من هذه النماذج، يمكن الوقوف على إسهامات الشيخ الورثيلاني في النوازل والفتاوى، ومن خلال هذه الأمثلة، يمكن كذلك الوقوف على مدى مساهمة علماء المنطقة في معالجة القضايا الشرعية التي كانت تطرح على العلماء، والفقهاء المسلمين في الجزائر وغيرها. غير أن عدم تدوين هذه النوازل والفتاوى، والاكتفاء بحل المسائل الشرعية شفويا جعل القليل منها الذي يصل إلينا، والمكتوب منها، ما يزال محفوظا في العديد من الخزائن العائلية الخاصة التي لم تفصح عليها بعد.

إسهامات الشيخ ابن مصباح اليعلاوي:

من بين الذين ناقشوا مسألة الدخان من علماء المنطقة، نجد الشيخ ابن مصباح اليعلاوي الذي جاءت في كتابه (السفينة)[3] الذي ذكره الشيخ أولحبيب، ومنه نقلنا إنشغال ابن مصباح في مسألة الدخان، ومما جاء فيه:

...تؤدي إلى مقت وخزي مشدد* فمنها دخان منتن يشربونه * وقدوتهم أهل العذاب المؤكد فبدعته جاءت لنا من بلادهم * وهم أهلها والغم بالغم مقتدي * وقد ألفوا فيها تآليف نبهوا على المنع بالنص الصريح المؤكد* تضر بأبدان ودين وحافظ * وزوج وخل والجليس ومسجد

---

[1] – هذه الوثيقة عبارة عن مخطوط في حوزة عائلة أحفاد الشيخ السعيد أبهلول الورثيلاني (عائلة فضلاء حاليا).

[2] – نفس المخطوط.

[3] – هذا المخطوط مفقود، ولم نتمكن من معرفة محتواه، اللهم ما جاء في مخطوط عثرنا عليه في خزانة الشيخ أولحبيب، حول: الدخان.

وأهل النهى والدين فازوا بعكسه*وما كان حبا للرسول الممجد*هو الطيب يطوى لمن كان ألفه...

يواصل في إبراز مساوئ هذه الآفة حتى يقول:

وأوضح لي الغوامض من سؤال* رأيت الناس قد جنحوا البلوى* وليست من شيام أهل الكمال دخان يشربون بكل وقت * وعمّ الخافقين على التوال * أفي المكروه يدخل شاربوه جهارا أم حرام أم حلال*.

دوّن ابن مصباح إجابة المفتي التالية:

وأما بعد يا مولى هذا السؤال *هداك الله في هذا المقال* سألت عن الدخان بحسن نظم*
تيقن ليس فيه غير ضر * وما فيه سوى إتلاف مال * وإن أمعنت تضييعا لمال*
ومسخا للنساء وللرجال* بما في ضمنه لهلاك شخص * وبال في وبال في وبال*
كراهة ريحه لا ريب فيها * جواب فاسمعنه يا ذا السؤال * وأما شربه في كل وقت*
مدى الأيام أناء الليالي* خصوصا وهو إدمان وفسق* بإعلان على وجه الضلال*
حرام ليس فيه شوب شك * محال ذكره بين الحلال * وأما شربه للسكر قصدا*
ففي الإسلام عين الإغتلال* حرام مثل سائر المسكرات* ولا يرضي ذلك ذو الجلال[1]...

من خلال هذين النموذجين، نستنتج أن علماء زواوة أجمعوا على تحريم آفة الدخان حتى وإن أفتى البعض بكراهيته فقط مثلما سبق الحديث عن رد الفكون على الأجهوري.

إسهامات عائلة أوقري:

استلمنا من الباحث: محمد أرزقي فراد مجموعة من الوثائق والعقود التي ترجع إلى عائلة الشيخ أوقري، والتي يحتفظ بها أحفاده. ومن بين هذه الوثائق: وثيقة تبين مساهمة علماء العائلة في الفتاوى، والمسائل الشرعية التي تم الإفتاء فيها من قبلهم في عرش بني يعلا، وهذا النموذج الذي يتضمن وصية أوصى بها المتوفى، الذي أنفق في تزويج ولده مبلغا من المال. وهذا نصها: « الحمد لله. صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. حضر حامله سي الصغير بن عبد المجيد بن قري، مع ابن أخيه محمد أمزيان مجلسا ادعى فيه محمد أمزيان أن جده سيدي الموهوب قسم لأولاده، وأنه كتب على ابنه سي الصغير أنه أنفق في تزويجه مائة ريال.

[1] – المخطوط في خزانة الشيخ أولحبيب، أنظر نسخة منه في الملاحق.

يعطي لأخيه نصفها وهو خمسون ريالا يتزوج بها. أعني بالأخ سي باج (باجي). فقابله الحامل بأنه لم ينفق عليه هذا القدر المذكور. فاستفتياني في القضية. فأفتيتهما».

بعد أن عرضت الوثيقة حيثيات المسألة، استند المفتي إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفتى في المسألة فتوى هذا نصها: " إن قول الأب غير مقبول إذ لا يأخذ أحد بدعواه من أحد. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو يأخذ لأحد بدعواه لادعى آل هذا ود(...)هذا إلخ. ما قال مسلم خصم الحامل النزاع فيما ادعاه مُدعنا رضي بحكمنا".

لم يكتف المفتي بما رفعه المدعي، بل عمل على معالجة كل ما يتعلق بإرث الميت، وحل مسألة الميراث المتنازع حولها من أرض، وأملاك فأفتى بـ: " كما أسقط النزاع في جميع ما وقعت فيه القسمة من أملاكهم التي كانت مشتركة بينهم، وما كان موروثا عن سي باجي في إرث الذي بيد الحامل، وأخذ الخصم وأخذه ما إرث سي محمد المذكور، وانحسم النزاع بينهم... الفتوى دونت بتاريخ ذي القعدة الحرام عام 1249هـ/1833م.

هذه النماذج، وإن كانت قليلة تبين لنا بأن علماء المنطقة وشيوخها قد ساهموا في حل الخلافات الناشبة بين الأفراد، ومعالجة المسائل الشرعية التي تعرض عليهم، كما تبين لنا أن هؤلاء العلماء والشيوخ كان لهم اطلاع واسع على المرجعية الدينية في الفقه المالكي، ففتاواهم تستند دائما إلى مشاهير علماء الفقه المالكي سواء المغاربة منهم، أو المشارقة، وهذا ما يفند ما يذهب إليه البعض من أن المنطقة كانت منغلقة على نفسها، وأن العلماء كثيرا ما يلتجئون إلى تطبيق الأعراف المحلية في الفتاوى التي تعرض عليهم من قبل السكان.

الفصل الثالث:

تقديم بعض النماذج من مؤلفات علماء زواوة.

تعتبر الؤلفات من الأثار المادية الدالة على إسهامات العلماء في الفكر الإنساني عامة، لكون الكتب تبقى بعد وفاة أصحابها، وهي أهم وسيلة لنقل المعارف إلى الأجيال اللاحقة، كما أن هذه المؤلفات تعطينا الدليل الحقيقي، والمقياس الواقعي لمستوى العلماء والمثقفين، علماء زواوة تركوا تآليف مختلفة، وفي تخصصات متعددة أحاول من خلال هذا البحث أن أقدم نماذج من هذه المؤلفات حسب القرون.

نماذج من مؤلفات القرنين العاشر، والحادي عشر الهجريين/ 16-17م:

عنوان المؤلف: نزهة المريد في معاني (كلمة) التوحيد.

المؤلف: طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني (ت.940هـ/ 1533م).

عدد صفاته: 47 صفحة، إضافة إلى ملحق نظم الطريقة الزروقية.

تاريخ التأليف: غير مذكور، ويحتمل أن يكون في أواخر القرن التاسع الهجري/ 15م.

تاريخ النسخ: ضحوة يوم الخميس من شهر رجب لسبعة وعشرين يوما خلت 1195هـ/.[1] 1780م.

الناسخ: محمد بن أحمد اليحياوي الحسني.

بداية المخطوط: هذه نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد لشيخنا وأستاذنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الولي العارف بالله تعالى العالم العلامة الحافظ سيدي طاهر بن زيان الزواوي نزيل طيبة المشرفة تغمده الله برحمته ونفعنا به، آمين.

تقييد مفيد لمعاني كلمة التوحيد مدار حروفها على ألف الأمر ولام اللطف وهاء الهداية، فالأول بداية والثاني توسط والثالث نهاية...

ونهاية المخطوط: كمل الكتاب المسمى بنزهة المريد في علم التوحيد بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل...

محتوى المؤلف: يحتوي المؤلف على شرح لمعاني كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله)، بيّن في المقدمة أوجه الكلمة، والتي قسمها إلى أ ربع كلمات تحقق النفي والإثبات. كلمة النفي (لا) ،

[1] – طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني: نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد، مخ. الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 13354. الورقة 47.

وكلمة الإثبات (إلاّ) فما بعد النفي معدوم، وما بعد الإثبات محقق معلوم...، ثم وضح معاني الكلمة عند المالكية والشافعية، وليس كذلك عند الأصوليين والحنفية.

بعد المقدمة شرع في شرح كلمة التوحيد ذاكرا معناها لغويا، مستدلا على ذلك بأقوال النحاة، دون أن يتعرض إلى ذكر أسمائهم، ثم بيّن أقسام التوحيد مستنبطا ما ذهب إليه من الآيات القرآنية الكريمة، وخلص إلى أن التوحيد ينقسم إلى لفظي، ومعنوي.

فأما اللفظي: فيعصم الدم والمال من المنافق، ويوجب الثواب على عمل اللسان للعاقل. والمعنوي: توحيد حقيقي وهو توحيد الذات، وتوحيد نسبي، وهو توحيد الأفعال والأسماء والصفات[1].

استعرض آراء أهل السنة في الكلمة، وكذلك المعتزلة، ونظرة المتصوفين إلى كلمة التوحيد، وكذلك شراح جمهور العلماء لها، فقال:" وأعلم أن لا إله إلا الله جملة مفيدة وكلام تام كما مر ولاكن (لكن) أطلق الجمهور عليها لفظ كلمة مجاز لخفتها وسهولتها[2].

يواصل في شرح الكلمة مبينا مراتب التوحيد، ومقام الزهاد، والاستفادة من أسماء الله الحسنى، والعلاقة بين كلمة التوحيد والرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يبين أدلة وحدانية الله تعالى من الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها الكلمة، كقوله تعالى:﴿ إنهم إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾[3]، و﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ... ﴾[4].

من اللطائف التي يمكن الوقوف عندها في المخطوط، ما يتعلق بالشروح الخاصة بـ:

إثبات الوجود لله تعالى، والتسبيح له، والسجود لعظمته. وكذلك إدراك التسبيح لله وأهميته. هذا غلى جانب تعرضه إلى الحديث عن فضل كلمة التوحيد لا إله إلا الله. من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، واستوجب من الله المنة... فكانت لذلك رأس الأذكار ورأس الأنوار بما احتوت عليه من المعاني التوحيدية، والمناجي التقديسية[5]

في الفصل الثاني من الكتاب، يشرح المؤلف سورة الفاتحة، ويبين العلاقة بين آياتها، وكلمة التوحيد. فيقول في قوله تعالى:﴿... إياك نستعين﴾[6]،"... من مقتضى إياك نستعين

---

[1] – المخطوط، الورقة 03.

[2] – نفسه، الورقة 04.

[3] – سورة الصافات، الآية 35.

[4] – سورة محمد، الآية 19.

[5] – المخطوط، الورقة 24.

[6] – سورة الفاتحة، الآية 05.

أي لا طاقة لنا ولا حول ولا حيلة ولا احتيال في عبادتك وتوحيدك إلاّ بإعانتك ونصرتك وتأييدك وتسديديك[1]. وكذلك شرح قوله تعالى في نفس السورة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[2]، فقال: " فيقول مَن أشرق عليهم من المحققين في التوحيد من المؤمنين لم يصل إلى درجات الصالحين، أهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت لما حصل من توحيد المؤمنين والإرشاد لما لم يحصل من درجات الصالحين ، ويقول الصالح: أهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت لما حصل من التصديقية، والإرشاد لما لم يحصل من درجات الشهداء..."[3].

في الأوراق الموالية يشرح صلاة التسبيح وفضلها، وعلاقتها بالوحدانية، موضحا ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:« عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب: يا عباس يا عماه ألا أعطيكن ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك، أوله وآخره وقديمه وحديثه، وخطأه وعمده ...أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في ركعة فقل وأنت قائم سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشر مرة، ثم تركع وتقول وأنت راكع عشرا، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا، ثم ...فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات، وغن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع ففي كل جمعة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة»[4].

في الأخير يبين بأن المغتر لا ينتهي إلى كلام التوحيد فيحصل منه تعد، مما يوقعه في الطامات، ونتيجة لذلك تظهر على سلوكه الشطحات والأمور الهائلات، وهنا يقصد المتصوفة الذين يجعلون من مجالسهم مجالس للرقص الذي لا علاقة له بالتوحيد.

أهمية المخطوط: إن المخطوط ليست فيه أحداث تاريخية يمكن الإستفادة منها في هذا الجانب، وإنما يمكن أن نستفيد منه فيما يتعلق بنوعية التأليف في القرن العاشر الهجري/ 16م، وهي الفترة التي طغى عليها الجانب الصوفي، والبحث في الصفات الإلهية، والشروح

---

[1] – المخطوط، الورقة 20.

[2] – الآية، 06.

[3] – المخطوط، الورقة 22، والورقة 23.

[4] – رواه أبو داود وابن ماجة...أنظر عن هذا:

– عبد العظيم بن عبد القوي المنذر: الترغيب والترهيب. ويليها كتاب الترغيب والترهيب من القرآن العظيم، لمحمد منير الدمشقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1434/ 2003، ج1، ص ص 185...188.

للمؤلفات المتعلقة بالجانب الصوفي، لكون الفترة انتشرت فيها الجوانب الروحية كالولاية والمرابطية، وانتقال التصوف من التصوف النخبوي غلى التصوف الشعبي، وكل هذا مرتبط بالوضعية الفكرية التي عاش فيها العالم الإسلامي عامة، ومغربه بوجه خاص، فالاستفادة من هذا التأليف تكمن في التعرف على طبيعة الحياة الروحية، والفكرية السائدة في منطقة البحث في بداية القرن العاشر الهجري/16م.

نموذج من مؤلفات القرن الحادي عشر الهجري/ 17م.

عنوان المؤلَف: شرح لامية الأفعال.

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الشهير بابن يحيى البجائي

تاريخ التأليف: ... وقد وفيت بما قدمت منتهيا والحمد لله ...في يوم الأربعاء الموفى لعشرين من ربيع الأول عام خمسة وخمسين وألف (1055هـ/1645م).

عدد صفحاته: 48 صفحة ، قياسها 19/ 27.

مكان المخطوط: المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 2231.

بداية المخطوط: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. قال الشيخ الإمام العالم ... بابن يحيى البجائي رحمه الله ورضي عنه بمنه وكرمه وبعد:

قول ابن مالك الحمد لله لا أبغي به بدلا حمدا يبلغ من رضوانه وكاملا. وقوله الحمد لله إلى آخره...هو الثناء باللسان على الجميل والفضائل كالعلم والشجاعة وغيرهما من الصفات الحميدة ... والشكر تعظيم على الانعام باللسان أو الجنان...

وآخر المخطوط: وقد وفيت بما قدمت منتهيا والحمد لله إذا ما رمته كملا ثم الصلاة وتسليم يقارنها على الرسول الكريم الخاتم الرسلا وآله والصحابة الكرام...وأسأل الله من أثواب رحمته سترا جميلا على الزلات مشتملا، وأن ييسر لي سعيا أكون به مستبشرا آمنا.

محتوى المخطوط:

بدأ الشارح في شرح اللامية لمؤلفها ابن مالك، فبدأ بـ: شرح قوله: "الحمد لله" فقال: الحمد لله إلى آخره: الحمد هو الثناء باللسان على الجميل من الفضائل كالعلم والشجاعة ...والشكر تعظيم على الإنعام باللسان أو الجنان أو الأركان"[1].

[1] – أبو عبقد الله بن محمد بن يحيى البجائي: شرح لامية الأفعال، مخ. م. و. ج. رقم 2231، الورقة الأولى.

بعد هذه المقدمة، شرع في شرح محتوى اللامية، وقسم شرحه إلى مجموعة من الأبواب والفصول، وهي:

الباب الأول: وضع له العنوان التالي: أبنية الفعل المجرد وتصاريفه: وفي هذا الباب شرح صيغ الفعل وتفاصيل أحكام المضارع والأمر، وحكم ما لم يسم فاعله ...[1].

باب بنية المزيد فيه...، بعدما عرف الفعل المزيد، بين أقسامه، وأوزان كل قسم، شرع في شرح الفعل المزيد.[2]

فصل في ما لم يسم فاعله: وضّح وشرح معنى الفعل الذي لم يسم فاعله، وأسباب حذفه، وحالاته، وأمثلة حوله مستدلا في شروحه بلأمثلة مختلفة معللا كل حالة بالعودة إلى أمهات كتب اللغة.

فصل في فعل الأمر: بعد تعريفهلفعل الأمر شرع في شرح صيغه، وحالاته. فقال:" فعل الأمر صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة"[3].

باب أسماء الفاعلين والمفعولين: عرّف اسم الفاعل وصيغه، ونفس الأمر بالنسبة لاسم المفعول.

باب ابنية المصادر، وكذلك باب المفعل والمفعل ومعانيهما، قلت والله ربنا المستعان وعليه التكلان اعلم أنهم يشتقون من مصدر الثلاثي اسما له ولزمانه ولمكانه على مَفعل بفتح الميم مزيدة للدلالة على ذلك المصدر وزمانه ومكانه...[4]

أهمية المخطوط: فبالرغم من كون المخطوط قديم، إلا أن أهميته في تدريس النحو لا تخفى على أحد، لكونه من المصادر التي يعتمد عليها علماء المنطقة في التدريس، ولازالت أهميته الفكرية قائمة إلى اليوم، كما أن المخطوط يبين تظلع علماء زواوة في اللغة العربية، وهذا ما يؤكد ما ذكره الفكون بأن علماء زواوة لهم دراية كبيرة بعلوم اللغة.

---

[1] – نفسه، الورقة 06.

[2] – نفسه، الورقة 18.

[3] – نفسه، الورقة 27.

[4] – أنظر الأوراق من 36 إلى أخر المخطوط.

نموذج من مؤلفات القرن الثاني عشر الهجري/18م

عنوان المؤلف: شرح على الرسالة المسماة ≪ مطلع قوتة قولي في قواعد التصوف≫،

لمؤلفها: عبد الله بن عبد الله الريفاوي المصري[1].

شارح القصيدة الشيخ: امحمد بن عبد الرحمن القجطولي.

عدد صفحات المخطوط: 89 صفحة.

بداية المخطوط:‹‹ الحمد لله وحده المطهر أهل البصائر الملهم برشده من هو إليه سائر...››، ونهايته: ‹‹ وقد تم ما قيدناه في هذه الرسالة المباركة المبصرة المريحة لمن عمل بها فهيا (فهي) تكفيه عن غيرها... على يد الفقير (...) المكان والأوان عبيد الله تعالى محب الخلان محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجاورة، الباعلوي قرية اسماعيلي عرشا القجطولي قبيلة، يتكنى بالجرجري، لطف الله به ورحم من نظر خطه بالإنصاف، ورحم الله عبدا أصلح ما شان من عيب بها واصلحا.

كتبه لنفسه ولمن شاء الله من غيره وذلك لتاريخ عام 1184هـ/1770››.

الناسخ هو: محمود بن أحمد بن الشيخ علي العلوي الجزائري.

تاريخ النسخ: شوال 1303هـ.

مكان المخطوط: المكتبة الوطنية المغربية، رقم د1956.

ملاحظة: توجد نسخ أخرى لهذا المخطوط في خزائن أخرى من بينها خزانة مخطوطات مكتبة زاوية علي بن عمر بطولقة، وهي أقدم من التي اعتمدت عليها، وناسخها هو: عبد الله الشيخ بن بلقاسم الصغير، وتاريخ نسخها 23 صفر 1268. وتعرف بقيد الأزهري على تأليف الرفاوي.

محتوى التأليف: يذكر المؤلف محتوى شرحه، فيقول:‹‹ أعلم أن هذا التأليف الذي قيدته وذيلته شبيه بالشرح على متن هذه الرسالة، وتجاسرت بغيره، ولو لم يكن أهلا لذلك للتفاؤل، ولأن أيضا لم نقيده إلا لمن هو مبتدئ مثلي، وليس بمرادنا بوضعه تتبع قانون الإعراب

[1] – هو عبد الله بن عبد الله، الملقب بـ: الريفاوي نسبة إلى الريف المصري.

وغيره من سائر القواعد المقررة...، بل سلكت مسلك الاستهتار، إلى العالم بالظواهر والأسرار لما علم أنه لا ينفع الحذر من الأقدار ››[1].

لم يتبع الشارح في مؤلفه منهجا واضحا في ترتيب الأبواب أو الفصول، وإنما نجده تارة يشير إلى المقدمة، ثم يتعرض فيها إلى جوانب الشرح، وتارة يشير إلى باب من الأبواب، ولكنه في العموم نهج في تأليفه منهج المتقدمين، وهذا ما يجعل الباحث يجد صعوبة في تبويب الكتاب، ويجد نفسه مضطرا إلى إعطاء نظرة شاملة على محتواه.

ففي البداية، عرّف المؤلف بصاحب القصيدة، ثم تعرض إلى أسباب تأليفه وشرحه للقصيدة، وسبب تسميتها بهذا الاسم، وبعد ذلك شرع في شرحه وبيّن كيف ألبسه شيخه (الشيخ الحفناوي) الخرقة، ونوعها فقال:" ...كما كساني أستاذي الحفناوي قميصا عبد فيه زمانا طويلا وقفطانا وعمامة، وقال لي حين لبسهما لي هذه خرقتك يا ولدي"[2]. ووضح كيفية التلقين في الطريقة الخلوتية، والفرق بينها، وبين غيرها من الطرائق الصوفية الأخرى، فقال:" طريقة التلقين عند الخلوتية هي مقامات سبع‹‹ لا إله إلاّ الله ۞ الله ۞ حق ۞حي ۞ قيوم ۞ قهار.››، أما غير الخلوتية فيلقنون للمريد ثلاثا فقط[3].

ينتقل الشارح في شرحه إلى شروط الدخول في الطريقة، وأركانها، وكيفية أخذ العهد على الشيخ، وكيفية التلقين. ثم يبين ويشرح بعض المصطلحات الصوفية، كالسجادة، والمقصود منها، والفرق بين الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والصناعة، والشد...، وبعد ذلك يشير إلى سند القوم في التلقين، فقال: ‹ سند القوم في التلقين هو حديث التلقين لعلي بن أبي طالب كرم اله وجهه ورضي الله عنه، فقد قال علي بن أبي طالب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، دُلّني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل وأسلمها على عباده، وأفضلها عند الله تعالى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سرا وجهرا. فقال علي (ض): كل الناس ذاكرون يا رسول الله، وإنما أريد أن تخصني بشيئ، فقال صلى الله عليه وسلم: صه يا علي أفضل ما قلت أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة واحدة و لا إله إلا الله في

---

[1] – امحمد بن عبد الرحمن الأزهري: شرح على الرسالة المسماة:‹‹ مطلع قوتة قولي في التصوف ›› ل: عبد الله بن عبد الله الريفاوي المصري، مخ. المكتبة الوطنية المغربية، الرباط، رقم: د 1956، ص 4.

[2] – المخطوط، ورقة 12.

[3] – نفسه، الورقة 13.

كفت لرجحت لا إله إلا الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله...[1] فهذا هو سند القوم في التلقين[2].

باب في الكلام على النقابة: خص الشارح بابا في الكلام على النقباء وأصنافهم ومهام كل صنف، والشروط التي يجب أن تتوفر فيهم، وذكر المقامات التي سماها بالسبع، والتي ذكرها علماء التصوف، فقال: أعلم أن علماء التصوف قسموا النفوس إلى سبعة... وهذه: النفس الناطقة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والرضية، والمرضية، والكاملة، ويسمى ذلك عندهم بالمقامات[3].

بعد هذا الباب الذي توسع فيه، عاد إلى متابعة شرحه لـ: الفرق بين الخلوتية وغيرها من الطرائق الأخرى، والتي تظهر في آداب المريد، وصفات شيخ الطريقة والتي أوجزها فيك العلم الصحيح، والذوق الصريح، والبصيرة النافذة[4].

باب أنواع الإجازات: قسم الإجازات إلى قسمين هما: الإجازات العامة، والإجازات الخاصة، وفي هذا الباب ذكر الشيخ نص الإجازة التي أجازه بها شيخه الحفناوي بمصر والتي جاء فيها: (الحمد لله العليِّ السندي، والصلاة والسلام على أقوى سند وعلى آله المهتدين وصحبه نجوم الهادين. أما بعد: فقد أجزت الحبيب النسيب الناسك السالك الأريب ولدُنا الفهامة السيد مَحمد بن عبد الرحمن القجطولي الزواوي الباعلوي الحسني بما تضمنه هذا الثبت...كتبه محمد بن سالم الحفناوي، سبط الإمام حسن في محرم الحرام سنة 1177هـ أحسن الله ختامها. آمين[5].

في الأخير: يذكر صاحب الشرح العلماء الذين أجازوه في مختلف العلوم سواء في مصر، أو الجزائر، ويورد قائمة بأسماء هؤلاء العلماء.

المصادر التي اعتمد عليها في شرحه: اعتمد الشيخ على مجموعة من المصادر المهتمة بالتصوف في العالم الإسلامي، غير أن الملاحظ على الشيخ أنه يذكر أسماء العلماء دون ذكر عناوين الكتب التي ألفوها، ومن بين الأسماء التي ذكرها:

---

[1] – لم أعثر على رواة هذا الحديث في كتب الحديث على اختلافها، وربما يوجد في كتب الشيعة. فهو غير صحيح عند علماء أهل السنة.

[2] – المخطوط، الورقة، 15.

[3] – نفسه ، الأوراق من 33 إلى 66.

[4] – نفسه، الورقة 75.

[5] – المخطوط، ورقة 77. والنص الكامل للإجازة، أنظره في الملاحق.

ابن عطاء الله، أبو حامد الغزالي، الجنيد، أبو علي الدقاق، الحسن البصري، أبو بكر الوراق الحكيم، عبد الوهاب الشعراني، عبد الرحمن الثعالبي... وكل هؤلاء من العلماء الذين لهم باع كبير في علم التصوف الإسلامي مما يدل على سعة اطلاع المؤلف على المحدثين والقدماء من علماء التصوف الإسلامي.

أهمية الكتاب: تظهر أهمية الكتاب في كونه أحد المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة الطريقة الرحمانية الخلوتية في الجزائر، وهذا لما يتضمنه من المعلومات التي ينفرد بها عن غيره من المؤلفات التي تناولت الطريقة الرحمانية، كما أن الكتاب يحتوي على النسخة الأصلية للإجازة التي تحصل عليها صاحب المؤلف من شيخ الطريقة الخلوتية بمصر، أو مكة المكرمة، لأن البعض يرون بأن الشيخ الحفناوي درس تلميذه ابن عبد الرحمن في الحجاز.

فالكتاب من المصادر الهامة في الطريقة الرحمانية، لكونه كتب بقلم مؤسس هذه الطريقة من جهة، واعتمد صاحبه على المصادر الخاصة بالفكر الصوفي من جهة أخرى.

نموذج من القرن: الثاني عشر الهجري/18م

عنوان الكتاب: التفكير والاعتبار في فضل الصلاة والسلام على النبي المختار.

المؤلف: أحمد البجائي بن ثابت الحسني (ت.1152هـ/1779م).

عدد الأوراق: 148 ورقة.

مكان المخطوط: المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط، تحت رقم TN1/105. وتوجد نسخا أخرى للمخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2305، وكذا في مكتبات أخرى خاصة.

محتوى المخطوط: يحتوي المخطوط على مقدمة وضح فيها أهمية مؤلفه، ودواعي تأليفه لهذا المؤلَّف، ثم بين طريقة تصنيفه فقال: " وصنفت هذا الكتاب في الصلاة على شفيع العباد على ما أدركه عقلي من الأنواع والأعداد، جعلت هذا الكتاب أبوابا ليسهل على القارئ، وجعلت كل باب منه أوله مدحا وتمجيدا له صلى الله عليه وسلم...وآخر الباب وسيلة ودعاء[1].

[1] – أحمد البجائي بن ثابت الحسني: التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار، مخ. المكتبة الوطنية المغربية، الرباط، رقم TN1/105، الورقة 11.

مضمون الكتاب: يتضمن الكتاب أهمية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقسمه إلى مجموعة من الأبواب، كما بيّن ذلك المؤلف، بدأ في الباب الأول: بالمرائي التي ذكرها في فضائل الصلاة على النبي عليه السلام، ثم شرع في ذكر الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم في أبواب أخرى كل باب حاول فيه أن يبيّن صورة وطريقة من الصفات التي اتبعها في الصلاة على النبي، فمثلا في باب السؤال بأسماء الله الحسنى، يقول: اللهم إيني (إني) أسلك (أسألك) باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر وأسلك الهم باسمك القدوس الزكي الطاهر المطهر ... وأسألك اللهم أن تصلي على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تعتق بها رقابنا من عذاب القبر...[1]، وهذه هي الطريقة التي اتبعها المؤلف في تأليفه هذا كله، وهي صورة واضحة عن المستوى الذي كان يهتم به العلماء المسلمون من التآليف الدينية المنتشرة في هذه الفترة.

نموذج من القرن الحادي عشر الهجري/ 17م

العنوان: الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار.

المؤلف: محمد بن علي الشريف الشلاطي.

تاريخ التأليف: 1193هـ/1779م.

الناسخ: محمد بن(...) بن محمد البجائي.

تاريخ النسخ: وكان الفراغ من نسخه، صباح الخميس لعشرين خلت من جمادي الأولى سنة 1263هـ/(1846م)، عرفنا الله خيره وخير ما بعده، ووقانا شره وشر ما بعده[2].

بداية المخطوط: " الحمد لله المنفرد بالذات والصفات المنزه عن أين ومتى والسكون والحركات الذي فتح الأرضين والسماوات..." ونهايته:

" قد تم التأليف بحمد الله وحسن عونه المسمى: معالم الاستبصار بتفضيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار ، للشيخ الناصح الولي الصالح الفقيه النحوي المحدث اللغوي سيدي محمد بن علي الشريف نفعنا الله به آمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[1] – المخطوط، الورقة 63.

[2] – الورقة الأخيرة من المخطوط.

توجد منه عدة نسخ منها النسختان الموجودتان في المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم2694، و2678، وكذلك نسختين عند الشيخ محمد الحسن عليلي اليجري واللتين اطلع عليهما المرحوم أحمد ساحي[1].

محتوى المخطوط: المخطوط عبارة عن شرح لكتاب السوسي، وهو محاولة شمولية يعرفه بما يحتاج إليه المبتدئ كفيل نافع... به ضروب من المنافع جمة، من معرفة أوقات الصلاة والإذكار، وتحديد القبلة من جميع الأقطار والتفكير في عجائب العلويات وغرائب السفليات، ومغرفة العام العربي وشهوره وبيان مهماته وأيامه وكبسه، ومدخل السنة العجمية، وكبسها بضابط قريب، وتفصيل شهورها لفائدة الفلاحة والأمطار.

يقول الشلاطي عن مؤلفه هذا واصفا محتواه: ذكرت ما كان في كل شهر وفي كل يوم، وذكرت المطالع والمغارب بالقول الشافي، ومجاري الشمس، وما يعتريها من الشروق والسقوط والذبال، ودخول الحر والقر، وما بينهما من الاعتدال، وكذلك سائر الدراري وترحيلها في البروج والمنازل وأشير إلى الرياح والبرور والرعد واذكر انقلاب الشمس في وقتنا هذا مع الاستواء ومذاهب العرب في الإنواء والأمطار[2].

تناول المؤلف في كتابه عدة جوانب متعلقة بالفلك وعلم التنجيم، متبعا فيه طريقة الأولين، التي وإن لم تكن منهجية حديثة، ولكن القارئ يجد سهولة في الانتقال من موضوع إلى آخر، ففي البداية وضع مقدمة، عرّف فيها مؤلفه، ودواعي تأليفه، وكذلك تكلم عن حالته العلمية، والحالة العلمية، والثقافية في عصره، ثم شرع في الحديث عن علم التنجيم وموقفه منه مستدلا بقول الإمام علي كرم الله وجهه. وبعد ذلك بيّن فوائد هذا العلم الدنيوية والدينية، فقال: " ... من معرفة مهمات الدين وهي المواقيت... يشمل أوقات الصلاة والزكاة، وأوقات الحرث، وغرس الأشجار، وأوقات فيها منافع الأبدان ومضاره..." ووضح السنة العجمية والسنة الهجرية ومدخلهما وعدد أيامهما، وفصولهما وعدد أيام كل فصل[3]، ووضح ذلك من خلال الرسومات التي شرح بواسطتها تحرك الأبراج ومنازل الفصول. معتمدا في ذلك كله

---

[1] – أعلام من زواوة ...ص164.

[2] – نقلا عن ساحي، المرجع السابق، ص ص 173، 174.

[3] – محمد بن علي الشريف الشلاطي: الاستبصار بتفصيل الزمان ومنافع البوادي والأمصار، مخ. الم. و.ج. رقم 2678. و2694. الورقة07، – والورقة 10.

على مجموعة من المصادر والكتب التي تكلمت على هذا العلم، مؤيدا بعضها ومنتقدا البعض الأخر، ومن هذه المصادر التي ذكرها في مؤلفه، وأخذ عنها:

- ابو العباس أحمد السوسي: إشراق البدر على أهل بدر.
- اليوسي: شرح أرجوزة الإسطرلاب للسوسي.
- محمد المرغني الدداسي، اليواقيت ومعونة الطلاب. ومعونة الطلاب.
- أبو مقرع محمد السعيد المرغني الدداسي مقدمة الممتع في شرح المقنع لنظم أبي مقرع.
- أحمد بن بلقاسم الزواوي: جدول الكبس والإزدلاف.
- أبو العباس أحمد الزواوي: قاعدة مدخل يناير.
- أبو سهل بن الحسن لأندلسي: رسالة في معرفة حروف الجمل
- محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي: رسالة في علم الأوقات والتواريخ...

يذكر أنه عثر بخطة والده على تلخيص حول التنين، وعلى قصيدة في مدخل السنة العجمية، وعلى نظم الفقه لمحمد بن علي بن مالك الزواوي ... وغيرها من الوثائق والمخطوطات التي بحوزة والده، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن والده كان مهتما بعلم الفلك وفق ما كان عليه الحال في عصر المؤلف.

أهمية الكتاب: يمكن أن نستخرج من هذا المخطوط مجموعة من الفوائد العلمية والتاريخية، منها:

- الحالة العلمية في عصر المؤلف: يصف الوضعية العلمية السائدة في عصره بقوله:

" ...لا سيما في وقتنا هذا عام (...) الذي قل خيره، وانتشر الجهل وعظم شره، وهاجت فيه فتن متماحلة، وترادحت محن متطاولة، ولم يبق من الدنيا إلا كذنب العقرب، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب، والمؤمن فيه كقابض على جمرة محمات، أوكماش على مزاحف الحيات، فإنا لله وإنا إليه راجعون على قلة العلم وأهله، حتى صار مثلي من أهل التأليف مع جهله... فهذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضى باليسير من القوت، إذ قلت المساعدون وكثر الحاسدون[1].

---

[1] – الشلاطي: الاستبصار بتفضيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، الورقة 06.

الفوائد العلمية من المخطوط: يبين لنا صاحب التأليف الكثير من المعلومات التي ذكرها في تأليفه، ومن بينها:

المعلومات الفلكية: قسم الشلاطي الكرة الأرضية إلى دوائر العرض الوهمية، وذكر خط الاستواء الذي يتوسطها ومميزاته المناخية. فقال: "...فالليل والنهار مستويان أبدا ، فإنه يكون فيها شتاءان وربيعان وخريفان في سنة واحدة، فاليل والنهار فيها مستويان أبدا"[1]. هذا وتحدث عن حركة الأرض السنوية، واستعرض أقوال العلماء في هذا الشأن، ووضح أخطاء بعضهم، فقال: " ولو عاش أبو مقرع ومن قال قوله إلى زماننا لوافق مذهب المتأخرين ورفض قول الأول"[2].

تحديد القبلة: بعد تحديده لمواقع البلدان، ذكر أمثلة لتحديد القبلة، وما ظهر منه من انحراف، ومن بين المدن التي ذكرها مدينة فاس، ومسجد القرويين، وجامع الأندلس، وما كان في سمتها. فجامع القرويين، منحرف عن المشرق إلى جهة الجنوب باثني عشر درجة. وهو الأمر الذي وقفت عليه عندما زرت المسجد، وأثناء الصلاة، لاحظت انحراف الصفوف عن المحراب، وعندما سألت عن السبب، قيل لي بأن المحراب منحرف عن القبلة نحو الجنوب قليلا.

على كل، فإن أهمية الكتاب التاريخية تظهر من خلال ذكره لبعض الأحداث التاريخية الهامة التي وقعت في حياته، والتي من بينها، أنه أرخ للزلزال الذي حدث في منطقة زواوة أثناء حياته، فقال: " في اليوم السابع والعشرين(شهر شتنبر) وقعت زلزلة عظيمة يوم خميس في عصرنا عام إحدى وثمانين ومائة وألف (الموافق لـ 1767م) تهدت (تهدمت) بيوت وهبطت حجار عظام من الجبل فالله يلطف بنا"[3].

من خلال هذه النماذج التي عرضتها في هذا المبحث، يمكن الوقوف على الإسهامات الفكرية التي أسهم بها علماء زواوة في إثراء المكتبة العربية مغربا ومشرقا بالمؤلفات المختلفة، وإن كان تقصيري على هذه النماذج، فإن مرده يعود إلى أن المخطوطات

---

[1] – المخطوط، الورقة 32 .

[2] – نفسه، الورقة 40.

[3] – نفسه، الورقة 100.

والمؤلفات الأخرى لم أتمكن من الحصول عليها، كما أن بعضها الآخر في خزائن أجنبية ليس من الممكن حاليا الوقوف عليها.

ومهما يكن، فإن النماذج التي تعرضت إلى تقديمها، تعتبر من المؤلفات التي تعكس الحالة الفكرية في العالم الإسلامي عامة، لكون التأليف التي عرفت رواجا في فترة البحث، كانت في عمومها تآليف في العلوم الشرعية، خاصة منها الشروح لمتون العلماء الذين عاشوا في القرون التي سبقت فترة البحث، فهذه النماذج تعكس نوع المؤلفات المنشرة في العالم الإسلامي مشرقه وغربه.

نماذج من مؤلفات القرن الثاني عشر الهجري/ 18م

عنوان المؤلف: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ النبراس المختار.

المؤلف: الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني.

تاريخ التأليف: تم هذا الشرح المبارك قرب اصفرار الشمس يوم الخميس التاسع والعشرين من رمضان عام ثلاث وسبعين ومائة وألف 1173هـ/ 1759م رزقنا الله خيره وخير ما بعده، ووقانا شره وشر ما بعده آمين، آمين، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما[1].

الناسخ هو: محمد السعيد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن البهلول بن يذير الحاج الورثيلاني، وتاريخ النسخ ذكره الناسخ في قوله: ليلة الثلاثاء ثالث جمادي الآخرة سنة 1313هـ/ 1885م.

بداية المخطوط:‹‹ يقول وحيد عصره، وفريد دهره العالم الرباني، والكوكب النوراني، سيدي الحسين بن سيدي محمد السعيد الورثيلاني... الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بأنواره...››، ونهايته: ‹‹ وكان الفراغ من نسخه ليلة الثلاثاء ثالث جمادي الأخرة عام 1313هـ، على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده...››

محتوى المخطوط: قسم المؤلف شرحه لوظيفة الشيخ سيدي يحيى العدلي إلى أحد عشر فصلا، وأعطى لكل فصل عنوانا، فجاءت على الشكل التالي:

---

[1] – الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ النبراس المختار، مخطوط شخصي مصور عن خزانة الشيخ أولحبيب. الورقة،88.

الفصل الأول: خصصه لتعيين قراءة الوظيفة. الفصل الثاني: في فضل الذاكرين. الفصل الثالث: في لفظ الوظيفة. الفصل الرابع: في فائدتها واختصاصها بالأوقات المشروعة. الفصل الخامس: في معنى الوظيفة. الفصل السادس: في حكم الوظائف. الفصل السابع: في أحوال السالكين في اشتغالهم الوظائف. الفصل الثامن: في فضل العلم وأهله ووجود الصالحين في البلاد وإكرام العلم وأهله وبيان الإيمان وأهله. الفصل التاسع: في الحالة التي ينبغي لقارئ الوظيفة أن يكون عليها. الفصل العاشر: فيما ينتج للذاكر لها. وهو الفصل الذي بدأ فيه شرح ألفاظ الوظيفة، بداية بقول صاحب الوظيفة:﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[1]، وقسم هذا الفصل إلى فصول ثانوية دون تحديدها، فوضع فصلا في: صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وفصل في فضل ذكر الفاتحة، وشرح سورة الإخلاص، مع الإشارة إلى فضل هذه السورة. الفصل الثالث: في تفسير سورة الإخلاص، وأقوال العلماء في فضلها، واتبع نفس الطريقة في تفسير كل السور، والآيات الواردة في الوظيفة العدلية[2]مستندا في ذلك على الأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العلماء فيها. الفصل الحادي عشر: في العلامات الدالة على حصول النتيجة لقارئ وظيفة الشيخ العدلي. وختم تأليفه بخاتمة: بيّن فيها فضائل وكرامات الشيخ القطب الصالح والغوث الصمداني الواضح من ظهرت عليه كراماته في جميع الأفاق[3].

مضمون التأليف: بدأ الشارح مؤلفه باستعراض الأوضاع العامة التي كانت عليها الناحية، وبحكم ميول المؤلف إلى التصوف، فإنه ركز بالدرجة الأولى على الجانب الديني، والأوضاع الدينية التي كان عليها عرش بني ورثيلان، وعرش بني عيدل المتجاورين، فقال:" ...ثم أن الله شرح صدري للانتقال إلى وطن الشيخ المذكور لكون الأحكام الشرعية فيه بخلاف وطننا"[4]، وفي هذا الإطار يبين مكانة قرية الشيخ العدلي، فقال: "... ثم بعد ذلك سألته عن رفعة تمقرا أعني محله، وتعظيم الناس له، فقال لي: كثير ما تواضع لله"[5].

---

[1] – سورة، الأحزاب، الآية : 56.

[2] – الورقتين 69و 70.

[3] – نفسه، الأوراق من 77إلى78.

[4] – نفسه، الورقة 02.

[5] – الورقة 03.

بعد ذكره لقرية الشيخ العدلي، استعرض الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في الناحية، وذكر بأنها كانت في فوضى عارمة، والقتال بينهم قلما يرتفع، والسرقة منتشرة، مما أدى إلى عدم إقامة صلاة الجمعة في القرية، هذا وأشار إلى انتشار الوباء بين الناس في عرش بني عيدل، فقال: " نزل بهم الوباء فمات أكثرهم شهيدا"[1]. كما أشار في المقدمة كذلك إلى منع الميراث وخروج الناس عن الأحكام الشرعية في قريته، فحاول والده إصلاح معالجة الظاهرة ، ولما فشل في ذلك قرر:" ...واخذ منهم العهد أن لا يصلي أحد بهم أي بالعوام، وأن لا يعقد النكاح لمن تزوج، وأن لا يبين لهم الحكم فيما نزل بهم من الخصام"[2].

كما ذكر في المقدمة، أول شارح للفظ الوظيفة، وهو الشيخ عبد الرحمن الخروبي، ثم شرع في تعيين وقت قراءتها وفضلها، وفضل الذاكرين، ولفظ الوظيفة التي شرح محتواها، وخلال شرحه ذكر ألفاظ الوظيفة وعمل على شرحها. فذكر شرح الخروبي لقول صاحب الوظيفة: (تحصنت بذي العزة والجبروت، واعتصمت برب الملكوت، وتوكلت على الحي الذي لا يموت۞ أصرف عنّا الأذى إنك على كل شيء قدير)[3]فقال: هذا اللفظ يتضمن التحصن بالله والاعتصام به والتوكل عليه، وهذا الدعاء منقول عن جم غفير وجمع كثير من قدماء بجاية[4]، مما يبين لنا سعة اطلاعه على آراء غيره من العلماء خاصة البجائيين منهم.

وفي مكان آخر، شرح قول الشيخ العدلي: (أعوذ بالله من الشقاق والنفاق ومن سوء الأخلاق، ومن أمر لا يطاق)[5]،فبعدما شرح الورثيلاني هذا القول، أضاف: "...لعظم وقوعه فكان من أشر الشرور وأقواها، ولذا استعاذ من الثلاثة وألزم أصحابه ...لأن أهل وطننا مطبوعون و موصوفون بهذه الأوصاف من زمن الشيخ(ض) إلى الآن . كان ملبسهم ومأكلهم هو ما يجعل منه الخمر كاللبن والعنب، ولباسهم هو الصوف التي تقرب من شعر الخنزير من اليابسات، واختلاط أملاكهم ونسائهم مع رجالهم، وقد أشار إلى بعضها الخروبي، وهو الشارح الأول لهذه الوظيفة[6].

---

[1] – الورقة، 07.

[2] – الورقة، 04.

[3] – الورقة، 66.

[4] – نفسه، 66.

[5] – من وظيفة الشيخ العدلي، أنظر نسخة منها في الملاحق.

[6] – لم نتمكن من العثور على شرح الخروبي لوظيفة شيخ والده سيدي يحي العدلي.

لم يكتف بالشرح فقط، بل أبرز حقيقة التصوف في نظره، فقال: " حقيقة التصوف هو: التخلق بالأخلاق الحميدة، قيل لبعض أرباب الطريق ما التصوف؟ فقال الخروج من خلق دني، والدخول في كل خلق سَني، وقال آخر من أكابرهم: التصوف حُسن الخلق، فمن زاد عليك في حسن الخلق زاد عليك في التصوف"[1]. فمن هنا يبين لنا الشيخ الورثيلاني نظرته للتصوف السني الذي يراه أساسي في المتصوف مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

المصادر التي اعتمد عليها: اعتمد في تأليفه على مجموعة من المصادر المختلفة، والتي أُلفت في فترات متباينة، والتي ذكر بعضها في قوله:«...على أني وضعتها بانقال وأحاديث تغني ناظره عن كتب عديدة وأبحاث مزيدة بما انتخبتها إلا من أماكن سديدة، كالبيضاوي والجواهر الحسان للثعالبي، والخازن والعياشي للوظيفة الزروقية ۞ وكشرح دلائل الخيرات للفاسي، والتنوير لابن عطاء الله، ولطائف المنن، وغيرها من كتب الأحاديث[3].

أهمية المؤلَف: تتضح أهمية هذا المخطوط من خلال الكم الهائل من المعلومات التي ذكرها الشارح، والتي تتوزع على ميادين مختلفة.

فمنها الميدان الديني، والذي يجد فيه الباحث المظاهر الدينية التي كانت سائدة في منطقة زواوة عامة، وعرشي بني ورثيلان وبني عيدل بوجه خاص في القرن الثاني عشر الهجري/ 18م، وهو القرن الذي عاش فيه الشيخ الورثيلاني. وهذا ما يجعلنا نقول: بأن المخطوط يعد مصدرا هاما من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة هذا الجانب في الناحية خاصة والمنطقة عامة. لكونه بقلم أحد علماء المنطقة من جهة، وعدم وجود مصادر أخرى محلية تعرضت لهذه الظاهرة في هذه الفترة من ناحية أخرى.

الميدان الاجتماعي: وصف المؤلف في مؤلفه، الحياة الاجتماعية في المنطقة، والقتال بين الناس لأتفه الأسباب، وهي الوضعية التي ذكرها في الرحلة لما انتقل في أعراش منطقة زواوة عند زيارته لبلدة دلس[4]، كما تعرض إلى سفور المرأة، فقال:" ...وأيضا ليست لهم غيرة في نسائهم، تجد المرأة مكشوفة العورة والأجنبي ينظر إليها نظرة لذة، وزوجها حاضر لا

---

[1] – الورقة، 78.

[2] – حديث صحيح، رواه الإمام: أحمد في مسنده تحت رقم: 8595. وابن شيبة في: المصنف رقم 135.

[3] – المخطوط، الورقة 02.

[4] – الرحلة، ج1، ص 59.

يتغير بل ربما أعانها على ذلك... فلا تجد أحدا ممن قبلنا تصدى لهذا الأمر، ولا انتقل منه، ولا هاجر بسببه"[1].

الميدان السياسي: يبين المؤلف في هذا المخطوط دور العلماء والمرابطين في إصلاح ذات البين، والتوسط بين الحكام والعامة من السكان، ويذكر الكثير من الوقائع التي يطغى عليها الجانب الخرافي، كالمرائي، والكرامات الصوفية التي ذكرها في هذا الشأن، إذ يذكر أن قائد بجاية(محمد بن العالم)، كان يخاف من سلطان المدينة أن يأخذه لأمر أتهم به، فكتب إلى الشيخ العدلي كتابا يذكر فيه أنه أراد أن يترك قيادة بجاية، ولكن بعض الأخيار أمره بالبقاء، وأن الناس يحتاجون إليه فأردت ألاّ أفعل حتى أشاوركم. فكتب له الشيخ يأمره بالخروج...[2]، هذا ويذكر الورثيلاني بأن الشيخ العدلي كان يكاتب الأمير عبد العزيز في حوائج الناس ومصالحهم فتارة يمتثل، وتارة لا، وإن لم يمتثل كتب إليه مرة أخرى، كما أورد حادثة وقعت لرجل من إحدى قرى عرش بني عيدل، وهي: " أن السلطان المذكور أخذ رجلا من ثبُذوَسَيَت[3]أخذه أنه اتهمه بكنز قد وجده، فكتب الشيخ إليه، إما أن تُطْلقه لوجه الله، لأنه والله لم يجد شيئا مما اتهمته به، أو نعطيك ما اشترطت. فلما رأى السلطان الكتاب أطلقه[4].

فالمخطوط يحتوي على عدد من الأحداث التي تبين دور علماء المنطقة والمرابطين في الحياة السياسية، وهي المعلومات التي ينفرد بها هذا المخطوط عما سواه.

في الميدان الثقافي: ذكر العديد من العلماء الذين درس عليهم، أو التقى بهم في بلده، أو خارجه، كما أرخ لبعضهم الأخر، ومن بين هؤلاء الذين ذكرهم وأثنى عليهم الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي، الذي قال فيه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي: " لو أن رجلا لم يعص الله قط لكان الشيخ أحمد بن إبراهيم"، والشيخ هذا كان شيخا ليحي العدلي، وكذا الثعالبي اللذان درسا عليه في بجاية[5]، هذا إلى جانب ذكره لبعض المراكز العلمية التي زارها، والتي لا نجدها في غيره من المصادر الأخرى. كما أرخ للشيخ سيدي يحيى العدلي، وذكر كراماته، وإسهاماته في الحياة الفكرية في منطقة زواوة عامة، وذكر العديد من العلماء الذين درسوا

---

[1] – المخطوط، الورقة 74.

[2] – نفسه، الورقة 81.

[3] – قرية تقع بالقرب من قرية الشيخ العدلي، وهي قرية بوثواب الحالية.

[4] – المخطوط، الورقة 81.

[5] – المخطوط، الورقة 83.

عليه في معمرته بتمقرة، فالشيخ الورثيلاني يعد بمثابة المصدر الأساسي لتاريخ العالم الرباني الشيخ سيدي يحيى العدلي، خاصة إذا علمنا بأنه نقل عن أوراق وجدها عند حفدة الشيخ أثناء زياراته لهم، فقال: " أعلم أني وجدت كرامات الشيخ رضي الله تعالى عنه في أوراق بالية ورسوم قطعت غير متوالية، غير أني أكتب ما صح لفظه (...) وبعض الكلام كان مكتوبا بالبربرية...ومنها ما حدثني بعض أعيان أصحابه الصادقين"[1]. وهو الذي حدد تاريخ وفاته من خلال إحدى الأوراق التي نقل عليها ذلك، فقال:" وتوفي الشيخ سيدي يحيى العدلي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به عام881هـ"[2].

من خلال هذا، يمكن القول بأن هذا المخطوط من المصادر الهامة في دراسة تاريخ الناحية خاصة ومنطقة زواوة بصورة عامة. لكونه قد ذكر فيه العديد من المعلومات التاريخية التي تساعد الباحث في إعادة كتابة التاريخ المحلي للمنطقة عامة.

نموذج من مؤلفات القرن الثالث عشر الهجري/ 19م

المؤلف: محمد أمزيان الحداد

عنوان المؤلف: رسالة في التصوف[3].

من بين المؤلفات الزواوية في التصوف، تأليف الشيخ الحداد الذي يعد بمثابة الدليل الصادق على المستوى العلمي الذي بلغه الشيخ، وهو برهان للرد على ما كان يشاع عنه بأنه مجرد زاهد وخلوتي ولا علاقة له بالعلم.

تاريخ التأليف: 14 من شهر رمضان المعظم سنة 1261هـ/ 1845م. ويذكر أنه فرغ من تأليفه، يوم الأربعاء وقت الضحى من التاريخ المذكور.

يذكر (عمار طالبي) أن الكتاب له نسختين، إحداهما الموجودة عند السيد (محمد الشريف بن الشيخ) ببجاية، وهي النسخة التي اعتمدت عليها في تقيمي لهذا الكتاب، والثانية عند أحفاد الشيخ البوجليلي.

بداية الكتاب:" بعد الفاتحة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، شرع المؤلف في تصدير الكتاب دون الإشارة إلى عنوانه بقوله:<< يقول العبد الفقير لرحمة ربه محمد أمزيان

---

[1] – نفسه، الورقة 80.

[2] – نفسه، الورقة 88.

[3] – عمار طالبي، "الشيخ ابن الحداد الصوفي الثائر" في:مجلة الأصالة، المجلد الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ع2، ص 30.

ابن الحداد عامله الله بلطفه وخار له في الرحيل والميعاد بمنه، آمين. وآخر التأليف، ووقع الفراغ من تقييده يوم الأربعاء...وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كبيرا إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

محتوى الكتاب: يذكر المؤلف محتوى كتابه، فيقول:" ...فجاء بحمد الله تعالى تقييدنا مفيدا ناصرا لأهل الأوراد...ورتبته على إثنى عشر بابا وخاتمة". الباب الأول: في الترغيب في ذكر الله تعالى، الباب الثاني: في الترهيب والتحذير من تركه، الباب الثالث: في فوائده، الباب الرابع: في الجهر به، الباب الخامس: هل الذكر أفضل أم التلاوة، الباب السادس: هل الذكر أفضل أم الفكر، الباب السابع: في آداب الذكر، الباب الثامن: في بعض أحوالهم الطارئة عنهم – هكذا بصريح لفظه –، الباب التاسع: في المشيخة وما يتعلق بها، الباب العاشر: في التلمذ وطلب الأستاذ، الباب الحادي عشر: فيمن مات له شيخه هل يجدد شيخا آخر أم لا؟، الباب الثاني عشر: في المفرق بين الأبرار والمقربين، الخاتمة في مسائل شتى[1].

بعد ذكر هذه الأبواب أخذ في شرحها، وتوضيحها والتوسع فيها بابا بعد الآخر معتمدا في ذلك على آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، وآراء الصحابة (ض)، مستعينا بما تركه العلماء، وآراء من سبقوه من المتصوفين البارزين، أمثال: أبي مدين بن شعيب الأندلسي، وابن عطاء الله، والسيوطي، والسنوسي، والثعالبي، والملياني، والغزالي، وغيرهم ممن لهم باع طويل في مجال التصوف.

أما طريقته في الشرح والإيضاح، فإنه يورد آيات وأحاديث لبيان ما كان قد عرضه من الأبواب، ثم يثني ذلك بإيراد أقوال وآراء العلماء الذين سبقوه، ولكنه لا يكتفي بذلك فقط، وإنما كثيرا ما يتدخل، ويدلي برأيه مؤكدا، أو معلقا مستعملا في ذلك كلمة (الفقير)، أو بصيغة (أقول)، مما يدل على أن الشيخ كانت له دراية فائقة في كثير من العلوم، إلى جانب إطلاعه الواسع على آراء علماء التصوف القدماء منهم والمحدثين.

الكتاب عموما، بمثابة رد على الفقهاء الذين تمسكوا بالظاهر، وأنكروا على الصوفية بعض الأمور التي يستخدمونها، وقد ألفه ردا على هؤلاء بإشارة من شيخه السكلاوي اليراتني الذي يظهر وكأنه عانى من الفقهاء الذين كانوا لا يتوانون في مهاجمة المتصوفين وآرائهم.

---

[1] – المخطوط، ص ص 7، 8.

فالكتاب، يعد من أهم مصادر تصوف الشيخ الحداد، إذ ساهم في النقاش الدائر بين المتصوفين والفقهاء خلال فترة حياته، وذلك حول مشروعية الذكر، ورد على الفقهاء الذين يتهمون المتصوفين بالبدعة، والخروج عن الدين الإسلامي الصحيح، وقد عالج فيه عدة مواضيع كانت محل نقاش بين العلماء، والمشاكل التي كانت تواجه المريدين، وكل هذه المسائل التي تعرض لها الشيخ الحداد في مؤلفه من المشاكل القديمة الجديدة التي كثيرا ما يعاد طرحها بين المتصوفين والفقهاء كمشروعية الذكر، والمشيخة وشروطها، وما إلى ذلك من الجوانب التي يحتوي عليها الكتاب في مضمونه.

مضمون الكتاب: تعرض المؤلف في مقدمة تأليفه إلى أوضاع المسلمين الدينية والاجتماعية، وما وصل إليه الدين من غربة بين أهله، فذكر بأنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، فقال: " فقد أدركنا الزمن الذي وصفه المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، بلا ريب وقد شهدنا ذلك كله في كل قطر وفي كل مصر بلغ إليه علمنا فتجدهم أنهم يدعون مسلمون وهم لا يصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون عند الاستطاعة ولا يؤمنون بالله ورسله حق الإيمان"[1]. وهو نفس الموقف، ونفس الحكم الذي نجده عند كل المتصوفين المتبعين للنهج الإصلاحي للعقيدة والمجتمع في العالم الإسلامي أمثال: الإمام الغزالي، والشيخ أحمد زروق البرنوسي، وغيرهما، والوضع الديني السائدين في وقته، وحكم عليهم بأنهم عن الإسلام بعدا كبيرا.

ففي مقدمة الكتاب ورد قوله:" وأما القرآن فقد أهمل العمل به أصلا، فتراهم يحظون على حفظ ألفاظه دون معانيه المقصودة، فلا يحللون حلاله، ولا يحرمون حرامه، فيزعمون أنهم حملة القرآن وأنهم أهل الله وأحباؤه، وأنهم لا يضرهم ما فيه من المخالفة مع حفظهم له. قال تعالى:﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾[2]، وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[3]، وقال:﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا...﴾[4]. فهذه الآيات استدل بها على من يترك العمل بالقرآن الكريم،

[1] – الورقة 2.

[2] – سورة الحشر، الآية 21.

[3] – سورة محمد، الآية 24.

[4] – سورة الجمعة، الآية 05.

والسنة النبوية الشريفة[1]. أما ما يتعلق بالإيمان، فقد أصبح المسلمون مقلدين تقليدا رديئا، فلا يفرقون بين الرسول ومرسله، ولا بين النبي وأصحابه، إذ هم يعتقدون نبوءة الخلفاء الأربعة، ويؤمنون بالولاية في بعض الأشجار والأحجار، ويكذبون بأحوال الآخرة[2]. كما أن البدع انتشرت بين الناس بصورة كبيرة، فقال:" وانتشرت البدع وفاض بحرها على الأرض كلها، فلم تخل بلدة ولا قرية، ولا بيت من بدع شتى"[3].

من بين المظاهر السلبية التي انتشرت كذلك في المجتمع الجزائري خاصة، والإسلامي عامة، ما ذكره في سياق حديثه عن إبعاد أهل الصلاح والعلم عن المساهمة في تغيير الأوضاع السائدة بين أفراد المجتمع، وتقريب كل من ليس أهلا للعمل فقال:" أهل السنة غرباء أذلاء إذا حضروا مجلسا لا يشاورون، وإذا غابوا لا ينتظرون، وأما أهل البدعة فهم الرؤساء والولاة والقضاة والعمال في كل الأقطار"[4].

هذا فيما يتعلق بالمحتوى العام للكتاب، أما النقاط التي عالجها فهي كثيرة ومتعلقة بالمتصوفين والانتقادات التي وجهت لهم من قبل الفقهاء، كمسألة الذكر، وترك تلاوة القرآن الكريم، فالمؤلف يتبنى آراء الصوفية في آداب الذكر، وشروطه وحقيقته، والهدف منه، فيقول: " والذكر هو تطهير النفس من كدراتها لتشرب من عين الصفا، ويكون ذلك بالطريقة الذوقية والتربية الحكيمة"، هذا ودافع عن الاهتزاز في الذكر فهو لا يرى فيه رقصا، وإنما هو من العوامل المساعدة على تنشيط الجسم ويساعد على حضور القلب، فهو مستحب".

وفيما يتعلق بالشيوخ، فقد قسمهم إلى ثلاثة أقسام هي:

شيخ تعليم، ولابد أن تتوفر فيه ثلاثة شروط هي: عقل راجح، وعلم صحيح، ولسان فصيح.

شيخ التربية: مستدلا على ذلك بقول الإمام العز بن عبد السلام (من لا شيخ له لا قبلة له، ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان).

شيخ إفادة وترقية: فبيّن ضرورة الشيخ على طريقة السادة الصوفية، واستدل بأقوالهم في الموضوع، كقول بعضهم " الشجرة التي وحدها لا تثمر".

---

[1] – الورقة 06 من المخطوط.

[2] – الورقة 05.

[3] – الورقة 06 .

[4] – الورقة 07.

الخاتمة: ختمها بعدة مسائل محل نقاش بين العلماء والصوفية في هذه الفترة منها: مسألة سند الخرقة، مسألة النفس والروح، ومسألة أهل الدائرة، ومسألة الحلول والإتحاد.

المصادر التي اعتمد عليها في الكتاب:

اعتمد على مجموعة كبيرة من المصادر التي اهتمت بالتصوف الإسلامي، ومن بينها:

- ابن عطاء الله السكندري: مفتاح الفلاح.
- أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري: بغية السالك وأشرف المسالك.
- الشيخ السمنودي الشافعي: تحفة السالكين.
- الشيخ السنوسي التلمساني: نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير.
- الحافظ عبد الله السيوطي: نخبة الفكر في الجهر بالذكر.
- أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن الموصلي المعروف بالبلالي: مختصر إحياء علوم الدين.
- عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان.
- محمد بن محمد بن علي الزواوي النجاري البجائي: عنوان الأسرار المصون في قواعد قوله صلى الله عليه وسلم أذكر الله حتى يقولوا مجنون.
- أحمد بن يوسف الملياني: الأسئلة والأجوبة.
- مصطفى بن كمال البكري: الوصية الجلية.
- مصطفى البكري: النصيحة السنية في آداب كسوة الخلوتية. وكذلك: ألفية السلوك.
- العز بن عبد السلام: حل الرموز مفاتيح الكنوز.

أهمية الكتاب: تظهر أهمية هذا الكتاب من خلال النتائج التي يمكن استنتاجها من محتواه، ومن المسائل التي ناقشها، فنتقد بعضها، وحلل أخر، فالكتاب يبين مجموعة من الجوانب التي يمكن الاستفادة منها خاصة ما تعلق بـ:

- تمسك الشيخ الحداد في مؤلفه بنهج التصوف السني، واعتماده على المرجعية الصوفية السنية في آرائه وأفكاره.
- مشاركته الفعالة في محاربة البدع التي أدخلها البعض على التصوف السني في العالم الإسلامي.

- النقد الذاتي: فقد وقف في وجه بعض الممارسات التي كانت منتشرة في وقته، وبين فسادها، وبعدها عن الدين الإسلامي الصحيح.
- إطلاعه الواسع على التراث الصوفي، ووقوفه على المسائل التي عرفت اختلافا بين المتصوفة والفقهاء.
- الدفاع عن الطريقة التي ينتمي إليها، والدعوة إلى التمسك بمبادئها وآدابها في اصلاح المجتمع.
- استفدت من هذا المؤلف، الوقوف على المسائل الخلافية التي كانت محل نقاش في وقته، خاصة وأن فترته كانت فترة احتلال واضطراب وفوضى على جميع المستويات.

الشيخ الحداد لم يكن مجددا بل حاول أن يجمع في هذه الرسالة أهم المواضيع التي كان يدور حولها التصوف وسلوك أهل الطريق، فقد سار على نهج أتباع الطريقة الخلوتية ، وهو منهج الطريقة الرحمانية في الجزائر، والتي عرفت في عهده انتشارا واسعا في الجزائر وخارجها.

الخاتمة

يتضح من خلال ما سبق في الدراسة التي ركزت فيها على التعريف بالمنطقة من جميع الجوانب المؤثرة في الحياة الفكرية.

أن التسمية مهما كان مصدرها، فهي مستمدة _حسب رأي _ من الكلمة العربية (القبيلة)، وذلك بسبب كثرة القرى والقبائل المنتشرة في هذه المنطقة من جهة. ومن جهة أخرى، تلك العلاقة التاريخية القائمة بين سكان المنطقة، والعالم الإسلامي، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا. والتسمية الأكثر استعمالا الآن هي التي رسختها الكتابات الفرنسية المختلفة، وسار في نهجهم البعض من أبناء المنطقة الذين كتبوا حولها، غير أن البحث في تسمية المنطقة، بين بأن اسم التاريخي لهذه المنطقة هو الزواوة مما جعلني أحاول استخدام هذه التسمية للدلالة على المنطقة، إقتداء بالمؤرخين القدماء، وعلماء المنطقة الذين ينسبون أنفسهم إلى منطقة الزواوة، وعملا بقوله تعالى﴿ إِنَّ اللهَ لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِّهِم﴾ (الرعد:11).

تميزت منطقة زواوة بطبيعة جغرافية معقدة، وتكوين جيولوجي صعب، حال دون انتشار واسع للأراضي الزراعية الخصبة، مما جعل سكانها يبحثون عن وسائل وطرق بديلة للحياة، ومقاومة الطبيعة الجبلية القاسية. فكان ذلك بمثابة عامل ساعد على انتشار التعليم في المنطقة للخروج من ظنك الحياة السائدة بين أغلب سكانها، وعمل الزواويون على توفير الظروف المناسبة لتعلم أبنائهم، وذلك من خلال تبجيلهم لرجال العلم، والساعين على نشره. فاقتطعوا من أملاكهم القليلة، ووقفوها على خدمة التعليم، ورجاله.

فطبيعة المنطقة، وقلة الموارد فيها دفعت بسكانها إلى البحث عن أساليب أخرى تضمن لهم الحياة، وتوفر لهم سبل العيش، سواء من خلال تعليم أبنائهم، أو الهجرة إلى خارج المنطقة، أو الإشتغال في حرف، وأنشطة عديدة كالتجارة واستغلال الموارد التي تتوفر عليها المنطقة، مما أعطى للفرد الزواوي خصائص جعلته يستغل كل الإمكانيات الطبيعية المتوفرة في المنطقة لضمان بقائه.

كما أن طبيعة السكان، وتشبثهم بالأرض، ورفضهم للسلطة السياسية الأجنبية، من العوامل التي ساعدت على صعوبة إخضاع المنطقة للسلطة المركزية، رغم الأساليب المتبعة من قبل الأتراك العثمانيين ليجعلوا المنطقة تحت سلطتهم السياسية. إلا أنهم لم يتمكنوا من

تحقيق هذه الغاية، فبقيت أجزاء واسعة منها دون خضوعها للسلطة المركزية، ومما ساعد على ذلك ظهور زعامات محلية حاولت تأسيس إمارات محلية مستقلة عن الدولة المركزية. غير أن هذه القوى لم تتمكن من تشكيل قوة سياسية توحد المنطقة في ظل حكم واحد، بفعل الصراع بين هذه القوى من جهة، وطبيعة النظام القبلي الذي ينظم الحياة العامة للمجتمع المحلي، علاوة على سياسة الصفوف التي نهجها الحكام الأتراك القائمة على تأييد صف ضد صف آخر. وهو الأمر الذي حال دون الوصول إلى تشكيل حكم محلي موحد بالمنطقة.

إن التنوع السكاني الذي بدأت تتضح معالمه في المنطقة بداية من القرن العاشر الهجري/19م، سواء بفعل المصاهرة بين السكان الزواوين، والعناصر السكانية الوافدة خاصة المشرقية منها، ساعد على التمازج السكاني للمنطقة، وانصهار العنصر المحلي بالعناصر الوافدة، وهذا ما ساعد على انتشار اللغة العربية في القرى والنواحي الجبلية الداخلية الصعبة، بواسطة العائلات المرابطية التي اتخذت من القرى الجبلية الداخلية مراكز لنشر التعليم العربي الإسلامي بين أبناء زواوة.

بروز العديد من أسماء العلماء، والفقهاء الذين عملوا على تبسيط الشرع الإسلامي للسكان المقيمين في القرى الداخلية بلغتهم التي يفهمونها، وتهذيب أعرافهم التي توارثوها أبا عن جد، وجعلها تتطابق مع أحكام الشريعة الإسلامية، والنصوص القرآنية الكريمة.

وساهم علماء المنطقة في حل المشاكل اليومية التي عاشها سكانها، فإلى جانب إشرافهم على المؤسسات التعليمية، فإنهم يمثلون السلطة التشريعية والقضائية في القرى والنواحي الداخلية، فعوضت هذه الفئة الفراغ االسياسي الذي عاشت فيه منطقة زواوة فيما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري.

هذا، ولعبت فئة العلماء والمرابطين دورا هاما في نشر الثقافة الدينية بين أفراد المجتمع المحلي، عن طريق المساجد والكتاتيب والمعمرات المنتشرة في كل القرى وأرياف المنطقة، فبعدما كانت حضيرة بجاية مقصدا لكل باحث عن العلم، أصبحت المراكز العلمية التى أسسها، وأشرف عليها رجال العلم في النواحي الداخلية مقصدا للمتعلمين من كل المناطق داخل الجزائر وخارجها.

لقد استفاد سكان المنطقة، والمناطق الجزائرية الأخرى، من إسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية، ولم يتوقف هذا الإسهام على بلاد المغرب، بل نجدهم قد أثروا

بأفكارهم، وآرائهم في البلدان التي حلوا بها مغربا، ومشرقا. فكانت لعلماء زواوة مكانة بارزة في تونس، وفاس، القاهرة، والحرمين الشريفين، و في بلاد الشام أين تزعم بعضهم النهضة الفكرية العربية الإسلامية في المشرق الإسلامي.

ولعبت المعمرات (الزوايا) والطرائق الصوفية خاصة الرحمانية دورا كبيرا وواسعا في نشر الثقافة العربية الإسلامية بين السكان، كما ساهمت هذه المؤسسات في تنظيم المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي، وسياسته الإستعمارية. فكان شيوخ هذه المعمرات وفقهاء المنطقة بمثابة الدرع الواقي لكل أنواع التدخل الخارجي في المنطقة سواء في الفترة العثمانية، أوفي فترة الإحتلال الفرنسي.

ولقد ترك علماء زواوة العديد من المؤلفات العلمية التي ساهمت في إثراء الرصيد المعرفي للمنطقة خاصة، والعالم الإسلامي عامة، وهذه المؤلفات العديد منها لا زال في الخزائن العائلية الخاصة دون تمكن جيل الإستقلال من الإطلاع عليها، وأعتقد بأن الإفصاح على هذا الموروث الفكري، سيساهم لا محالة في إعتزاز أبناء الجزائر عامة، والمنطقة خاصة في مساهمة آبائهم وأجدادهم في الفكر الإسلامي، بل الإنساني عامة.

نستخلص بأن مستوى التعليم في هذه المعمرات والزوايا، خاصة المشهورة منها كان راقيا، وذلك لما احتوت عليه مكتباتها من المخطوطات، والكنوز العلمية، وكذلك الشيوخ الذين علّموا فيها، والمعروفون بغزارة العلم، وسعة الإطلاع، والذين تخرج أغلبهم من بجاية وزوايا المنطقة ولم يتعلموا خارجها، فمنهم من بقي فيها متفرغا للتعليم، ومنهم من هاجر إلى خارجها للإستزادة في العلم، وبقى العديد منهم في البلدان التي استقروا فيها ناشرين للعلم والمعرفة.

يعتبر القرنان الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ 18-19م من القرون التي بدأت تظهر فيها نتائج انتشار المعمرات (الزوايا) في منطقة زواوة، ولعل عدد العلماء الذين ساهموا في الحياة الفكرية الإسلامية بالمغرب الإسلامي عامة أو مشرقه، من العلامات الدالة على عودة النشاط الفكري في المنطقة، كما أن عددا من الطلبة الذين قصدوا التعلم في زواياها خلال هذه الفترة من خارجها للتعلم على مشايخ منطقة البحث، له دلالة كبيرة على مدى انتشار التعليم في زواوة، وتضلع علمائها في مختلف العلوم خاصة الفقه، والقراءات القرآنية.

من خلال ما سبق، يمكن استنتاج الحقائق التاريخية التالية:

- المكانة الكبيرة التي يوليها الزواويون للعلماء وشيوخ الزوايا، والمرابطين.
- الدور الذي لعبته هذه الفئة – العلماء – في تنظيم المجتمع المحلي، وتوجيهه إلى خدمة البلاد والعباد.
- تعويض العلماء وشيوخ الزوايا للنقص، بل الفراغ السياسي الذي كانت عليه المنطقة.
- تنوع الأدوار التي ساهم من خلالها العلماء في تنظيم أمور المنطقة.
- إنصياغ الزواويين إلى العلماء والفقهاء أكثر من إنصياغهم إلى القوى السياسية.
- الدور الكبير لإسهامات علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية مغربا ومشرقا.
- الكنوز العلمية التي ساهم بها علماء زواوة في الفكر العربي الإسلامي.
- وقوف فئة العلماء والمرابطين والمتصوفين في وجه الغزاة وتزعم معظمهم لمقاومة المعتدين.
- إسهاماتهم في مختلف الجوانب الحياتية في المنطقة وخارجها.

ومهما يكن، فإن الأدوار والإسهامات التي أداها العلماء كثيرة ومتنوعة، وحصر أمثلتها ليس بالأمر الهين في فترة البحث. ولكني آمل أن أكون قد وفقت في الإفصاح عن إسهامات علماء منطقة زواوة في هذه الفترة التي يرى البعض بأنها فترة تراجع وانحطاط في الفكر العربي الإسلامي، وأن العلماء انقسموا إلى علماء السلطة، أو علماء الزردة. بينما وجدنا العديد منهم في المنطقة خلافا لما يقال. ومهما كان هذا العمل، فإنه يحتاج إلى إثراء الباحثين والمهتمين بالتاريخ المحلي للمنطقة من أجل الوقوف في وجه أولئك الذين يحاولون مسخ وفسخ وسلخ المنطقة عن انتمائها الحضاري.

الملاحق:

الملحق رقم 1: خريطة منطقة زواوة

الملحق رقم 2: خريطة لأهم أعراش منطقة القبائل في بداية القرن 19م

الملحق رقم 3: الصفحة الأولى من مخطوط نزهة المريد ...

الملحق رقم 4: الصفحة الأولى من مخطوط التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار.

الملحق رقم 5: شرح على ... مطلع قوتة قولي في قواعد علم التصوف

الملحق رقم 6: الاستبصار ... للشلاطي

الملحق 7: شوارق الأنوار ... للورثيلاني

الملحق رقم 8: نموذج من مصادر علم القراءات في منطقة زواوة

الملحق رقم 9: تقييد ابن عنتر الزواوي

الملحق رقم 10: الصفحة الأولى من تقييد ابن أم رزق في القراءات

الملحق رقم 11: نموذج من النوازل التي عرضت على الشيخ الورثيلاني

الملحق رقم 12: نموذج من الإجازات

الملحق رقم 13: إجازة الشيخ ابن عبد الرحمن

الملحق رقم 14: إجازة الشيخ عيسى الثعالبي

الملحق رقم 15: نماذج من العقود الخاصة بعائلة أوقري

الملحق رقم 16: مخطوط وظيفة الشيخ يحيى العدلي

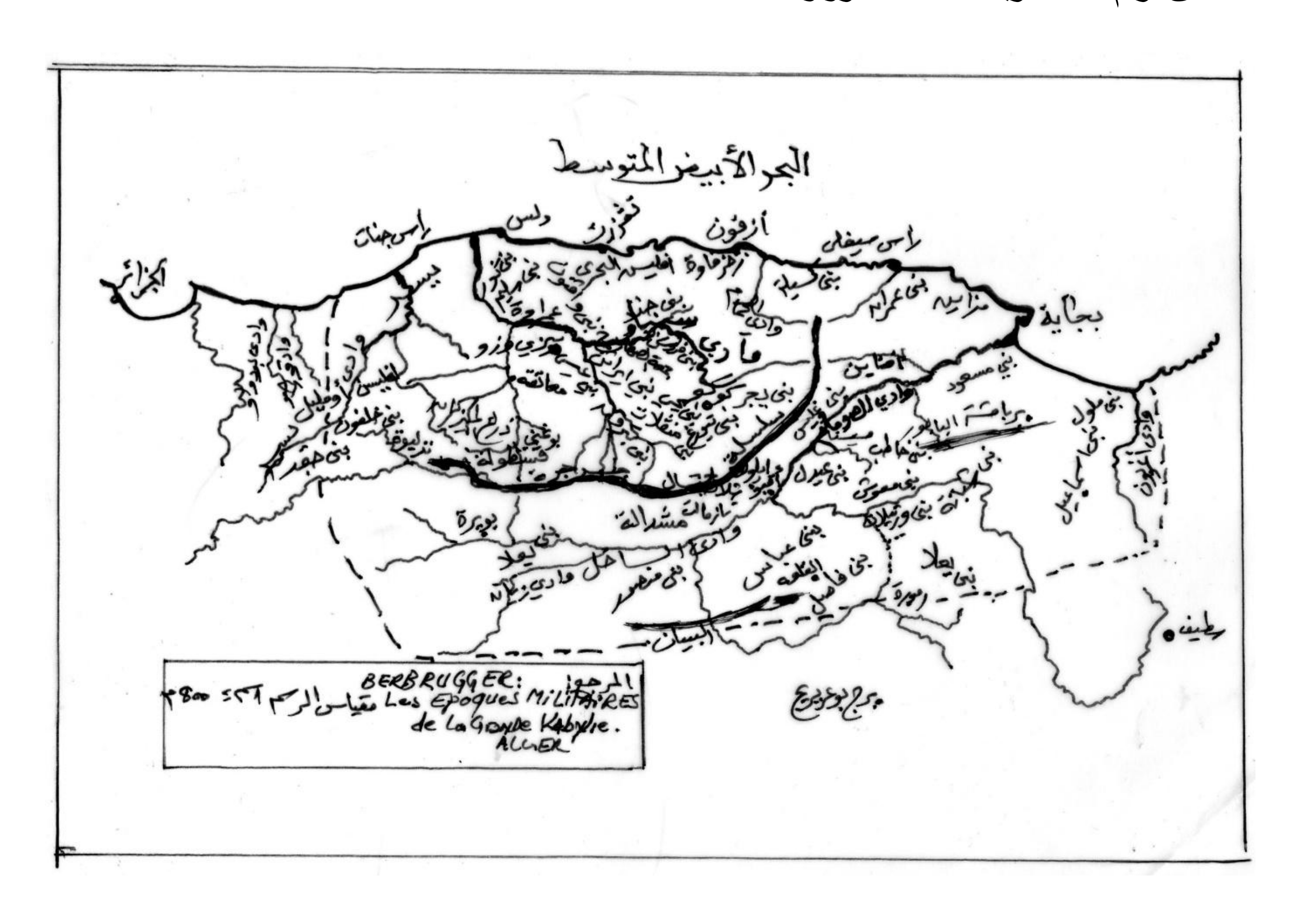
الملحق رقم 17: الصفحة الأولى من نظم الشيخ السكلاوي

الملحق رقم 18: نازلة من نوازل الفكون للزواوي

الملحق رقم 19: نازلة من نوازل ابن محجوبة

الملحق رقم 20: إجازة الحفناوي للشيخ امحمد بن عبد الرحمن

الملحق رقم 1: خريطة منطقة زواوة



الملحق رقم 2: خريطة لأهم أعراش منطقة القبائل في بداية القرن 19م



الملحق رقم 3: الصفحة الأولى من مخطوط نزهة المريد ...

نزهة المريد في معاني التوحيد
الخزانة الحسنية، رقم: 13354

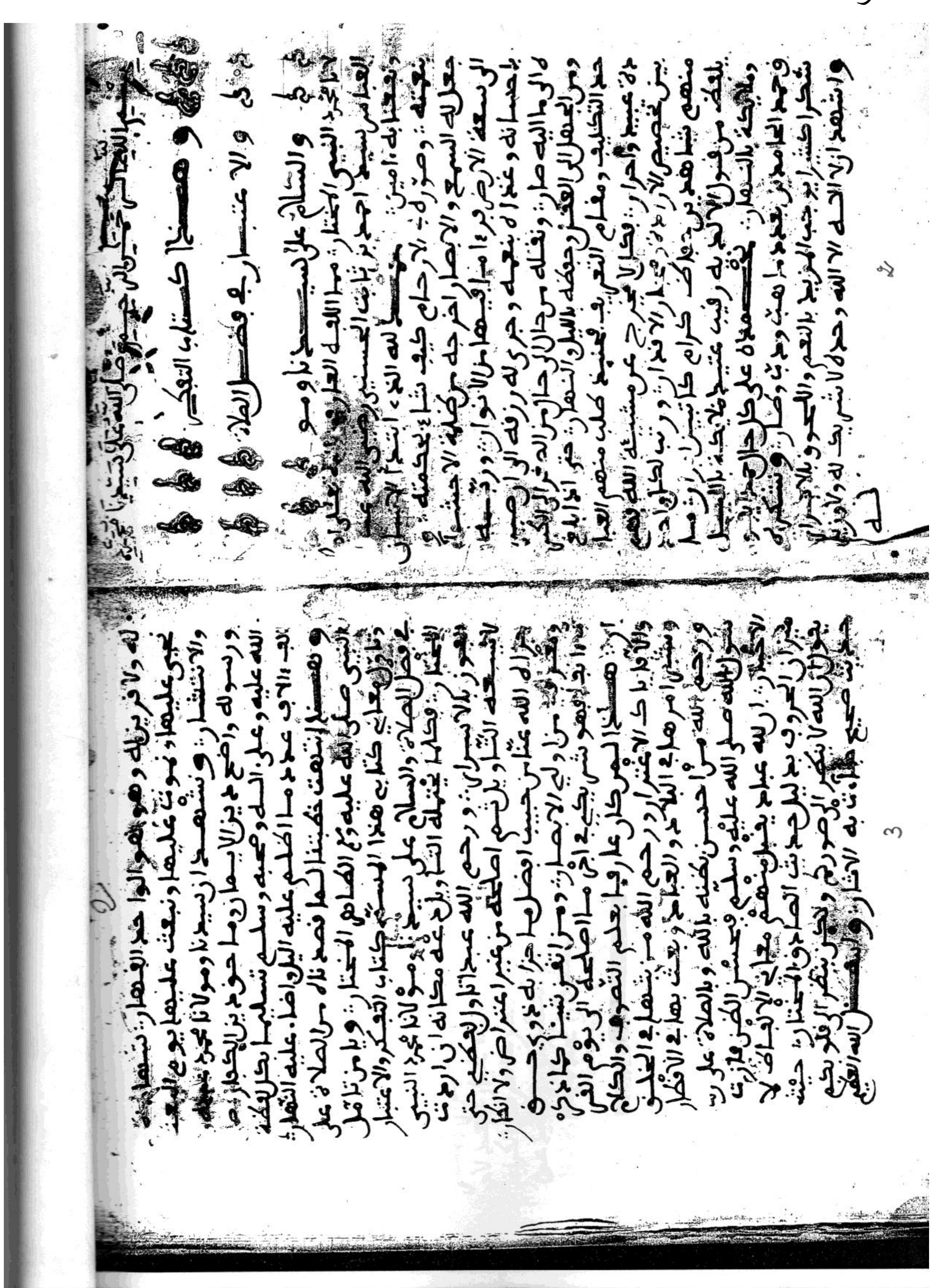
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

هذه نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد لشيخنا وأستاذنا وقدوتنا

ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الولي الصالح العارف بالله تعالى العالم العلامة ...

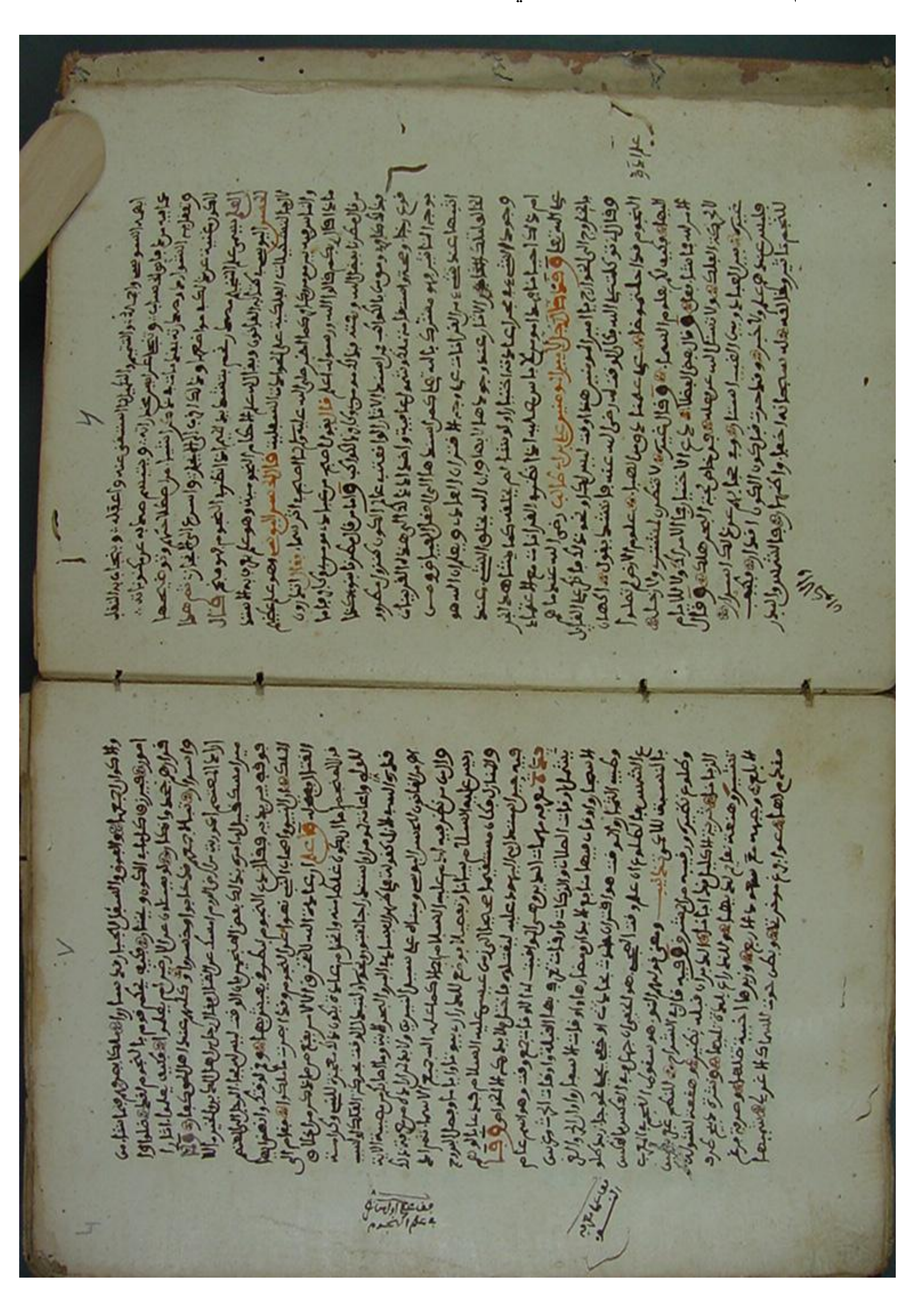
٥٨

الملحق رقم 4: الصفحة الأولى من مخطوط التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار.



الملحق رقم 5: شرح على ... مطلع قوتة قولي في قواعد علم التصوف

الملحق رقم 6: الاستبصار ... للشلاطي



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

يقول عبيد الله سبحانه وحيد عصره وفريد دهره العالم
الرباني والكوكب النوراني سيدي الحسين نجل الشيخ أحمد الشهيد
الورثيلاني رضي الله عنه ومتع بطول حياته المسلمين آمين الحمد
لله الذي نور قلوب العارفين بأنواره وأيدهم بسر الألوهية فما
نبث علوم اللدونية في صدورهم بلمعة التذكار، وأضاء مصابيح
مشكلات أسرارهم في حضرة الحق ومساجد أنه بالله بإظهار السماية
وأوصافه في أحب الأوقات من ليله ونهاره بأن وضعوها أنفسهم
ومن تنبعث بهم من مريديهم ومحبيهم فيكون ذلك كطارق ونظامه
لما انطوى عليه بواطنهم من الأغيار حتى انشقت للأسرار وبذا
تمكنت شجرة اليقين وأثمرت عند ذلك ثمرة الإيمان وطابت للزائد
وحسنت ثم اقتطفت نسيم الصباح والمساء. واستعاروا بما ربحت
تجارتهم لم يفهموا تلك البضائع وثبت يداه من يبيعه بالعلم من
استعرض فأنفقوا فيما لا انفكاك له من نعيم وسرور في داره فأهل الذوق
كاشفوا عن الملوك وما شافوا بشذا هذه المحبوب حتى أفنتهم عن ذوق
الأشباح فحيث طارت أرواحهم فرحها وفضل البدن إلى أجل مسمى
في دار قرار غير أن أهل الدائرة ومن لا تعلق بهم ممن لا حظ من الحب
وعلاقة في الشوق ورائحة في العشق اختلفت أحوالهم وطرق مقامهم الآن
الأقوى فيها إنما الأذكار أنه هو سيف المريدين وفيه يتفاضلون العداء
حتى ترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية
من عذاب ربهم وانفتدار قد نجاهم ذا بس متشبث بهم من عبيد اليقين وبحر
التوحيد وجنة النعيم بيد بركوب الكثيف وهذا الكلام بين والمغبنين
سهام نصارى والصلاة والسلام على سيدنا ... عين الوجود وسر
الكل بيانه والإنسان عين الأعيان ومن سواهم من جميع خلقه ممن
برزت عن مغن ومن بقراره وعلى آله وصحبه الذين هم كالنجوم اللامعة

حيث

الملحق رقم 8: نموذج من مصادر علم القراءات في منطقة زواوة

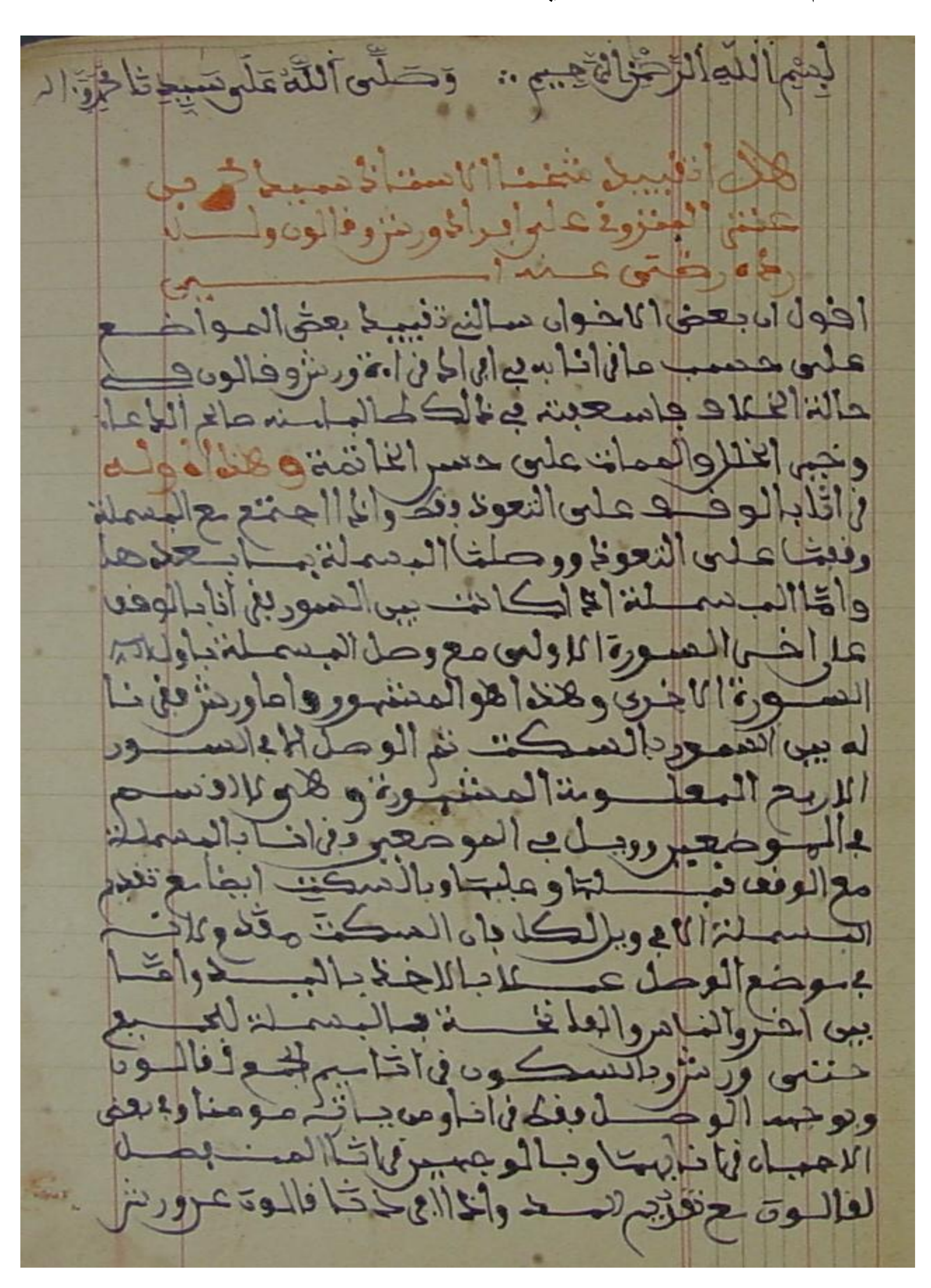
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن غازي العثماني

الحمد لله والصلاة على النبي المقتدى به الهداة
محمد سيد خلق الله وآله ذوي العلى والجاه
وتلك عشر طرق لنافع تنشر طي الدرر اللوامع
طريق الأزرق وعبد الصمد عن ورشهم والأصبهاني بسند
والمروزي وأحمد الحلواني والقاضي عن قالون ذي الإتقان
ثم عن إسماعيل طريقة ابنه ونجل سعدان إمام فنه
وسقطوا ابن فرج المفسر ونجل عمر وسر عن ابن جعفر
بينهما وبينه السمري ومن سوى ورشهم جيء متى
جئت بها تزري بروض الزهر سميتها لما جرت بعكس
تفصيل عقد درر ابن بري في نشر طرق الحمد نافع العشر
فالكل إن سكت فيما اختلفا أو عم أو عزا له كما اتفقا
وواحد من كل طرق ابتغي إن خصه ولم أخالف ما أعم
وإن عزا الواحد خلافا ولم تجد منه لذا انعطافا
مجمعه بالمروزي والأزرق سكت أو ذكرته أو من بقي

1

الملحق رقم 9: تقييد ابن عنتر الزواوي

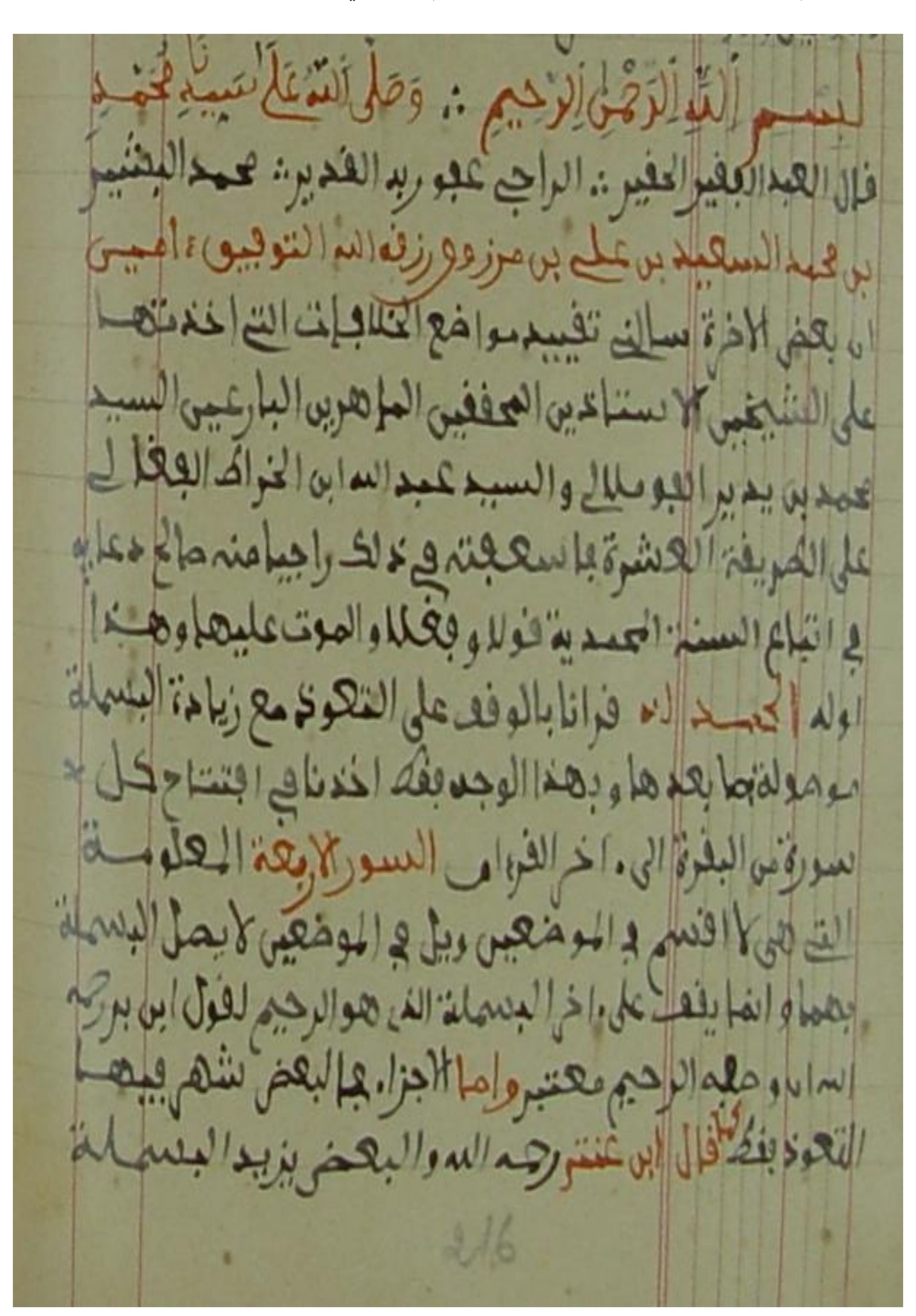


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

هذا التقييد [illegible] الاستعاذة والبسملة [illegible]
[illegible] على قراءة ورش وقالون [illegible]
رحمه ورضي عنه آمين

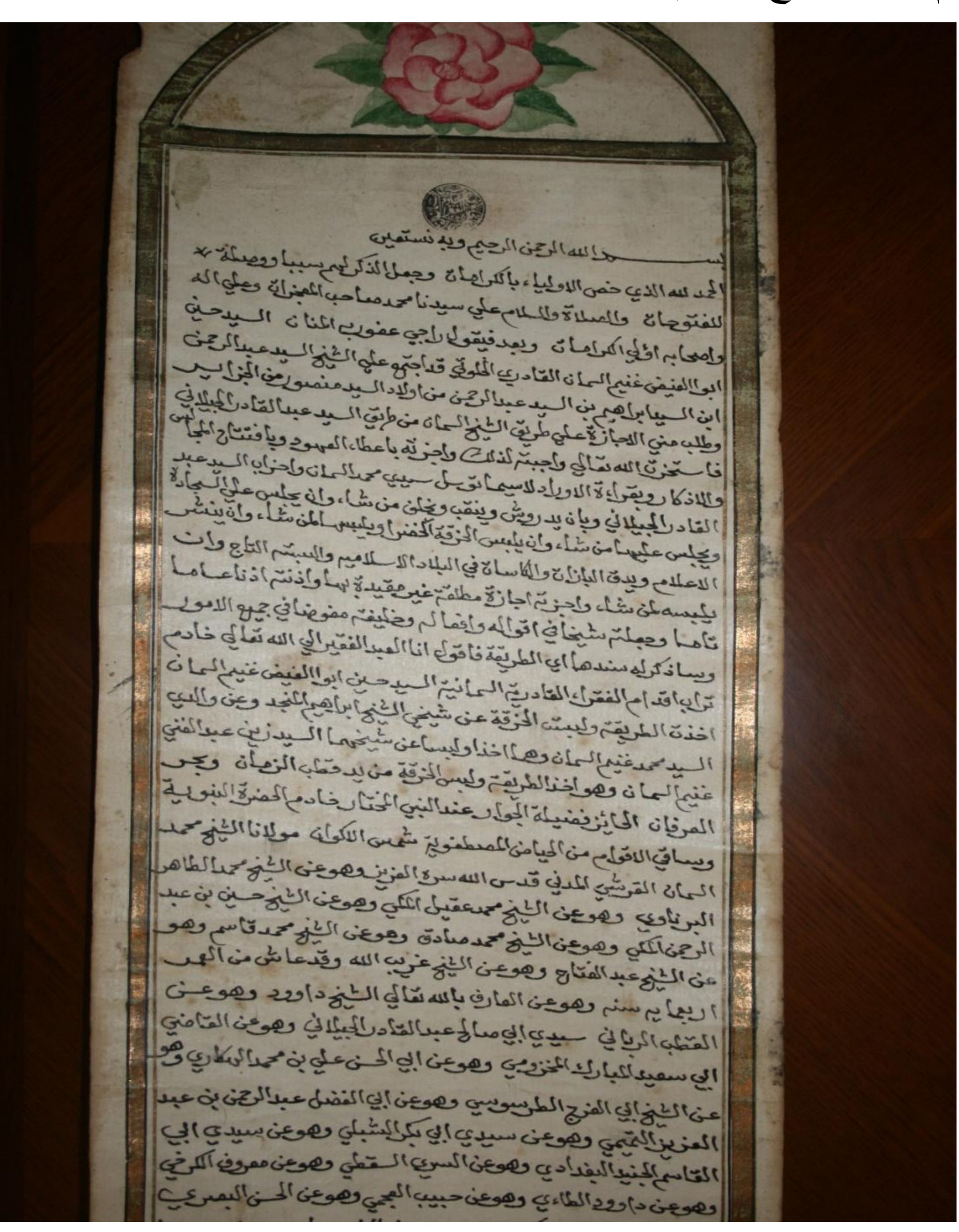
أقول إن بعض الإخوان سألني تقييد بعض المواضع
على حسب ما أنا به [illegible] ورش وقالون في
حالة الخلاف فأسعفته في ذلك طالبا منه صالح الدعاء
[illegible] والممات على حسن الخاتمة وهذا أوانه
[illegible] بالوقف على التعوذ وقف وإذا اجتمع مع البسملة
وقفنا على التعوذ ووصلنا البسملة بما بعدها
وأما البسملة التي تكون بين السورتين فأنا بالوقف
على آخر السورة الأولى مع وصل البسملة بأول
السورة الأخرى وهذا هو المشهور وأما ورش [illegible]
له بين السورتين السكت ثم الوصل إلا في السور
الأربع المعلومة المشهورة وهو [illegible]
في الموضعين ووصل في الموضعين [illegible] بالبسملة
مع الوقف [illegible] وبالسكت أيضا مع تقدم
البسملة إلا [illegible] بأن السكت مقدم [illegible]
في موضع الوصل عملا بالأخذ بالبعد وأما
بين آخر الناس والفاتحة فالبسملة للجميع
[illegible] ورش وبالسكون في [illegible] الجمع فقالون
وبوجه الوصل فقط في [illegible] مومنا وفي بعض
[illegible] وبالوجهين [illegible] المنفصل
لقالون [illegible] المد [illegible] فالوقف عن ورش

الملحق رقم 10: الصفحة الأولى من تقييد ابن أم رزق في القراءات


بسم الله الرحمن الرحيم :. وصلى الله على سيدنا محمد
قال العبد الفقير الحقير :. الراجي عفو ربه القدير :. محمد البشير
بن محمد السعيد بن علي بن مرزوق رزقه الله التوفيق ءامين
ان بعض الاخوة سالني تقييد مواضع الخلافات التي اخذتها
على الشيخين الاستاذين المحققين الماهرين البارعين السيد
محمد بن يدير البوسلالي والسيد عبد الله ابن الخراك الفلالي
على الطريقة العشرة بما سمعته في ذلك راجيا منه صالح دعائه
في اتباع السنة المحمدية قولا وفعلا والموت عليها وهذا
اوله الحمد لله قراناه بالوقف على التعوذ مع زيادة البسملة
موصولة بما بعدها وبهذا الوجه فقط اخذنا في افتتاح كل
سورة من البقرة الى اخر القرءان السور الاربعة المعلومة
التي هي لا اقسم في الموضعين وويل في الموضعين لا يصل البسملة
بهما وانما يقف على اخر البسملة الذي هو الرحيم لقول ابن بري رحمه
الله او وصله الرحيم معتبر واما الاجزاء فالبعض شهر فيها
التعوذ فقط قال ابن غنيم رحمه الله والبعض يزيد البسملة

الملحق رقم 11: نموذج من النوازل التي عرضت على الشيخ الورثيلاني

الملحق رقم 12: نموذج من الإجازات



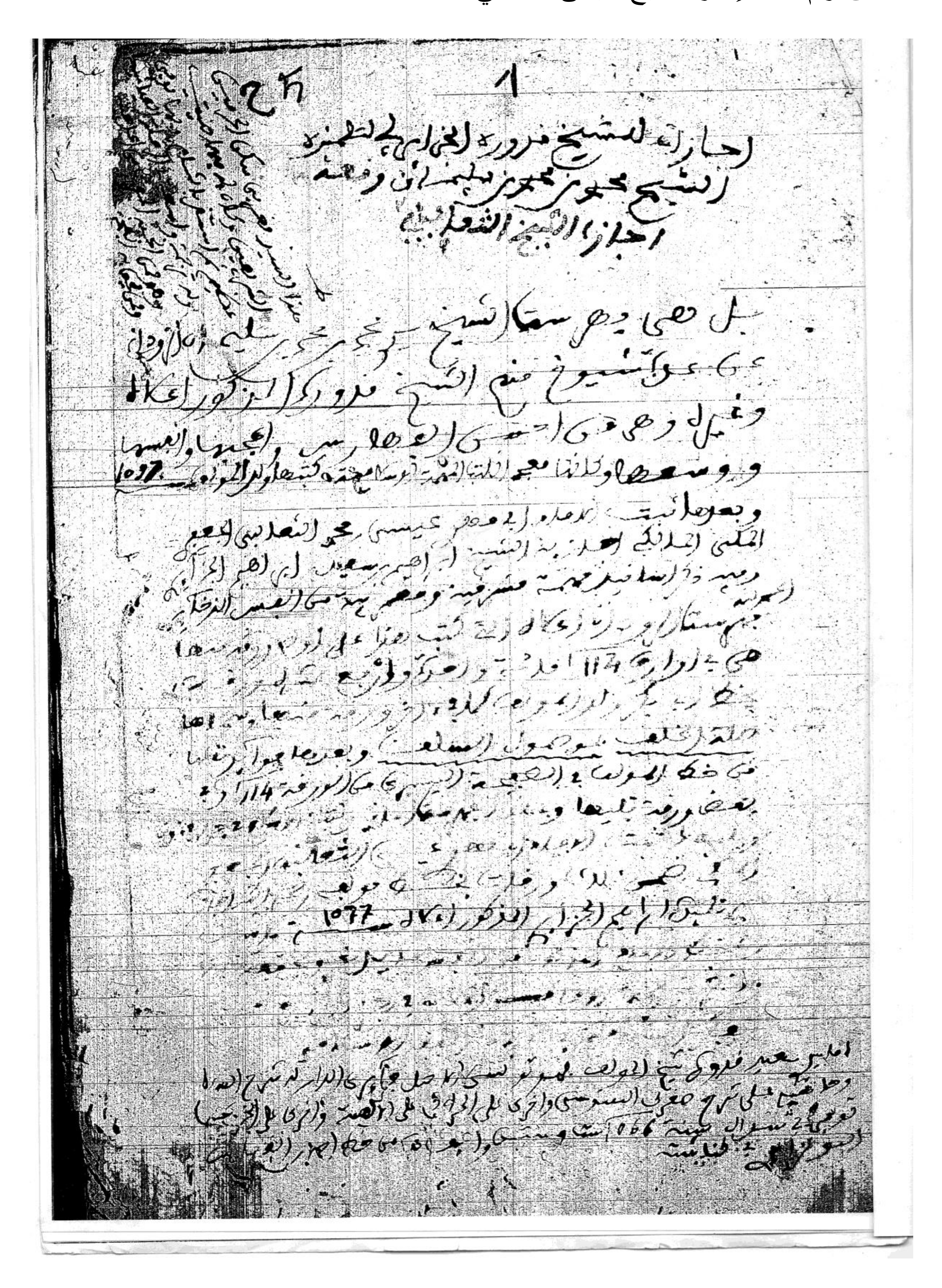
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي خص الاولياء بالكرامات وجعل الذكر لهم سببا ووصلة
للفتوحات والصلاة والسلام علي سيدنا محمد صاحب المعجزات وعلي اله
واصحابه اولي الكرامات وبعد فيقول راجي عفو رب المنان السيد حسين
ابو الفيض غنيم السمان القادري الخلوتي قد اجتمع علي الشيخ السيد عبد الرحمن
ابن السيد ابراهيم بن السيد عبد الرحمن من اولاد السيد منصور من الجزائر
وطلب مني الاجازة علي طريق الشيخ السمان من طريق السيد عبد القادر الجيلاني
فاستخرت الله تعالي واجبته لذلك واجزته باعطاء العهود وبافتتاح المجالس
والاذكار وبقراءة الاوراد لاسيما توسل سيدي محمد السمان واحزاب السيد عبد
القادر الجيلاني وبان يدروش وينقب ويخلف من شاء وان يجلس علي السجادة
ويجلس عليها من شاء وان يلبس الخرقة الخضراء ويلبسها لمن شاء وان ينشر
الاعلام ويدق البازات والكاسات في البلاد الاسلامية ويلبس التاج وان
يلبسه لمن شاء واجزته اجازة مطلقة غير مقيدة بها واذنته اذنا عاما
تاما وجعلته شيخا في اقواله وافعاله وخليفة مفوضا في جميع الامور
وساذكر له سندها اي الطريقة فاقول انا العبد الفقير الي الله تعالي خادم
تراب اقدام الفقراء القادرية السمانية السيد حسين ابو الفيض غنيم السمان
اخذت الطريقة ولبست الخرقة عن شيخي الشيخ ابراهيم المنجد وعن والدي
السيد محمد غنيم السمان وهما اخذا ولبسا عن شيخهما السيد زين عبد الغني
غنيم السمان وهو اخذ الطريقة ولبس الخرقة من يد قطب الزمان وبحر
العرفان الحائز فضيلة الجوار عند النبي المختار خادم الحضرة النبوية
وساقي الاقوام من الحياض المصطفوية شمس الاكوان مولانا الشيخ محمد
السمان القرشي المدني قدس الله سره العزيز وهو عن الشيخ محمد الطاهر
البرناوي وهو عن الشيخ محمد عقيل المكي وهو عن الشيخ حسين بن عبد
الرحمن المكي وهو عن الشيخ محمد صادق وهو عن الشيخ محمد قاسم وهو
عن الشيخ عبد الفتاح وهو عن الشيخ غريب الله وقد عاش من العمر
اربعمائة سنة وهو عن العارف بالله تعالي الشيخ داوود وهو عن
القطب الرباني سيدي ابي صالح عبد القادر الجيلاني وهو عن القاضي
ابي سعيد المبارك المخزومي وهو عن ابي الحسن علي بن محمد الهكاري وهو
عن الشيخ ابي الفرج الطرسوسي وهو عن ابي الفضل عبد الرحمن بن عبد
العزيز التميمي وهو عن سيدي ابي بكر الشبلي وهو عن سيدي ابي
القاسم الجنيد البغدادي وهو عن السري السقطي وهو عن معروف الكرخي
وهو عن داوود الطائي وهو عن حبيب العجمي وهو عن الحسن البصري

الملحق رقم 13: إجازة الشيخ ابن عبد الرحمن

العالم ... في قسمها بينهم لعبد الله القاسم وقوله مجمع العجائب عن سدت
... وكنز ... وطيب العلم يجمع انوار النبي صلى الله عليه وسلم عن سدت العجائب
... وفي تذكرة الروضة العلم يجمع انوار ان وفي تذكرة الروضة جميع
ما اشتملت عليه الانفس من علوم المباني وعلوم المعاني انوار وقوله وقلت في
مطلع مؤتة قولا يجمع من الاربع مذاهب انوار ان قلت في كتابي هذا المسمى بمطلع
مؤتة قولا ان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع انوار المذاهب الاربعة كلها من بعض
روضة افكاره صلى الله عليه وسلم ويا عجبا مع هذا كله والله تعالى يقول له وقل رب زدني
علما وهو لولاه لم تخرج الدنيا من العدم كما قال البوصيري في ارجوزته رضي الله عنه
وقوله حرم على الناس امامة الجاهل ان حكموا يعزل ولو كان سلطانا
ومرتضيه مع وجود العارف غلب عليه امر الشيطان والبهتان تفرغ تفسير
هذين البيتين وقد تم ما تيسر منه بهذه الرسالة المباركة المبصرة المرجية لمن عمل بها
فيما تكون فيه على غير ما ... من عمل وانقر العقل ... ان شاء الله الى الكثير وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد وآله والحمد لله رب العالمين على يد العبد ... المكان
والاوان عبيد الله تعالى محب الخلان محمد بن عبد الرحمن الازهري مجاور
البنا علوي قرية اسماعيل عرشا ... قبيلة ... بالجرجرة ...
الله به ورحم من نظر خطه بالاصلاح ورحم الله عبدا اصلح ما شان من عيب بما
واصلحا كتبه لنفسه ولمن شاء الله من غيره وذلك لتاريخ عام ١١٨٤
قال ناسخه عفا الله عنه نقلت هذه الرسالة ونسبت من خط المؤلف لكن
عليها بالهامش بعض تخريجات وزوايد هي من خطه ان شاء الله لمعرفة
بكتابته وكذا خطه في ... حيث قال على يد العبد الى آخر ... نفعنا
الله به وجزاه عنا خيرا آمين آمين آمين يا رب العالمين انتهى كلامه محمود
ابن احمد بن الشيخ علي العلوي الجزائري ... الله له في الحال والمآل بجاه سيد
[illegible] ارسل عليه وعليهم افضل الصلاة وازكى السلام والحمد لله رب العالمين
في شوال سنة ١٣٠٤

Bibliothèque ... Générale

الملحق رقم 14: إجازة الشيخ عيسى الثعالبي



الملحق رقم 15: نماذج من العقود الخاصة بعائلة أوقري



الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله تعالى   صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

شهوده المذكورة اسماؤهم عقب يعرفون ويتحققون
امة الله جل وعلا ام الخير ابنت احمد امصيان بن نسب عرفة
اسم وعين ونسب يشهدون بها ويشهدون مع ذلك انهم
حضروا موكلنا اشهدته فيه المذكورة وهي بحال كمال الاشهاد
وتمام شرعا انها حبست ووقفت جميع مالها الكان
وحيث علم على حاملة العلامة السيد عبد الله بن محمد جوبة
وعلى ابنته فاطمة الكنت ابنتها حبسا مؤبدا ووقفا
مسرمدا لا يبدل عن حاله ولا يغير عن سبيله الى ان يرث الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين من سعى في تبديله او تغييره ممن
يشتري دار الله حسيبه فقصدت بذلك وجه الله العظيم ورجاء
ثواب الجسيم ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ولا يخيب لمؤمل
خيرا املا بقبول العامل منها ذلك الذي ذكرنا حبسا معتبرا
شرعيا بالمغارية من المواضع التي بقيت ملكيتها المحبسة الى
ان تعقدت فيه التحبيس على المحبس عليه دارها التي لها بقية
الشريفة وما اتصل بها من اراضي ومرحاض وعشة ومساح وما كان
تحت ايدارهم الموضع المسمى ملارث بحدوده والموضع المسمى اغزر
اومسجد ومن منعاه فراز اخذها الحد المضاف لمغطوه والاخي
بحريف تلمسانت وما لها في اغزراوور في وكل ما يعد ونسب
لهذه المواضع شهد على اشهادها المذكورة عرفها وهو
على وصف العدالة والرضى مؤدينا ومع شهادته ابعد الرضى على
اقراره بغير عدالة ورضى الطاهر الحسني والعربي المنصوري وهما
العربي موسى والطاهر محمد الله ومحمد اقسيم وعمر بلقاسم بن ...
ومحمد بن محمد بن شب وغيرهم ممن يعد كثرة الحمد لله اعلم بصحة
الرسم وعدالة شهوده كان ثبته لتاريخ تقدم فيه ما ذكر بعده

... ونصف ... وتاريخ الكتب ... شهر رجب الفرد ... شهور 1284

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بعد اعتراف ولدي السيد احمد العلمي بن محمد الشريف وبن
علي في حال يصح منهما الاعتراف شرعا بان اباهما والدهما
رحمه الله انه قد حبس جميع ما بيده من جرنة عائشة
ابنت السيد احمد بن عبد الله الحجوجي وثبوت ذلك عندهما
ثبوتا بينا على حامله العلامة السيد عبد الله بن محجوب
حبسا مؤبدا عليه وعلى اعقابه الذكور دون الاناث
طلب منهما الحامل بان يحبسا عليه ثانيا خشية ان
يكون في الاول خلل فامتثلا وحبسا عليه وعلى اعقابه
التي هلم جرا فقبل منهما قبولا تاما وجاز اذ البنت في بيته
وتحت حوزه حوزا شرعيا حضر لذلك كله كاتبه محمد
بن اعبو بشة والسيد محمد بن يحيى الزيتوني والسيد محمد ارزو بن
الحاج الطيب وصدر منهما ذلك يوم الاربعاء خامس عشر شعبان
احد شهور عام 1270 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

1848م/1265هـ

الملحق رقم 16: مخطوط وظيفة الشيخ يحيى العدلي

الملحق رقم 17: الصفحة الأولى من نظم الشيخ السكلاوي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

قال الشيخ الولي الصالح السالك المسلك الزاهد
الورع شيخ الطريقة والحقيقة استاذ الاساتذة
الشيخ السيد محمد المهدي السكلاوي الزواوي
المغربي نفعنا الله به آمين

الحمد لله على ما أنعما   حمدا كثيرا طيبا معظما
ثم سلام الله مع صلاته   على النبي وآله وصحبه
وبعد هاك رجزا للمقتدي   به يكون سالكا ويهتدي
جمعته من كتب الطريقه   أصل الشريعة كذا الحقيقه
هذا وأرجو الله في الهدايه   به في الابتدا وفي النهايه
فواجب على المريد الاجتهاد   في حفظ قلبه أخي والفساد
كالكبر والرياء والنميمه   والغيبة الفضيحة الذميمه
والحقد والحسد والغل كذا   كل من أنواعه اجتنب أخي
والمكر والوسواس والخواطر   مزيلها تصل لك العزايم
فإنها تدخله الأمواج   تفسده ويعسر الإخراج
وربما يسود ثم ينطمس   ويتحلى بالرذا وبالنجس
إلى ترى إبليس خيرا افتخرا   بقوله أنا وفي تكبرا
فإن تركت أوصافه القبيحة   تسعد لك بغيرها حميدة
كالكذب بالصدق وكذا الخيانه   أو تركها فتحفظ الأمانه

الملحق رقم 18: نازلة من نوازل الفكون للزواوي

الملحق رقم 19: نازلة من نوازل ابن محجوبة

139

Doit — Avoir

وجيبت كما عنه فيه كذا اجاب في عن سؤال فيه وله فيه
رسالة وسئل عنه ايضا وان تتخطا ينقل فيه احاديث :: وهي على زعمه اياكم والخمر
والخمرة وان حذيفة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت شجرة فهززت راسي
فقلت يا رسول الله لم هززت راسك فقال ياتي ناس في اخر الزمان ويشربون من اوراق هذه الشجرة
ويصلون بها وهم سكرى اولئك هم الاشرار هم بريئون مني والله بريء منهم وعن علي رضي الله
عنه من يشربه فهو في النار ابدا او ربيعه ابليس فلا تعانقوا شارب الدخان ولا تصافحوه
ولا تسلموا عليه فانه ليس من امتي وفي خبر اخر من اهل الشمال وهم شرار الاشقياء وهي شجرة
نافقت من بول الشيطان ابليس حين سمع قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فدهش
فبال فخلقت من بوله فبينوا لنا الجواب عن هذه الاحاديث هل هي واردة اولا :: وماذا يترتب
على راويها على راو يجعلها بالكذب وما يلزمه حيث نفى الاسلام والايمان عن شاربها من غير اصل
وهل يحرم استعماله ام لا فاجاب بما نصه دعوى ان هذه الاحاديث واردة
في الدخان كذب وافتراء كما يعرفه الحفاظ الاعيان وركاكة الالفاظ دالة ايضا على
ذلك قال الربيع ابن خثيم ان للحديث ضوءا كضوء النهار وللغير ظلمة كظلمة الليل وقال
ابن الجوزي الحديث المنكر يقشعر منه جلد طالب العلم وينفر منه قلبه ومن كذب عليه
محمد متعمدا فليتبوأ مقعده من النار كما في خبر الصحيحين واحمد والترمذي وابن ماجة
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والكذب عليه صلى الله عليه وسلم كبيرة
اجماعا حتى في الترغيب والترهيب ولا التفات لقول امام الحرمين يكفر الكذاب
عليه ولا لمن شذ فجوزه في الترغيب والترهيب ويلزمه التعزير البليغ بحاله فحسب
اجتهاد الحاكم وان زاد على الحد بسبب كذبه على الوجه المذكور وبنفيه الايمان والاسلام
عن شاربه :: ولا يحرم استعماله الا لمن يغيب عقله او يضر به في جسده او بوجود
استعماله الى ترك واجب عليه كنفقة من تلزمه نفقته او تاخير الصلاة عن وقتها او نحو
ذلك والله اعلم اه منه بلفظه وقد احسن بعضهم حيث قال قل لمن ياكل الحشيشة جهلا:
يا خسيس قد عشت اشر معيشة :: دية العقل بدرة فلماذا يا خبيث قد بعتها
بحشيشة :: اه من سفينة الشيخ العربي ابن مصباح رحمه الله [illegible]
الجملة وذكر الشيخ عبد المتعال ابن عبد الملك البوجدي رحمه الله ما نصه وسئل عن شرب
الدخان هل هو حلال او حرام فاجاب لا يحرم استعماله الا لمن يغيب عقله او يضره
في جسده هذا هو الذي نجيب به الفتوى به عندنا وافتى به من يعتد به من ايمة الشافعية
والحنفية والحنابلة وما ينسب لبعض الناس من التحريم محمول على من يضره في جسده او يغيب
عقله وكل شيء يخالف هذا فلا يعول عليه وكل حديث ينقل فيه فباطل والله تعالى اعلم وقال
ايضا في محل اخر وسئل هل الدخان مباح للعقول وغيره لمن لم يغيب عقله ولم يضر جسده
فان غيب عقل شخص وتحقق انه حرم عليه استعماله فقط :: ولا تحريم على غيره
لمن لم يغيب عقله ولم يضر جسده نعم والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الملحق رقم 20: إجازة الحفناوي للشيخ امحمد بن عبد الرحمن

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

الوثائق:

- إجازة الثعالبي، م. و. م. رقم ح5.
- إجازة امحمد بن عبد الرحمن لمحمد العالي بن محمد الحسني، الخزانة الحسنية، المملكة المغربية، رقم 11463.
- رسائل تعيين القضاة بمدينة بجاية، م. و. ج. رقم 3206، ضمن مجموع.
- عقود الميراث، والحبس. عائلة أومحجوبة ببني يعلا.
- قصيدة في رثاء الشيخ يحيى العدلي. مخ. ش.
- وثائق الأرشيف الوطني، سلسلة بيت البايلك، العلب: 80، 83، 165، 183.

المخطوطات :

– **الأزهري، امحمد بن عبد الرحمن :** شرح على الرسالة المسماة" مطلع قوتة قولي في علم التصوف"، لعبد الله الرفاوي المصري، مخطوط بالمكتبة الوطنية الغربية، الرباط، رقم د 1956.

– **الأنصاري، ابن صعد التلمساني:** كتاب روضة النسرين في التعريف بالأشياخ، الأربعة المتأخرين مخ.م.و.ج، رقم 2596.

– البجائي أحمد بن ثابت الحسني: التفكير والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار، مخ. المكتبة الوطنية المغربية، الرباط، رقم TN1/105.

– **البجائي، أبو عبد الله بن محمد بن يحيى:** شرح لامية الأفعال، مخ. م. و. ج. رقم 2231.

- **البرنسي، أحمد زروق:** كتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح المبين، مخ.م.و.ج، رقم:2330.
- **بن عاشور، محمد الفاضل:** كتاب أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي, مخ.م.ج, رقم: 15267.
- **بن عنتر، يحيى** : تقييد ابن عنتر، مخ ضمن مجموع، م، و، ج، رقم 2445.
- **السحنوني، علي أمقران:** مساهمة بني منقلات في الفكر العربي الإسلامي خلال التاريخ، مشروع كتاب مخطوط، أملك صورة عنه
- **الشلاطي، أبو سعيد محمد بن علي الشريف:** معالم الإستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، مخ. م. و. ج. رقم 2678 وكذلك رقم 2694.
- **الصباغ، القلعي أحمد:** "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ.م.و.ج، رقم:2230.
- **الصباغ:** بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار. مخ. م.و.ج, رقم:1707.
- **العدلي بن مرزوق، محمد البشير:** تقييد في القراءات العشرية، مخ، خزانة عائلة حسيني ببوجليل
- **الفقون، محمد بن عبد الكريم** : نوازل الشيخ الهمام محمد بن عبد الكريم الفقون، مخطوط عائلي مصور عن النسخة الموجودة عند: منيرة بن (بنت) الشيخ الفقون بن علاوة بن الحسن بن محمد.
- **القسنطيني الزواوي، طاهر بن زيان:** نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد، مخ. الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 13354.
- **المجهول:** سيرة الزواوة، مخ، م، و، رقم 3012.
- **المشرفي، عبد القادر:** ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول، مخ خاص بالمكتبة القاسمية، الهامل، ورقة رقم 230.
- **الورثيلاني، الحسين بن محمد السعيد:** شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار، مخ. ش.

- **الورثيلاني:** شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ النبراس المختار، مخطوط شخصي مصور عن خزانة الشيخ أولحبيب.
- **بن فرحون، علي بن محمد** : الإعتراف والتواريخ والأخبار والتعريف بالنسب إلى النبي المختار، تحقيق وتقديم: علي أمقران السحنوني
- **الدرعي:** رحلة الدرعي، مخ. م. و. ج. رقم 1997.
- **الشلاطي، محمد السعيد:** التعريف بالأحبار المالكيين الأخيار، مخ. م. و.ج. رقم 2294.
- **السكلاوي، المهدي:** نظم في الطريقة الرحمانية، مخ. ع. عائلة كديد.
- **بن عبد الرحمن، امحمد:** وصية الشيخ امحمد بن عبد الرحمن، مخ. ع. المرحوم: أحمد ساحي.

المصادر :

- **الأفراني، محمد الصغير** : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صححه هوداس، مطبعة بوردين وشركاه – Angers 1888.
- **الأفراني، محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الصغير:** صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق : عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المربي، الدار البيضاء، 1425هـ / 2004م.
- **الأنصاري التلمساني ،محمد بن صعد:** روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق: يحيى بو عزيز، منشورات ANEP الجزائر، 2004 .
- **الأنصاري، محمد** : فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.
- **البخاري، محمد بن إسماعيل:** الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400.
- **بربروس، خير الدين:** مذكرات ، ترجمة: محمد دراج،شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،1431/ 2010.

- **البغدادي، إسماعيل باشا:** إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، من منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، 1378هـ/ 1957م.
- **البكري، أبو عبيد الله:** المغرب في ذكر بلد إفريقيا والمغرب ، مكتبة أمريكا والمشرق،فرنسا، 1965.
- **ابن أبي الضياف، أحمد:** إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان،الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1999.
- **ابن البيطار،عبد الرزاق:** حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه وعلق عليه حفيده: محمد بهجت البيطار، ج3، ط2، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- **ابن خالوية، أبي عبد الله الحسين بن أحمد** : الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، وقدم له فتحي حجازي، دار الكتب العلمية، 1999.
- **ابن خلدون، عبد الرحمن:** العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية- الأردن (د . ت).
- **ابن خلدون، يحي:** بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر.
- **ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن** محمد: وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صهدر/ بيروت، 1977.
- **ابن زاكور الفاسي، محمد:** رحلة الشيخ بن زاكور الفاسي المسماة: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، من فضلاء أكابر الأعيان، ضمن ثلاث رحلات مغاربية ويليه مجموع رحلات جزائرية، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- **ابن عسكر الشفشاوني، محمد:** دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، الطبعة الحجرية، 1309.
- **ابن مخلوف، محمد بن محمد:** شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

- **ابن مرزوق التلمساني، محمد:** المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- **ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد:** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- **البوجليلي، محمد بن أبي القاسم:** التبصرة في قراءة العشر، دراسة وتحقيق: حسين وعليلي، دار بن حزم، بيروت، 1434/ 2013.
- **البوني، أحمد بن أبي عبد الله قاسم:** الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، حققها وشرح حواشيها وعلق عليها : محمد لخضر بوبكر، وسعيد دحماني، دار الوسام العربي، عنابة، 1432هـ/2011م.
- **بيك، عبد الحميد:** أعيان من المشارقة والمغاربة (تاريخ عبد الحميد بيك)، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- **التنبكتي:** كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر. 2011.
- **التنبكتي، أحمد بابا:** نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.
- **الثعالبي، عيسى:** ثبت شمس الدين البابلي المسمى: منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، قابله بأصوله واعتنى به: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،1425/ 2004.
- **الجزائري بن ميمون، محمد:** التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- **الجزائري، محمد بن عبد القادر:** تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، مطبعة ثالة، الجزائر، 2007.
- **الحفناوي، أبو القاسم محمد:** تعريف الخلف برجال السلف، دار موفم، الجزائر،1991.

- **الحنبلي بن العماد، عبد الحي:** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- **خوجة، حسين:** ذيل بشائر أهل الإيمان، طبعة الطاهر المعموري.

- **خوجة، حمدان بن عثمان:** المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر.

- **الزركلي، خير الدين:** الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المشتشرقين ، ط 15 ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ، 2002 .

- **الزهار، أحمد الشريف:** مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

- **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن:** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د. ت).

- **السراج الأندلسي، الوزير محمد بن محمد:** الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيبب الهيلة، ، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1984.

- **السيوطي، جلال الدين:** بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، بيروتن ط2، 1399/ 1979.

- **شالر، وليام:** مذكرات وليام شالر، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1982.

- **الشفشاوني بن عسكر:** دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق : محمد حجي، مراجعة وترقيم الفهارس : عبد المجيد خيالي، ط3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 1424هـ / 2003م.

- **العياشي:** الرحلة العياشية ماء الموائد، وضع فهارسها محمد حجي، ط2، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977/1397.

- **العياشي، أبو سالم:** إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، فهرس أبي سالم العياشي11هـ/17م. تحقيق، نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996.

- **الغبريني:** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر،2007.

- **الغبريني، أبو العباس أحمد:** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية، حقق وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات الآفاق الحديثة، ط 02، بيروت، 1979.

- **الغزي نجم الدين، محمد بن محمد:** الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ / 1997م.

- **الفكون، عبد الكريم:** منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، د.ت.

- **القادري، محمد بن الطيب:** نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي، وأحمد التوفيق،4ج، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977.

- **القرافي، بدر الدين محمد بن يحي:** توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/ 2004.

- **القسنطيني الخطيب، أبو العباس أحمد:** أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 9196.

- **القشري، مسلم بن الحجاج بن مسلم:** الجامع الصحيح، الطبعة التركية للمطبعة العامرة.

- **القيرواني، ابن أبي دينار:** المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق: محمد الشمام، ط 3، المكتبة العتيقة، تونس: 1967.

- **كاثكارت:** مذكرات أسير الداي كاثكارت- قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدمها: إسماعيل العربي، د . م.ج، الجزائر، 1982.

- **كاربخال، مارمول:** إفريقيا، تعريب: محمد حجي وآخرون، مكتبة العارف، الرباط، 1984.

- **كحالة، رضا عمر:** معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت).
- **المازوني المغيلي، أبو زكرياء يحيى بن موسى:** الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: مختار حساني، مراجعة: عبد المالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2009.
- **مالتسان، هاينريش فون:** ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، 2ج، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1999.
- **المالكي، أبو بكر عبد الله:** رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا، تح: البشير الكبوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983.
- **مجهول:** غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق، نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، رودسي قدور، الجزائر، 1934.
- **مجهول:** مفاخر البربر، تحقيق: محمد بعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد،1996.
- **مجهول:** مفاخر البربر، نشره ليفي بروفنصال، المطبعة الجديدة، الرباط ،1934.
- **مرتضي أبو الفيض، محمد:** المربى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي، قابله بأصله وخرّج أحاديثه محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،1425هـ/ 2004.
- **المكناسي:** درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المجلد الثالث، مكتبة دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، 1392/ 1972.
- **المكناسي، بن القاضي أحمد بن محمد:** جذوة الاقتباس ذكر من حل مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
- **الورثيلاني:** الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ،مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 2006.

- **الورثيلاني:** نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مع تعليقات الشيخ ابن مهنا القسنطيني، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع الجزائر ، 2011.
- **الورثيلاني، الحسين بن محمد:** نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار. المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تقديم محمد بن شنب، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1908.

المراجع العربية :

- **أجيرون، شارل روبير:** الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، تر: أ. بكلي، م. حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، 2ج، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2004.
- **أمطاط ،محمد:** الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008.
- **أوشن، مزيان:** إقليم ولاية برج بوعريريج عبر العصور دراسة تاريخية، دار النشر وتوزيع الكتب جيتلي، برج بوعريريج، الجزائر، 2006.
- **بالة، صادق:** الأنوار الزكية في الذكر ومدح سيد خير البرية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2014.
- **برونشفيك، شارل روبار:** تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي،1988.
- **بسكر، محمد:** أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013.
- **بطاش، علي:** لمحة عن تاريخ منطقة القبائل، حياة الشيخ المقراني والشيخ الحداد وثورة 1871، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2007.
- **بل، ألفرد:** الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، بيروت، 1987.

- **بلحميسي، مولاي:** الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981.
- **بلعيد، صالح:** المازيغية في خطر !؟، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011.
- **بن أعراب، سعيد:** القرّاء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990
- **بن الشيخ آث ملويا، الحسين:** القانون العرفي الأمازيغي، دار هومة، الجزائر 2000 .
- **بن الشيخ:** القانون العرفي الأمازيغي، دارهومة، الجزائر،(د.ت).
- **بن خروف، عمار:** العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر لميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2006.
- **بن لعلام، محمد الصغير:** علماء من زواوة، منشورات ثالة، الجزائر،2013.
- **بن منصور، عبد الوهاب:** أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط 1406هـ / 1986م.
- البوعبدلي: الحياة الثقافية بالجزائر، جمع وإعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- **البوعبدلي، المهدي:** جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن(10-13هـ)، جمع وإعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- **بوعزيز، يحي:** أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1995.
- **بوعزيز:** ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد) ش.و.ن.ت، الجزائر ،(د.ت).
- **بوعزيز:** دائرة الجعافرة تاريخ وحضارة وجهاد. دار هومة، الجزائر، 2002.
- **بوعمامة، عبد الكريم:** بني يعلى. لمحات من التراث اليعلاوي عادات وتقاليد، د. م. ج، الجزائر(د.ت).
- **بيومي، فهيم محمد علي:** المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، دار القاهرة، مصر، 2006.
- **التر، سامح عزيز:** الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت،1989.

- **تركي، رابح:**عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، م. و. ك، ط4 ، الجزائر، 1984.
- **تيران، ايفون:** المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين 1830–1880،ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة والإشراف: مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر2005.
- ثلاث رحلات مغاربية، ويليه مجموع رحلات جزائرية، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- **الجابري، محمد الصالح:** النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900–1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- **الجزائري، بشير بن ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر:** فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث, نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول، مراجعة وتقديم عثمان بدرين ، الجزائر، 2002.
- **جلاوي، محمد:** تطور الشعر القبائلي وخصائصه (بين التقليد والحداثة)، المحافظة السامية للأمازيغية، الجزائر، 2009.
- **جوليان، شارل أندري:** إفريقيا الشمالية تسيرن القوميات الإسلامية والسياسة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم، والطيب لمهيري، الصادق المقدم، فتحي زهير، الحبيب الشطي، مراجعة: فريد السوداني، الدار التونسية للنشر(تونس)، ش. و. ن. ت. الجزائر، 1396هـ/ 1976.
- **الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد:** تاريخ الجزائر العام، ط2 ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- **الحافظ، محمد مطيع وأباظة، نزار:** علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، ج2، 1260 – 1304هـ/ 1844 – 1886م ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1412هـ/ 1991م.
- **حليمي، عبد القادر:** جغرافية الجزائر طبيعية بشرية، اقتصادية، مطبعة الشركة الجزائرية، 1968.

- **خلفات، مفتاح:** قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط بين القرنين (6هـ-9هـ/12م-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر،2011
- **دراج، محمد:** الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011/1433.
- **الراوي، عبد الستار عز الدين:** التصوف والبارسايكولوجيا، مقدمة أولى في الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 1994.
- **ركيبي، عبد الله:** الشعر الديني الجزائري الحديث، ش، و، ن، ت، الجزائر،1981.
- **الزبيري، محمد العربي:** التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة ما بين 1792 – 1830، الطبعة الثانية، م.و.ك، الجزائر 1984.
- **الزواوي، أبو يعلى:** تاريخ زوا وة ، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
- **زوزو، عبد الحميد:** نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1830 – 1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- **ساحي، أحمد:** أعلام من منطقة زواوة (إيقواون 1)، مطبعة الثورة الافريقية، الجزائر، (د،ت)
- **ساحي:** ميراث المرأة بين المنع والشرع مداولة 1749 (أعلام الزواوة 2)، دار التبيين، الجاحظية، الجزائر، 1995.
- **سعد الله، أبو القاسم:** أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.
- **سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي, من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16-20) ط2، م.و.ك, الجزائر 1985.
- **سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 .
- **سعد الله:** شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي, بيروت، لبنان.
- **سعد الله:** محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- **سعيدوني، ناصر الدين:** النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800 – 1830) ،ش،و ،ن،ت، الجزائر 1970.
- **سعيدوني:** ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- **سعيدوني:** دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني ، م، و ، ك الجزائر ، 1984.
- **سي يوسف، محمد:** مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2000.
- **شهبي، عبد العزيز:** الزوايا و الصوفية العزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007.
- **شويتام، أرزقي:** المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926 ـ1246هـ /1519ـ1830م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- **الصدة فرج، عبد المنعم:** مبادئ القانون دار النهضة العربية للطباعة و النشر لبنان، 1982.
- **الصديق، محمد الصالح:** من أعلام منطقة القبائل ، دار هومة، الجزائر،(د. ت).
- **الصديق:** أعلام منطقة القبائل، دار هومة، الجزائر، 2013.
- **طرشون، نادية ، يحياوي، جمال، الخالدي، سهيل:** الهجرة الجزائرية نحو المشرق، أثناء الاحتلال، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث قي الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- **ظريف، أحمد:** قراءة في الرحلة الورثيلانية سياحة في أغوار رحلة الوثيلاني، رابطة أهل القلم، الجزائر، 2005.
- **عبد الرحيم عبد الرحمن عبد االرحيم:** المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517ـ 1798)، دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر، تونس 1982.

- **العبيكان طرفة، عبد العزيز**: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثمن للهجرة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية' الرياض، 1996.
- **عزوزي، إدريس**: الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، تحقيق ودراسة لكتابه عدة المريد الصادق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، 1998.
- **العشاب، عبد الصمد**: القطب الرباني مولاي عبد السلام بن مشيش، الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، (د,.ت).
- **العقبي، صلاح المؤيد**: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشأتها، دار البرق، لبنان، 2002 .
- **عيسات، بلقاسم**: لمحة عن تاريخ قلعة العباس جبل الزواوة وأعلام الطريقة الرحمانية.
- **غلاب، عبد الكريم**: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ/2005.
- **فراد، محمد أرزقي**: الحاج محمد السعيد تازروت إطلالة على الشعر الصوفي الأمازيغي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر،2011.
- **فراد**: المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2010-2011.
- **فراد**: أزفون تاريخ وثقافة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2003.
- **فرج، محمد الصغير**: تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، ترجمة موسى زمولي، منشورات زرياب، الجزائر، 2002.
- **فضلاء، محمد الطاهر**: أعلام الجزائر الشيخ السعيد أبهلول الورثيلاني في مجموعة من رسائله وفتاويه 1276-1364/1859-1945، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- **فيلالي، مختار بن الطاهر**: رحلة الورثيلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة ، الجزائر (د.ت).
- **القاسيمي الحسني، عبد المنعم**: الطريقة الرحمانية الأصول والأثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434/ 2013.

- **قاهر، محمد الشريف:** الأنوار في آيات النبي المختار، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ/ 2005م.
- **الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير:** فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتنى به، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1402/ 1982.
- **كركار، جمال:** العرف والعمل الجزائري و أثرهما في الفتاوى والأحكام، منطقة الزواوة خلال فترة الاحتلال أنموذجا، منشورات المجلس الاسلامي الأعلى، الجزائر، 2013.
- **الكسنزاني، محمد السيد عبد الكريم:** التصوف الأنوار الرحمانية في الطريقة القادرية الكسنزانية، مطبعة مدبولي، مصر 1990.
- **لقبال، موسى:** دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م) ش. و. ن. ت. الجزائر 1979.
- **لوتورنو. و هانوتو:** منطقة القبائل الكبرى: العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري، ترجمة: مزيان الحاج أحمد القاسم، منشورات كرجا للطباعة والنشر، الأربعاء ناث إيراثن، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
- مجموعة من الأساتذة : معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- مجموعة من الأساتذة، أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 2004.
- **محفوظ، محمد:** تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1405هـ/1985.
- **محمد، محفوظ:** ترجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985/1405.
- **المدخلي عمير، ربيع بن هادي:** مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين، ط1، دار المنهاج، القاهرة، 1426/ 2005.
- **المدني، أحمد توفيق:** كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.
- **المدني:** محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- **المدني:** حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و فرنسا (1492 – 1792) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ش،و،ن،ت، الجزائر، ب،ت.
- **مريوش، أحمد**، وغيره: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- **المنذر، عبد العظيم بن عبد القوي:** الترغيب والترهيب. ويليها كتاب الترغيب والترهيب من القرآن العظيم، لمحمد منير الدمشقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1434/ 2003.
- **نسيب، محمد:** زوايا التعليم والقرآن بالجزائر،دار الفكر،الجزائر،(د،ت).
- **النمري، ابن عبد البر:** جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الطبع المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- **نويهض، عادل:** معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1971.
- **نويهض:** معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر 2011.
- **النيال الباهلي، محمد:** الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح، تونس، 1384هـ/1965.
- **النيفر، حمد:** عنوان الأريب عما نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب، المطبعة التونسية، تونس، 1351.
- **هلال، عمار:** الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847– 1918)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- **وعلي، محمد الطاهر:** التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، 2009.
- **وولف.ب. جون:** الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- **يستفلد. ف:** جدول السنين الهجرية بليالها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمه: عبد المنعم ماجد، وعبد المحسن رمضان،مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة.

الدوريات العربية والجرائد:

- **أمقران، علي**: "هذا الشيخ المجهول أبو زكرياء يحي العيدالي 881هـ/ 1476 م "، في: مجلة الدراسات التاريخية، ع4، جامعة الجزائر، 1408/ 1988.
- **أمقران**:« المعهد السحنوني بأربعاء بني إيراثن بزواوة » ، في مجلة سيرتا، ع 5،رجب 1401/ماي 1981، جامعة قسنطينة
- **بن عمر، باعزيز**: " الزوايا بالزواوة "، في الشهاب، ج1 ، الجزائر، جانفي 1933،
- **بن لعلام، محمد الصغير**: "التبادل المعرفي بين منطقة الزواوة ومنطقة تلمسان، الأخذ والعطاء بين علماء زواوة وعلماء تلمسان"، محاضرة مقدمة في إطار الملتقى الدولي (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)، غير منشورة.
- **بن لعلام**:« التبادل المعرفي بين منطقة الزواوة ومنطقة تلمسان، الأخذ والعطاء بين علماء زواوة وعلماء تلمسان » ، محاضرة مقدمة في إطار الملتقى الدولي (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)، غير منشورة.
- **البوعبدلي، المهدي**: "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، في: مجلة الأصالة، ع 13، السنة 3، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.
- **البوعبدلي**:"الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها"، في:مجلة الأصالة، ع: 14، الجزائر، 1974.
- **البوعبدلي**: "الثقافة والتوجيه في الجزائر"، محاضرة في، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، 1970.
- **البوعبدلي**،: "اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث"، في: مجلة: رسالة المسجد، ع 8، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، محرم1425هـ/ مارس 2004م.
- **بوعزيز، يحي**:" أوضاع الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر خلال القرنين 19 و 20م " في، جريدة الشعب اليومية، الجزائر، في 13 06 1988م.

- **بوعزيز:** «أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين19و » 20، في: مجلة الثقافة، ع 63، السنة 1981.
- **بونار، رابح** :« عبد الرحمن الثعالبي» ، في: مجلة الثقافة، السنة الثانية، ع 7، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، محرم 1392/ مارس 1972.
- **جريدة المبشر**، الصادرة يم السبت 17 جمادي الأولى 1301/ 15 مارس 1884.
- **خميسي، ساعد:** «حول حقيقة التصوف»، في: مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع 12، رجب 1423هـ/ سبتمبر 2002، دار البعث، الجزائر.
- **سعد الله:**" وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين (الوقف والزكاة)"، في: مجلة الحياة ، ع: 8، تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، الجزائر، رمضان 1425هـ/ نوفمبر 2004.
- **سعد الله، أبو القاسم:** "بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830"،في: مجلة البحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني، تقديم كمال الدين إحسان أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول(إرسيكا) 2000.
- **سعيدوني، ناصر الدين:** مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية(نموذج بلاد القبائل)، عمل ونشر:

International Congress On learning and éducation IN The Ottoman World ISTANBUL 12-15 April 1999

- **سعيدوني**،: القبائل، محاضرة غير منشورة 1992.
- **سي يوسف، محمد:** "نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني" في، مجلة: أعمال المؤتمر الثالث للدراسات العثمانية "الحياة الفكرية في الولايات الغربية أثناء العهد العثماني"، جمع وتقديم، عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1990.
- **سي يوسف:** "الشريعة الإسلامية كمصدر للقانون العرفي في بلاد القبائل"، في: الملتقى المنظم من قبل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، حول البعد الروحي في الثقافة الأمازيغية، باتنة، 3 و4 ديسمبر 2005.

- **شويتام، أرزقي:** " العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية . الفترة العثمانية . "، في: مجلة الدراسات التاريخية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ع 13، السنة 1433هـ/ 2011م.
- **شيبان، عبد الرحمن:** تعقيب حول محاضرة الصلح في المجتمع الجزائري. منطقة القبائل نموذجا. قدمها: محمد أرزقي فراد، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005.
- **طالبي، عمار:** "الشيخ ابن الحداد الصوفي الثائر" في:مجلة الأصالة، المجلد الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ع2.
- **طالبي:** "الحياة الفكرية في بجاية. الفلسفة والكلام والتصوف", في: الأصالة، السنة 4، صفر، ربيع الأول، 1394، مارس ،أبريل،1974.
- **عليلي، محمد الحسن:** مراكز التجويد بالزواوة خلال ثلاثة قرون من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، بحث أعده للنشر غير منشور.
- **فراد، محمد أرزقي:** "المشرق العربي في الشعر القبائلي"، في: جريدة الشروق اليومي، الجزائر، الخميس 11/ 12/ 2008.
- **فراد:** "دور زوايا منطقة القبائل في مقاومة الاستعمار"، في: جريدة الشروق اليومي، الجزائر، الأحد 11 جوان 2006.
- **مزيان، عبد المجيد:**"الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار"، في: مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد 90، 1406هـ/1985م، وزارة الثقافة والسياحة والإعلام.
- **مسعود، العيد:** "المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني"، في, مجلة سيرتا،ع 10، الجزائر 1998.
- **ملتقى الوطني** حول ثورة الرحمانيين 1871م، المنعقد يومي 22 و23 أفريل 2006 ببجاية، وصدوق، من تنظيم مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية بجاية.
- **ملكيشي مزاري، عبد الحميد:** « سيدي لموفق المليكشي » محاضرة في : الملتقى الولائي الأول حول أعلام منطقة بجاية، نظارة الشؤون الدينية والأوقاف لولاية بجاية، 3 و4 سبتمبر 1996.

- **هلال، عمار**: العلماء الجزائريون فيما بين القرنين 4، و8هـ/ 10، و14م، في مجلة الدراسات التاريخية، ع 8، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993/ 1994.
- **هلال**:« العلماء الجزائريون في فاس» في: مجلة الدراسات التاريخية،ع:9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995.
- **وعلي، الصادق**:« الشيخ أمزيان بن الحداد ومكانته العلمية» ، محاضرة في: الملتقى الوطني حول حياة الشيخ الحداد، صدوق: يومي 8 و9 أفريل 2011.

الرسائل الجامعية :

- **آيت سوكي، محند أكلي:** تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10- 13هـ/ 16-19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007.
- **إيسلي، مقران:** الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920- 1954)، بحث لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر، 1411- 1991.
- **بن تونس مخلوف، سجية** : المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل – تحليل نفسي واجتماعي-، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 1998-1999.
- **بوطبة، لخضر:** قلعة بني عباس، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 2005-2006 .
- **حوسني، عبد الرحمن:** العلماء في المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس، أكدال، الرباط، 1993-1994.
- **ساحي، أحمد:** الزواوة من القرن 16حتى 18، عهد الإمارة (1512-1767)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر1998-1999.
- **سعيدي، مزيان:** السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2008- 2009.
- **سيدي موسى، محمد شريف:** الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر (13-16م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001.
- **شويتام، أرزقي:** نهاية العهد العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. رسالة ماجستير, جامعة الإسكندرية 1988.

- **قاسيمي، زيدين:** قيادة سيباو (1132هـ - 1720م/1247هـ - 1857م) مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007.
- **مايمون، محمد** : زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي.دورها التعليمي، وتراثها الفقهي وأثرهما في منطقة القبائل،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلاميـــــة، ،كلية أصول الدين، جامعة الجزائر2000-2001.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

- **ABROUS (D) :** La société des missionnaires d'Afrique à l'épreve du muythe Berbère Kabykie – Aurès-M'zab, Edition PEETERS, Paris Louvain, 2007.
- **AISSANI (DJ)** :Timemmert N'ichellaten un institut supérieur au fin fond de l'Kabylie, Association GEHIMAB, laboratoire LAMOS, université de Bejaia.
- **AISSANI (Dj)** : le soufisme ou sein du mouvement Intellectuel à Bejaia et sa Région(xı-xx siècles)Bejaia 17et18 septembre 2003,
- **AUCAPITAINE (H)** : « Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titerie »,in,R.A, n°9, o.p.u, ALGER, 1865
- **AUCAPITAINE (H)** : La Zaouïa de challata excursion chez les Zouaoua de la haute Kabylie, Paris 1860,
- **AUCAPITAINE (H)** : " Les colonies noires en Kabylie" in, R.A , N° 4 ; Années 1859-1860, o.p.u, Alger
- **AUCAPITAINE (H)** : « une expéditions turque aux beni – rathen » IN :R.A N° 20, o.p.u, Alger, Année 1876
- **BEN OUDJET (Y)** : La Kalaa des Béni Abbas du 16 siècle, Edition Dahlab, Alger, 1993
- **BERBRUGGER** : Les Epoques militaires de la grande Kabylie, bastide librairie edi. Paris,1857,
- **BERBURGGER (A)** : Les époques militaires de la grande Kabylie , bastide libraire- éditeur Alger, 1857.
- **BIBESCO (N) :** " Les kabyles du DjurDjura, la société kabyle avant la conquête",in, R. M, Impremrie , J.chaye année **1865, T56**
- **BOULIFA (S.A)** : LE Djurdjura à travers l'Histoire(depuis l'Antiquité jusqu'à 1830) ORGANISATION et INDEPENDANCE DES ZOUAOUA (grande Kabylie) ,JBRINGAU. Imprimeur - E'DITEUR. Alger. 1925.
- **BOURDIEU (P)** : sociologie de l'Algérie que sais je? 6 eme édition, P.U.F, Paris, 1858,
- **BOYER ,** « contribution religieuse des Turks dans la Régence d'Alger », IN, R.O.M.M. N° 1, 1er semestre, Aix en provence, France, 1966.

- **BRANSCHVIC** : la Bérbérie orientales sous les Hafsides, France (1940 – 1947) .
- **BRAUDEL (F)** : La Méditerranée et le Monde méditerranéen à l' époque de phillipeΠ,1et2,3e,edition,librairieArmand colin, Paris 1976.
- **DAUMAS (E)** : LA Kabylie Traditions ancestrales, Editions Lumières libres, Bejaia, Algérie, 2010.
- **DAUMAS (E)** : Mœurs et coutumes de l'Algérie, anep, Algerie, 2006.
- **DELPECH (A) :** « La Zaouia de Sidi ALI N'FOUNAS » IN : R.A n° 18, Alger 1874.
- **DENEVEAU** : Les Khouan , ordres relegieux chez les Musulmans de l'Algérie, 3eme éditions, Alger, A.Jourdan, 1913.
- **DEPONT (O)** et **COPPOLANI (X)** : Les Confréries Religieuses Musulmanes, Typographie et lithographie, Adolphe Jourdan , Alger
- **DESSOMMES (F)** : notes sur L'Histoire des Kabyles, Editions Tira , Tizi ouzou , Algérie, 1992
- **DEVEAUX (Ch)** : Les kbailes du Djurdjura, études nouvelle sur les pays vulgairement appellis la grande Kabylie, librairie éditeur challimac, Paris, 1859
- **DOUMAS (M)** et **FABAR** : La grande Kabylie, libraires à l'université, Royale de France, Alger, 1847
- **FÉRAUD (Ch)** : Exploitation des forets de la Krasta dans la Kabylie oriontale sous la domination turque IN , R.A, N° 13, o.p.u, Alger, Année 1869
- **FERAUD (Ch)** : Conquête de Bougie par les Espagnoles (occupation de Bougie), in, R A, N°12, o.p.u, Alger, année 1868.
- **FÉRAUD (ch)** : « Exploration nautique de la Soummam Bousellam », In, R.A, N°2, o.p.u, Alger, 1857
- **FÉRAUD (ch)** : « description de la ville de Bougie »in, Recueil des Notices et mémoires de la Société Archéologique de la Province de Constantine,3^{e} Volume de la deuxième Série,1869- Treizième Volume de la collection, Constantine L'Arnault, Libraire Editeur, Paris 1869.

- **FÉRAUD** (Ch) : " Les Beni Djelab", in R.A, N°23, o.p.u, Alger, 1879,
- **GAID (M)** : Histoire de Bejaia et sa région de depuis l'antiquité jusqu'au 1954, 2em Edition, Ed , Mimouni, Alger 1976.
- **GAID (M)** : l'Algérie sous Les Turcs. Edition Mimouni, 2eme Edition, Alger, 2002,
- **GAID (M)** : Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antiquité jusque à 1954 2eme Edition, Edition : MEMOUNI , Alger : 1991
- **GAUTIER (E F)** : Le passé de l'Afrique du nord (les siècles obscurs du Maghreb) nouvelle édition, petite bibliothèque, Payot, Paris, 1952
- **GOUVION (E) :** Kitab Aàyane el Marhariba Département de Constantine, Alger, imprimerie Fontana frères, 1920.
- **GRAMAY (J B) :** « évêque d'Afrique en 1635 » Alger 16ème, 17ème. Sel (son Journal), présentation de ABD ELHADI BEN MENSOUR, Edition de CERF, Paris 1998.
- **GUIN (M)** : " notes historiques sur les Nezlioua, cercle de DRA EL MIZAN", in, R.A , N° 6 , Année, 1862,
- **GUIN (M)** : "Guechtoula, guerre entre cheikh Gacem et son fils Ramadan" , in R.A, N° 5, Année:1861, o.p.u, Alger
- **HADJ SADOK (M)** : A travers la Bérbérie orientale du 18eme siècle avec le voyageur AL-WARTHILLANI, in, R A, N: 95, o.p.u, Alger, année 1951
- **HAËDO (F,D)** : La vie a Alger durant les Année1600 ; Alger ; 2004 ;
- **HAËDO (F.D)** : Histoire des rois d'Alger, trad. Française de H.de Grammont, Alger, 1881
- **HANOTEAU** et **LETOURNEAUX** : LA KABYLIE et les coutumes kabyle, présentation de Alan Mahé, et Tilman HANNEMANN ,3 T, Edition Bouchene, Paris 2003.
- **LARBI (B) :** Cheikh aheddad de la Tarîka Rahmanya à l'insurrection d'avril 1871 ; Belle lettres, L'imprimerie Hasnaoui, Alger, 2011.
- **LAROUI (A)** : L'Histoire du Maghreb, essai de synthèse, collection MASPERO, Paris 1976

- **LAURENT (le Chevalier), d'Avrieux :** Mémoires du Chevalier d'Avrieux, Paris, 1735 .
- **LIOREL (J)** : Kabylie du Jurjura, Paris, Ernest Leroux, Éditeur ; paris ; (s.d), 1e Livre **.**
- **MAGALI (Z)** : la pacification et l'organisation de la Kabylie orientale de 1838 à 1870, Paris l'Edition les belles lettres, France, 1948,.
- **MAHÉ (A)** : Histoire de La Grande Kabylie XIX-XX Siècles Anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises, Editions Bouchene, France, 2002,.
- **MARCAIS (G)** : La Bérbérie Musulmane et orient, in, Moyen age, édition, montagne, Paris, 1946
- **MERCIER (E)** : " LE BACHAGA MOKRANI et les causes de l' insurrection de 1871", extrait du bulletin de la réunion Algérienne, Paris, Beaugecey,imp. J.LAFFARY 19, Août, 1900
- **MERCIER (E)** : Histoire de l'Afrique septentrionale, T 03, Paris, 1891
- **MERED (A)** : Le réformisme Musulman en Algérie de 1925-1940 "ESSAI D'HISTOIRE RELIGIEUSE ET SOCIALE",Edition EL HIKMA, Alger 1999,
- **MERRAD BOUDIA (A E) :** La formation sociale Algeriènne précoloniale, O.P.U, Alger, (s.d).
- **MORIZOT (J)** : L'Algérie Kabylisée point de vue d' un colonialiste, Préface de Pierre RONDOT, EDITION AT-TABYIN_ALJAHIDHIYA,2001,
- **MURATI :** Le Maraboutisme ou la naissance d'une famille
- **PLANIOL (M)** : Traité élémentaire de droit civil, L.D.J, Paris, 1950,
- **RINN (L)** : MARABOUTS et KHOUAN Etude sur L'islam en Algérie, Adolph, Jourdan libraire, éditeur, Alger,
- **RINN (L)** : le Royaume d'Algér sous le dernier Dey, Présantation de Abd errahmane Rebahi, Editions Grand Algér Livres,2005
- **ROBIN (J.N)** : " le Bey mohemed ", in R.A, N° 17, o.p.u, Alger, 1873 , p 267.

- **ROBIN (J N)** : « Notice sur l'histoire et l'administration dans la grande kabylie » in, R.A, 1864,
- **ROBIN (J N)** : la grande Kabylie sous le régime turc, presentation et notes de Alain Mahé, Edition Bouchene, Paris, 1998.
- **ROBIN (J N)** : La Grande Kabylie sous le régime Turc, présentations et notes de Alain Mathé, Editions Bouchene, France, (s d),
- **ROBIN (J N)** : Notes sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie, in, R .A N° 17, o.p.u, Alger, Année 1873 .
- **ROBIN** : " Soumission des BANI YALA", in : R-A, N° 42, Année 1898, o.p.u, Alger
- **ROZET** et **CARETTE** : Algérie , Etats tripolitains , 2eme Edition, Edition: Bouslama, Tunis, s.d
- **TAUXIER** : " une expédition des turcs contre les flissa" in R.A N° 19, o.p.u, Alger, Année 1875
- **TOUATI (H)** : Entre dieu et les hommes, lettres saintes et sorciers au Maghreb (17eme siècle), édition de l'école des hautes étude en sciences sociales, Paris, 1974
- **VAYSSETTESN :** « Histoire des derniers Bays de constantine, » IN, R.A n° 7 , 1863,
- **WATBLED (E)** : « Etablissement de la domination turque en Algérie IN : R.A N° 11 Année 1873, o.p.u

- **الفهارس العامة:**

1- فهرس الأعلام:

(أ)

(غ)

(ن)

2- فهرس القبائل والجماعات:

(أ)

فهرس الأماكن:

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الموضوعات

الباب الثاني:

العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية

الباب الثالث

تراجم علماء زواوة

الباب الرابع

أدوار علماء زواوة في الحياة الفكرية الإسلامية بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري/16-19م

الباب الخامس

مؤلفات علماء زواوة وإجازاتهم العلمية فيما بين القرن 10و13هـ/16-19م

الباب السادس

نماذج من إسهامات علماء زواوة الفكرية